تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

هذه الطبعة أول طبعة مقابلة على النسخة الأزهرية
وكذلك على نسخة كاملة بدار الكتب المصرية

تحقيق

مصطفى السيد محمد — محمد السيد رشاد
محمد فضل العجماوي — علي أحمد عبد الباقي
حسن عباس قطب

المجلد العاشر

مؤسسة قرطبة
طباعة . نشر . توزيع
جيزة - ت : ٥٨١٥٠٢٧

مكتبة أولاد الشيخ للتراث
٣٦ ش اليابان - عمرانية غربية - جيزة
ت : ٥٦٢٨٣١٨ - ٥٦١١٤٤٢

رقم الإيداع : ٩٣٤٩ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولى : I.S.B.N
977 - 5234 - 33 - 6

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

كافة حقوق الطبع محفوظة
لمؤسسة قرطبة
للطبع والنشر والتوزيع

الفاروق الحديثة للطباعة والنشر هاتف: ٢٠٥٥٦٨٨-٤٣٠٧٥٢٦ القاهرة

تفسير سورة الحج

وهي مدنية

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده بتقواه ، ومخبرًا لهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها . وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة ، هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم إلىٰ عَرَصات القيامة ؟ أو ذلك عبارة عن زلزلة الأرض قبل قيام الناس من أجداثهم ؟ كما قال تعالىٰ : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذٍ وقعت الواقعة** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **إذا رجت الأرض رجًّا وبست الجبال بسًّا ، فكانت هباءً منبثًّا** ﴾ فقال قائلون : هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا ، وأول أحوال الساعة .

وقال ابن جرير [(١)] : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيىٰ ، حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة في قوله : ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ . قال : قبل الساعة . ورواه ابن أبي حاتم من حديث الثوري ، عن منصور والأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، فذكره . قال : ورُوي عن الشعبي ، وإبراهيم ، وعبيد بن عمير ، نحو ذلك .

وقال أبو كدينة عن عطاء ، عن عامر الشعبي : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم** ﴾ الآية . قال : هذا في الدنيا قبل يوم القيامة .

وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير [(٢)] مُسْتَنَدَ مَنْ قال ذلك في حديث الصُّور ، من رواية إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل ، فهو**

---

(١) - تفسير ابن جرير (١٧/١٠٩) .

(٢) - تفسير ابن جرير (١٧/١٠٩) ، قال : حدثني سليمان بن عبد الجبار ؛ قال : ثنا محمد بن الصلت قال : ثنا أبو كدينة به ، فذكره .

واضعه علىٰ فيه ، شاخص ببصره إلىٰ العرش ، ينتظر متىٰ يؤمر » .

قال أبو هريرة : يا رسول اللَّه ، وما الصور ؟ قال : « **قَرْن** » . قال : فكيف هو ؟ قال : « **قرن عظيم ، ينفخ فيه[١] ثلاث نفخات ؛ الأولىٰ : نفخة الفزع ، والثانية : نفخة الصَّعْق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر اللَّه إسرافيل بالنفخة الأولىٰ ، فيقول : انفخ نفخة الفزع . فيفزع أهل السماوات وأهل الأرض ، إلا من شاء اللَّه ، ويأمره فيمدها ويطولها ولا يَفْتُر ، وهي التي يقول اللَّه تعالىٰ : ﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق ﴾** فيُسَيِّرُ اللَّه الجبال فتكون سرابًا ، وتُرَجّ الأرض بأهلها رجًّا ، وهي التي يقول اللَّه تعالىٰ : **﴿ يوم ترجف الراجفة * تتبعها الرادفة * قلوب يومئذ واجفة ﴾** فتكون الأرض كالسفينة المُوبَقَة[٢] في البحر تضربها الأمواج تكفؤها[٣] بأهلها ، وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح ، فيمتد الناس علىٰ ظهرها ، فتذهل المراضع ، وتضع الحوامل ، ويشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة ، حتىٰ تأتي الأقطار ، فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها ، فترجع ، ويولي الناس مدبرين ، ينادي بعضهم بعضًا ، وهو الذي يقول اللَّه تعالىٰ : **﴿ يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من اللَّه من عاصم ومن يضلل اللَّه فما له من هاد ﴾** . فبينما هم علىٰ ذلك ، إذ تصدعت[٤] الأرض من قطر إلىٰ قطر ، فرأوا أمرًا عظيمًا ، فأخذهم لذلك من الكرب ما اللَّه أعلم به ، ثم نظروا إلىٰ السماء فإذا هي كالمهل ، ثم خسف شمسها وخُسِفَ قمرها ، وانتثرت نجومها ، ثم كُشِطت عنهم » .

قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك** » . قال أبو هريرة : ثم[٥] استثنىٰ اللَّه حين يقول : **﴿ ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء اللَّه ﴾** قال : « **أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفزع إلي الأحياء ، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ، وقاهم اللَّه شر ذلك اليوم وآمنهم ، وهو عذاب اللَّه يبعثه علي شرار خلقه ، وهو الذي يقول اللَّه[٦] : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب اللَّه شديد ﴾** » .

وهذا الحديث قد رواه الطبراني ، وابن جرير(٣) ، وابن أبي حاتم ، وغير واحد مطولًا جدًّا ، والغرض منه أنه دل علىٰ أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة ، وأضيفت إلىٰ الساعة

(٣) - تفسير ابن جرير (١٧/١١٠) .

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : الموبنه . غير منقوطة .
[٣] - في ز : تكفها .
[٤] - في خ : انصدعت .
[٥] - في ت : « فمن » .
[٦] - سقط من ز .

لقربها منها ، كما يقال : أشراط الساعة ، ونحو[١] ذلك ، والله أعلم .

وقال آخرون : بل ذلك هول وفزع ، وزلزال وبَلبال ، كائن يوم القيامة في العَرَصات ، بعد القيام من القبور ، واختار ذلك ابن جرير ، واحتجوا بأحاديث :

الأول : قال الإمام أحمد(٤) : حدثنا يحيىٰ ، عن هشام ، حدثنا قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال وهو في بعض أسفاره ، وقد [تفاوت بين أصحابه السير][٢] ، رفع بهاتين الآيتين صوته : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب الله شديد** ﴾ . فلما سمع أصحابه بذلك حَثّوا المطيّ ، وعرفوا أنه عند قول يقوله ، فلما تأشّبوا[٣] حوله قال : « **أتدرون أي يوم ذاك[٤] ؟ ذاك يوم يُنادَىٰ آدم - عليه السلام - فيناديه ربه - عز وجل - فيقول : يا آدم ، ابعث بعثك إلىٰ النار . فيقول : يارب ؛ وما بعث النار ؟ فيقول : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون في النار ، وواحد في الجنة** » . قال : فأبلس أصحابه حتىٰ ما أوضحوا بضاحكة ، فلما رأىٰ ذلك قال : « **أبشروا واعملوا[٥] ، فوالذي نفس محمد بيده إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء قط إلّا كثرتاه ؛ يأجوج ومأجوج ، ومن هلك من بني آدم وبني إبليس** » . قال : فسري عنهم ثم قال : « **اعملوا وأبشروا ، فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلّا كالشامة في جنب البعير ، أو الرقمة(*) في ذراع الدابة** » . وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننيهما ، عن محمد بن بشار ، عن يحيي - وهو القطان - عن هشام - وهو الدستوائي - عن قتادة ، به بنحوه . وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٤) - المسند (٤/٤٣٥) (١٩٩٥٥) . وأخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الحج ، حديث : (٣١٦٨،٣١٦٩) ، (٥/٣٠٢-٣٠٣) . والنسائي في « السنن الكبرى » في كتاب التفسير ، باب : سورة الحج ، قوله تعالي : ﴿ **وترى الناس سكارى وما هم بسكارى** ﴾ ، حديث (١١٣٤٠) (٦/٤١٠) ، والحميدي في « مسنده » : برقم (٨٣١) ، (٢/٣٦٧-٣٦٨) .

والحاكم في المستدرك (١/٢٨-٢٩) . ورواه أحمد برقم : (١٩٩٥٥-١٩٩٥٦) .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح قد رُوى من غير وجه عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بطوله ، والذي عندي أنهما قد =

[١] - في ز : وهو .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « تقارب من أصحابه المسير » .

[٣] - في ت : « تأشهوا » . [٤] - في خ ، ز : « ذلك » .

[٥] - في ز : واعلموا .

(طريق أخرىٰ لهذا الحديث) قال[١] الترمذي(٥) : حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ابن عيينة ، حدثنا ابن جدعان ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ، أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال لما نزلت : ﴿ **يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ إلي قوله : ﴿ **ولكن عذاب الله شديد** ﴾ . قال : أنزلت عليه هذه[٢] الآية وهو في سفر ، فقال : « **أتدرون أي يوم ذلك ؟** » فقالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « **ذلك يوم يقول الله لآدم : ابعث بعث النار . قال : يارب ، وما بعث النار ؟ قال : تسعمائة وتسعة وتسعون إلىٰ النار ، وواحد إلى[٣] الجنة!** » . فأنشأ المسلمون يبكون ، فقال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **قاربوا وسددوا ، فإنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية** » . قال : « **فيؤخذ العدد من الجاهلية ، فإن تمت وإلا كملت من المنافقين ، وما مثلكم والأمم إلا**

= تحرجا من ذلك خشية الإرسال ، وقد سمع الحسن عن عمران بن حصين ، وهذه الزيادات التي في هذا المتن أكثرها عند معمر عن قتادة عن أنس ، وهو صحيح على شرطهما جميعًا ولم يخرجاه ولا واحد منهما وللحديث شاهد في الصحيح عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة .

١ - حديث أبي سعيد الخدري :

أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : قوله عز وجل : ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ ، حديث (٦٥٣٠) ، (٣٨٨/١١) . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : قوله : يقول الله لآدم : « أخرج بعث النار » ، حديث (٣٧٩-٣٨٠/٢٢٢) (١٢١/٣:١٢٣) . والنسائي في « السنن الكبرى » في كتاب التفسير ، باب : قوله تعالى : ﴿ **وترى الناس سكارى وما هم بسكارى** ﴾ حديث (١١٣٣٩)، (٦/ ٤٠٩) . من طريق الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري به .

٢ - حديث أبي هريرة : أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : الحشر ، حديث (٦٥٢٩) ، (١١/ ٣٧٨) . من طريق سليمان عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة .

وله شاهد أيضًا من حديث أنس . أخرجه أبو يعلى في مسنده برقم (٣١٢٢) (٤٣٠/٥-٤٣١) . والحاكم في « مستدركه » : (٢٩/١) . وابن حبان في صحيحه برقم (١٧٥٢) ، (٤٢٧/٥- موارد) كلهم من طريق معمر ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٣٩٧/١٠) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن مهدي وهو ثقة . اهـ

ومحمد بن مهدي هذا الذي وثقه الهيثمي ، ترجم له ابن أبي حاتم في « الجرح والتعديل » (١٠٦/١/١) برقم : (٤٥٦) وقال عنه : محمد بن مهدي الأيلي روى عن أبي داود الطيالسي ، روى عنه أبو زرعة رحمه الله . اهـ .

(*) الرَّقْمَة هنا : الهَنَةُ الناتئة في ذِراع الدَّابَّة من داخل ، وهما رقمتان في ذراعيها . نهاية [٢/ ٢٥٤] .

(٥) - رواه الترمذي كتاب التفسير ، باب ومن سورة الحج ، الحديث (٣١٦٨) .

[١] - في ز : وقال .
[٢] - بعده في ت : الآية .
[٣] - في خ : في .

كمثل الرقمة في ذراع الدابة ، أو كالشامة في جنب البعير » . ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة** » . فكبروا ، ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة** » . فكبروا ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة** » . فكبروا ، قال : ولا أدري أقال الثلثين أم لا . وكذا رواه الإمام أحمد(٦) عن سفيان بن عيينة به . ثم قال الترمذي أيضًا : هذا حديث حسن[١] صحيح .

وقد روي عن [سعيد بن أبي][٢]عروبة ، عن الحسن ، عن عمران بن الحصين . وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن الحسن والعلاء بن زياد العدوي ، عن عمران بن الحصين ، فذكره .

وهكذا روى ابن جرير(٧) عن بندار ، عن غندر ، عن عوف ، عن الحسن ؛ قال : بلغني أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لما قفل من غزوة العسرة[٣] ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ وذكر الحديث ، فذكر[٤] نحو سياق ابن جدعان ، فالله أعلم .

(الحديث الثاني) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن الطباع حدثنا أبو[٥] سفيان المعمري ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس ؛ قال : نزلت : ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ ... وذكر ، يعني : نحو سياق الحسن عن عمران ، غير أنه قال : « **ومن هلك من كفرة الجن والإنس** » ورواه ابن جرير(٨) بطوله من حديث معمر به[٦] .

(الحديث الثالث) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد - يعني ابن العوام - حدثنا هلال بن خَبَّاب[٧] ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ قال : تلا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هذه الآية ... فذكر نحوه ، وقال فيه : « **إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة** » . ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة** » ، ثم قال : « **إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة** » . ففرحوا ، وزاد أيضًا : « **وإنما أنتم**

(٦) - المسند (٤٣٢/٤) (١٩٩٣٧) .
(٧) - تفسير ابن جرير (١١١/١٧) .
(٨) - تفسير ابن جرير (١١٢/١٧) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز : العسيرة .
[٤] - في خ : وذكر .
[٥] - في ز : ابن .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - في ز : حباب .

جزء من ألف جزء » .

(الحديث الرابع) قال البخاري[٩] عند هذه الآية : حدثنا عمر بن حفص ، حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش ، حدثنا أبو صالح ، عن أبي سعيد ؛ قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يقول اللّٰه تعالىٰ يوم القيامة : يا آدم ؛ فيقول : لبيك ربنا وسعديك . فينادَى بصوت : إن اللّٰه يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثًا إلىٰ النار . قال : يارب ؛ وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف** » - أراه قال : « **تسعمائة وتسعة وتسعين** » - « **فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد ، ﴿ وترىٰ الناس سكارىٰ وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب اللّٰه شديد ﴾** » . فشق ذلك علىٰ الناس حتىٰ تغيرت وجوههم . قال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون[1] ومنكم واحد ، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود ، وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة** ». فكبرنا ، ثم قال : « **ثلث أهل الجنة** » . فكبرنا ، ثم قال : « **شطر أهل الجنة** » . فكبرنا

وقد رواه البخاري أيضًا في غير هذا الموضع[١٠] ، ومسلم ، والنسائي في تفسيره ، من طرق ، عن الأعمش ، به .

(الحديث الخامس) قال الإمام أحمد[١١] : حدثنا عمار[2] بن محمد - ابن أخت سفيان الثوري - وعبيدة - المعنىٰ - كلاهما عن إبراهيم بن مسلم ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللّٰه ؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن اللّٰه يبعث يوم القيامة مناديًا ينادي[3] : يا آدم ؛ إن اللّٰه يأمرك أن تبعث بعثًا من ذريتك إلىٰ النار . فيقول آدم : يارب ؛ من هم ؟ فيقال له : من كل مائة تسعة وتسعين** » . فقال رجل [من القوم][4] : من هذا الناجي منا بعد هذا يا رسول اللّٰه ؟ ! قال : « **هل تدرون ما أنتم في الناس إلا كالشّامَة في صدر البعير** » .

---

(٩) - رواه البخاري كتاب التفسير ، باب : **﴿ وترى الناس سكارى ﴾** الحديث (٤٧٤١) (٨/ ٤٤١) .

(١٠) - رواه أيضًا في كتاب الرقاق ، باب قوله عز وجل : **﴿ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾** الحديث (٦٥٣٠) (٣٨٨/١١) . ومسلم كتاب الإيمان ، باب قوله : « يقول الله يا آدم أخرج بعث النار ... » الحديث (٢٢٢/٣٧٩) (١٢١/٣) . والنسائي في التفسير من الكبرى ، باب : **﴿ وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ﴾** الحديث (١١٣٣٩) (٤٠٩/٦) .

(١١) - المسند (٣٨٨/١) .

---

[١] - في ت : « تسعين » .

[٢] - في ز : عمارة .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في خ : « منهم » .

[انفرد بهذا السند وهذا السياق الإمام أحمد][١] .

(الحديث السادس) قال الإمام أحمد(١٢) : حدثنا يحيىٰ ، عن حاتم بن أبي صَغِيرَةَ ، حدثنا ابن أبي مليكة ؛ أن القاسم بن محمد أخبره ، عن عائشة ، عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إنكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلًا** » . قالت عائشة : يا رسول الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلىٰ بعض ؟ قال : « **يا عائشة ، إن الأمر أشد من أن يهمهم ذلك** » أخرجاه في الصحيحين .

(الحديث السابع) قال الإمام أحمد(١٣) : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق ، حدثنا ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ؛ قالت : قلت : يا رسول الله ، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة ؟ قال : « **يا عائشة ؛ أما عند ثلاث فلا : أما عند الميزان حتىٰ يثقل أو يخف فلا ، وأما عند تطاير الكتب فإما يعطىٰ بيمينه أو يعطىٰ بشماله فلا ، وحين يخرج عُنُقٌ من النار فينطوي عليهم ، ويتغيظ عليهم ، ويقول ذلك العنق : وُكِّلت بثلاثة ، وكِّلت بثلاثة ، وكِّلت بثلاثة : وكلت بمن ادعىٰ مع الله إلهًا آخر ، ووكلت بمن لا يؤمن بيوم الحساب ، ووكلت بكل جبار عنيد** » . قال : « **فينطوي عليهم ، ويرميهم في غمرات ، ولجهنم جسر أدق من الشعر ، وأحد من السيف ، عليه كلاليب وحسك يأخذن من شاء الله ، والناس عليه كالطَّرْف وكالبرق[٢] وكالريح ، وكأجاويد الخيل والرِّكاب ، والملائكة يقولون : رب سلم سلم . فناج مُسلَّم ، ومخدوش مسلَّم ، ومُكَوَّر في النار علىٰ وجهه** » .

والأحاديث في أهوال يوم القيامة والآثار[٣] كثيرة جدًّا ، لها موضع آخر ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن زلزلة الساعة شيء عظيم** ﴾ . أي : أمر كبير ، وخطب جليل ، وطارق مفظع ، وحادث هائل ، وكائن عجيب .

---

(١٢) - رواه أحمد في المسند (٥٣/٦) (٢٤٣٧٦) ، وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب : الحشر (٣٨٥/١١/رقم : ٦٥٢٧) . ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب : فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة . (٢١٩٤/٤/رقم : ٢٨٥٩) . والنسائي في كتاب الجنائز ، باب : البعث (٤/ ١١٤، ١١٥/ رقم : ٢٠٨٣، ٢٠٨٤) . وفي الكبرى في كتاب التفسير ، باب : سورة عبس (٥٠٧/٦/رقم : ١١٦٤٨) . وابن ماجة في كتاب الزهد ، باب : ذكر البعث (١٤٢٩/٢/رقم : ٤٢٧٦) . كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها .

(١٣) - أخرجه أحمد في المسند (١١٠/٦) (٢٤٩٠٥) وإسناده ضعيف من أجل ابن لهيعة . عزاه =

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - في ز : والبرق .

[٣] - في خ : « والأحاديث » .

والزلزال هو: ما يحصل للنفوس من الرعب والفزع ، كما قال تعالى: ﴿**هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديدًا**﴾ ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يوم ترونها** ﴾ . هذا من باب ضمير الشأن ، ولهذا قال مفسرًا له : ﴿ **تذهل كل مرضعة عما أرضعت** ﴾ . أي : تشتغل لهول ما ترىٰ عن أحب الناس إليها ، والتي هي أشفق الناس عليه ، تدهش عنه في حال إرضاعها له ، ولهذا قال : ﴿ **كل مرضعة** ﴾ ، ولم يقل : مرضع . وقال : ﴿**عما أرضعت**﴾ أي : عن رضيعها قبل فطامه .

وقوله : ﴿ **وتضع كل ذات حمل حملها** ﴾ . أي : قبل تمامه لشدة الهول ، ﴿ **وترى الناس سكارىٰ** ﴾ وقرئ ﴿ **سكرىٰ** ﴾(*) ، أي : من شدة الأمر الذي صاروا فيه قد دهشت عقولهم ، وغابت أذهانهم ، فمن رآهم حسب أنهم سكارىٰ ، ﴿ **وما هم بسكارىٰ ولكن عذاب الله شديد** ﴾ .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾

يقول تعالىٰ ذامًّا لمن كذب بالبعث ، وأنكر قدرة الله علىٰ إحياء الموتىٰ ، معرضًا عما أنزل الله علىٰ أنبيائه ، متبعًا في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد ؛ من الإنس والجن ، وهذا حال أهل البدع والضلال ، المعرضين عن الحق ، المتبعين للباطل ، يتركون ما أنزله الله علىٰ رسوله من الحق المبين ، ويتبعون[١] أقوال رءوس الضلالة ، الدعاة إلىٰ البدع بالأهواء والآراء ، ولهذا قال في شأنهم وأشباههم : ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم** ﴾ . أي : علم صحيح ، ﴿ **ويتبع كل شيطان مريد * كتب عليه** ﴾ قال مجاهد : يعني الشيطان ، يعني : كتب عليه كتابة قدرية ﴿ **أنه من تولاه** ﴾ . أي : اتبعه وقلده ﴿ **فأنه يضله ويهديه إلي عذاب السعير** ﴾ . أي : يضله في الدنيا ، ويقوده في الآخرة إلىٰ عذاب السعير : وهو الحار المؤلم المقلق المزعج .

وقد قال السديّ ، عن أبي مالك : نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث ، وكذلك قال ابن جريج .

= الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٥٩) لأحمد . وقال : « قلت : عند أبي داود طرف منه - رواه أحمد وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح» .

(*) - وهي قراءة حمزة والكسائي .

[١] - في ز : ويتبعوا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمرو بن سلم[١] البصري ، حدثنا عمرو بن [المحرم أبو][٢] قتادة ، حدثنا المعمر ، حدثنا أبو كعب المكيّ ؛ قال : قال خبيث من خبثاء قريش : أخبرنا عن ربكم ، من ذهب هو ، أو من فضة هو ، أو من نحاس هو ؟ فقعقعت السماء قعقعة - والقعقعة في كلام العرب : الرعد - فإذا قحْفُ رأسه ساقط بين يديه .

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد : جاء يهودي فقال : يا محمد ، أخبرني عن ربك : من أي شيء هو ؟ من دُرٍّ أم من ياقوت ؟ قال : فجاءت صاعقة فأخذته .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾

لما ذكر تعالىٰ المخالف للبعث ، المنكر للمعاد ، ذكر تعالىٰ الدليل علىٰ قدرته تعالىٰ علىٰ المعاد ، بما يشاهد من بدئه للخلق ، فقال : ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب** ﴾ . أي : في شك ﴿ **من البعث** ﴾ ، وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة ، ﴿ **فإنا خلقناكم من تراب** ﴾ ، أي : أصل بَرْئه[٣] لكم من تراب ، وهو الذي خلق منه آدم - عليه السلام - ﴿ **ثم من نطفة** ﴾ ، أي : ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ﴿ **ثم من علقة ثم من مضغة** ﴾ . وذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة ، مكثت أربعين يومًا كذلك ، يضاف إليه ما يجتمع إليها ، ثم تنقلب علقة حمراء بإذن الله ، فتمكث[٤] كذلك أربعين يومًا ، ثم تستحيل فتصير ﴿**مضغة**﴾ : قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط ، ثم

---

[١] - في ز : مسلم .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « المخرم بن » .

[٣] - في ز : تربة .

[٤] - في ز : فمكث .

يشرع في التشكل[١] والتخطيط ، فيصور منها رأس ويدان ، وصدر وبطن ، وفخذان ورجلان ، وسائر الأعضاء . فتارة تسقطها المرأة قبل التشكل[٢] والتخطيط ، وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة** ﴾ . أي : كما تشاهدونها ، ﴿ **لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلي أجل مسمى** ﴾ . أي : وتارة تستقر في الرحم لا تلقيها المرأة ولا تسقطها ، كما قال مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **مخلقة وغير مخلقة** ﴾ .

قال : هو[٣] السقط[٤] مخلوق وغير مخلوق ، فإذا مضىٰ عليها أربعون يومًا وهي مضغة ، أرسل اللَّه تعالىٰ إليها ملكًا فنفخ فيها الروح ، وسواها كما يشاء اللَّه -عز وجل- من حسن وقبيح[٥] ، وذكر وأنثىٰ ، وكتب رزقها وأجلها ، وشقي أو سعيد ، كما ثبت في الصحيحين(١٤) من حديث الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن ابن مسعود ؛ قال : حدثنا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق : « **إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث اللَّه إليه الملك ، فيؤمر بأربع كلمات ؛ بكتب عمله ، ورزقه ، وأجله ، وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح** » .

وروىٰ ابن أبي حاتم وابن جرير(١٥) من حديث داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن علقمة ، عن عبد اللَّه ؛ قال : النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها[٦] مَلَك بكفه ، قال : يارب ، مخلّقة أو غير مخلقة ؟ فإن قيل : غير مخلقة . لم تكن نَسَمة ، وقذفتها الأرحام دمًا ، وإن قيل : مخلقة . قال : أي رب ، ذكر أو أنثىٰ ؟ شقي أو سعيد ، ما الأجل ؟ وما الأثر ؟ وبأيّ أرض يموت ؟ قال : فيقال للنطفة : من ربك ؟ فتقول : اللَّه . فيقال : من رازقك ؟ فتقول : اللَّه . فيقال له : اذهب إلىٰ أم[٧] الكتاب ، فإنك ستجد فيه قصة هذه النطفة . قال : فتخلق فتعيش في أجلها ، وتأكل رزقها ، وتطأ[٨] أثرها ، حتى إذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك المكان[٩] . ثم تلا عامر الشعبي : ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم في ريب**

(١٤) - تقدم في تفسير سورة مريم .

(١٥) - أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٠/ ١١٧) .

[١] - في خ : التشكيل .
[٢] - في خ : التشكيل .
[٣] - في ز ، خ : « هذا » .
[٤] - في ز : يسقط .
[٥] - في خ : قبح .
[٦] - في ز : جاءها .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في ز : « وتعطى وتعطا » . كذا بهذا الشكل ونفس التكرار .
[٩] - سقط من ز ، خ .

من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ﴾. فإذا بلغت مضغة نكست في الخلق [الرابع فكانت نسمة ، وإن كانت غير مخلقة قذفتها الأرحام دمًا ، وإن كانت مخلقة نكست في الخلق][١] .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد اللّه بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ابن دينار ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أَسِيد يبلغ به [ ][٢] النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، قال : « **يدخل الملك علىٰ النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين يومًا[٣] أو خمس وأربعين ، فيقول : أي رب ، أشقي أم سعيد ؟ فيقول اللّه ، ويكتبان ، فيقول : أذكر أم أنثىٰ ؟ فيقول اللّه ، ويكتبان ، ويكتب عمله وأثره ، ورزقه وأجله ، ثم تطوىٰ الصحف ، فلا يزاد علىٰ ما فيها ولا ينتقص** » . ورواه[٤] مسلم(١٦) من حديث سفيان بن عيينة ومن طرق أُخرَ عن أبي الطفيل بنحو معناه .

وقوله : ﴿ **ثم نخرجكم طفلًا** ﴾ . أي : ضعيفًا في بدنه وسمعه وبصره وحواسه ، وبطشه وعقله . ثم يعطيه اللّه القوة شيئًا فشيئًا ، ويلطف به ، ويحنّن عليه والديه في آناء الليل وأطراف النهار . ولهذا قال : ﴿ **ثم لتبلغوا أشدكم** ﴾ ، أي : يتكامل القويّ ويتزايد ، ويصل إلىٰ عنفوان الشباب وحسن المنظر . ﴿ **ومنكم من يتوفىٰ** ﴾ ، أي : في حال شبابه وقواه ، ﴿ **ومنكم من يردّ إلىٰ أرذل العمر** ﴾ ، وهو الشيخوخة والهرم وضعف القوة والعقل والفهم ، وتناقص الأحوال من الخرف[٥] وضعف الفكر ، ولهذا قال : ﴿ **لكي لا يعلم من بعد علم شيئًا** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **اللّه الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفًا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير** ﴾ .

وقد قال الحافظ [أبو يعلىٰ][٦] أحمد بن عليّ بن المثنىٰ الموصلي في مسنده(١٧) : حدثنا منصور بن أبي مزاحم ، حدثنا خالد الزيات ، حدثني داود أبو سليمان ، عن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن مَعمَر بن حَزم الأنصاري ، عن أنس بن مالك - رفع الحديث - قال : «**المولود حتىٰ يبلغ الحِنْث ، ما عمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالدته ، وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا علىٰ والديه ، فإذا بلغ الحنث أجرىٰ[٧] اللّه عليه القلم[٨]** ، أمر

(١٦) - أخرجه مسلم كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ... الحديث (٢٦٤٤) (١٦/ ٢٩٦ - ٢٩٧) .

(١٧) - مسند أبي يعلى (٣٥١/٦ - ٣٥٢) رقم (٣٦٧٨) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : إلى .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في خ : رواه .
[٥] - في ز ، خ : « الخوف » .
[٦] - في خ : « أبو على » .
[٧] - في ز : جرى .
[٨] - في ز : العلم .

الملكان اللذان معه أن يحفظا ، وأن يشددا ، فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام أمَّنه اللَّه من البلايا الثلاث : الجنون ، والجذام ، والبرص ، فإذا بلغ الخمسين خفف اللَّه حسابه . فإذا بلغ الستين[١] رزقه اللَّه الإنابة إليه بما يحب ، فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء ، فإذا بلغ الثمانين كتب اللَّه حسناته وتجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ التسعين غفر اللَّه له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر ، وشفعه في أهل بيته ، وكان أسير اللَّه في أرضه ، فإذا بلغ أرذل العمر ﴿ لكي لا يعلم من بعد علم شيئًا ﴾ ، كتب اللَّه له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير ، فإذا عمل سيئة لم تكتب عليه » .

هذا حديث غريب جدًّا ، وفيه نكارة شديدة ، ومع هذا فقد[٢] رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده(١٨) موقوفًا ومرفوعًا . فقال[٣] : حدثنا أبو النضر ، حدثنا الفرج ، حدثنا محمد بن عامر ، عن محمد بن عبد اللَّه العامري[٤] ، عن عمرو بن جعفر ، عن أنس قال : إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة أمنه اللَّه من أنواع البلايا ؛ من الجنون والجذام والبرص ، فإذا بلغ الخمسين لين اللَّه حسابه ، فإذا بلغ الستين رزقه اللَّه إنابة يحبه عليها ، وإذا بلغ السبعين أحبه اللَّه ، وأحبه أهل السماء ، وإذا بلغ الثمانين تقبل اللَّه حسناته ، ومحا عنه سيئاته ، وإذا بلغ التسعين غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسمي أسير اللَّه في الأرض ، وشفع في أهله . ثم قال : حدثنا هاشم[٥] ، حدثنا الفرج[٦] ، حدثني [محمد بن عبد اللَّه][٧] [العامري ، عن محمد بن عبد اللَّه][٨] بن عمرو بن عثمان ، عن عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب ، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم ، مثله .

(١٨) - أخرجه أحمد في المسند (٣/٢١٧ - ٢١٨) (١٣٣٠٣) ، يوسف بن أبي ذرة : قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين : لا شيء . وقال ابن حبان في الضعفاء : منكر الحديث جدا ، يروي المناكير التي لا أصل لها على قلة حديثه ، لا يجوز الاحتجاج به بحال . قال الحافظ : وقد اختلف عليه في سند الحديث المذكور كما بسطته في كتاب الخصال المكفرة .

وجعفر بن عمرو بن أمية : قال ابن حجر في التعجيل في ترجمة عمرو بن جعفر : عمرو ابن جعفر عن أنس قوله ، وعنه محمد بن عبد اللَّه لا يدرى من هما ؛ كذا قال الحسيني ، وقال ابن شيخنا : كذا وقع في المسند وإنما هو جعفر بن عمرو بن أمية الضمري والراوي عنه محمد ابن عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان وهما ثقتان . قلت : ومن رجال التهذيب لكن الحديث في المسند من الطريقين : أما طريق جعفر فهي المستقيمة فأخرجها أحمد عن أنس بن عياض حدثني يوسف بن أبي ذرة ، عن محمد بن عبد اللَّه بن عمرو ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، عن أنس ، وأما طريق عمرو بن جعفر المقلوبة فقال أحمد : حدثنا أبو النضر ، =

[١] - في ت ، خ : ستين .
[٢] - في ز : قد .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « العاملي » .
[٥] - في ز ، خ : « هشام » .
[٦] - في ز ، خ : « الروح » .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - سقط من ز ، خ .

ورواه الإمام أحمد(١٩) أيضًا : حدثنا أنس بن عياض ، حدثني يوسف بن أبي بردة[١] الأنصاري ، عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **ما من معمر يعمر في الإِسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء : الجنون ، والجذام ، والبرص** » . وذكر تمام الحديث كما تقدم سواء .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار : عن عبد الله بن شبيب ، عن أبي شيبة ، عن عبد الله بن عبدالملك ، عن أبي قتادة العُذْري ، عن ابن أخي الزهري ، عن عمه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **ما من عبد يعمر في الإِسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه أنواعًا من البلاء : الجنون ، والجذام ، والبرص ، فإذا بلغ خمسين سنة لين الله له الحساب ، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه بما يحب ، فإذا بلغ سبعين سنة غفر الله له[٢] ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسُمِّي أسير الله ، وأحبه أهل السماء ، فإذا بلغ الثمانين تقبل الله منه حسناته ، وتجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسمي أسير الله في أرضه ، وشفع في أهل بيته** » .

وقوله : ﴿ **وترىٰ الأرض هامدة** ﴾ هذا دليل آخر على قدرته تعالىٰ علىٰ إحياء الموتىٰ ، كما يحيي الأرض الميتة الهامدة ، وهي القحلة التي لا نبت فيها ولا شيء .

وقال[٣] قتادة : غبراء متهشمة[٤] . وقال السديُّ : ميتة .

= ثنا الفرج بن فضالة ، عن عمرو بن جعفر ، عن أنس بن مالك فذكر الحديث ، والفرج بن فضالة ضعيف . وقد وهم في قوله : عمرو بن جعفر ، وإنما هو جعفر بن عمرو ، وهو من رجال التهذيب .

وهذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ؛ قال ابن الجوزي : وقد خلط فيه الفرج بن فضالة . وقد رد الحافظ ابن حجر على ابن الجوزي وذب عن هذا الحديث في كتابه القول المسدد فقال :

« ... فإن له طرقاً عن أنس وغيره يتعذر الحكم مع مجموعها على المتن بأنه موضوع » . قال : ولا يلزم من تخليط الفرج في السند أن يكون المتن موضوعاً ، قال : وقد استوعبت طرقه في الجزء الذي سميته « الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة » .

ومن أقوى طرقه ما أخرجه البيهقي في الزهد له عن الحاكم عن الأصم عن بكر بن سهل عن عبد الله بن محمد بن رمح عن عبد الله بن وهب ، عن حفص بن ميسرة ، عن زيد بن أسلم عن أنس .... فذكر هذا الحديث .

ورواته عن ابن وهب فصاعداً من رجال الصحيح ، والبيهقي والحاكم والأصم لا يسأل عنهم ، وابن رمح ثقة ، وبكر بن سهل قواه جماعة وضعفه النسائي . .... إلى آخر كلامه فراجعه إن شئت .

(١٩) - انظر السابق

[١] - في ز ، خ : « درة » .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - في ر : قال .

[٤] - في خ : « مهشمة » . وغير واضحة في ر .

﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ . أي : فإذا أنزل الله عليها المطر ﴿ **اهتزت** ﴾ ، أي : تحركت بالنبات ، فحييت[١] بعد موتها ، ﴿ **وربت** ﴾ ، أي : ارتفعت لما سكن فيها الثرىٰ ، ثم أنبتت ما فيها من الألوان والفنون ، من ثمار وزروع ، وأشتات النباتات في [اختلاف ألوانها][٢] وطعومها وروائحها وأشكالها ومنافعها ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ . أي : [حسن المنظر][٣] طيب الريح .

وقوله : ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق** ﴾ . أي : الخالق المدبر الفعال لما يشاء ، ﴿ **وأنه يحيي الموتىٰ** ﴾ . [أي : كما أحيا الأرض الميتة ، وأنبت منها هذه الأنواع ؛ ﴿ **إن الذي أحياها لمحيي الموتى**][٤] ، **إنه على كل شيء قدير** ﴾ ف ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون** ﴾ ﴿ **وأن الساعة آتية لا ريب فيها** ﴾ ، أي : كائنة[٥] لا شك فيها ولا مرية ، ﴿ **وأن الله يبعث من في القبور** ﴾ . أي : يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم رِممًا[٦] ، ويوجدهم بعد العدم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فإذا أنتم منه توقدون** ﴾ ... [والآيات في هذا كثيرة][٧] .

وقال الإمام أحمد(٢٠) : حدثنا يزيد[٨] ، حدثنا حماد بن سلمة ، قال[٩] : أنبأنا يعلىٰ بن عطاء ، عن وكيع بن عُدُس[١٠] ، عن عمه أبي رزين العقيلي[١١] - واسمه لقيط بن عامر - أنه قال : يا رسول الله ، أكلّنا يرىٰ ربه - عز وجل - يوم القيامة ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟

---

(٢٠) - أخرجه أحمد في المسند (٤/١١) (١٦٢٣٤) . وأخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في الرؤيا (٤/٢٣٤) حديث (٤٧٣١) . من طريق موسى بن إبراهيم ، ثنا حماد ، (ح) وعن عبيد الله بن معاذ ، ثنا أبي ، ثنا شعبة ، عن يعلى بن عطاء به . وابن ماجة في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية . (١/٦٤) حديث (١٨٠) . من طريق أبى بكر بن أبي شيبة ، ثنا يزيد به . وابن حبان كما في الموارد (٣٩) . والطبراني (١٩/٢٠٦) حديث (٤٦٥) ، (٤٦٦) . والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود حديث ٣٩٥٧ ، وصحيح ابن ماجه حديث ١٨٠.

---

[١] - في خ : وحييت .
[٢] - في خ : « اختلافها » .
[٣] - في خ : « منظر حسن » .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « كائن » .
[٦] - في ز ، خ : « رمم » .
[٧] - سقط من خ .
[٨] - في ت : « بهز » .
[٩] - سقط من خ .
[١٠] - في ت : « حُدس » .
[١١] - في ز : المعقلي .

فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أليس كلكم ينظر إلي القمر مُخْليًا به ؟** » . قلنا : بلىٰ . قال : « **فالله أعظم** » . [قال : قلت :][١] يا رسول الله ، كيف يحيي الله الموتىٰ ؟ وما آية ذلك في خلقه ؟ قال : « **أما مررت بوادي أهلك ممحلًا**[٢] ؟ » . قال : بلىٰ . قال[٣] : « **ثم مررت به يهتز خضرًا** ؟ » . قلت[٤] : بلىٰ . قال : « **فكذلك يحيي الله الموتىٰ ، وذلك آيته في خلقه** » .

ورواه أبو داود وابن ماجه من[٥] حديث حمّاد بن سلمة به .

ثم رواه الإمام أحمد(٢١) أيضًا : حدثنا عليّ بن إسحاق ، أنبأنا ابن المبارك ، أنبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن سليمان بن موسىٰ ، عن أبي رزين العقيلي قال : أتيت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، كيف يحيي الله الموتىٰ ؟ قال : « **أمررت بأرض من أرضك مجدبة ، ثم مررت بها مخصبة ؟** » . قال : نعم . قال : « **كذلك النشور** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبيس[٦] بن مرحوم ، حدثنا بكير بن [أبي][٧] السميط ، عن قتادة ، عن أبي الحجاج ، عن معاذ بن جبل قال : من علم أن الله هو الحق المبين ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، دخل الجنة .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾

لما ذكر تعالى حال الضلّال الجهال المقلدين في قوله : ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد** ﴾ . ذكر في هذه حال الدعاة إلىٰ الضلال من رءوس

(٢١) - أخرجه أحمد في المسند (٤/١١) (١٦٢٤٢) مطولًا . وسليمان بن موسى : صدوق فقيه ، في حديثه بعض لين ، خولط قبل موته بقليل . روى له مسلم في المقدمة ، والأربعة . وهذا الطرف : أخرجه الطبراني في الكبير (١٩/٢٠٨) حديث (٤٧٠) . وأبو داود الطيالسي (٢٧٩٥) .

[١] - في خ : « قلنا » .
[٢] - في ت : « محلا » .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في ت : « قال » .
[٥] - في خ : في .
[٦] - في خ : « عنبس » .
[٧] - سقط من ز ، خ .

الكفر والبدع ، فقال : ﴿ **ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير** ﴾ . أي : بلا عقل صحيح[١] ، ولا نقل صحيح صريح ، بل لمجرد[٢] الرأي والهوىٰ .

وقوله : ﴿ **ثانيَ عطفه** ﴾ . قال ابن عباس وغيره : مستكبر عن الحق إذا دعي إليه .

وقال مجاهد ، وقتادة ، ومالك عن زيد بن أسلم : ﴿ **ثاني عطفه** ﴾ ، أي : لاويَ عنقه ، وهي رقبته . يعني : يعرض عما يدعىٰ إليه من الحق ، [ويثني][٣] رقبته استكبارًا ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **وفي موسىٰ إذ أرسلناه إلىٰ فرعون بسلطان مبين * فتولىٰ بركنه وقال: ساحر أو مجنون** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا إلىٰ ما أنزل الله وإلىٰ الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا** ﴾ . [وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون** ﴾][٤] . وقال[٥] لقمان لابنه : ﴿ **ولا تصعر خدّك للناس** ﴾ أي : تميله عنهم استكبارًا عليهم .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وإذا تتلىٰ عليه آياتنا ولىٰ مستكبرًا كأن لم يسمعها [كأن في أذنيه وقرًا]**[٦] **فبشره بعذاب أليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليضل عن سبيل الله** ﴾ ، قال بعضهم : هذه لام العاقبة ؛ لأنه قد لا يقصد ذلك . ويحتمل أن تكون لام التعليل . ثم إما أن يكون المراد بها المعاندين[٧] ، أو يكون المراد بها أن هذا[٨] الفاعل لهذا إنما جبلناه علىٰ هذا الخلق الذي يجعله ممن يضل عن سبيل الله .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **له في الدنيا خزي** ﴾ ، وهو الإهانة والذل ، كما أنه لما[٩] استكبر عن آيات الله لقّاه الله المذلة في الدنيا ، وعاقبه فيها قبل الآخرة ؛ لأنها أكبر همه ومبلغ علمه ، ﴿ **ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق * ذلك بما قدمت يداك** ﴾ . أي : يقال له هذا تقريعًا وتوبيخًا ، ﴿ **وأن الله ليس بظلام للعبيد** ﴾ . كقوله تعالىٰ : ﴿ **خذوه فاعتلوه إلىٰ سواء الجحيم * ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق إنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن الصباح ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا

---

[١] - في خ : صحيح .
[٢] - في خ : بمجرد .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في خ : قال .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ز : المعاندون .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - سقط من ز .

هشام ، عن الحسن ؛ قال : بلغني أن أحدهم يحرق في اليوم سبعين ألف مرة .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٢) يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٣) ﴾

قال مجاهد وقتادة وغيرهما : ﴿ **على حرف** ﴾ : على شك[١] .

وقال غيرهم : علىٰ طرف . ومنه حرف[٢] الجبل ، أي : طرفه ، أي : دخل في الدين علىٰ طرف ، فإن وجد ما يحبه استقر ، وإلا انشمر . وقال البخاري(٢٢) : حدثنا إبراهيم ابن الحارث ، حدثنا يحيىٰ بن أبي بكير ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله علىٰ حرف** ﴾ ، قال : كان الرجل يقدم المدينة ، فإذ[٣] ولدت امرأته غلامًا ، ونتجت خيله ، قال : هذا دين صالح . وإن لم تلد امرأته ، ولم تنتج خيله ، قال : هذا دين سوء .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن أشعث بن إسحاق القمّي ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : كان ناس من الأعراب يأتون النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فيسلمون ، فإذا رجعوا إلىٰ بلادهم فإن وجدوا عام غيث ، وعام خصب ، وعام ولاد حسن ، قالوا : إن ديننا هذا لصالح ، فتمسّكوا به ، وإن وجدوا عام جدوبة ، وعام ولاد سَوء ، وعام قحط ، قالوا : ما في ديننا هذا خير . فأنزل الله علىٰ نبيه : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله علىٰ حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه** ﴾ .

وقال العوفي ، عن ابن عباس : كان أحدهم إذا قدم المدينة [وهي أرض وبيئة][٤] ، فإن صح بها جسمه ، ونتجت فرسه مهرًا حسنًا ، وولدت امرأته غلامًا ، رضي به واطمأن

---

(٢٢) - أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : ﴿ **ومن الناس من يعبد الله على حرف** ﴾ الحديث (٤٧٤٢) (٨/ ٤٤٢) .

---

[١] - في ز ، خ : « شدة » .

[٢] - في ز ، خ : « طرف » .

[٣] - في ت : « فإن » .

[٤] - في ز ، خ : « وهم أرض دونه » .

إليه[١] ، وقال : ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرًا ، وإن أصابته فتنة - والفتنة : البلاء - [أي : و][٢] إن أصابه وجع المدينة ، وولدت امرأته جارية ، وتأخرت عنه الصدقة ، أتاه الشيطان فقال : والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرًا . وذلك الفتنة . وهكذا ذكر قتادة ، والضحاك ، وابن جريج وغير واحد من السلف ، في تفسير هذه الآية .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هو المنافق ، إن صلحت له دنياه أقام على العبادة ، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب ، فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه ، فإذا[٣] أصابته فتنة أو شدة أو اختبار[٤] أو ضيق ، ترك دينه ورجع إلى الكفر .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **انقلب على وجهه** ﴾ أي : ارتد كافرًا .

وقوله : ﴿ **خسر الدنيا والآخرة** ﴾ ، أي : فلا هو حصل من الدنيا على شيء ، وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم ، فهو فيها في غاية الشقاء والإهانة ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **ذلك هو الخسران المبين** ﴾ ، أي : هذه هي الخسارة العظيمة ، والصفقة الخاسرة .

وقوله : ﴿ **يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه** ﴾ ، أي : من الأصنام والأنداد ، يستغيث بها ويستنصرها ويسترزقها ، وهي لا تنفعه ولا تضره ، ﴿ **ذلك هو الضلال البعيد * يدعو لمن ضره أقرب من نفعه** ﴾ ، أي : ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها ، وأما في الآخرة فضرره محقق متيقن .

وقوله : ﴿ **لبئس المولى ولبئس العشير** ﴾ قال مجاهد : يعني الوثن ، يعني : بئس هذا الذي دعا به من دون الله مولى ، يعني وليًا وناصرًا ، ﴿ **ولبئس[٥] العشير** ﴾ ، وهو المخالط والمعاشر . واختار ابن جرير أن المراد : لبئس ابن العم والصاحب من يعبد الله على حرف : ﴿ **فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه** ﴾ .

وقول مجاهد : إن المراد به الوثن - أولى وأقرب إلى سياق الكلام ، والله أعلم .

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾

---

[١] - في خ : « به » .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في خ : فإن .
[٤] - في ز : إجبار .
[٥] - في ز : « وبئس » .

لما ذكر أهل الضلالة الأشقياء ، عطف بذكر الأبرار السعداء ، من الذين آمنوا بقلوبهم ، وصدقوا إيمانهم بأفعالهم ، فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات ، [وتركوا المنكرات][١] ، فأورثهم ذلك سكنىٰ الدرجات العاليات ، في روضات الجنات .

ولما [ذكر تعالى][٢] أنه أضل أولئك وهدى هؤلاء ، قال : ﴿ **إن الله يفعل ما يريد** ﴾ .

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾

قال ابن عباس : من كان يظن أن لن ينصر[٣] الله محمدًا ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في الدنيا والآخرة ، ﴿ **فليمدد بسبب** ﴾ ، أي : بحبل ﴿ **إلىٰ السماء** ﴾ ، أي : سماء بيته ، ﴿ **ثم ليقطع** ﴾ ، يقول : ثم ليختنق به . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وأبو[٤] الجوزاء ، وقتادة ، وغيرهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **فليمدد بسبب إلىٰ السماء** ﴾ ، أي : ليتوصل إلىٰ بلوغ السماء ، فإن النصر إنما يأتي محمدًا من السماء ، ﴿ **ثم ليقطع** ﴾ ذلك عنه ، إن قدر علىٰ ذلك .

وقول ابن عباس وأصحابه أولىٰ وأظهر في المعنىٰ ، وأبلغ في التهكم ؛ فإن المعنىٰ : من كان[٥] يظن[٦] أن الله ليس بناصر محمدًا وكتابه ودينه ، فليذهب فليقتل نفسه إن كان ذلك غائظه ، فإن الله ناصره لا محالة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ ولهذا قال : ﴿ **فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ** ﴾ .

قال السدي: يعني من شأن محمد[٧] ، صلىٰ الله عليه وسلم .

وقال عطاء الخراساني : فلينظر هل يشفي ذلك ما يجد في صدره من غيظ[٨] .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ز ، خ : « وقد يقال » .
[٣] - في ز : ينصره .
[٤] - في ز ، خ : « وابن » .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - في ز : ظن .
[٧] - في ز : محمدًا .
[٨] - في خ : « الغيظ » .

وقوله : ﴿ وكذلك أنزلناه ﴾ ، أي : القرآن ﴿ آيات بينات ﴾ ، أي : واضحات في لفظها ومعناها ، حجة من الله على الناس ﴿ وأن الله يهدي من يريد ﴾ ، أي : يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ، وله الحكمة التامة ، وله الحجة القاطعة في ذلك ، و[١] ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾ أما هو فلحكمته[٢] ورحمته وعدله وعلمه وقهره وعظمته لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين ، ومن سواهم من اليهود و[٣] الصابئين ، وقد قدمنا في سورة البقرة التعريفَ بهم واختلافَ الناس فيهم، والنصارىٰ والمجوس والذين أشركوا ، فعبدوا [غير الله معه][٤] ؛ فإنه تعالىٰ : ﴿ يفصل بينهم يوم القيامة ﴾ ويحكم بينهم بالعدل ، فيدخل من آمن به الجنة ، ومن كفر به إلى[٥] النار ، فإنه تعالىٰ شهيد علىٰ أفعالهم ، حفيظ لأقوالهم ، عليم بسرائرهم وما تُكِنّ ضمائرهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾

يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له؛ فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعًا وكرهًا، وسجود [كل شيء مما][٦] يختص به ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أو لم يروا إلىٰ ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدًا لله وهم داخرون ﴾ وقال هاهنا : ﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض ﴾ ، أي : من الملائكة في أقطار السماوات ، والحيوانات في جميع الجهات ؛ من الإنس والجن والدواب والطير ، ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ﴾ .

وقوله : ﴿ والشمس والقمر والنجوم ﴾ ، إنما ذكر هذه علىٰ التنصيص ؛ لأنها قد

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : فلحمته . كذا .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ت : « مع الله غيره » .
[٥] - سقط من ت .
[٦] - في ز ، خ : « كما » .

عبدت من دون الله ، فبين أنها تسجد لخالقها ، وأنها مربوبة مسخرة ، ﴿ **لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ .

وفي الصحيحين(٢٣) عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟** » قلت : الله ورسوله أعلم . قال : « **فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها : ارجعي من حيث جئت** » .

وفي المسند(٢٤) وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجة في حديث الكسوف : « **إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ، ولكن الله - عز وجل - إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له** » .

وقال أبو العالية : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر ، إلا يقع لله ساجدًا حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه .

وأما الجبال والشجر فسجودها[١] بفيء ظلالها[٢] عن اليمين والشمائل .

وعن ابن عباس قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله ؛ إني رأيتني[٣] الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة ، فسجدتُ فسجدت الشجرة لسجودي ، فسمعتها [وهي][٤] تقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجرًا ، وضع عني بها وزرًا ، واجعلها لي عندك ذخرًا ، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود .

(٢٣) - أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ، باب : صفة الشمس والقمر الحديث (٣١٩٩) (٦/ ٢٩٧) وأطرافه في [٤٨٠٢ ، ٤٨٠٣ ، ٧٤٢٤ ، ٧٤٣٣] . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان الحديث (٢٥٠ ، ٢٥١ / ١٥٩) .

(٢٤) - أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢٦٩) (١٤٤١٨) بهذا اللفظ من حديث النعمان بن بشير ، ورواه في (٤/٢٦٧) (١٨٤٠٤) . وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب : من قال : يركع ركعتين الحديث (١١٩٣) (٢/٣١٠) بلفظ : « كسفت الشمس على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل يصلي ركعتين ركعتين ويسأل عنها حتى انجلت » . والنسائي في كتاب الكسوف ، باب نوع آخر (٣/١٤١) . وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب : ما جاء في صلاة الكسوف الحديث (١٢٦٢) (١/٤٠١) . والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٣٣٣) . من طرق عن أبي قلابة عن النعمان بن بشير ، فذكره .

وقال البيهقي : هذا مرسل ، أبوقلابة لم يسمعه من النعمان بن بشير إنما رواه عن رجل عن النعمان وليس فيه هذه اللفظة الأخيرة . ا.هـ

[١] - في خ : فسجودهما .
[٢] - في ز : ظلالهما .
[٣] - في ز : « رأيت » .
[٤] - سقط من ز ، خ .

قال ابن عباس : فقرأ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، سجدة ، ثم سجد ، فسمعته [وهو][١] يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة .

رواه الترمذي(٢٥) وابن ماجة وابن حبان في صحيحه .

وقوله : ﴿ والدواب ﴾ ، أي : الحيوانات كلها .

وقد جاء في الحديث عند[٢] الإمام أحمد(٢٦) : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نهىٰ [عن اتخاذ ظهور الدواب][٣] منابر » فرب مركوبة خير وأكثر ذكرًا لله من راكبها .

---

(٢٥) - الترمذي في كتاب الصلاة ، باب ما يقول في سجود القرآن الحديث (٥٧٩) (٣/ ٤٧٢ - ٤٧٣)، وأخرجه في كتاب الدعوات ، باب ما يقول في سجود القرآن الحديث (٣٤٢٤) (٤٥٥/٥ - ٤٥٦) . وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب سجود القرآن الحديث (١٠٥٣) (٣٣٤/١) . وابن حبان في صحيحه (٤٧٣/٦ - ٤٧٤) الحديث (٢٧٦٨) .

(٢٦) - رواه أحمد من حديث معاذ بن أنس عن أبيه (٤٣٩/٣) (١٥٦٧١) . وهو صحيح - إلا قوله : « **فرب مركوبة خير من راكبها ، وأكثر ذكراً لله منه** » - والحديث رواه أحمد حديث ١٥٦٨٩(٤٤٠/٣) وإسناده فيه ابن لهيعة وزبان . ورواه أحمد بلفظ : « **اركبوا هذه الدواب سالمة ، وايتدعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي** » . ح ١٥٦٨٢ (٤٤٠/٣) من طريق ليث بن سعد ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عنه به . وح ١٥٦٨٤(٤٤٠/٣) من طريق ليث عن يزيد بن أبي حبيب . وح ١٥٦٨٣(٤٤٠/٣) من طريق ليث ، عن زبان . وح١٨٠٨١(٢٣٤/٤) من طريق ليث عن يزيد عنه . والحديث رواه الدارمي من طريق ليث ، عن يزيد في كتاب الإستئذان ، باب : في النهي عن أن يتخذ الدواب كراسي ، حديث ٢٥٦٩ . ورواه ابن خزيمة من طريق ليث عن يزيد حديث ٢٥٤٤ . ورواه البيهقي في سننه الكبرى (٢٢٥/٥) . والحاكم في المستدرك (١/ ٤٤٤) و (١٠٠/٢) . والطبراني في الكبير (١٩٣/٢٠) حديث ٤٣١-٤٣٢ . ورواه أحمد حديث ١٥٦٩٣(٤٤١/٣) بلفظ : « **لا تتخذوا الدواب كراسي ، فرب مركوبة عليها هي أكثر ذكر الله تعالى من راكبها** » . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٧/٨) وقال : رواه أحمد والطبراني ، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سهل بن معاذ بن أنس ، وثقه ابن حبان ، وفيه ضعف .

وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وقال الألباني : وهو كما قالا فإن رجاله كلهم ثقات ، وسهل بن معاذ لا بأس به في غير رواية زبان عنه ، وهذه ليست منها . وقد أخرجه أحمد من طريق ابن لهيعة ، ثنا زبان ، عن سهل به وزاد : « **فرب مركوبة خير من راكبها ، وأكثر ذكراً لله منه** » . وهذه الزيادة ضعيفة لما عرفت من حال رواية زبان عن سهل ، لا سيما وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف أيضاً ولا تغتر بقول الهيثمي (١٠٧/٨) رواه أحمد والطبراني ، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح ، غير سهل ابن معاذ بن أنس ، وثقه ابن حبان ، وفيه ضعف . فإن السند الذي ينطبق عليه هذا الكلام إنما هو سند الرواية الأولى التي ليست فيها هذه الزيادة فتنبه . اهـ . من الصحيحة حديث (٢١) .

---

[١] - سقط من ز . [٢] - في ت : « عن » .

[٣] - في خ : « عن ظهور اتخاذ الدواب » .

وقوله : ﴿ **وكثير من الناس** ﴾ أي : يسجد[١] لله طوعًا مختارًا متعبدًا بذلك ، ﴿ **وكثير حق عليه العذاب** ﴾ ، أي : ممن امتنع وأبىٰ واستكبر ، ﴿ **ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٢٧) : حدثنا أحمد بن شيبان الرملي ، حدثنا القداح ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن عليّ ؛ قال : قيل لعليّ : إن هاهنا رجلًا[٢] يتكلم في المشيئة . فقال له عليّ : يا عبد الله ، خلقك الله كما يشاء أو كما[٣] شئت ؟ قال : [بل كما شاء . قال][٤] : فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء . قال : فيشفيك إذا شاء أو إذا شئت ؟ [قال : بل إذا شاء][٥] . قال : فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء ؟ قال : بل حيث يشاء . قال : والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف .

وعن[٦] أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي ، يقول : يا ويله ! أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار** » رواه مسلم(٢٨) .

وقال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم ، وأبو عبد الرحمن المقرئ ؛ قالا : حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا مشرح بن هاعان أبو مصعب المعافري ، قال : سمعت عقبة ابن عامر ، يقول : قلت : يا رسول الله ، أفضلت سورة الحج علىٰ سائر القرآن بسجدتين ؟ قال : « **نعم ، فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما** » .

---

(٢٧) – أخرجه اللالكائي في السنة رقم (١٣١٠) .

(٢٨) – أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة الحديث (١٣٣/٨١) (٩٢/٢) .

(٢٩) – أخرجه أحمد (١٥١/٤) (١٧٤١٣) ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ، و(١٥٥/٤) (١٧٤٥٩) من حديث أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ – كلاهما – عن ابن لهيعة وقد حسنها بعض أهل العلم – أعني رواية العبادلة عنه – والحديث رواه أبو داود في الصلاة ، باب : تفريع أبواب السجود حديث ١٤٠٢ . والترمذي حديث ٥٧٨ . وقال الترمذي : هذا حديث ليس إسناده بالقوي . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٩٠/٢) . وقال : هذا حديث لم نكتبه مسندًا إلا من هذه الوجه ؟ وعبد الله بن لهيعة بن عقبة الحضرمي أحد الأئمة إنما نقم عليه اختلاطه في آخر عمره ، وقد صحت الرواية فيه من قول عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي موسى ، وأبي الدرداء ، وعمار رضي الله عنهم . اهـ . وقال الذهبي في التلخيص : صحت الرواية في هذا من قول عمر وطائفة . والحديث ضعفه شيخنا في ضعيف أبي داود حديث ٢٠٣ ، وضعيف الترمذي حديث ٨٩ .

---

[١] – في ز : سجد .

[٢] – في ز : رجل .

[٣] – في ز : لما .

[٤] – ما بين المعكوفين في ز : « لما يشاء » .

[٥] – سقط من خ .

[٦] – في خ : عن .

ورواه أبو داود(٣٠) والترمذي من حديث عبد الله بن لهيعة به ، وقال الترمذي : ليس بقوى . وفي هذا نظر ؛ فإن ابن لهيعة قد صرح فيه بالسماع ، وأكثر[١] ما نقموا عليه تدليسه .

وقد قال أبو داود في المراسيل(٣١) : حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني معاوية بن صالح ، عن عامر بن جشيب[٢] ، عن خالد بن معدان ؛ أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **فضلت سورة الحج علىٰ القرآن بسجدتين** » .

ثم قال أبو داود : وقد أسند هذا - يعنى من غير هذا الوجه - ولا يصح .

وقال الحافظ أبو بكر الإسماعيلى : حدثني ابن أبي داود ، حدثنا يزيد بن عبد الله ، حدثنا الوليد ، حدثنا أبو عمرو ، حدثنا حفص بن عنان[٣] ، حدثني نافع ، حدثني أبو الجهم ؛ أن عمر سجد سجدتين في الحج وهو بالجابية . وقال : إن هذه فضلت بسجدتين .

وروىٰ أبو داود(٣٢) وابن ماجة ؛ من[٤] حديث الحارث بن[٥] سعيد العتقي[٦] ، عن عبدالله بن مُنَين ، عن عمرو بن العاص ؛ أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أقرأه [خمس عشرة][٧] سجدة في القرآن ؛ منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان . فهذه شواهد يشد بعضها بعضًا .

﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ

(٣٠) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب : تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن الحديث (١٤٠٢) (٢/٥٨) . والترمذي في أبواب الصلاة ، باب : ما جاء في السجدة في الحج الحديث (٥٧٨) (٢/٤٧٠-٤٧١) .

(٣١) - أخرجه أبو داود في المراسيل رقم (٧٨) .

(٣٢) - أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب تفريع أبواب السجود وكم سجدة في القرآن الحديث (١٤٠١) (٢/٥٨) . وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ، باب عدد سجود القرآن الحديث (١٠٥٧) (١/٣٣٥) .

[١] - في ز : وألبس . بلا نقط .

[٢] - في خ : جشب .

[٣] - في خ : « غياث » .

[٤] - في ز ، خ : « في » .

[٥] - في ز : و .

[٦] - في ز : الصفي .

[٧] - في خ : « خمسة عشر » .

﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

ثبت في الصحيحين(٣٣) : من حديث أبي مجلز ، عن قيس بن عباد ، عن أبي ذر ؛ أنه كان يقسم قسمًا أن هذه الآية[١] : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه[٢] ، وعتبة وصاحبيه ، يوم برزوا في بدر .

لفظ البخاري عند تفسيرها .

ثم قال البخاري(٣٤) : حدثنا حجاج بن منهال ، حدثنا[٣] المعتمر بن سليمان ، [سمعت أبي][٤] حدثنا أبو مجلز ، عن قيس بن عُبَاد ، عن عليّ بن أبي طالب أنه قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة . قال قيس : وفيهم نزلت : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ ، قال : هم الذين بارزوا يوم بدر : عليّ وحمزة وعبيدة ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . انفرد به البخاري .

وقال سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة(٣٥) في قوله : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ ، قال : اختصم المسلمون وأهل الكتاب ، فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم ، وكتابنا قبل كتابكم ، فنحن أولىٰ بالله منكم . وقال المسلمون : كتابنا يقضي علىٰ الكتب كلها ، ونبينا خاتم الأنبياء ، فنحن أولىٰ بالله منكم . فأفلج الله الإسلام على من ناوأه ، وأنزل : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ . وكذا روىٰ العوفي ، عن ابن عباس(٣٦) . وقال شعبة : عن قتادة في قوله : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ ،

---

(٣٣) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المغازي ، باب قتل أبي جهل الحديث (٣٩٦٦) وأطرافه في (٣٩٦٨ ، ٣٩٦٩ ، ٤٧٤٣) . ومسلم في كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ الحديث (٣٠٣٣) (١٨ / ٢٢٠ - ٢٢١) .

(٣٤) - أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ، باب :﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ الحديث (٤٧٤٤) (٨/ ٤٤٣) .

(٣٥) - عزاه السيوطي في الدر (٦٢٨/٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٦) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٢/١٧) ، وزاد السيوطي في الدر (٦٢٨/٤) نسبته إلى ابن مردويه.

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « وصاحبه » .

[٣] - بعدها في خ : « ابن » .

[٤] - سقط من ز ، خ .

قال : مصدق ومكذب .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد(٣٧) في هذه الآية : مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث . وقال في رواية هو وعطاء(٣٨) في هذه الآية : هم المؤمنون والكافرون .

وقال عكرمة(٣٩) : ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ قال : هي الجنة والنار ؛ قالت النار : اجعلني للعقوبة . وقالت الجنة : اجعلني للرحمة .

وقول[١] مجاهد وعطاء : إن المراد بهذا الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها ، وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها ، فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله ، عز وجل ، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان ، وخذلان الحق ، وظهور الباطل ، وهذا اختيار ابن جرير ، وهو حسن ؛ ولهذا قال : ﴿ **فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار** ﴾ ، أي : فصلت لهم مقطعات من نار ، قال سعيد بن جبير(٤٠) : من نحاس ، وهو أشد الأشياء حرارة إذا حمي .

﴿ **يصب من فوق رءوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود** ﴾ ، أي : إذا صب على رءوسهم الحميم ، وهو الماء الحار في غاية الحرارة .

وقال سعيد : هو النحاس المذاب ، أذاب ما في بطونهم من الشحم والأمعاء . قاله ابن عباس(٤١) ومجاهد وسعيد بن جبير(٤٢) وغيرهم . وكذلك تذوب جلودهم ، وقال ابن عباس وسعيد : تساقط .

---

(٣٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/ ١٣٢) ، وزاد السيوطي في الدر (٤/٦٢٨) نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣٨) - أخرجه ابن جرير (١٧/١٣٢) .

(٣٩) - أخرجه ابن جرير (١٧/١٣٢ - ١٣٣) بلفظ : « قالت النار : خلقني الله لعقوبته . وقالت الجنة : خلقني الله لرحمته . فقد قص الله عليك من خبرهما ما تسمع » .

(٤٠) - أخرجه ابن جرير (١٧/ ١٣٣) ، وزاد السيوطي في الدر (٤/ ٦٢٩) نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤١) - عزاه السيوطي في الدر (٤/٦٢٩) إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ **يصهر به ما في بطونهم والجلود** ﴾ قال : يمشون وأمعاؤهم تساقط وجلودهم »

(٤٢) - أخرجه ابن جرير (١٧/ ١٣٥) مطولاً وفيه : « يصهر به ما في بطونهم » يعني أمعاءهم وتساقط جلودهم . ورواه أيضًا أبو نعيم في الحلية (٤/٢٨٥) . وزاد السيوطي في الدر (٤/٦٢٩) نسبته إلى عبد ابن حميد وابن أبي حاتم .

---

[١] - في خ : « وقال » .

وقال[١] ابن جرير(٤٣) : حدثني محمد بن المثنى ، حدثنا إبراهيم أبو إسحاق الطالقاني ، حدثنا ابن المبارك ، عن سعيد بن يزيد[٢] ، عن أبي السمح ، عن ابن[٣] حُجَيرة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **إن الحميم ليصب علىٰ رءوسهم ، فينفُذ الجمجمةَ حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت ما في جوفه حتىٰ يبلغ قدميه ، وهو الصهر[٤] ثم يعاد كما كان** » ورواه الترمذي(٤٤) : من حديث ابن المبارك ، وقال : حسن صحيح . وهكذا رواه ابن أبى حاتم ، عن أبيه ، عن أبى نعيم ، عن ابن[٥] المبارك به .

ثم قال ابن أبي حاتم :

حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أحمد بن أبي الحَواري ، سمعت عبد اللّٰه بن السري ؛ قال : يأتيه الملك يحمل الإِناء بِكَلْبَتَيْنِ من حرارته ، فإذا أدناه من وجهه تكرّهه ، قال : فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه ، فيفرغ دماغه ، ثم يفرغ الإِناء من دماغه ، فيصل إلىٰ جوفه من دماغه ، فذلك قوله : ﴿ **يصهر به ما في بطونهم والجلود** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولهم مقامع من حديد** ﴾ ، قال الإِمام أحمد(٤٥) :

حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **لو أن مقمعًا من حديد وضع في الأرض ، فاجتمع له[٦] الثقلان ما أقلّوه من الأرض** » .

وقال الإِمام أحمد(٤٦) : حدثنا موسىٰ بن داود ، حدثنا ابن لهيعة ، عن[٧] دراج ، عن

(٤٣) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٧ / ١٣٣ - ١٣٤) .

(٤٤) - أخرجه الترمذي في كتاب صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة شراب أهل النار الحديث (٢٥٨٢) (٤/٦٠٧) .

(٤٥) - أخرجه أحمد (٣/٢٩) (١١٢٤٩) . وإسناده ضعيف من أجل دراج وابن لهيعة . وأخرجه أبو يعلى - (١٣٨٨) حدثنا زهير حدثنا الحسن بن موسى به . والبيهقي في « البعث والنشور » - (٥٣٧) من طريق يحيى بن يحيى ، أنبأ ابن لهيعة به . وأخرجه الحاكم (٤/٦٠٠) من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به وصححه ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في « المجمع » (١٠/٣٩١) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، وفيه ضعفاء وقد وثقوا . وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور (٤/٦٣٠) إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٤٦) - أخرجه أحمد في المسند (٣/٨٣) (١١٨٠٢) . وإسناده ضعيف كالذي قبله .

[١] - في ز : قال .
[٢] - في خ : زيد .
[٣] - في ز : أبي .
[٤] - في ز : الضمير .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في ت : « حدثنا » .

أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ، ثم عاد كما كان ، ولو أن دلوًا من غسّاق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا** » .

وقال ابن عباس(٤٧) في قوله : ﴿ **ولهم مقامع من حديد** ﴾ ، قال : يضربون بها ، فيقع كل عضو علىٰ حياله ، فيدعون[١] بالثبور .

وقوله : ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها** ﴾ ، قال[٢] الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن سلمان(٤٨) ؛ قال : النار سوداء مظلمة ، لا يضيء لهبها ولا جمرها ، ثم قرأ : ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها** ﴾ .

وقال زيد بن أسلم(٤٩) في هذه الآية : ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها** ﴾ ، قال : بلغني أن أهل النار في النار لا يتنفسون .

وقال الفضيل بن عياض(٥٠) : والله ما طمعوا في الخروج ، إن الأرجل لمقيدة ، وإن الأيدي لموثقة ، ولكن يرفعهم لهبها ، وتردهم مقامعها .

وقوله : ﴿ **وذوقوا عذاب الحريق** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون** ﴾ ، ومعنىٰ الكلام : أنهم يهانون بالعذاب قولًا وفعلًا .

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

لما أخبر تعالىٰ عن حال أهل النار - عياذًا بالله من حالهم - وما هم فيه من العذاب

(٤٧) - جزء من أثر ابن عباس المتقدم رقم (٨٩) .

(٤٨) - أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (٣١٠) ، والطبري في تفسيره (١٧ / ١٣٥) ، والحاكم في المستدرك (٣٨٧/٢) . وزاد السيوطي في الدر (٦٣٠/٤) نسبته إلى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤٩) - عزاه السيوطي في الدر (٦٣٠/٤) إلى ابن أبي حاتم .

(٥٠) - عزاه السيوطي في الدر (٦٣٠/٤) إلى ابن أبي حاتم .

[١] - في ز : فيدعوا . [٢] - في ز : وقال .

والنكال ، والحريق والأغلال ، وما أعد لهم من الثياب من النار - ذكر حال أهل الجنة - نسأل الله من فضله وكرمه أن يدخلنا الجنة - فقال : ﴿ **إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ ، أي : تتخرّق في أكنافها وأرجائها وجوانبها ، وتحت أشجارها وقصورها ، يصرفونها حيث شاءوا وأين شاءوا ﴿ **يحلون فيها** ﴾ من الحلية ﴿ **من أساور من ذهب ولؤلؤًا** ﴾ ، أي : في أيديهم ، كما قال النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في الحديث المتفق عليه(٥١) : « **تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء** » .

وقال كعب الأحبار : إن في الجنة ملكًا لو شئت أن أسميه لسميته ، يصوغ لأهل الجنة الحلي منذ خلقه الله إلىٰ يوم القيامة ، لو أبرز قُلْب منها - أي : سوار منها - لرد شعاع الشمس ، كما ترد[١] الشمس نور القمر .

وقوله : ﴿ **ولباسهم فيها حرير** ﴾ ، في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم ، لباس هؤلاء من الحرير ؛ إستبرقه وسندسه ، كما قال : ﴿ **عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا * إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورًا** ﴾ وفي الصحيح(٥٢) : « **لا تلبسوا الحرير ولا الديباج في الدنيا ، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة** » قال عبد الله بن الزبير : ومن[٢] لم يلبس الحرير في الآخرة

(٥١) - الحديث لم أقف عليه في صحيح البخاري بهذا اللفظ ، وقد رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب : تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء الحديث (٢٥٠/٤٠) من حديث أبي حازم ، قال : كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى تبلغ إبطه ، فقلت له : يا أبا هريرة ، ما هذا الوضوء ؟ فقال : يا بني فروخ ، أنتم ههنا ؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء ؛ سمعت خليلي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « **تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء** » ورواه أيضًا النسائي في كتاب الطهارة ، باب : حلية الوضوء (٩٣/١) . وأحمد في المسند (٢٣٢/٢ ، ٣٧١) . وأبو عوانة في صحيحه (٢٤٤/١) . والبيهقي في كتاب الطهارة ، باب : استحباب إمرار الماء على العضد (٥٦/١ - ٥٧) . والبغوي في شرح السنة (٤٢٦/١) رقم (٢١٩) . والحديث رواه البخاري في صحيحه ، كتاب اللباس ، باب : نقض الصور ، الحديث (٥٩٥٣) (٣٨٥/١٠) وطرفه في (٧٥٥٩) من حديث أبي زرعة قال : دخلت مع أبي هريرة دارًا بالمدينة فرأى في أعلاها مصورًا يصور ؛ قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « **ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة** » ثم دعا بتور من ماء فغسل يديه حتى بلغ إبطيه فقلت : يا أبا هريرة ، أشيء سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال : « منتهى الحلية » .

(٥٢) - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب اللباس ، باب : لبس الحرير للرجال وقدر ما يحوز منه ، الحديث (٥٨٣٢) (١٠/ ٢٨٤) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب اللباس والزينة ، باب : تحريم استعمال إناء الذهب والفضة الحديث (٢٠٧٣/٢١) (٧٠/١٤) من حديث عبدالعزيز بن صهيب ، عن أنس ، ورواه البخاري في كتاب اللباس ، باب : لبس الحرير للرجال ، الحديث (٥٨٣٤) (٢٨٤/١٠) ومسلم في كتاب اللباس ، باب : تحريم استعمال إناء الذهب والفضة ، الحديث (٢٠٦٩/١١) (٦٠/١٤) .

[١] - في خ : « يردُّ شعاع » . [٢] - في خ : من .

لم يدخل الجنة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولباسهم فيها حرير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وهدوا إلىٰ الطيب من القول** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلام** ﴾ وقوله : ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** ﴾ ، وقوله : ﴿ **لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا إلا قيلًا سلامًا سلامًا** ﴾ فهدوا إلىٰ المكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب ، ﴿ **ويلقون فيها تحية وسلامًا** ﴾ ، لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يُرَوّعون به ويقرعون به ، يقال لهم : ﴿ **ذوقوا عذاب الحريق** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وهدوا إلى صراط الحميد** ﴾ ، أي : إلى المكان الذي يحمدون فيه ربهم ، علىٰ ما أحسن إليهم وأنعم به وأسداه إليهم ، كما جاء في الصحيح : « **إنهم يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس** » .

وقد قال بعض المفسرين في قوله : ﴿ **وهدوا إلىٰ الطيب من القول** ﴾ ، أي : القرآن . وقيل : لا إله إلا الله . وقيل : الأذكار المشروعة . ﴿ **وهدوا إلىٰ صراط الحميد** ﴾ ، أي : الطريق المستقيم في الدنيا ، وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه ، والله أعلم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ الكفار في صدهم المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام ، وقضاء مناسكهم فيه ودعواهم أنهم أولياؤه ﴿ [**وما كانوا أولياءه**][١] **إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ وفي هذه الآية دليل أنها مدنية ، كما قال في سورة البقرة : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه قل قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيل الله وكفرٌ به والمسجدِ الحرام وإخراجُ أهله منه أكبرُ عند الله** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **إن الذين كفروا ويصدون**[٢] **عن سبيل الله والمسجد الحرام** ﴾ ، أي[٣] : ومن صفتهم مع كفرهم أنهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام ، أي : ويصدون عن المسجد الحرام من أراده من

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في خ : « وصدوا » .
[٣] - سقط من ز .

المؤمنين ، الذين هم أحق الناس به في نفس الأمر ، وهذا التركيب في هذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر اللَّه ألا بذكر اللَّه تطمئن القلوب** ﴾ أي : ومن صفتهم أنهم تطمئن قلوبهم بذكر اللَّه .

وقوله : ﴿ **الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد** ﴾ ، [أي : يمنعون الناس عن الوصول إلىٰ المسجد الحرام ، وقد جعله اللَّه شرعًا سواء ، لا فرق فيه بين المقيم فيه والنائي عنه البعيد الدار منه ، ﴿ **سواء العاكف فيه والباد** ﴾][1] ومن ذلك استواء الناس في رباع مكة وسكناها ، كما قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **سواء العاكف فيه والباد** ﴾ ، [قال : ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام .

وقال مجاهد(٥٣) : ﴿ **سواء العاكف فيه والباد** ﴾][2] ، أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل . وكذا قال أبو صالح(٥٤) ، وعبد الرحمن بن سابط(٥٥) ، وعبد الرحمن بن زيد(٥٦) .

وقال عبد الرزاق(٥٧) ، عن معمر عن قتادة : سواء فيه أهله وغير أهله .

وهذه المسألة اختلف فيها الشافعي وإسحاق بن راهَويه بمسجد الخيف ، وأحمد بن حنبل حاضر أيضًا ، فذهب الشافعي رحمه اللَّه إلىٰ أن رباع مكة تملك وتورث وتؤجر ، واحتج بحديث الزهري ، عن عليّ بن الحسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أسامة بن زيد ؛ قال : قلت : يا رسول اللَّه ، أتنزل غدًا في دارك بمكة ؟ فقال : « **وهل ترك لنا عقيل من رباع؟** » ثم قال : « **لا يرث الكافر المسلم ، ولا المسلم الكافر** » . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين(٥٨) ، وبما ثبت أن عمر بن الخطاب اشترىٰ من صفوان بن أمية دارًا بمكة فجعلها

---

(٥٣) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٧/١٧) وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٢/٤) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد عن مجاهد بلفظ : « **الناس بمكة سواء ، ليس أحد أحق بالمنازل من أحد** » .

(٥٤) - أخرجه الطبري (١٣٧/١٧) قال : أهله والمنتاب في المنزل سواء .

(٥٥) - أخرجه الطبري (١٣٧/١٧) بلفظ : « ليس أحد أحق بمنزله من أحد إلا أن يكون أحد سبق إلى منزل» وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٢/٤) إلى ابن أبي شيبة .

(٥٦) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٧/١٧) قال : العاكف فيه : المقيم بمكة ، والباد : الذي يأتيه ، هم فيه سواء في البيوت .

(٥٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٧/١٧) من طريق عبدالرزاق .

(٥٨) - أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : أين ركز النبي الراية يوم الفتح ، الحديث (٤٢٨٣،٤٢٨٢) (١٣/٨-١٤) وأخرجه البخاري في كتاب الفرائض ، باب : لا يرث المسلم الكافر =

---

[١] - ما بين المعكزفين سقط من ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفين سقط من ز ، خ .

سجنًا ، بأربعة آلاف درهم . وبه قال طاووس وعمرو ابن دينار .

وذهب إسحاق بن راهَويه إلىٰ أنها لا تورث ولا تؤجر . وهو مذهب طائفة من السلف ، ونص عليه مجاهد وعطاء ، واحتج إسحاق بن راهَويه بما رواه ابن ماجة(٥٩) ، عن أبي بكر ابن أبي شيبة ، عن عيسىٰ بن يونس ، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين ، عن عثمان بن أبي سليمان ، عن علقمة بن نَضْلة قال : توفي[١] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وأبو بكر وعمر ، وما تدعىٰ رباع مكة إلا [السوائب ، من احتاج سكن ، ومن استغنى أسكن][٢] .

وقال عبد الرزاق(٦٠) : عن ابن مجاهد ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال : لا يحل بيع دور مكة ولا كراؤها[٣] .

وقال أيضًا(٦١) ، عن ابن جريج : [كان عطاء ينهىٰ عن الكراء في الحرم . وأخبرني أن عمر بن الخطاب][٤] كان ينهىٰ أن [تبوب دور][٥] مكة ؛ لأن ينزل الحاج في عَرَصاتها ، فكان أول من بوب داره سهيل[٦] بن عمرو ، فأرسل إليه عمر بن الخطاب في ذلك ، فقال : أنظرني يا أمير المؤمنين ، إني كنت امرأً تاجرًا ، فأردت أن أتخذ بابين يحبسان لي ظهري قال : فذلك إذًا .

وقال عبد الرزاق(٦٢) ، عن معمر ، عن منصور ، عن مجاهد ؛ أن عمر بن الخطاب ، قال : يا أهل مكة ، لا تتخذوا لدوركم أبوابًا ، لينزل البادي حيث يشاء .

[قال(٦٣) : وأخبرنا معمر عمن سمع عطاء يقول : ﴿ **سواء العاكف فيه والباد** ﴾ قال :

= ولا الكافر المسلم ، الحديث (٦٧٦٤) (١٢/٥٠) ومسلم في أول كتاب الفرائض ، الحديث (١/١٦١٤) مختصراً .

(٥٩) - أخرجه ابن ماجه في السنن ، كتاب المناسك ، باب : أجر بيوت مكة ، الحديث (٣١٠٧) (٢/١٠٣٧) .

(٦٠) - أخرجه في المصنف (٥/١٤٨) رقم (٩٢١٤) .

(٦١) - أخرجه في المصنف (٥/١٤٦) رقم (٢٩١٠) .

(٦٢) - أخرجه في المصنف (٥/١٤٧) رقم (٩٢١١) .

(٦٣) - أخرجه في المصنف (٥/١٤٧) رقم (٩٢١١) .

---

[١] - في خ : « نزل » . وفي ز : ترك .

[٢] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

[٣] - في خ : « كراها » .

[٤] - ما بين المعكوفتين مكرر في خ .

[٥] - في خ : « دار بيوت » .

[٦] - في ز : سهل .

ينزلون حيث شاءوا .

وروى الدارقطني(٦٤) من حديث ابن أبي نجيح ، عن عبد الله بن عمرو موقوفًا : من أكل كراء بيوت مكة أكل نارًا][١] .

وتوسط الإمام أحمد فقال : تملك وتورث ولا تؤجر ، جمعًا بين الأدلة ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ ، قال بعض المفسرين من أهل العربية : الباء هاهنا زائدة ، كقوله : ﴿ **تنبتُ بالدهن** ﴾ أى : تنبت الدهن ،وكذا قوله : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد** ﴾ تقديره : إلحادًا ، وكما قال الأعشى :

ضمنت برزق عيالنا أرماحنا بين المراجل والصريح الأجرد[٢]

وقال الآخر :

بواد يمان ينبت الشّث[٣] صَدْره وأسفله بالمرْخ والشَّبَهان[٤]

والأجود أنه ضمن الفعل هاهنا معنىٰ[٥] : يهم ؛ ولهذا عدّاه بالباء ، فقال : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد** ﴾ ، أي : يهم فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار .

وقوله : ﴿ **بظلم** ﴾ أى : عامدًا قاصدًا أنه ظلم ليس بمتأول ، كما قال [ابن جريج][٦] عن ابن عباس(٦٥) : هو التعمد[٧] . وقال على بن أبي طلحة ، عن ابن عباس(٦٦) : ﴿ **بظلم** ﴾ بشرك . وقال مجاهد(٦٧) : أن يعبد فيه غير الله . وكذا قال قتادة(٦٨) وغير واحد .

---

(٦٤) - أخرجه الدارقطني في السنن (٢/٢٩٩-٣٠٠) .

(٦٥) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/١٤١) من طريق ابن جريج قال : قال ابن عباس : الذي يريد استحلاله متعمداً .

(٦٦) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/١٤٠) وعزاه السيوطي في الدر (٤/٦٣٣) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضاً .

(٦٧) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/١٤٠) .

(٦٨) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٧/١٤٠) .

---

[١] - سقط من خ . ومكانه بياض في ز .

[٢] - في ز : الأجردا .

[٣] - في ز : الشت .

[٤] - في ز : والشبهات .

[٥] - في ز : بمعنى .

[٦] - سقط من خ . وجريج ، مكانها بياض في ز .

[٧] - سقط من خ . وبياض في ز .

وقال العوفي، عن ابن عباس(٦٩) : ﴿ بظلم ﴾ : هو أن تستحل من[١] الحرام ما حرم اللَّه عليك من لسان، أو قتل، فتظلم من لا يظلمك، وتقتل من لا يقتلك، فإذا[٢] فعل ذلك فقد وجب العذاب الأليم.

وقال مجاهد(٧٠) : ﴿ بظلم ﴾، يعمل فيه عملًا سيئًا[٣].

وهذا من خصوصية الحرم : أنه يعاقَب البادي فيه الشر، إذا كان عازمًا عليه، وإن لم يوقعه، كما قال ابن أبي حاتم(٧١) في تفسيره :

حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا يزيد بن هارون، أنبأنا شعبة، عن السدي، أنه سمع مُرَّةَ[٤] يحدث عن عبد اللَّه - يعني ابن مسعود - في قوله : **﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾**، قال : لو أن رجلًا أراد فيه بإلحاد بظلم، وهو بعدن أبين[٥] أذاقه اللَّه من العذاب الأليم. قال شعبة : هو رفعه لنا، وأنا لا أرفعه لكم. قال يزيد : هو قد رفعه. ورواه أحمد(٧٢)، عن يزيد بن هارون، به.

[قلت : هذا الإسناد][٦] صحيح على شرط البخاري، ووقفه[٧] أشبه من رفعه ؛ ولهذا صمم شعبة على وقفه[٨] من كلام ابن مسعود. وكذلك رواه أسباط، وسفيان الثوري، عن السدي، عن مرة، عن ابن مسعود موقوفًا[٩] واللَّه أعلم.

---

(٦٩) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٠/١٧).

(٧٠) - أخرجه الطبري (١٤٠/١٧).

(٧١) - أخرجه أحمد في مسنده (٤٢٨/١،٤٥١)، والطبري في تفسيره (١٤١/١٧) وأبو يعلى في مسنده (٢٦٢/٩،٢٦٣) رقم (٥٣٨٤)، ورواه الحاكم (٣٨٨/٢) من طريق يزيد بن هارون، أنبأ شعبة عن السدى به فذكره مرفوعًا. وقال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٣/٤) إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن راهويه وعبد بن حميد والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه » وقال الهيثمي في المجمع (٧٣/٧) : « رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح » ا.هـ

(٧٢) - أخرجه أحمد في المسند (٤٢٨/١،٤٥١) وانظر السابق.

---

[١] - سقط من ز.

[٢] - في خ : إذا.

[٣] - سقط من خ.

[٤] - في خ : « من ».

[٥] - في خ : « اثنين ».

[٦] - سقط من ز، خ.

[٧] - في خ : « ورفعه ».

[٨] - في ز، خ : « رفعة ».

[٩] - في ز، خ : « مرفوعًا ».

وقال الثوري[١] عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله قال(٧٣) : ما من رجل يهم بسيئة فتكتب عليه ، ولو أن رجلًا بعدن أبين[٢] همَّ [أن يقتل][٣] رجلًا بهذا البيت لأذاقه [الله من العذاب الأليم][٤] . وكذا قال الضحاك بن مزاحم .

وقال سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد : « إلحاد فيه » لا والله ، وبلى والله ، وروى عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو مثله(٧٤) .

وقال سعيد بن جبير(٧٥) : شتم الخادم ظلم فما[٥] فوقه .

وقال سفيان الثوري ، عن عبد الله بن عطاء ، عن ميمون بن[٦] مهران ، عن ابن عباس(٧٦) في قوله : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ﴾ ، [قال][٧] : [تجارة][٨] الأمير فيه .

وعن ابن عمر(٧٧): بيع الطعام إلحاد .

---

(٧٣) – أخرجه الطبري في تفسيره (١٤١/١٧) بلفظه وإسناده ، ورواه الحاكم في المستدرك (٣٨٧/٢) من طريق سفيان ، عن زبيد ، عن مرة ، عن ابن مسعود بلفظ : « لو أن رجلًا هم بخطيئة يعني لم يعملها لم يكتب عليه ، ولو أن رجلًا هم بقتل رجل عند البيت وهو بعد أبين أذاقه الله عذابًا أليمًا » . ورواه الطبراني في الكبير (٢٥٣/٩) رقم (٩٠٧٨) حدثنا محمد بن علي الصائغ ، ثنا سعيد بن منصور ، ثنا الحكم بن ظهير ، عن السدى ، عن مرة ، عن عبد الله بن مسعود في تفسيره الآية قال : « من هم بخطيئة فعملها في سوى البيت لم يكتب عليه حتى يعملها ، ومن هم بخطيئة فعملها في البيت لم يمته الله في الدنيا حتى يذقه من عذاب أليم » وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٣/٤) إلى سعيد بن منصور . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٧٣) : « رواه الطبراني وفيه الحكم بن ظهير وهو متروك » ا.هـ

(٧٤) – أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٠/١٧) قال : حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمرو قال : كان له فسطاطان : أحدهما في الحل والآخر في الحرم فإذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل ، فسئل عن ذلك ؟ فقال : كنا نتحدث أن الإلحاد فيه أن يقول الرجل : كلا والله ، وبلى والله . وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٤/٤) إلى سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة وابن منيع وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٧٥) – عزاه السيوطي في الدر (٦٣٤/٤) إلى ابن أبي حاتم .

(٧٦) – عزاه السيوطي في الدر (٦٣٤/٤) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧٧) – عزاه السيوطي في الدر (٦٣٤/٤) إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم .

---

[١] – في ز ، خ : « البزار » .

[٢] – في خ : « اثنين » .

[٣] – في ز ، خ : « أرسل » . والمثبت من الطبري .

[٤] – ما بين المعكوفين في ز : « من عذاب أليم» .

[٥] – في ز ، خ : « لما » .

[٦] – في ز : عن .

[٧] – سقط من ز ، خ .

[٨] – سقط من خ .

وقال حبيب[١] بن أبي ثابت(٧٨) : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم** ﴾ ، قال : المحتكر بمكة . وكذا قال غير واحد .

وقال ابن أبي حاتم(٧٩) : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن إسحاق الجوهري ، أنبأنا أبو عاصم ، عن جعفر بن يحيىٰ ، عن عمه عمارة بن ثوبان[٢] ، حدثني موسىٰ بن باذان ، عن يعلىٰ بن أمية ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **احتكار الطعام بمكة إلحاد** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيىٰ[٣] بن عبد الله بن بكير ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، حدثني سعيد بن جبير ؛ قال : قال ابن عباس في قول الله : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم** ﴾ قال : نزلت في عبد الله بن أنيس ، أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بعثه مع رجلين ، أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار ، فافتخروا في الأنساب ، فغضب عبد الله بن أنيس ، فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام ، ثم[٤] هرب إلىٰ مكة ، فنزلت فيه : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم** ﴾ ، يعني : من لجأ إلىٰ الحرم بإلحاد ، يعني : بميل عن الإسلام .

وهذه الآثار وإن دلت علىٰ أن هذه الأشياء من الإلحاد ، ولكن هو أعم من ذلك ، بل فيها تنبيه علىٰ ما هو أغلظ منها ، ولهذا لما همّ أصحاب الفيل علىٰ تخريب البيت ، أرسل الله عليهم ﴿**طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول**﴾ أى : دمَّرهم وجعلهم عبرة ونكالًا لكل من أراده بسوء ، ولذلك ثبت في الحديث أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **يغزو هذا البيت جيش ، حتىٰ إذا كانوا ببيداء من الأرض ، خُسف بأولهم وآخرهم** » الحديث .

وقال الإمام أحمد(٨٠) : حدثنا محمد بن كناسة ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، عن أبيه قال : أتىٰ عبدُ الله بن عمر عبدَ الله بن الزبير ، فقال : يا ابن الزبير ، إياك والإلحاد في حرم

(٧٨) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٤١/١٧) .

(٧٩) - أخرجه أبو داود في كتاب المناسك ، باب تحريم حرم مكة الحديث (٢٠٢٠) (٢١٢/٣،٢١٣) والبخاري في تاريخه (٢٥٥/٧) وعزاه السيوطي في الدر (٦٣٣/٤) إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه ، والحديث ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داود رقم (٤٤٠) وفي ضعيف الجامع رقم (١٨٤) .

(٨٠) - أخرجه أحمد في المسند (١٣٦/٢) .

[١] - في ز : حندب . كذا .
[٢] - في ز : ثروان .
[٣] - في ز : لحي .
[٤] - في ت : « و » .

الله ، فإني سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **إنه سيلحد فيه رجل من قريش ، لو توزن ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت** » . فانظر لا [تكن هو][١] .

وقال أيضًا(٨١) : حدثنا هاشم ، حدثنا إسحاق بن سعيد ، حدثنا سعيد بن عمرو ؛ قال : أتىٰ [عبدُ الله بن عمرو عبدَ الله بن الزبير][٢] ، وهو جالس في الحجر فقال : يابن الزبير ، إياك والإلحاد في الحرم ! فإني أشهد[٣] لسمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول[٤] : « **يحلها ويحل به رجل من قريش ، لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها** » . قال : فانظر لا تكن هو .

لم[٥] يخرجه أحد من أصحاب الكتب من هذين الوجهين .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) ﴾

هذا فيه تقريع وتوبيخ لمن عبد[٦] غير الله وأشرك به من قريش ، في البقعة التي أسست من أول يوم علىٰ توحيد الله ، وعبادته وحده لا شريك له ، فذكر تعالىٰ أنه بوأ إبراهيم مكان البيت ، أي : أرشده إليه ، وسلمه له ، وأذن له في بنائه .

واستدل به كثير ممن قال إن إبراهيم عليه السلام هو أول من بنىٰ البيت العتيق ، وأنه لم يبن قبله ، كما ثبت في الصحيح(٨٢) عن أبي ذر ، قلت : يا رسول الله ، أي مسجد وضع أولُ ؟ قال : « **المسجد الحرام** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **بيت المقدس** » . قلت : كم

---

(٨١) - أخرجه أحمد في المسند (٢١٩/٢) ورواه أيضًا في (١٩٦/٢) قال : حدثنا أبو النضر حدثني إسحاق ابن سعيد به .

(٨٢) - أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب رقم (١٠) الحديث (٣٣٦٦) ، (٤٠٧/٤) وفي باب قول الله تعالى : « ووهبنا لداود سليمان » الحديث (٣٤٢٥) (٤٥٨/٤) . ومسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة الحديث رقم (٥٢٠/٢٢١) (٣/٥) .

---

[١] - في المسند : تكونه .

[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « عبدُ الله بن عمر ابنَ الزبير » .

[٣] - في خ : « لأشهد » .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز : ولم .

[٦] - سقط من ز .

بينهما ؟ قال : « أربعون سنة » وقد قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركًا وهدًى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم** ...﴾ الآية ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وعهدنا إلىٰ إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود** ﴾ .

وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصحاح والآثار ، بما أغنىٰ عن إعادته هاهنا .

وقال تعالىٰ هاهنا : ﴿ **أن لا تشرك بي شيئًا** ﴾ ، أي : ابنه علىٰ اسمي وحدي ، ﴿ **وطهر بيتي** ﴾ ، قال قتادة(٨٣) ومجاهد(٨٤) : من الشرك ، ﴿ **للطائفين والقائمين والركع السجود** ﴾ ، أي : اجعله خالصًا لهؤلاء الذين يعبدون اللّٰه وحده لا شريك له ، فالطائف به معروف ، وهو أخص العبادات عند البيت ، فإنه لا يفعل ببقعة من الأرض سواها ، ﴿ **والقائمين** ﴾ ، أي : في الصلاة ؛ ولهذا قال : ﴿ **والركع السجود** ﴾ ، فقرن الطواف بالصلاة ؛ لأنهما[١] لا يشرعان إلا مختصين بالبيت ، فالطواف عنده ، والصلاة إليه في غالب الأحوال ، إلا ما استثني من الصلاة عند اشتباه القبلة ، وفي الحرب ، وفي النافلة في السفر ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **وأذن في الناس بالحج** ﴾ ، أي : ناد في الناس داعيًا لهم إلىٰ الحج إلىٰ هذا البيت الذي أمرناك[٢] ببنائه ، فذكر أنه قال : يارب ، وكيف أبلغ الناس وصوتي لا ينفذهم ؟ فقال[٣] : ناد وعلينا البلاغ . فقام علىٰ مقامه - وقيل : علىٰ الحجر . وقيل : علىٰ الصفا . وقيل : علىٰ أبي قبيس - وقال : يا أيها الناس ، إن ربكم قد[٤] اتخذ بيتًا فحجوه . فيقال : إن الجبال تواضعت حتىٰ بلغ الصوت أرجاء الأرض ، وأسمع من في الأرحام والأصلاب ، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ، و[من][٥] كتب اللّٰه أنه يحج إلىٰ يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك .

هذا مضمون ما روي عن ابن عباس(٨٥)

(٨٣) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٣/١٧) عن قتادة قال : من الشرك وعبادة الأوثان .

(٨٤) - أخرجه الطبري (١٤٣/١٧) .

(٨٥) - أخرجه الطبري في تفسيره (١٤٤/١٧) والحاكم في المستدرك (٣٨٩/٢) ومن طريقه البيهقي في السنن ، كتاب الحج ، باب : دخول مكة بغير إرادة حج وعمرة (١٧٦/٥) . كلهم من طريق جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له : (أذن في الناس بالحج) قال : رب وما يبلغ صوتي ؟ قال : أَذِّن وعليَّ البلاغ . فنادى إبراهيم : أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت =

[١] - في ز : فإنهما .

[٢] - في ز : آمرك .

[٣] - في ت : « فقيل » .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - سقط من ز .

ومجاهد(٨٦) وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من[١] السلف ، والله أعلم . أوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة[٢] .

وقوله : ﴿ يأتوك رجالاً وعلىٰ كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ ، قد يستدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلىٰ أن الحج ماشيًا ، لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبًا ، لأنه قدمهم في الذكر ، فدل علىٰ الاهتمام بهم وقوة هممهم وشدة عزمهم .

[وقال وكيع ، عن أبي العميس ، عن أبي حلحلة ، عن محمد بن كعب ، عن ابن عباس قال : ما آسى علي شيء ، إلا أني وددت أني كنت حججت ماشيًا ؛ لأن الله يقول : ﴿ يأتوك رجالاً ﴾][٣] .

والذي عليه الأكثرون : أن الحج راكبًا أفضل ؛ اقتداء برسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فإنه حج راكبًا مع كمال قوّته ، عليه السلام .

وقوله : ﴿ يأتين من كل فج ﴾ يعني : طريق[٤] ، كما قال : ﴿ وجعلنا فيها فجاجًا سبلاً ﴾ .

وقوله : ﴿ عميق ﴾ أي : بعيد . قاله مجاهد وعطاء والسدي وقتادة ومقاتل بن حيان

= العتيق فحجوا - قال : فسمعه ما بين السماء والأرض أفلا ترى الناس يجيبون من أقصى الارض يلبون » ، وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦٣٧/٤) إلى ابن أبي شيبة في المصنف ، وابن منيع وابن المنذر وابن أبي حاتم . قال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبي وأخرج ابن جرير أيضًا (١٤٤/١٧) والحاكم في المستدرك (٥٥٢/٢) . كلاهما من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه أن أذن في الناس بالحج قال : فقال إبراهيم : ألا إن ربكم قد اتخذ بيتًا وأمركم أن تحجوه فاستجاب له ما سمعه من شئ من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شئ : لبيك اللهم لبيك . رواه البيهقي في سننه ، كتاب الحج ، باب : دخول مكة بغير إرادة حج ولا عمرة (١٧٦/٥) من طريق عطاء عن ابن جبير ، عن ابن عباس في قوله « وأذن في الناس بالحج » قال : لما أمر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج قال : يا أيها الناس ! إن ربكم اتخذ بيتًا وأمركم أن تحجوه . فاستجاب له ما سمعه من حجر أو شجر أو أكمة أو تراب أو شيء ، فقالوا : لبيك اللهم لبيك . والأثر عزاه السيوطي أيضًا في الدر (٦٣٧/٤) إلى ابن المنذر . كما روى الطبري في تفسيره (١٤٤/١٧) عن ابن عباس في قوله « وأذن في الناس بالحج » قال : قام إبراهيم خليل الله على الحجر فنادى : يا أيها الناس ! كتب عليكم الحج فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فاجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك .

[١] - في خ : عن .
[٢] - في خ : « بطوله » .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - بعدها في خ : « عميق » .

والثوري وغير واحد .

وهذه الآية كقوله تعالىٰ إخبارًا عن إبراهيم حيث قال في دعائه : ﴿ **فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم** ﴾ ، فليس أحد من أهل الإسلام إلا وهو يحنّ إلىٰ رؤية الكعبة والطواف ، فالناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار .

لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

قال ابن عباس : ﴿ **ليشهدوا منافع لهم** ﴾ ، قال : منافع الدنيا والآخرة ؛ أما منافع الآخرة فرضوان الله تعالىٰ ، وأما منافع الدنيا فما[١] يصيبون من منافع البُدْن والربح والتجارات . وكذا قال مجاهد ، وغير واحد : إنها منافع الدنيا والآخرة ، كقوله : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويذكروا اسم الله [في أيام معلومات][٢]علىٰ ما رزقهم من بهيمة الأنعام** ﴾ ، قال شعبة [وهشيم عن أبي بشر ، عن سعيد][٣] ، عن ابن عباس(٨٧) ، رضي الله عنهما الأيام المعلومات : أيام العشر . وعلقه البخاري عنه بصيغة [الجزم به][٤] ، ويروىٰ مثله عن أبي موسىٰ الأشعري ومجاهد(٨٨) وقتادة وعطاء وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وعطاء الخراساني وإبراهيم النخعي وهو مذهب الشافعي ، والمشهور عن أحمد بن حنبل .

وقال البخاري(٨٩) : حدثنا محمد بن عرعرة ، حدثنا شعبة ، عن سليمان ، عن مسلم

(٨٦) - رواه الطبري في تفسيره (١٧/١٤٥)

(٨٧) - تقدم في سورة البقرة الآية (٢٠٣) .

(٨٨) - رواه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الحج ، باب الأيام المعلومات والمعدودات (٥/٢٢٨) عن مجاهد قال : الأيام المعلومات العشر ، والأيام المعدودات أيام التشريق . وعزاه السيوطي في الدر (١/٤٢٠) إلى ابن أبي الدنيا والمحاملي في أماليه .

(٨٩) - أخرجه البخاري في كتاب العيدين ، باب : فضل العمل في أيام التشريق الحديث (٩٦٩) (٢/٤٥٧).

[١] - في ز ، خ : « ما » .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز ، خ : « عن وهيم » . كذا .

[٤] - في ز ، خ : « الخبرية » .

البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **ما العمل في أيام أفضل منها في هذه** » . قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « **ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء**[١] » .

ورواه الإمام أحمد(٩٠) ، وأبو داود(٩١) ، والترمذي(٩٢) ، وابن ماجة(٩٣) ، وقال الترمذي : حديث حسن غريب صحيح ، وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وعبد اللّٰه بن عمرو وجابر .

قلت : وقد تقصيت هذه الطرق وأفردت لها جزءًا على حدته . فمن ذلك ما قال الإمام أحمد(٩٤) :

حدثنا عفان ، أنبأنا أبو عوانة ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ؛ قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما من أيام أعظم عند اللّٰه ، ولا أحب إليه العمل فيهن ، [من هذه الأيام]**[٢] **العشر ؛ فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد** » . وروي من وجه آخر ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، بنحوه .

وقال البخاري(٩٥) : وكان ابن عمر ، وأبو هريرة يخرجان إلىٰ السوق[٣] في أيام العشر ، فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما .

وقد روىٰ أحمد(٩٦) عن جابر مرفوعًا ؛ أن هذا هو العشر الذي أقسم اللّٰه به في قوله : ﴿ **والفجر * وليالٍ عشر** ﴾ .

وقال بعض السلف : إنه المراد بقوله : ﴿ **وأتممناها بعشر** ﴾ وفي سنن أبي داود(٩٧) : أن رسول

---

(٩٠) - المسند (١/٢٢٤،٣٣٨،٣٣٩،٣٤٦) .

(٩١) - أخرجه أبوداود في كتاب الصوم ، باب في صوم العشر الحديث (١٤٣٨) (٢/٣٢٥).

(٩٢) - أخرجه الترمذي في كتاب الصوم ، باب ما جاء في العمل في أيام العشر الحديث (٧٥٧) (٣/١٣٠).

(٩٣) - أخرجه ابن ماجة في السنن كتاب الصيام ، باب صيام العشر الحديث (١٧٢٧) (١/٥٥٠) .

(٩٤) - أخرجه أحمد في المسند (٢/٧٥،١٣١،١٣٢) .

(٩٥) - علقه البخاري في صحيحه كتاب العيدين ، باب فضل العمل في أيام التشريق (٢/٤٥٧) .

(٩٦) - أخرجه أحمد في المسند (٣/٣٢٧) .

(٩٧) - أخرجه أبوداود في كتاب الصوم ، باب في صوم العشر الحديث (٢٤٣٧) (٢/٣٢٥) من =

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في خ : « أحب من » .

[٣] - مكانها بياض في ز .

اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، كان يصوم هذا العشر .

وهذا العشر مشتمل علىٰ يوم عرفة ، الذي ثبت في صحيح مسلم(٩٨) عن أبي قتادة قال : سئل رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، عن صيام يوم عرفة ؟ فقال : **« أحتسب علىٰ اللّٰه أن يكفر السنة الماضية والآتية »** . ويشتمل علىٰ يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر ، وقد ورد في حديث أنه أفضل الأيام عند اللّٰه(٩٩) . وبالجملة فهذا العشر قد قيل : إنه أفضل أيام السنة ، كما نطق به الحديث ، وفضله[١] كثير علىٰ عشر رمضان الأخير ؛ لأن هذا يشرع فيه ما يشرع في ذاك ، من صلاة وصيام وصدقة وغيره ، ويمتاز هذا باختصاصه بأداء فرض الحج فيه .

وقيل : ذاك[٢] أفضل لاشتماله على ليلة القدر ، التي هي خير من ألف شهر . وتوسط آخرون فقالوا : أيام هذا أفضل ، وليالي ذاك أفضل . وبهذا يجتمع شمل الأدلة ، واللّٰه أعلم .

(قول ثان : في الأيام المعلومات) قال الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : الأيام المعلومات : يوم النحر ، وثلاثة أيام بعده . ويروىٰ هذا عن ابن عمر وإبراهيم النخعي ، وإليه ذهب أحمد بن حنبل في رواية عنه .

(قول ثالث) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عليّ بن المديني ، حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا ابن عجلان ، حدثني نافع ، أن ابن عمر كان يقول : الأيام المعلومات والمعدودات هن جميعهن أربعة أيام ، فالأيام المعلومات : يوم النحر ويومان بعده ، والأيام المعدودات : ثلاثة أيام بعد يوم النحر .

= حديث هنيدة بن خالد عن أمرأته عن بعض أزواج النبي ﷺ قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر : أول اثنين من الشهر والخميس . قال الحافظ المنذري في مختصر السنن (٣/٣٢٠) : واختلف على هنيدة بن خالد في إسناده فروى عنه كما أوردناه ، وروى عنه عن حفصة زوج النبي ﷺ وروى عنه عن أمه عن أم سلمة زوج النبي ﷺ مختصرًا ، والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود رقم (٢١٢٩) . وحديث حفصة رواه أحمد (٦/٢٨٧) والنسائي كتاب الصيام ، باب كيف يصوم ثلاثة أيام من كل شهر من طريق هنيدة عن حفصة قالت : أربع لم يكن يدعهن النبي ﷺ : صيام عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر وركعتين قبل الغداة .

(٩٨) - أخرجه مسلم في كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عاشوراء والأثنين والخميس الحديث (١٩٦،١١٦٢) (٨/٧١،٧٢) .

(٩٩) - ورد ذلك من حديث عبد الله بن قرط ، رواه ابن حبان في صحيحه (٧/٥١) رقم (٢٨١١) بهذا اللفظ . وأخرجه أبو داود في كتاب المناسك ، باب في الهدي إذا عطب قبل أن يبلغ ، الحديث =

---

[١] - في ز : ففضله . [٢] - في خ : ذلك .

هذا إسناد صحيح إليه ، وقاله السدي . وهو مذهب الإمام مالك بن أنس ، ويعضد هذا القولَ والذي قبله قولُه تعالىٰ : ﴿ علىٰ ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ ، يعني به ذكر الله عند ذبحها .

(قول رابع) أنها يوم عرفة ويوم النحر ويوم آخر بعده ، وهو مذهب أبي حنيفة .

وقال ابن وهب : حدثني ابن زيد بن أسلم ، عن أبيه أنه قال : المعلومات : يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق .

وقوله : ﴿ علىٰ ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ يعني : الإبل والبقر والغنم ، كما فصلها تعالىٰ في سورة الأنعام ، وأنها[١] : ﴿ ثمانية أزواج ﴾ الآية .

وقوله : ﴿ فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ ، استدل بهذه الآية من ذهب إلىٰ وجوب الأكل من الأضاحي ، وهو قول غريب ، والذي عليه الأكثرون أنه من باب الرخصة أو الاستحباب ، كما ثبت أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة فتطبخ ، فأكل من لحمها ، وحسى من مرقها (١٠٠) .

وقال عبد الله بن وهب : [قال لي مالك : أحب أن يأكل من أضحيته ؛ لأن الله يقول : ﴿ فكلوا منها ﴾ . قال ابن وهب][٢] : وسألت الليث فقال لي مثل ذلك .

وقال سفيان الثوري : عن منصور ، عن إبراهيم : ﴿ فكلوا منها ﴾ ، قال : كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم ، فرخص للمسلمين ، فمن شاء أكل ، ومن شاء لم يأكل . وروي عن عطاء ومجاهد نحو ذلك .

= (١٧٦٥) (١٤٨/٢) وأحمد في المسند (٣٥٠/٤) والحاكم (٢٢١/٤) من حديث عبد الله بن قرط مرفوعًا بلفظ : « إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر ثم يوم القر» وقرب لرسول الله ﷺ بدنات خمس أو ست ينحرهن فطفقن يزدلفن إليه أيتهن يبدأ بها ، فلما وجبت جنوبها قال كلمة خفية لم أفهمها فسألت بعض من يليني ما قال : قالوا : قال : « من شاء اقتطع » . ورواه أيضًا النسائي في الكبرى كتاب الحج ، باب فضل يوم النحر الحديث (٤٠٩٨) (٤٤٤/٢) ، وابن خزيمة في صحيحه (٢٧٣/٤،٢٧٤) رقم (٢٨٦٦) ، (٢٩١٧) ، (٢٩٦٦) بلفظ : « أعظم الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم الضر» كلهم رووه من طريق ثور بن يزيد . والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود رقم (١٥٥٢) .

(١٠٠) - رواه مسلم في كتاب الحج حديث (١٢١٨) في حديث جابر رضي الله عنه - الطويل في صفة حجة النبي ﷺ .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

قال هشيم : عن حصين ، عن مجاهد في قوله : ﴿ فكلوا منها ﴾ : هي كقوله : ﴿ فإذا حللتم فاصطادوا ﴾ ، ﴿ فإذا قضيت[١] الصلاة فانتشروا في الأرض ﴾ . وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره ، واستدل من نصر القول بأن الأضاحي يتصدق منها بالنصف ، بقوله في هذه الآية : ﴿ فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ﴾ ، فجزأها[٢] نصفين : نصف للمضحي ، ونصف للفقراء .

والقول الآخر أنها تجزأ ثلاثة أجزاء : ثلث له ، وثلث يهديه ، وثلث يتصدق به ، لقوله تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ﴾ وسيأتي الكلام عليها عندها إن شاء الله وبه الثقة .

وقوله : ﴿ البائس الفقير ﴾ ، قال عكرمة : هو المضطر الذي عليه البؤس[٣] : الضعيف[٤] .

وقال مجاهد : هو الذي لا يبسط يده . وقال قتادة : هو الزَّمِن .

وقال مقاتل بن حيان : هو الضرير .

وقوله : ﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ ، قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هو وضع الإحرام[٥] من حلق الرأس ، ولبس الثياب ، وقص الأظفار ، ونحو ذلك . وهكذا روى عطاء ومجاهد عنه ، وكذا قال عكرمة ومحمد بن كعب القرظي [ ][٦].

وقال عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ ثم ليقضوا تفثهم ﴾ ، قال : التفث : المناسك .

وقوله : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ قال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : يعنى[٧] : نحر ما نذر من أمر البُدن . وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ : نذر الحج والهدي وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج .

وقال إبراهيم بن ميسرة ، عن مجاهد : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ قال : الذبائح .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ : كل نذر إلىٰ أجل .

---

[١] - في ز : قضيتم . [٢] - في ز : فجزأ .
[٣] - في ز ، خ : المتعفف ، والمثبت من الدر المنثور . [٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز : عنه . [٦] - بعده في ز ، خ : « ما » .
[٧] - سقط من ز ، خ .

وقال عكرمة : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ ، قال : نذر الحج .

[وكذا رویٰ الإمام أحمد وابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان في قوله : ﴿ وليوفوا نذورهم ﴾ قال : نذور الحج][١] . فكل من دخل الحج[٢] فعليه من العمل فيه : الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ، وعرفة ، والمزدلفة ، ورمي الجمار ، علىٰ ما أمروا به . وروي عن مالك [نحو هذا][٣] .

وقوله : ﴿ وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ قال مجاهد : يعني الطواف الواجب يوم النحر .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، حدثنا حماد ، عن أبي حمزة ؛ قال : قال لي ابن عباس : أتقرأ سورة الحج ؟ يقول[٤] الله تعالىٰ : ﴿ وليطوفوا[٥] بالبيت العتيق ﴾ ، فإن آخر المناسك الطواف بالبيت العتيق[٦] .

قلت : وهكذا صنع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فإنه لما رجع إلىٰ منى يوم النحر بدأ برمي الجمرة ، فرماها بسبع حصيات ، ثم نحر هديه وحلق رأسه ، ثم أفاض فطاف بالبيت .

وفي الصحيح(١٠١) عن ابن عباس أنه قال : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف إلّا أنه خفّف عن المرأة الحائض .

وقوله : ﴿ بالبيت العتيق ﴾ ، فيه مستَدَلٌّ[٧] لمن [ذهب إلىٰ أنه يجب][٨] الطواف من وراء الحجر ؛ لأنه من أصل البيت الذي بناه إبراهيم ، وإن كانت قريش قد أخرجوه من البيت ، حين قصرت بهم النفقة . ولهذا طاف رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من وراء الحجْر ، وأخبر أن الحجر من البيت ، ولم يستلم الركنين الشاميين ؛ لأنهما لم يتمما علىٰ قواعد إبراهيم العتيقة ، ولهذا قال ابن أبي حاتم(١٠٢) :

حدثنا أبي ، حدثنا ابن[٩] أبي عمر العدني[١٠] ، حدثنا سفيان ، عن هشام بن حجر ،

---

(١٠١) صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، حديث (٣٢٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب الحج (١٣٢٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

---

[١] -
[٢] - في ز : بالحج .
[٣] - في خ : « نحوه » .
[٤] - في ز : فيقول .
[٥] - في ز : « فليطوفوا » .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في خ : « منزل » .
[٨] - في خ : « يوجب » .
[٩] - سقط من ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : « العنزي » .

عن رجلٍ ، عن ابن عباس ؛ قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وليطوفوا بالبيت العتيق** ﴾ ، طاف رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، من ورائه .

وقال قتادة ، عن الحسن البصري في قوله : ﴿ **وليطوفوا بالبيت العتيق** ﴾ ، قال[١] : لأنه أول بيت وضع للناس . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وعن عكرمة أنه قال : إنما سمي البيت العتيق ؛ لأنه أعتق يوم الغرق زمن نوح .

وقال خصيف : إنما سمي البيت العتيق ؛ لأنه لم يظهر عليه جبار قط .

وقال ابن أبي نجيح وليث ، عن مجاهد : أعتق من الجبابرة أن يُسلّطوا عليه . وكذا قال قتادة .

وقال حماد بن سلمة ، عن حميد ، عن الحسن بن مسلم ، عن مجاهد : لأنه لم يرده أحد بسوء إلا هلك .

وقال عبد الرزاق(١٠٣) ، عن معمر ، عن الزهري[٢] ، عن ابن[٣] الزبير ؛ قال : إنما سمي البيت العتيق ؛ لأن اللّه أعتقه من الجبابرة .

وقال الترمذي(١٠٤) : حدثنا محمد بن إسماعيل وغير واحد ، حدثنا عبد اللّه بن صالح ، أخبرني الليث ، عن عبد الرحمن بن خالد ، عن ابن شهاب ، عن محمد بن عروة ، عن عبد اللّه بن الزبير ؛ قال : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **إنما سمي البيت العتيق ؛ لأنه لم يظهر عليه جبار** » وكذا رواه ابن جرير ، عن محمد بن سهل النجاري[٤] ، عن عبد اللّه بن صالح ، به . وقال : إن كان صحيحًا . وقال الترمذي : « **هذا حديث حسن غريب** » ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مرسلًا .

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟

(١٠٢) ورواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٤١/٦) .

(١٠٣) تفسير عبد الرزاق (٣٢/٢) .

(١٠٤) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن (٣١٧٠) وأخرجه الحاكم في مستدركه والبيهقي في الشعب . وقال الحاكم : على شرط مسلم .

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - في ز ، خ : « المحاربي » .

قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

يقول تعالى : هذا الذي[١] أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك ، وما لفاعلها من الثواب الجزيل .

﴿ **ومن يعظم حرمات الله** ﴾ . أي : ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ، ويكون ارتكابها عظيمًا في نفسه ﴿ **فهو خير له عند ربه** ﴾ . أي : فله علىٰ ذلك خير كثير وثواب جزيل ، فكما علىٰ فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل ، كذلك علىٰ ترك المحرمات والمحظورات .

قال ابن جريج : قال مجاهد في قوله : ﴿ **ذلك ومن يعظم حرمات الله** ﴾ قال : الحرمة : مكة والحج والعمرة ، وما نهىٰ الله عنه من معاصيه كلها . وكذا قال ابن زيد .

وقوله : ﴿ **وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلىٰ عليكم** ﴾ . أي : أحللنا لكم جميع الأنعام ، وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام .

وقوله : ﴿ **إلا ما يتلىٰ عليكم** ﴾ أي : من تحريم ﴿ **الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع ...** ﴾ الآية . قال ذلك ابن جرير ، وحكاه عن قتادة .

وقوله : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور** ﴾ « من » هاهنا لبيان الجنس ، أي : اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ، وقرن الشرك بالله بقول الزور ، كقوله : ﴿ **قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا علىٰ الله ما لا تعلمون** ﴾ . ومنه شهادة الزور ، وفي الصحيحين(١٠٥) عن أبي بكرة قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟** » . قلنا : بلىٰ ، يا رسول الله ؛ قال : « **الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين** » . وكان متكئًا فجلس فقال : « **ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور** » . فما[٢] زال يكررها حتىٰ قلنا : ليته سكت .

---

(١٠٥) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات حديث (٢٦٥٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (٨٧) .

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : « ما » .

وقال الإمام أحمد(١٠٦) : حدثنا مروان بن معاوية الفزاري ، أنبأنا سفيان بن زياد ، عن فاتك بن فضالة ، عن أيمن بن خُرَيم قال : قام رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، خطيبًا فقال : « **يا أيها الناس ؛ عَدَلت شهادة الزور إشراكًا بالله** » - ثلاثًا - ثم قرأ : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور** ﴾ . وهكذا رواه الترمذي عن أحمد ابن منيع ، عن مروان[١] بن معاوية ، به ، ثم قال : غريب ، إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد ، وقد اختلف عنه في روايته[٢] هذا الحديث ، [ولا نعرف لأيمن][٣] بن خريم سماعًا من النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم .

وقال الإمام أحمد أيضًا (١٠٧) : حدثنا محمد بن عبيد ، حدثنا سفيان العصفري[٤] ، عن أبيه ، عن حبيب بن النعمان الأسدي ، عن خريم بن فاتك[٥] الأسدي قال : صلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، الصبح ، فلما انصرف قام قائمًا فقال : « **عَدَلت شهادة الزور الإشراك[٦] بالله عز وجل** ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **واجتنبوا قول الزور * حنفاء لله غير مشركين به** ﴾ » .

وقال سفيان الثوري : عن عاصم بن أبي النَّجُود[٧] ، عن وائل بن ربيعة ، عن ابن مسعود أنه قال : تعدل شهادة الزور بالشرك بالله ، ثم قرأ هذه الآية .

---

(١٠٦) المسند (١٧٨/٤) (١٧٨٥٤) ، وإسناده ضعيف : فاتك بن فضالة : مجهول الحال . والحديث أخرجه الترمذي في كتاب الشهادات ، باب : ما جاء في شهادة الزور ، عن أيمن بن خريم (٤٧٤/٤ -٤٧٥) حديث (٢٢٩٩) ، (٢٣٠٠) . وأبو داود في كتاب الأقضية ، باب : في شهادة الزور (٣٠٥/٣ -٣٠٦) حديث (٣٥٩٩) . وابن ماجه في كتاب الأحكام ، باب : في شهادة الزور كلاهما عن خريم بن فاتك مرفوعًا (٧٩٤/٢) حديث (٢٣٧٢) . وضعفه الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٦٤٠٢) وعزاه لتخريج الترغيب (١٦٦/٣) .

(١٠٧) المسند (٣٢١/٤) (١٨٩٥١) . زياد ويقال : دينار ، والد سفيان : قال في التقريب: مقبول من الثالثة . وحبيب : مقبول من الثالثة . والحديث رواه أبو داود في كتاب الأقضية ، باب : في شهادة الزور (٣/ ٣٠٥/ح ٣٥٩٩). والترمذي في سننه في كتاب الشهادات، باب : ما جاء في شهادة الزور (٤/ ٤٧٥/ح ٢٣٠٠). وقال: هذا عندي أصح ، وخريم بن فاتك له صحبة ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث وهو مشهور. وابن ماجة في سننه في كتاب الأحكام ، باب : شهادة الزور (٢/ ٧٩٤/ح ٢٣٧٢).

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - في ت : « رواية » .
[٣] - في ز ، خ : « ولا يعرف إلا عن » .
[٤] - في خ : « العصيفري » .
[٥] - في ز ، خ : « مقاتل » .
[٦] - في ز ، خ : « بالإشراك » .
[٧] - في ز ، خ : « المجرد » .

وقوله : ﴿ **حنفاء لله** ﴾ . أي : مخلصين له الدين ، منحرفين عن الباطل قصدًا إلىٰ الحق ، ولهذا قال : ﴿ **غير مشركين به** ﴾ .

ثم ضرب للمشرك مثلًا في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدىٰ ، فقال : ﴿ **ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء** ﴾ ؛ أي : سقط منها ﴿ **فتخطفه الطير** ﴾ أي : تقطعه الطيور في الهواء ، ﴿ **أو تهوي به الريح في مكان سحيق** ﴾ ؛ أي : بعيد مهلك لمن هوىٰ فيه ، ولهذا جاء في حديث البراء(١٠٨) : « **إن الكافر إذا توفته ملائكة الموت ، وصعدوا بروحه إلىٰ السماء ، فلا تفتح له أبواب السماء ، بل تطرح روحه طرحًا من هناك** » . ثم قرأ هذه الآية ، وقد تقدم الحديث في سورة إبراهيم بحروفه وألفاظه وطرقه . وقد ضرب تعالى للمشرك مثلًا آخر في سورة الأنعام ، وهو قوله : ﴿ **قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد علىٰ أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلىٰ الهدىٰ ائتنا قل إن هدىٰ الله هو الهدىٰ** ﴾ . الآية .

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

يقول تعالىٰ : هذا ﴿ **ومن يعظم شعائر الله** ﴾ . أي : أوامره ﴿ **فإنها من تقوىٰ القلوب** ﴾ . ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن ، كما قال الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس : تعظيمها استسمانها واستحسانها .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا حفص بن غياث ، عن ابن أبي ليلىٰ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **ذلك ومن يعظم شعائر الله** ﴾ قال : الاستسمان والاستحسان والاستعظام .

وقال أبو أمامة بن سهل[١] : كنا نسمن الأضحية بالبرية[٢] ، وكان المسلمون يسمنون . رواه البخاري(١٠٩) .

وعن أبي هريرة : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال[٣] : « **دم عفراء أحب إلى**

---

(١٠٨) تفسير الطبري (١١٢/١٧) .

(١٠٩) صحيح البخاري (٩/١٠) « فتح » معلقًا .

---

[١] - في ز ، خ : « سميل » .
[٢] - في ت : « بالمدينة » .
[٣] - سقط من خ .

الله من دم سوداوين » . رواه أحمد وابن ماجة(١١٠) .

قالوا : والعفراء هي : البيضاء بياضًا ليس بناصع ، فالبيضاء أفضل من غيرها ، وغيرها يجزئ أيضًا ؛ لما ثبت في صحيح البخاري(١١١) عن أنس : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ضحّىٰ بكبشين أملحين أقرنين .

وعن أبي سعيد(١١٢) : أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ضحّىٰ بكبش أقرن فحيل[١] ، يأكل في سواد ، وينظر في سواد ، ويمشي في سواد . رواه أهل السنن ، [وصححه الترمذي ، أي][٢]: بكبش أسود[٣] في هذه الأماكن .

[وفي][٤] سنن ابن ماجة(١١٣) ، عن أبي رافع : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، ضحىٰ بكبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موجوءين . قيل : هما الخَصِيان . وقيل : هما[٥] اللذان رُضَّ خصياهما ولم يقطعهما . والله أعلم .

---

(١١٠) المسند (٤١٧/٢) ولم يقع لي في سنن ابن ماجه .

(١١١) صحيح البخاري ، كتاب الأضاحي حديث (٥٥٥٨) .

(١١٢) سنن أبي داود ، كتاب الضحايا حديث (٢٧٩٦) ، وسنن الترمذي ، كتاب الأضاحي حديث (١٤٩٦) ، وسنن النسائي ، كتاب الضحايا (٢٢١/٧) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب الأضاحي (٣١٢٨) .

(١١٣) حديث أبي رافع رواه أحمد (٨/٦) : ثنا حسين ، نا شريك عن عبد الله بن محمد ، عن على بن حسين ، عن أبي رافع ؛ قال : ضحى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بكبشين أملحين موجبين خصيين فقال : « أحدهما عمن شهد بالتوحيد وله بالبلاغ ، والآخر عنه وعن أهل بيته » قال : فكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلم قد كفانا .

وشريك : ضُعِف لسوء حفظه . وعبد الله بن محمد بن عقيل : حسن له الأئمة . والحديث أخرجه الطبراني في الكبير (١/ ٣١١، ٣١٢، ٣٢١/رقم : ٩٢٠ - ٩٢٣، ٩٥٧) . وفي الأوسط كما في مجمع البحرين (٣/ ٢٩٣، ٢٩/رقم : ١٨٤١) . والبزار كما في كشف الأستار رقم (١٢٠٨) .وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢١، ٢٢) وقال : « رواه أحمد ، وإسناده حسن ، ثم ذكر لفظًا آخر وقال : رواه البزار ، وأحمد بنحوه ، ورواه الطبراني في الكبير بنحوه » ثم ذكر لفظ حديث أبي رافع في الأوسط قال : « رواه في الكبير بنحوه ، وإسناد أحمد والبزار حسن » .

والحديث لم يقع في سنن ابن ماجه من حديث أبي رافع وإنما هو من حديث عائشة وأبي هريرة حديث (٣١٢٢) .

---

[١] - في خ : « محل »

[٢] - في خ : « وضحى اليزيدي أبي قتيبة » . وفي ز : « الترمذي أبي قتيبة » .

[٣] - في ز ، خ : « سواد » .

[٤] - في ز : أي .

[٥] - سقط من ت ، ز .

وكذا روىٰ أبو داود ، وابن ماجة(١١٤) عن جابر : ضحّىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بكبشين أقرنين أملحين موجوءين .

وعن علي - رضي اللّٰه عنه - قال : أمرنا رسول اللّٰه ، صلى اللّٰه عليه وسلم ، أن نستشرف(*) العين والآذان[١] ، وأن لا نضحي بمقابلة ولا مدابرة [ولا شرقاء ولا خرقاء][٢] . رواه أحمد(١١٥) وأهل السنن ، وصححه الترمذي ، ولهم عنه(١١٦) ، قال : نهىٰ رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أن يضحىٰ بأعضب القرن والأذن .

وقال سعيد بن المسيب : [المعضب : المنصف][٣] فأكثر .

وقال بعض أهل اللغة : إن كسر قرنها الأعلىٰ فهي قصماء ، فأما العضب ؛ فهو كسر الأسفل ، وعضب الأذن قطع بعضها .

وعند الشافعي : أن التضحية[٤] بذلك مجزئة ، لكن تكره .

وقال أحمد : لا تجزئ الأضحية بأعضب القرن والأذن لهذا الحديث .

وقال مالك : إن كان الدم يسيل من القرن لم يجزئ ، وإلا أجزأ . واللّٰه أعلم .

وأما المقابلة : فهي التي قطع مقدم أذنها ، والمدابرة : من مؤخر أذنها . والشرقاء : هي التي قطعت أذنها طولًا . قاله الشافعي . والخرقاء : هي التي خرقت[٥] السمة أذنها خرقًا مدوّرًا[٦] ، واللّٰه أعلم .

وعن البراء قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أربع لا تجوز في الأضاحي:**

---

(١١٤) - سنن أبي داود ، كتاب الضحايا ، باب : ما يستحب من الضحايا حديث (٢٧٩٥) .

(*) - استشرف الشيء : رفع رأسه ينظر إليه . والمعنى : نبحث عنهما ، ونتأمل في حالهما لئلا يكون فيهما عيب .

(١١٥) المسند (١/٨٠) ، وسنن أبي داود ، كتاب الضحايا (٢٨٠٤) ، وسنن الترمذي ، كتاب الأضاحي (١٤٩٨) ، وسنن النسائي (٧/٢١٧) ، وسنن ابن ماجه برقم (٣١٤٢) .

(١١٦) المسند (١/٨٣) ، وسنن أبي داود برقم (٢٨٠٥) ، وسنن الترمذي برقم (١٥٠٤) ، وسنن النسائي (٧/٢١٧) ، وسنن ابن ماجه ماجه برقم (٣١٤) .

---

[١] - في ت : « والأذن » .

[٢] - في ز ، خ : « ولا برثاء خرثاء » .

[٣] - في خ : « العضب : النصف » .

[٤] - في ز : الضحية .

[٥] - في خ : « قطعت » .

[٦] - في ز ، خ : « مدارا » .

العوراء البيِّنُ عَوَرها ، والمريضة البين مرضها ، والعرجاء البين ظلعها ، والكسيرة[١](*) التي لا تنقي(**) » . رواه أحمد(١١٧) وأهل السنن ، وصححه الترمذي ، وهذه العيوب تنقص اللحم ؛ لضعفها وعجزها عن استكمال الرعي ؛ لأن الشاء يسبقونها إلىٰ المرعىٰ ، فلهذا لا تجزئُ التضحية بها عند الشافعي وغيره من الأئمة - كما هو ظاهر الحديث - واختلف قول الشافعي في المريضة مرضًا يسيرًا علىٰ قولين .

ورویٰ أبو داود (١١٨) ، عن عتبة بن عبد السلمي : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه

---

(١١٧) المسند (٢٨٤/٤) (١٨٥٦١) ، ورواه أحمد حديث (١٨٧٢٩) وأخرجه أبو داود في كتاب الأضاحي ، باب : ما يكره من الضحايا حديث (٢٨٠٢) (٩٧/٣) . والترمذي في كتاب الأضاحى (٢٠) ، باب : مالا يجوز من الأضاحي حديث (١٤٩٧) (٧٢/٤ - ٧٣) . والنسائي في كتاب الأضاحي ، باب : العرجاء (٢١٥/٧) . وابن ماجة في كتاب الأضاحي ، باب : ما يكره أن يضحى به حديث (٣١٤٤) (١٠٥٠/٢ - ١٠٥١) . والدارمي في كتاب الأضاحي ، باب : ما لا يجوز من الأضاحي حديث (١٩٥٦) (٤/٢) . والطيالسى (٧٤٩) ، وابن خزيمة (٢٩١٢) . وابن الجارود (٩٠٧) ، والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (١٦٨/٤) .

وابن حبان في «صحيحه » حديث (٥٩٢٢) (٢٤٥/١٣) . والحاكم (٤٦٧/١ - ٤٦٨) وعنه البيهقي في « الكبرى » (٢٤٢/٥) ، (٢٧٤/٩) من طرق عن شعبة ، عن سليمان بن عبد الرحمن ، عن عبيد بن فيروز قال : سألت البراء ، فذكر الحديث مطولاً ومختصرًا واللفظ متقارب . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث عبيد بن فيروز عن البراء والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم . وقال الحاكم : هذا حديث صحيح ، ولم يخرجاه لقلة روايات سليمان بن عبد الرحمن وقد أظهر علي بن المديني فضائله وإتقانه ، ولهذا الحديث شواهد متفرقة بأسانيد صحيحة ولم يخرجاها ، ثم ذكر شواهد له فراجعها إن شئت . وأخرجه أيضًا الترمذي حديث (١٤٩٧) (٧٢/٤) من طريق يزيد بن أبي حبيب . وأخرجه النسائي (٢١٥/٧ - ٢١٦) . والطحاوي في « شرح معاني الآثار » (١٦٨/٤) . وابن حبان في « صحيحه » (٥٩١٩ ، ٥٩٢١) والبيهقي في « الكبرى » (٢٧٤/٩) . من طرق عن عمرو بن الحارث والليث بن سعد . كلهم : عمرو بن الحارث ، والليث بن سعد ، ويزيد بن أبي حبيب عن سليمان بن عبد الرحمن به . وقد رواه عثمان بن علي ، عن الليث ، عن سليمان بن عبد الرحمن ، عن القاسم مولى خالد ابن يزيد بن معاوية عن عبيد بن فيروز به . أخرجه البيهقي (٢٧٤/٩) . وقال : الحديث رواه يزيد بن أبي حبيب ، وشعبة بن الحجاج عن سليمان بن عبد الرحمن وذكر شعبة سماع سليمان من عبيد بن فيروز ، وفيما بلغني عن أبي عيسى الترمذي عن محمد بن إسماعيل البخاري أنه كان يميل إلى تصحيح رواية شعبة ، ولا يرضى رواية عثمان ابن عمر والله أعلم .

(*) الكسير : أي : المنكسرة الرِّجْل ، التى لا تقدر على المَشْيِ ، فعيل بمعنى مفعول . نهاية [١٧٢/٤].

(**) لا تُنْقِي : أي : التى لامُخّ لها ، لضَعْفِها وهُزالها . نهاية [١١١/٥] .

(١١٨) سنن أبي داود ، كتاب الضحايا ، باب : ما يكره من الضحايا حديث (٢٨٠٣) . ورواه أحمد .

---

[١] - في ز ، خ : « الكسير » .

وسلم ، نهىٰ عن المصْفَّرة ، والمستأصلة ، والبخقاء ، والمشيَّعة ، والكسراء[١] . فالمصفرة قيل : الهزيلة . وقيل : المستأصلة الأذن . والمستأصلة : المكسورة القرن . والبخقاء : هي العوراء ، والمشيعة : هي التي لا تزال تشيع خلف الغنم ولا تَتْبَع لضعفها . والكسراء[٢] : العرجاء .

فهذه العيوب كلها مانعة [من الإجزاء ، فإن طرأ العيب][٣] بعد تعيين الأضحية ، فإنه لا يضر عيبه عند الشافعي خلافًا لأبي حنيفة .

وقد روىٰ الإمام أحمد(١١٩) ، عن أبي سعيد قال : اشتريت كبشًا [أضحي به][٤] ، فعدا الذئب فأخذ الألية ، ، فسألت النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال : « ضح به » .

---

(١١٩) المسند (٣٢/٣) (١١٢٩٠) . ثنا وكيع ، ثنا سفيان ، عن جابر ، عن محمد بن قرظة ، عن أبي سعيد الخدري ... فذكره ، وهذا إسناد ضعيف جدًّا من أجل جابر الجعفي ، ومحمد بن قرظة : هو ابن كعب الأنصاري ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن القطان : لا يعرف ، وقال عبد الحق يقال : إنه لم يسمع من أبي سعيد ، وقال الذهبي في الميزان : ما روى عنه غير جابر الجعفي ، روى له ابن ماجة .

وجابر ، هو ابن يزيد الجعفي : قال ابن عبد الحكم : سمعت الشافعي يقول : قال سفيان الثوري لشعبة : لئن تكلمت في جابر الجعفي لأتكلمن فيك . قال أحمد بن حنبل : تركه يحيى وعبدالرحمن . وقال محمد بن بشار عن ابن مهدي : ألا تعجبون من سفيان بن عيينة ، لقد تركت لجابر الجعفي لما حكى عنه أكثر من ألف حديث ثم هو يحدث عنه . وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال في موضع آخر : ليس بثقة ، ولا يكتب حديثه . وقال الحاكم أبو أحمد : ذاهب الحديث . وقال ابن عدي : له حديث صالح ، وشعبة أقل رواية عنه من الثوري ، وقد احتمله الناس وعامة ما قذفوه به أنه كان يؤمن بالرجعة ، وهو مع هذا إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق . وقال ابن سعد : كان يدلس ، وكان ضعيفًا جدًّا في رأيه وروايته . وقال العقيلي في الضعفاء : كذبه سعيد بن جبير . وقال العجلي : كان ضعيفًا يغلو في التشيع ، وكان يدلس . د ت ق .

وقال عنه الذهبي في الكاشف : من أكبر علماء الشيعة ، وثقه شعبة فشذ ، وتركه الحفاظ . قال أبو داود : ليس في كتابي شيء سوى حديث السهو . وقال أحمد : ترك يحيى جابراً الجعفي ، حدثنا عنه ابن مهدي قديمًا عن شيبان أوسفيان ثم تركه بعد . وقال البخاري : تركه يحيى وابن مهدي . وقال النسائي : متروك . وقال ابن حزم في المحلى : كذاب (٢٠٤/٢) . وقال : ساقط (٢٩٤/٩) .

ومحمد بن قرظة ؛ قال عنه في التقريب : مجهول . وقال ابن القطان : لايعرف . وقال في الميزان : ما روى عنه سوى جابر الجعفي . وقال عبد الحق : لم يسمع من أبي سعيد .

أخرجه ابن ماجه - كتاب الأضاحى ، باب : ما يكره أن يضحى به (٣١٤٦) .

والطيالسى في مسنده (٢٢٣٧) ، والبيهقي في السنن (٢٨٩/٩) ، والمزى في تهذيب الكمال (٣١٦/١٦) ترجمة محمد بن قرظة .

=

ورواه أحمد (١١٧٥٩ ، ١١٨٣٦) (٧٨/٣ ، ٨٦) .

---

[١] - في خ : « الكسيرة » . وفي ز :الكبيرة. [٢] - في ز ، خ : « والكسيرة » .

[٣] - بياض في ز ، خ . وقبله في ز : « أي » . [٤] - في ز ، خ : « أضحية » .

ولهذا جاء في الحديث : أمرنا رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أن نستشرف العين والأذن . أي : أن تكون الهدية أو[١] الأضحية سمينة حسنة ثمينة ، كما رواه الإمام أحمد(١٢٠) وأبو داود ، عن عبد الله بن عمر قال : أهدىٰ عمر نجيبًا [فأعطي بها ثلاثمائة دينار][٢] ، فأتىٰ النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني أهديت نجيبًا ، فأعطيت بها ثلاثمائة دينار ، أفأبيعها وأشتري بثمنها بُدْنًا ؟ قال : « **لا**[٣] ، **انحرها إياها** » .

وقال الضحّاك ، عن ابن عباس : البدن من شعائر الله .

[وقال محمد بن أبي[٤] موسىٰ : الوقوف ومزدلفة والجمار والرمي والحلق والبدن : من شعائر الله][٥].

وقال ابن عمر : أعظم الشعائر البيت .

وقوله : ﴿ **لكم فيها منافع** ﴾ ، أي : لكم في البدن منافع ؛ من لبنها وصوفها وأوبارها وأشعارها وركوبها .

﴿ **إلى أجل مسمًّى** ﴾ . قال مقسم ، عن ابن عباس [في قوله][٦] : ﴿ **لكم فيها منافع إلى أجل مسمًّى** ﴾ . قال : ما لم تسمَّ بدنًا .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ **لكم فيها منافع إلىٰ أجل مسمىٰ** ﴾ قال : الركوب واللبن

= من طرق عن جابر بن يزيد به .

وقال البوصيري في الزوائد : في إسناده جابر الجعفي ، وهو ضعيف قد اتهم . قال الدميريّ : هو أثر روى فيه جابر الجعفي وهو كذاب . وقال الحافظ في التلخيص (١٥٨/٤) : ... ومداره على جابر الجعفي ، وشيخه محمد بن قرظة غير معروف ، ويقال إنه لم يسمع من أبي سعيد . وسئل الدارقطني عنه ، فقال : يرويه جابر الجعفى ، واختلف عنه ، فرواه الثوري عن جابر ، عن محمد بن قرظة ، عن أبي سعيد ، وخالفه أبو شيبة فرواه عن جابر عن محمد بن كعب القرظى عن أبي سعيد ، والقول قول الثوري .

وأخرجه عبد بن حميد في « المنتخب » (٨٩٩) ، والبيهقي معلقًا . ويأتى (١١٤٠٤) (٤٣/٣)

من طريق حماد بن سلمة عن الحجاج عن عطية عن أبي سعيد بنحوه .

وهذا إسناد ضعيف أيضًا من أجل الحجاج ، وعطية العوفي .

(١٢٠) المسند (١٤٥/٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب المناسك ، باب : تبديل الهدي حديث (١٧٥٦) .

[١] - في خ : « و » .
[٢] - في خ : « فأعطيت بها ثلاثة » .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - جاءت في خ بعد قوله : « ولكم فيها منافع » .
[٦] - سقط من ز ، خ .

والولد ، فإذا سميت[١] بدنة أو هديًا ذهب ذلك [كله . وكذا قال][٢] عطاء ، والضحاك ، وقتادة ، وعطاء[٣] الخراساني ، وغيرهم .

وقال آخرون : بل له أن ينتفع بها وإن كانت هديًا ، إذا احتاج إلىٰ ذلك ، كما ثبت في الصحيحين(١٢١) عن أنس : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، رأىٰ رجلًا يسوق بَدَنَة قال : « **اركبها** » . قال : إنها بدنة ! قال : « **اركبها ويحك !** » . في الثانية أو الثالثة .

وفي رواية لمسلم(١٢٢) ، عن جابر ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **اركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها** » .

وقال شعبة ، عن زهير بن أبي ثابت الأعمىٰ ، عن المغيرة بن حَذْف ، عن عليّ : أنه رأىٰ رجلًا يسوق بدنة ومعها ولدها فقال : لا تشرب من لبنها إلّا ما فضل عن[٤] ولدِها ، فإذا كان يوم النحر فاذبحها وولدها .

وقوله : ﴿ **ثم محلها إلىٰ البيت العتيق** ﴾ . أي : مَحِل الهدي وانتهاؤه إلىٰ البيت العتيق - وهو الكعبة - كما قال تعالىٰ : ﴿ **هديًا بالغ الكعبة** ﴾ . [وقال : ﴿ **والهدي معكوفًا أن يبلغ محله** ﴾ وقد تقدم الكلام علىٰ معنىٰ البيت العتيق قريبًا ، والله أعلم][٥] .

وقال ابن جريج ، عن عطاء قال[٦] : كان ابن عباس يقول : كل من طاف بالبيت فقد حلَّ ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ثم محلها إلىٰ البيت العتيق** ﴾ .

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥)

(١٢١) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب : ركوب البدن ، (١٦٩٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الحج (١٣٢٣) .
(١٢٢) صحيح مسلم ، كتاب الحج حديث (١٣٢٣) .

[١] - في ز : سمنت .
[٢] - في ز ، خ : « قاله » .
[٣] - في ز : مقاتل .
[٤] - في خ : من .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - سقط من ز .

يخبر تعالى أنه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعًا في جميع الملل .

قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : [﴿ ولكل[١] أمة][٢]جعلنا منسكًا ﴾ . قال : عيدًا . وقال عكرمة : ذبحًا . وقال زيد بن أسلم في قوله : ﴿ لكل أمة جعلنا منسكًا ﴾ : إنها مكة ، لم يجعل الله لأمة قط منسكًا غيرها .

وقوله[٣] : ﴿ ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ﴾ . كما ثبت في الصحيحين(١٢٣) عن أنس قال : أتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بكبشين أملحين أقرنين ، فسمى وكبر ، ووضع رجله على صفاحهما .

وقال الإمام أحمد بن حنبل(١٢٤) : حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا سلام بن مسكين ، عن عائذ الله المجاشعي ، عن أبي داود - وهو نفيع[٤] بن الحارث - عن زيد بن أرقم قال : قلت - أو قالوا - : يا رسول الله ؛ ما هذه الأضاحي ؟ قال : « سنة أبيكم إبراهيم » . قالوا[٥] : ما لنا منها ؟ قال : « بكل شعرة حسنة » . قالوا : فالصوف ؟ قال : « بكل شعرة من الصوف حسنة » . وأخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة في سننه من حديث سلام بن مسكين به .

وقوله : ﴿ فإلهكم إله واحد فله أسلموا ﴾ ، أي : معبودكم واحد ، وإن تنوعت شرائع الأنبياء ، ونسخ بعضها بعضًا ، فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ . ولهذا قال : ﴿ فله أسلموا ﴾ . أي : أخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته .

﴿ وبشر المخبتين ﴾ ، قال مجاهد : المطمئنين . وقال الضحاك وقتادة : المتواضعين . وقال

---

(١٢٣) صحيح البخاري ، كتاب الأضاحي ، باب : من ذبح الأضاحي بيده حديث (٥٥٥٨) ، وصحيح مسلم ، كتاب الأضاحي (١٩٦٦) .

(١٢٤) المسند (٣٦٨/٤) ، وإسناده ضعيف ؛ أبو داود ؛ قال الذهبي : تركوه وكان يترفض . وعائذ الله المجاشعي . قال البخاري : لا يصح حديثه . وقال أبو حاتم : منكر الحديث ولم يروي عنه غير سلام . قاله الذهبي . والحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأضاحي ، باب : ثواب الأضحية (١٠٤٥/٢) حديث ٣١٢٧. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩٧/٥) رقم الحديث (٥٠٧٥) . وعبد بن حميد (٢٥٩) . وأخرجه الحاكم (٣٨٩/٢) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

---

[١] - في ز : لكل .
[٢] - ما بين المعكوفين سقط من خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : « منيع » .
[٥] - في خ : « قال » .

السدي : الوجلين[١] . وقال عمرو بن أوس[٢] : [المخبتون][٣]: الذين لا يَظلمون ، وإذا ظُلموا لم ينتصروا .

وقال الثوري[٤] : ﴿ وبشر المخبتين ﴾ قال : المطمئنين الراضين بقضاء الله ، المستسلمين له .

وأحسن ما يفسر بما بعده ، وهو قوله : ﴿ الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ ، أي : خافت منه قلوبهم ﴿ والصابرين على ما أصابهم ﴾ أي : من المصائب .

قال الحسن البصري : والله لتصبرُنَّ أو لتهلكُنَّ .

﴿ والمقيمي الصلاة ﴾ قرأ الجمهور - بالإضافة - السبعةُ(*)، وبقيةُ العشرة أيضًا ، وقرأ ابن[٥] السَّمَيْقَع[٦] : ﴿ والمقيمين الصلاة ﴾ بالنصب . وقال الحسن البصري : (والمقيمي الصلاةَ)(**) ، وإنما حذفت النون هاهنا تخفيفًا ، ولو حذفت للإضافة لوجب خفض الصلاة ، وقيل[٧] على سبيل التخفيف[٨] فنصبت أي : المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم[٩] من أداء فرائضه .

﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ . أي : وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم[١٠] وأرقائهم وقراباتهم وفقرائهم ومحاويجهم ، ويحسنون إلى خلق الله مع محافظتهم على حدود الله ، وهذه بخلاف صفات[١١] المنافقين ، فإنهم بالعكس من هذا كله ، كما تقدم تفسيره في سورة براءة .

وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا

(*) المحتسب (٢/٨٠) .

(**) المحتسب (٢/٨٠) .

[١] - في خ : « الموصلين » .

[٢] - في ز ، خ : « إدريس » .

[٣] - في خ : « المسحنون » .

[٤] - في ز : النووي .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - في خ : « السميقيع » .

[٧] - في ت : « ولكن » .

[٨] - بياض في ز ، خ .

[٩] - في ز : عليه .

[١٠] - في خ : « أهلهم » .

[١١] - في خ : « صلاة » .

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ عباده فيما خلق لهم من البدن ، وجعلها من شعائره ، وهو أنه جعلها تهدىٰ إلىٰ بيته الحرام ، بل هي أفضل ما يهدىٰ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد** ﴾ الآية .

قال ابن جريج : قال عطاء في قوله : ﴿ **والبدن جعلناها لكم من شعائر الله** ﴾ ، قال : البقرة والبعير . وكذا رُوي عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري .

وقال مجاهد : إنما البدن من الإبل .

قلت : أما إطلاق البدنة علىٰ البعير فمتفق عليه ، واختلفوا في صحة إطلاق البدنة علىٰ البقرة علىٰ قولين ؛ أصحهما : أنه يطلق عليها ذلك شرعًا كما صح في الحديث .

ثم جمهور العلماء على أنه تجزئ البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة ، كما ثبت به الحديث عند مسلم (١٢٥) ، من رواية جابر بن عبد الله [وغيره][١] قال : أمرنا[٢] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أن نشترك في الأضاحي : البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة .

[وقال إسحاق بن راهويه وغيره : بل تجزئ البقرة عن سبعة والبعير عن عشرة][٣] . وقد ورد به حديث في مسند الإمام أحمد وسنن النسائي وغيرهما(١٢٦) ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **لكم فيها خير** ﴾ أى : ثواب في الدار الآخرة .

وعن سليمان بن يزيد الكعبي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله من إراقة[٤] دم ، وإنه ليأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع [من] الأرض ، فطِيبوا بها نفسًا** » . رواه ابن ماجة ، والترمذي

---

(١٢٥) صحيح مسلم ، كتاب الحج حديث (١٢١٨) .

(١٢٦) المسند (٢٧٥/١) ، وسنن النسائي (٢٢٢/٧) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال : « كان مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في سفر فحضر النحر فاشتركنا في البعير عن عشرة والبقرة عن سبعة» .

---

[١] – سقط من ت .
[٢] – في ز ، خ : « أمر » .
[٣] – سقط من ز ، خ .
[٤] – في ز : هراقة .

وحسنه(١٢٧) .

وقال سفيان الثوري : كان أبو حاتم يستدين ويسوق البدن ، فقيل له : تستدين وتسوق البدن ؟ فقال : إني سمعت الله يقول : ﴿ **لكم فيها خير** ﴾ .

وعن ابن عباس(١٢٨) قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **ما أنفقت الورق[١] في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد** » . رواه الدارقطني في سننه .

وقال إبراهيم النخعي : يركبها ويحلبها إذا احتاج إليها .

وقال مجاهد : ﴿ **لكم فيها خير** ﴾ قال : أجر ومنافع .

وقوله : ﴿ **فاذكروا اسم الله عليها صواف** ﴾ ، وعن [المطلب بن عبد الله بن حنطب ، عن][٢] جابر بن عبد الله قال : صليت مع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عيد الأضحى ، فلما انصرف أتى بكبش فذبحه ، فقال : « **بسم الله ، والله أكبر ، اللهم هذا[٣] عني وعمن لم يضحّ من أمّتي** » .

رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي(١٢٩) .

---

(١٢٧) سنن الترمذي ، كتاب الأضاحي (١٤٩٣) ، وسنن ابن ماجه ، كتاب الأضاحي (٣١٢٦) .

(١٢٨) سنن الدارقطني (٢٨٢/٤) من طريق إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن طاوس ، عن ابن عباس .

(١٢٩) المسند (٣٥٦/٣ ، ٣٦٢) (١٤٨٨١) (١٤٩٣٧) وإسناده ضعيف لانقطاعه : المطلب بن عبد الله بن حنطب : قال العلائي : قال البخاري : لا أعرف للمطلب عن أحدٍ من الصحابة سماعًا ، إلا قوله : حدثني من شهد خطبة النبي صلى الله عليه وسلم . وقال أبو حاتم : المطلب بن حنطب عامة أحاديثه مراسيل ، لم يدرك أحدًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا سهل بن سعد ، وأنساً ، وسلمة بن الأكوع ، أو من كان قريباً منهم ، ولم يسمع من جابر ، ولا من زيد بن ثابت ، ولا من عمران بن حصين . وقال مرة أخرى : لم يدرك عائشة ، ويشبه أن يكون أدرك جابراً .

فإن صح قول أبي حاتم الأخير – أنه يشبه أن يكون أدرك جابراً – بقيت علة عنعنة المطلب فإنه مدلس ، على ما وصفه به ابن حجر في التقريب ، فإنه قال : صدوق : كثير التدليس والإرسال .

وعمرو بن أبي عمرو مولى المطلب ، قال أحمد : ليس به بأس . وقال ابن معين وأبو داود : ليس بالقوي . وسيأتي قول النسائي فيه : ليس هو بالقوي في الحديث ، وإن كان قد روى عنه مالك في الحديث التالي . وقال الذهبي : صدوق ، حديثه مخرج في الصحيحين . =

---

[١] – في ز ، خ : « الرزق » .

[٢] – سقط من ز ، خ .

[٣] – سقط من خ .

وقال محمد بن إسحاق(١٣٠) ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن ابن عباس ، عن جابر قال : ضحىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بكبشين في يوم عيد ، فقال حين وجههما : « **وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ، اللهم منك ولك ، وعن محمد وأمته** » . ثم سمىٰ الله وكبر وذبح الذبائح[١] .

وعن عليّ بن الحسين ، عن أبي رافع : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، كان إذا ضحىٰ اشترىٰ كبشين سمينين أقرنين أملحين ، فإذا صلىٰ وخطب الناس أمر[٢] بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بنفسه بالمدية ، ثم يقول : « **اللهم هذا عن أمتي جميعها ، من شهد لك بالتوحيد ، وشهد لي بالبلاغ** » . ثم يؤتى بالآخر فيذبحه بنفسه ، ثم يقول : « **هذا عن محمد وآل محمد** » . فيطعمهما[٣] جميعًا المساكين[٤] ، ويأكل هو وأهله منهما[٥] .

[رواه أحمد وابن ماجة(١٣١)][٦] .

وقال الأعمش : عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **فاذكروا اسم الله عليها صواف** ﴾ ، قال : قيامًا علىٰ ثلاث قوائم ، معقولة يدها اليسرىٰ ، يقول : باسم الله ، والله أكبر ، اللهمّ منك ولك . وكذلك روى مجاهد وعلي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس نحو هذا .

= والحديث رواه أحمد ، حديث ١٤٨٨١ - (٣/٣٥٦) ، و١٤٩٣٩ - (٣/٣٦٢) .

ورواه أبو داود في كتاب الضحايا ، باب : في الشاة يضحى بها عن الجماعة ، حديث ٢٨١٠ .

والترمذي في كتاب الأضاحي ، باب (٢٢) ، ح١٥٢١ .

وقال الترمذي : هذا حديث غريب من هذا الوجه ، والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وغيرهم : أن يقول الرجل إذا ذبح بسم الله والله أكبر ، وهو قول ابن المبارك .

قال : والمطلب بن عبد الله بن حنطب يقال : إنه لم يسمع من جابر .

وقال الترمذي في موضع آخر من السنن ، كما سيأتي في الحديث التالي : المطلب لا نعرف له سماعاً من جابر ، والله أعلم .

(١٣٠) تقدم تخريج الحديث عند تفسير الآية : ١٦٢ من سورة الأنعام .

(١٣١) المسند (٦/٨) وتقدم الحديث في هذه السورة .

---

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - في ت : « أتى » .

[٣] - في ز ، خ : « فبلغهما » .

[٤] - في ز : للمساكين .

[٥] - في ز ، خ : « منها » .

[٦] - بياض في ز ، خ .

وقال ليث : عن مجاهد : إذا عقلت رجلها اليسرىٰ قامت علىٰ ثلاث . وروىٰ ابن أبي نجيح عنه نحوه .

وقال الضحاك : تعقل رجل واحدة فتكون على ثلاث .

وفي الصحيحين(١٣٢) عن ابن عمر : أنه أتىٰ علىٰ رجل قد أناخ بَدَنَته وهو ينحرها ، فقال : ابعثها قيامًا مقيّدة ، سنة أبي القاسم ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

وعن جابر(١٣٣) : أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرىٰ ، قائمة علىٰ ما بقي من قوائمها . رواه أبو داود .

وقال ابن لهيعة : حدثني عطاء بن دينار ، أن [سالم بن][١] عبد اللّٰه قال لسليمان بن عبد الملك : قف من شقها الأيمن ، وانحرْ من شقها الأيسر .

وفي صحيح مسلم(١٣٤) ، عن جابر في صفة حجة الوداع قال فيه : فنحر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بيده ثلاثًا وستين بدنة ، جعل يطعنها بحربة في يده .

وقال عبد الرزاق(١٣٥) : أخبرنا معمر عن قتادة قال : في حرف ابن مسعود : (**صوافن**) أي : معقولة[٢] قيامًا .

وقال سفيان الثوري : عن منصور ، عن مجاهد : من قرأها : (**صوافن**) قال : معقولة . ومن قرأها : ﴿ **صواف** ﴾ ، قال : تصف بين يديها .

---

(١٣٢) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب : نحر الإبل مقيدة حديث (١٧١٣) ، وصحيح مسلم كتاب الحج (١٣٢٠) .

(١٣٣) سنن أبي داود ، كتاب المناسك ، باب : كيف تنحر الإبل ، حديث (١٧٦٧) من حديث عثمان بن أبي شيبة ؛ قال : ثنا أبو خالد الأحمر ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر . وأخبرني عبد الرحمن بن سابط أن النبي ﷺ ... فذكره . ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن جريج عن عبد الرحمن بن سابط أن النبي ﷺ ... فذكره مرسلًا .

قال ابن القطان في كتابه – بعد أن ذكره من جهة أبي داود – : القائل : وأخبرني هو ابن جريج ، فيكون ابن جريج رواه عن تابعين – أحدهما أسنده وهو أبو الزبير ، والآخر أرسله وهو عبد الرحمن بن سابط .

(١٣٤) صحيح مسلم ، كتاب الحج حديث (١٢١٨) .

(١٣٥) تفسير عبد الرزاق (٢/٣٣) . وهي أيضاً قراءة ابن عمر وابن عباس وإبراهيم وأبي جعفر محمد بن علي والأعمش ، واختلف عنهما ، وعطاء بن أبي رباح والضحاك والكلبي . المحتسب (٢/٨١) .

---

[١] – سقط من خ . [٢] – في ز : معقلة .

وقال طاوس ، والحسن ، وغيرهما (**) : (فاذكروا اسم الله عليها صَوَافِيَ) يعني : خالصة لله عز وجل (***) ، وكذا رواه مالك عن الزهري .

وقال عبد الرحمن بن زيد : (صوافِيَ) ليس فيها شرك كشرك الجاهلية لأصنامها[١] .

وقوله : ﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾ قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : يعني سقطت إلىٰ الأرض . وهو رواية عن ابن عباس ، وكذا قال مقاتل بن حيان .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾ يعني : نحرت .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ فإذا وجبت جنوبها ﴾ يعني : ماتت .

وهذا القول هو مراد ابن عباس ومجاهد ، فإنه لا يجوز الأكل من البدنة إذا نحرت حتىٰ تموت وتبرد حركتها ، وقد جاء في حديث مرفوع : « ولا تُعجِلُوا النفوس أن تَزْهَقَ »(١٣٦) . وقد رواه الثوري في جامعه(١٣٧) ، عن أيوب ، عن يحيىٰ بن أبي[٢] كثير ، عن فرافصة الحنفي ، عن عمر بن الخطاب أنه قال ذلك ، ويؤيده حديث شداد بن أوس في صحيح[٣] مسلم(١٣٨) : « إن الله كتب الإحسان علىٰ كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح ، ولْيُحِدَّ أحدكم شفرته ، ولْيُرِحْ ذبيحته » .

وعن أبي واقد الليثي قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة » . ورواه[٤] أحمد وأبو داود والترمذي وصححه(١٣٩) .

(*) وكذا قرأ أبو موسى الأشعري وشقيق بن سلمة وزيد بن أسلم ،وسليمان التيمي ، ورويت عن الأعرج . المحتسب (٢/٨٢) .

(**) المحتسب (٢/٨٢) .

(١٣٦) رواه الدارقطني في السنن (٤/٢٨٣) من طريق سعيد بن سلام العطار عن عبد الله بن بديل عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة - رضي الله عنه - مرفوعًا وسعيد بن سلام العطار كذبه أحمد وابن نمير ، وضعف البيهقي هذا الحديث في السنن الكبرى (٩/٢٧٨) .

(١٣٧) ومن طريقه رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩/٢٧٨) .

(١٣٨) صحيح مسلم ، كتاب الصيد والذبائح ، حديث (١٩٥٥) .

(١٣٩) المسند (٥/٢١٨) (٢١٩٩٨ ، ٢١٩٩٩) ، وأخرجه أبو داود : كتاب الصيد باب في صيد قطع فيه قطعة (٣/ ١١٠/ رقم : ٢٨٥٨) . والترمذي : كتاب الأطعمة باب ما قطع من الحى فهو ميت (٤/ ٧٤/ رقم : ١٤٨٠) . وقال : وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زيد بن أسلم . كلهم=

---

[١] - في ز ، خ : « وأصنامهم » .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - في ز ، خ : « حديث » .
[٤] - في ز : ورواه .

وقوله : ﴿ فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ﴾ ، قال بعض السلف[١] : قوله : ﴿ فكلوا منها ﴾ أمر إباحة . وقال مالك : يستحب ذلك . وقال غيره : يجب . وهو وجه لبعض الشافعية .

واختلف[٢] في المراد بالقانع والمعتر ؛ فقال العوفي ، عن ابن عباس : ﴿ القانع ﴾ : المستغني بما أعطيته وهو في بيته . ﴿ والمعتر ﴾ : الذي يتعرض لك ، ويلم بك أن تعطيه من اللحم ، ولا يسأل . وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي .

وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ القانع ﴾ : المتعفف ، ﴿والمعتر ﴾ : السائل . وهذا قول قتادة وإبراهيم النخعي ومجاهد في رواية عنه .

وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم وابن الكلبي والحسن البصري ومقاتل بن حيان ومالك بن أنس : ﴿ القانع ﴾ : هو الذي يقنع[٣] إليك ويسألك . ﴿ والمعتر ﴾ : الذي يعتريك و[٤]يتضرع ولا يسألك . وهذا لفظ الحسن .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ القانع ﴾ : هو السائل . ثم قال : أما سمعت قول الشَّمَّاخ

لمال[٥] المرء يصلحه فيغني مفاقره أعف من القنوع

قال : يغني من السؤال . وبه قال ابن زيد .

[وقال زيد بن][٦] أسلم : ﴿القانع ﴾ : المسكين الذي يطوف . ﴿ والمعتر ﴾ : الصديق والضعيف[٧] الذي يزور . وهو رواية عن عبد الله بن زيد أيضًا .

وعن مجاهد أيضًا : ﴿ القانع ﴾ : جارك الغني [الذي يبصر ما يدخل بيتك][٨] ﴿ والمعتر ﴾ : الذي يعتريك من الناس . وعنه أن القانع : هو الطامع ، والمعتر : هو الذي يعتر[٩] بالبدن من غني أو فقير . وعن عكرمة نحوه ، وعنه : ﴿ القانع ﴾ : أهل مكة .

واختار ابن جرير أن ﴿ القانع ﴾ هو السائل ؛ لأنه من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال ،

= من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي واقد به .

---

[١] – في ز ، خ : « الناس » .
[٢] – في خ : « واختلفوا » .
[٣] – في ز : يتبع .
[٤] – سقط من خ .
[٥] – في خ : « مال » .
[٦] – سقط من خ .
[٧] – سقط من خ .
[٨] – سقط من ز ، خ .
[٩] – في ز ، خ : « يعين » .

﴿ **والمعتر** ﴾ من الاعترار ، وهو : الذي يتعرض لأكل اللحم .

وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء إلىٰ أن الأضحية تجزأ ثلاثة أجزاء : فثلث لصاحبها يأكله ، وثلث يهديه لأصحابه ، وثلث يتصدق به علىٰ الفقراء ؛ لأنه تعالىٰ قال : ﴿ **فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر** ﴾ وفي الحديث الصحيح(١٤٠) أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال للناس : « **إني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث ، فكلوا وادخروا ما بدا لكم** » . وفي رواية(١٤١) : « **فكلوا وادخروا وتصدقوا** » . وفي رواية : « **فكلوا وأطعموا وتصدقوا** » .

والقول الثاني : أن المضحي يأكل النصف ، ويتصدق بالنصف ؛ لقوله في الآية المتقدمة : ﴿ **فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير** ﴾ . ولقوله في الحديث : « **فكلوا وادخروا وتصدقوا** » .

فإن أكل الكل ؛ فقيل : لا يضمن شيئًا ؛ وبه قال ابن سريج من الشافعية .

وقال بعضهم : يضمنها كلها بمثلها أو قيمتها . وقيل : يضمن نصفها . وقيل : ثلثها . وقيل : أدنىٰ جزء منها . وهو المشهور من مذهب الشافعي .

وأما الجلود ففي مسند أحمد(١٤٢) ، عن قتادة بن النعمان في حديث الأضاحي : « **فكلوا[١] وتصدقوا واستمتعوا بجلودها ولا تبيعوها** » . ومن العلماء من رخص في ذلك ، ومنهم من قال : يقاسم الفقراء ثمنها ، والله أعلم .

[مسألة]

عن البراء بن عازب(١٤٣) قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ، ثم نرجع فننحر ، فمن فعل ذلك[٢] فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم عجله[٣] لأهله ، ليس هو من النسك في شيء** » . أخرجاه .

(١٤٠) صحيح مسلم برقم (٩٧٧) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه .

(١٤١) رواه مالك في الموطأ (٢/٤٨٤) من حديث جابر رضي الله عنه .

(١٤٢) المسند (٤/١٥) (١٦٢٥٩) .

(١٤٣) صحيح البخاري ، كتاب الأضاحي ، باب : سنة الأضحية حديث (٥٥٤٥) ، وصحيح مسلم كتاب الأضاحي حديث (١٩٦١) .

[١] - سقط من ز ، خ .

[٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « يبديه » .

فلهذا قال الشافعي وجماعة من العلماء : إن أول وقت الأضحىٰ إذا طلعت الشمس يوم النحر ، ومضىٰ قدر صلاة العيد والخطبتين ، زاد أحمد : وأن يذبح الإمام بعد ذلك ، لما جاء في صحيح مسلم : « **وأن لا تذبحوا حتىٰ يذبح الإمام** »(١٤٤) .

وقال أبو حنيفة : أما أهل السواد من القرىٰ ونحوهم فلهم أن يذبحوا بعد طلوع الفجر ، إذ لا صلاة عيد عنده لهم ، وأما أهل الأمصار فلا يذبحوا حتىٰ يصلي الإمام ، والله أعلم .

ثم قيل : لا يشرع الذبح إلا يوم النحر وحده . وقيل : يوم النحر لأهل الأمصار ؛ لتيسر الأضاحي عندهم[١] ، وأما أهل القرىٰ فيوم النحر وأيام التشريق بعده ، وبه[٢] قال سعيد بن جبير .

وقيل : يوم النحر ويوم بعده للجميع[٣] .

وقيل : ويومان بعده ، وبه قال الإمام أحمد .

وقيل : يوم النحر وثلاثة أيام التشريق بعده . وبه قال الشافعي ؛ لحديث جبير بن مطعم : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **وأيام التشريق كلها ذبح** »(١٤٥) . رواه أحمد وابن حبان .

وقيل : إن وقت الذبح يمتد إلىٰ آخر ذي الحجة . وبه قال إبراهيم النخعي ، وأبو سلمة بن [عبد الرحمن][٤] وهو قول غريب .

وقوله : ﴿ **كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون** ﴾ ، يقول تعالىٰ : من أجل هذا ﴿ **سخرناها لكم** ﴾ ، أي : ذللناها لكم ، أي : جعلناها منقادة لكم خاضعة ، إن شئتم ركبتم ، وإن شئتم حلبتم ، وإن شئتم ذبحتم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ***

---

(١٤٤) لم يقع في مسلم هذا اللفظ .

(١٤٥) المسند (٨٢/٤) (١٦٨٠١) . والحديث أخرجه ابن حبان كما في الموارد (حديث ١٠٠٨) . والطبراني (١٣٨/٢) حديث (١٥٨٣) . قال الهيثمي في المجمع (٢٨/٤) : رواه أحمد وروى الطبراني في الأوسط عنه : « أيام التشريق كلها ذبح » ورجال أحمد وغيره ثقات . اهـ . وقال (٢٥٤/٣) : ورواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ؛ إلا أنه قال : « **وكل فجاج مكة منحر** » . ورجاله موثقون . اهـ . والبيهقي (٢٣٩/٥) . وابن حزم في المحلى (١٨٨/٧) .

---

[١] - في خ : « عنده » .

[٢] - في خ : « ولهذا » .

[٣] - في ز : الجميع .

[٤] - في ز ، خ : « سمرة » .

ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾ وقال في هذه الآية الكريمة : **﴿ كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ﴾** .

لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

يقول تعالىٰ : إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا ؛ لتذكروه عند ذبحها ، فإنه الخالق الرازق ، [لأنه لا][١] يناله شيء من لحومها ولا دمائها ، فإنه تعالىٰ هو الغني عما سواه .

وقد كانوا في جاهليتهم إذا ذبحوها لآلهتهم وضعوا عليها من لحوم قرابينهم ، ونضحوا عليها من دمائها[٢] ، فقال تعالىٰ : **﴿ لن ينال اللَّه لحومها ولا دماؤها ﴾** .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا محمد بن أبي حماد ، حدثنا إبراهيم ابن المختار ، عن ابن جريج قال : كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها ، فقال أصحاب رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : فنحن أحق أن ننضح ، فأنزل اللَّه : **﴿ لن ينال اللَّه لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوىٰ منكم ﴾** . أي : يتقبل ذلك ويجزي عليه . كما جاء في الصحيح(١٤٦) : « **إن اللَّه لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم**[٣] **ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** » وما جاء في الحديث : « **إن الصدقة لتقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد السائل ، وإن الدم ليقع من اللَّه بمكان قبل أن يقع علىٰ الأرض** »(١٤٧) . كما تقدم الحديث . رواه ابن ماجة ، والترمذي وحسنه عن عائشة مرفوعًا . فمعناه[٤] أنه سيق لتحقيق القبول من اللَّه لمن أخلص في عمله ، وليس له معنى يتبادر عند العلماء المحققين سوىٰ هذا ، واللَّه أعلم .

وقال وكيع : عن [يحيىٰ][٥] بن مسلم - أبي[٦] الضحاك - : سألت عامرًا الشعبي عن جلود الأضاحي ؟ فقال : **﴿ لن ينال اللَّه لحومها ولا دماؤها ﴾** ، إن شئت فبع ، وإن شئت فأمسك ، وإن شئت فتصدق .

(١٤٦) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، حديث (٢٥٦٤) .
(١٤٧) - رواه الترمذي في الأضاحي (١٤٩٣) ، وابن ماجه في الأضاحي (٣١٢٦) .

[١] - في ت : « لا أنه » .
[٢] - في خ : « دمائهم » .
[٣] - في ز : ألوانكم .
[٤] - في ز : بمعناه .
[٥] - بياض في ز ، خ .
[٦] - في ز ، خ : « بن » .

وقوله : ﴿ **كذلك سخرها لكم** ﴾ . أي : من أجل ذلك سخر لكم البدن ، ﴿ **لتكبروا الله علىٰ ما هداكم** ﴾ . أي : لتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه ، وما يحبه وما يرضاه ، ونهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه .

وقوله : ﴿ **وبشر المحسنين** ﴾ . أي : وبشر يا محمد ؛ المحسنين . أي : في عملهم ، القائمين بحدود الله ، المتبعين ما شرع لهم ، المصدقين الرسول فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربه عز وجل .

[مسألة]

وقد ذهب أبو حنيفة ومالك والثوري [إلىٰ القول][1] بوجوب الأضحية علىٰ من ملك نصابًا ، وزاد أبو حنيفة اشتراط الإقامة أيضًا ، واحتج لهم بما رواه أحمد(١٤٨) وابن ماجة بإسناد رجاله كلهم ثقات ، عن أبي هريرة مرفوعًا : « **من وجد سعة فلم يضح فلا يقربن مصلانا** » . على أن فيه غرابة ، واستنكره أحمد بن حنبل .

وقال ابن عمر : أقام رسول الله ، صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، عشر سنين يضحي . رواه الترمذي(١٤٩) .

وقال الشافعي وأحمد : لا تجب الأضحية ، بل هي مستحبة ؛ لما جاء في الحديث : « **ليس في المال حق سوىٰ الزكاة** »(١٥٠) . وقد تقدم أنه -عليه السلام- ضحىٰ عن أمته فأسقط ذلك وجوبها عنهم.

وقال أبو سريحة : كنت جارًا لأبي بكر وعمر ، فكانا لا يضحيان خشية أن يقتدي الناس بهما .

وقال بعض الناس : الأضحية سنة كفاية ، إذا قام بها واحد من أهل دار أو محلة سقطت عن الباقين ؛ لأن المقصود إظهار الشعار .

(١٤٨) المسند (٣٢١/٢) وسنن ابن ماجة برقم (٣١٢٣) . قال البوصيري في الزوائد (٥٠/٣) : في إسناده عبد الله بن عياش وإن روى له مسلم فإنما روى له في المتابعات والشواهد وقد ضعفه أبو داود والنسائي ، وقال أبو حاتم صدوق . وابن يونس : منكر الحديث وذكره ابن حبان في الثقات » . ثم نقل عن البيهقي أنه بلغه عن الترمذي: أن الصحيح عن أبي هريرة موقوف ا.هـ .

(١٤٩) سنن الترمذي في كتبا الأضاحي (١٥٠٧) وقال الترمذي : حسن .

(١٥٠) رواه ابن ماجه في الزكاة حديث (١٧٨٩) من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها .

[١] - في ز : بالقول .

وقد روىٰ الإِمام أحمد وأهل السنن(١٥١) ، وحسنه الترمذي ، عن مخنف بن سليم أنه سمع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول بعرفات : « **علىٰ كل أهل بيت في كل عام أضحاة وعتيرة ، هل تدرون ما العتيرة؟ هي التي تدعونها الرجَبيَّة**[١] » . وقد تكلم في إسناده .

وقال أبو[٢] أيوب : كان الرجل في عهد رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يضحي بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته ، فيأكلون ويُطعمون [حتىٰ تباهى][٣] الناس [فصار كما ترىٰ][٤] . رواه الترمذي(١٥٢) وصححه ، وابن[٥] ماجة .

وكان عبد اللّٰه بن هشام يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله . رواه البخاري .

فأما مقدار سن الأضحية فقد روىٰ مسلم(١٥٣) عن جابر أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **لا تذبحوا إلا مسنة إلّا أن يعسر**[٦] **عليكم ؛ فتذبحوا جذعة من الضأن** » .

ومن هاهنا ذهب الزهري إلىٰ أن الجذع ، لا يجزئ وقابله الأوزاعي فذهب إلى أن الجذع يجزئ من كل جنس ، وهما غريبان ، وقال الجمهور : إنما يجزئ الثنيُّ من الإِبل والبقر

(١٥١) المسند (٢١٥/٤)(١٧٩٤٤) وإسناده ضعيف : فيه أبي رملة : قال في التقريب : عامر أبو رملة – شيخ لابن عون – لا يعرف .

والحديث أخرجه أبو داود (٩٣/٣) (٢٧٨٨) في كتاب الضحايا ، باب : في ما جاء في إيجاب الأضاحي . والترمذي في كتاب الأضاحي ، باب : العتيرة ، حديث ١٥١٨ . والنسائي (١٦٧/٧ – ١٦٨) في كتاب الفرع والعتيرة . وابن ماجه (١٠٤٥/٢) حديث (٣١٢٥) في كتاب الاضاحي ، باب : الأضاحي والدية هي أم لا ؟ والبيهقي في سننه الكبرى (٣١٢/٩) . والطبراني في الكبير (٣١١/٢٢) حديث (٧٣٩) ، (٧٣٨) . وذكره ابن حجر في الإصابة (١٥١/٩) . قال أبو داود : العتيرة منسوخة ، هذا خبر منسوخ . وقال المنذري : وقال اليحصبي : وقال بعض السلف ببقاء حكمها .

وقال الخطابي : العتيرة تفسيرها في الحديث : أنها شاة تذبح في رجب ، وهذا هو الذي يشبه معنى الحديث ويليق بحكم التدين ، فأما العتيرة التي كان يعترها أهل الجاهلية ؛ فهي الذبيحة تذبح للصنم ، فيصب دمها على رأسه ، والعتر بمعنى الذبح ، واختلفوا في وجوب الأضحية ؛ فقال أكثر أهل العلم : أنها ليست بواجبة ، ولكنها مندوب إليها . وقال محمد بن الحسن : هي واجبة على المياسير . قلت : هذا الحديث ضعيف المخرج وأبو رملة مجهول . اهـ كلام الخطابي ، رحمه اللّٰه تعالى .

(١٥٢) سنن الترمذي ، كتاب الأضاحي (١٥٠٥) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب الأضاحي (٣١٤٧) .

(١٥٣) صحيح مسلم ، كتاب الأضاحي ، حديث (١٩٦٣) .

[١] – في ز ، خ : « المرجبة » .
[٢] – في ز ، خ : « ابن » .
[٣] – سقط من ز ، خ .
[٤] – سقط من ز ، خ .
[٥] – في ز ، خ : « ابن » .
[٦] – في ز : يعر .

والمعز ، والجذع من الضأن ، فأما الثني من الإبل فهو الذي له خمس سنين ودخل في السادسة ، ومن البقر [ماله سنتان ودخل في الثالثة ، وقيل :][١] ما له ثلاث و[٢]دخل في الرابعة . ومن المعز ما له سنتان[٣] . وأما الجذع من الضأن ؛ فقيل[٤] : ما له سنة ، وقيل : عشرة أشهر ، [وقيل : ثمانية أشهر][٥] ، وقيل : ستة أشهر ، وهو أقل ما قيل في سنه ، وما دونه فهو حمل ، والفرق بينهما أن الحمل شعر ظهره قائم ، والجذع شعر ظهره نائم ، قد انعدل صدعين ، والله أعلم .

۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

يخبر تعالىٰ أنه يَدْفع عن عباده الذين توكلوا عليه وأنابوا إليه شر الأشرار وكيد الفجار ، ويحفظهم ويكلؤهم وينصرهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ أليس الله بكاف عبده ﴾ وقال: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرًا ﴾ .

وقوله : ﴿ إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ . أي : لا يحب من عباده من اتصف بهذا ، وهو الخيانة في العهود والمواثيق ، لا يفي بما قال . والكفر[٦] : الجحد للنعم ، فلا يعترف بها .

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾

قال العوفي ، عن ابن عباس : نزلت في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة .

وقال غير واحد من السلف : هذه أول آية نزلت في الجهاد ، واستدل بهذه الآية بعضهم علىٰ أن السورة مدنية ، وقاله مجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد .

وقال ابن جرير : حدثني يحيىٰ بن داود الواسطي ، حدثنا إسحاق بن يوسف ، عن

[١] - سقط من ز .
[٢] - في ز : وقد .
[٣] - في ز : سنة .
[٤] - في ز : قيل .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في ز : الكفور .

سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم - هو البطين - عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : لما أخرج النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، من مكة ، قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ليهلكنّ . قال ابن عباس : فأنزل الله عز وجل : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله علىٰ نصرهم لقدير** ﴾ ، قال أبو بكر رضي الله تعالىٰ عنه : فعرفت أنه سيكون قتال .

و[١]رواه الإمام أحمد(١٥٤) ، عن إسحاق بن[٢] يوسف الأزرق ، به ، وزاد : قال ابن عباس : وهي أول آية نزلت في القتال .

ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما(١٥٥) ، وابن أبي حاتم من حديث إسحاق بن يوسف ، زاد الترمذي : ووكيع ، كلاهما عن سفيان الثوري ، به . وقال الترمذي : حديث[٣] حسن . وقد رواه غير واحد عن الثوري ، وليس فيه ابن عباس .

وقوله : ﴿ **وإن الله علىٰ نصرهم لقدير** ﴾ ، أي : هو قادر علىٰ نصر عباده المؤمنين من غير قتال ، ولكن هو يريد من عباده أن يبلوَ جهدهم في طاعته ، كما قال : ﴿ **فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتىٰ إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثاق فإما منًّا بعد وإما فداء حتىٰ تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله علىٰ من يشاء والله عليم حكيم** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون** ﴾ ، وقال : ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ ، [وقال : ﴿ **ولنبلونكم حتىٰ نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** ﴾ والآيات في هذا كثيرة؛ ولهذا قال ابن عباس في قوله: ﴿ **وإن الله على نصرهم لقدير** ﴾: وقد فعل][٤] .

وإنما شرع تعالىٰ الجهاد في الوقت الأليق به ، لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر

---

(١٥٤) تفسير الطبري (١٢٣/١٧) ، والمسند (٢١٦/١) .

(١٥٥) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن حديث (٣١٧١) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٤٥) .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - في ز : عن .

[٣] - سقط من ز ، خ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

عددًا ، فلو أَمَر المسلمين وهم أقل من العشر بقتال الباقين[١] لشق عليهم ، [ولهذا لما بايع أهل][٢] يثرب ليلة العقبة رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وكانوا نيفًا وثمانين ، قالوا : يا رسول اللَّه ، ألا نميل علىٰ أهل الوادي - يعنون أهل منى - ليالي منى فنقتلهم ؟ فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إني لم أومر بهذا** » . فلما بغىٰ المشركون ، وأخرجوا النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم من بين أظهرهم ، وهموا بقتله ، وشردوا أصحابه شَذَر مَذَر ، فذهب منهم طائفة إلىٰ الحبشة ، وآخرون إلىٰ المدينة ، فلما استقروا بالمدينة ، ووافاهم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، واجتمعوا عليه ، وقاموا بنصره ، وصارت لهم دار إسلام ، ومعقلًا يلجئون إليه ، شرع اللَّه جهاد الأعداء ، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك ، فقال تعالىٰ : ﴿ **أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن اللَّه علىٰ نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله** ﴾ .

قال العوفي ، عن ابن عباس : أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير حق ، يعني : محمدًا وأصحابه .

﴿ **إلا أن يقولوا ربنا الله** ﴾ ، أي : ما كان لهم إلىٰ قومهم إساءة ، ولا كان لهم ذنب ، إلا أنهم عبدوا اللَّه وحده لا شريك له ، وهذا استثناء منقطع بالنسبة [إلىٰ ما][٣] في نفس الأمر ، وأما عند المشركين فهو أكبر الذنوب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا باللَّه ربكم** ﴾ وقال تعالى في قصة أصحاب الأخدود : ﴿ **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا باللَّه العزيز الحميد** ﴾ ولهذا [ ][٤]لما كان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق ويقولون :

لاهُمّ لولا أنت ما اهتَدَينا ولا تَصَدّقْنا ولا صَلَّينا
فأنزِلَنْ سَكينَةً علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الأُلى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنةً أبينا

فيوافقهم رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، ويقول معهم آخر كل قافية ، فإذا قالوا : إذا أرادوا فتنة أبينا ، قال[٥] : « **أبينا** » ، يمد بها صوته .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولولا دفع اللَّه الناس بعضهم ببعض** ﴾ ، أي : لولا أنه يدفع عن قوم بقوم ، ويكشف شر أناس عن غيرهم بما يخلقه ويقدره من الأسباب ، لفسدت الأرض ، وأهلك القوي الضعيف .

---

[١] - في ز ، خ : « المنافقين » .
[٢] - في خ : « ولما بايع هذا أهل » .
[٣] - في خ : « لما » .
[٤] - في ز : قال .
[٥] - في ز : فيقول .

﴿ لهدمت صوامع ﴾ ، وهي المعابد الصغار للرهبان ، قاله [ابن عباس][١] ومجاهد وأبو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم .

وقال قتادة : هى معابد الصابئين ، وفي رواية عنه : صوامع المجوس .

وقال مقاتل بن حيان : هي البيوت التي على الطرق .

﴿ وبيع ﴾ وهي أوسع منها ، وأكثر عابدين فيها ، وهي للنصارىٰ أيضًا . قاله أبو العالية وقتادة والضحاك وابن صخر ومقاتل بن حيان وخصيف وغيرهم .

وحكىٰ ابن جرير[٢] عن مجاهد وغيره : أنها كنائس اليهود . وحكىٰ السدي عمن حدثه عن ابن عباس : أنها كنائس اليهود . ومجاهد إنما قال : هي الكنائس . والله أعلم .

وقوله : ﴿ وصلوات ﴾ قال العوفي ، عن ابن عباس : الصلوات : الكنائس . وكذا قال عكرمة والضحاك وقتادة : إنها كنائس اليهود . وهم يسمونها صَلُوتًا .

وحكى السدي عمن حدثه ، عن ابن عباس : أنها كنائس النصارى . وقال أبو العالية وغيره : الصلوات معابد الصابئين .

وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : الصلوات : مساجد لأهل الكتاب ولأهل الإسلام بالطرق . وأما المساجد فهى للمسلمين .

وقوله : ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرًا ﴾ فقد قيل : الضمير في قوله : ﴿ يذكر فيها ﴾ عائد إلىٰ المساجد ؛ لأنها[٣] أقرب المذكورات .

و[٤]قال الضحاك : الجميع يذكر فيها اسم الله كثيرًا .

وقال ابن جرير : الصواب : لهدمت صوامع الرهبان ، وبيع النصارىٰ ، وصلوات اليهود وهي كنائسهم ، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرًا ؛ لأن هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب . و[٥]قال بعض العلماء : هذا ترقٍّ من الأقل إلىٰ الأكثر ، إلىٰ أن ينتهي إلىٰ المساجد ، وهي أكثر عمارًا وأكثر عبادًا ، وهم ذوو[٦] القصد[٧] الصحيح .

---

[١] - بياض في ز ، خ .

[٢] - في خ : جبير .

[٣] - في ز : لأنه .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - سقط من ز .

[٦] - في ز ، خ : « دور » .

[٧] - في ز : الفضل .

وقوله : ﴿ ولينصرن اللّه من ينصره ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبت أقدامكم * والذين كفروا فتعسًا لهم وأضل أعمالهم ﴾ .

وقوله : ﴿ إن اللّه لقوي عزيز ﴾ وصف نفسه بالقوة والعزة ، فبقوته[١] خلق كل شيء فقدره تقديرًا ، وبعزته لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب ، بل كل شيء ذليل لديه فقير إليه ، ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور ، وعدوه هو المقهور ، قال اللّه تعالىٰ : ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ . وقال تعالى : ﴿ كتب اللّه لأغلبن أنا ورسلى إن اللّه لقوى عزيز ﴾ .

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾

قال ابن أبي حاتم : حدثنا[٢] أبي ، حدثنا أبو الربيع الزهراني[٣] ، حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب وهشام ، عن محمد قال : قال عثمان بن عفان : فينا نزلت : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ . فأخرجنا من ديارنا بغير حق ، إلا أن قلنا[٤] : ربنا اللّه ، ثم مُكنَّا في الأرض ، فأقمنا الصلاة ، وآتينا الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ، ونهينا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور ، فهي لي ولأصحابي .

وقال أبو العالية : هم أصحاب محمد ، صلى اللّه عليه وسلم .

وقال الصباح بن سوادة الكندي : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض ... ﴾ الآية ، ثم قال : ألا إنها ليست علىٰ الوالي وحده ، ولكنها علىٰ الوالي والمولى عليه ، ألا أنبئكم بما لكم علىٰ الوالي من ذلكم ، وبما للوالي عليكم منه ؟ إن لكم علىٰ الوالي من ذلكم أن يؤاخذكم[٥] بحقوق اللّه عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع ، وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ، ولا المستكرهة ، ولا المخالف سرها علانيتها .

وقال عطية العوفي : هذه الآية كقوله : ﴿ وعد اللّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

---

[١] - في ز : بقوته .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز ، خ : « المرهداني » .
[٤] - في خ : « يقولوا » .
[٥] - في ز : يأخذكم .

ليستخلفنهم في الأرض﴾ .

وقوله : ﴿**ولله عاقبة الأمور**﴾ كقوله تعالى : ﴿**والعاقبة للمتقين**﴾ .

وقال[١] زيد بن أسلم : ﴿**ولله عاقبة الأمور**﴾ : وعند الله ثواب ما صنعوا .

ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَـٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ۖ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَـٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

يقول تعالىٰ مسليًا نبيه محمدًا[٢] ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في تكذيب من خالفه من قومه : ﴿**وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح**﴾ إلىٰ أن قال : ﴿**وكذب موسىٰ**﴾ ، أي : مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات .

﴿**فأمليت للكافرين**﴾ ، أي : أنظرتهم وأخرتهم ، ﴿**ثم أخذتهم فكيف كان نكير**﴾ ، أي : فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي[٣] لهم .

ذكر بعض السلف أنه كان بين[٤] قول فرعون لقومه : أنا ربكم الأعلى . وبين إهلاك الله له أربعون سنة .

وفي الصحيحين(١٥٦) عن أبي موسىٰ ، عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، أنه

(١٥٦) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٦٨٦) ، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب (٢٥٨٣) .

[١] - سقط من خ .
[٢] - في ز : محمد .
[٣] - في ز ، خ : « وعاقبتي » .
[٤] - في ز : من .

قال : « إن اللّه ليملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يفلته » ، ثم قرأ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة [إن أخذه أليم شديد ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ فكأين من قرية أهلكناها ﴾ ، أي : كم من قرية أهلكتها ﴿ وهي ظالمة][١] ﴾ أي : مكذبة لرسولها ﴿ فهي خاوية علىٰ عروشها ﴾ قال الضحاك : سقوفها ، أي : قد[٢] خربت منازلها ، وتعطلت حواضرها .

﴿ وبئر معطلة ﴾ أي : لا يستقى منها ولا يردها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها .

﴿ وقصر مشيد ﴾ قال عكرمة : يعني المبيض بالجص .

وروي عن علي بن أبي طالب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبي المليح والضحاك نحو ذلك .

وقال آخرون : هو المنيف المرتفع .

وقال آخرون : هو[٣] الشديد المنيع الحصين .

وكل هذه الأقوال متقاربة ، ولا منافاة بينها ، فإنه لم يحم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ، ولا إحكامه ولا حصانته ، عن حلول بأس اللّه بهم ، كما قال تبارك وتعالىٰ : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ .

وقوله : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾ ، أي : بأبدانهم وتفكرهم[٤] أيضًا ، وذلك كافٍ ، كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار :

حدثنا هارون بن عبد اللّه ، حدثنا سيار ، حدثنا[٥] جعفر ، حدثنا مالك بن دينار قال : أوحىٰ اللّه تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليه السلام : أن يا موسىٰ اتخذ نعلين من حديد وعصا ، و[٦]سح في الأرض ، ثم[٧] اطلب الآثار والعبر ، حتىٰ تتخرق النعلان ، وتكسر العصا .

و[٨]قال ابن أبي الدنيا : قال بعض الحكماء : [أحي قلبك بالمواعظ][٩] ، ونوّره بالفكر ، وموته بالزهد ، وقوّه باليقين ، وذلله [بالموت وقرره بالفناء][١٠] ، وبصره فجائع[١١] الدنيا ،

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في خ : بفكرهم .
[٥] - في ز : بن .
[٦] - في ز : ثم .
[٧] - في ز : و .
[٨] - سقط من ز .
[٩] - في ز : « أحي عليك بالواعظ » .
[١٠] - في ز : « بالقرب وتدبره بالثناء » .
[١١] - في ز : بمجامع .

وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الأيام ، واعرض عليه أخبار الماضين ، وذكره [ما أصاب][١]من كان قبله ، وسر[٢] في ديارهم وآثارهم وانظر[٣] ما فعلوا ، وأين حلوا وعم انقلبوا [أي : فانظروا][٤] ما حل بالأمم المكذبة من النقم[٥] والنكال ، ﴿ **فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها** ﴾ أي : فيعتبرون بها ، ﴿ **فإنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور** ﴾ ، أي : ليس العمىٰ عمىٰ البصر ، وإنما العمىٰ عمىٰ البصيرة ، وإن كانت القوة الباصرة سليمة ، فإنها لا تنفذ إلى العبر ، ولا تدري ما الخبر ، وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في هذا المعنىٰ ، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد ابن سارة[٦] الأندلسي الشنتريني ، وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة :

يا مَنْ يُصيخُ إلىٰ داعي الشقاء وقد ... نادىٰ به الناعيان : الشيب والكبر
إن كنت لا تسمع الذكرىٰ ففيم تُرىٰ ... في رأسك الواعيان : السمع والبصر ؟
ليس الأصم ولا الأعمىٰ سوىٰ رجل ... لم يهده الهاديان : العين والأثر
لا الدهر يبقىٰ ولا الدنيا ولا الفلك الـ ... أعلىٰ ولا النيران : الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وإن كرها ... فراقها الثاويان : البدو والحضر

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾

يقول تعالىٰ لنبيه صلوات الله وسلامه عليه : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب** ﴾ ، أي : هؤلاء الكفار المكذبون الملحدون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ ﴿ **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولن يخلف الله وعده** ﴾ ، أي : الذي قد وعد ، من إقامة الساعة ، والانتقام من أعدائه ، والإكرام لأوليائه .

قال الأصمعي : كنت عند أبي عمرو بن العلاء ، فجاءه عمرو بن عبيد ، فقال : يا أبا

---

[١] - في ز : بأم كتاب » .
[٢] - في ز : وسعى .
[٣] - في ز : انظروا .
[٤] - في ز : » فتنظروا .
[٥] - في ز : السقم .
[٦] - في ز : جبارة .

عمرو ، هل[١] يخلف الله الميعاد ؟ فقال : لا . فذكر آية وعيد ، فقال له : [أمن العجم أنت ؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤمًا][٢] وعن الإيعاد كرمًا ، أو ما سمعت قول الشاعر :

لا يرهب ابن العم مني[٣] سطوتي ولا [أختتي من][٤]سطوة المتهدد[٥]
فإني وإن أوعدتُهُ أو[٦] وعدتُه لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وقوله : ﴿ **وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ ، أي : هو تعالىٰ لا يَعجَل ، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة إلىٰ حكمه ، لعلمه بأنه علىٰ الانتقام قادر ، وأنه لا يفوته شيء ، وإن أجل وأنظر وأملىٰ ، ولهذا قال بعد هذا : ﴿ **وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإليّ المصير** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : ثنا الحسن بن عرفة ، حدثني عبدة بن سليمان ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم[٧] : خمسمائة عام** » .

ورواه الترمذي والنسائي(١٥٧) من حديث الثوري عن محمد بن عمرو ، به . وقال الترمذي : حسن صحيح .

وقد رواه ابن جرير (١٥٨) ، عن أبي هريرة موقوفًا فقال : حدثني يعقوب ، ثنا ابن علية ، ثنا سعيد الجريري ، عن أبي نضرة ، عن سُمَير بن نهار قال : قال أبو هريرة : يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار[٨] نصف يوم . [قلت : وما نصف يوم ؟][٩]قال : أو ما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلىٰ . قال : ﴿ **وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ .

وقال أبو داود(١٥٩) في آخر كتاب الملاحم من سننه : حدثنا عمرو بن عثمان ، حدثنا

(١٥٧) سنن الترمذي ، كتاب الزهد حديث (٢٣٥٤) ، وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٤٨) . وابن ماجه كتاب الزهد (٤١٢٢) .

(١٥٨) تفسير الطبري (١٧/١٢٩) .

(١٥٩) سنن أبي داود حديث (٤٣٥٠) ورواه أحمد (١٤٦٧ التراث) وقال المناوي : سنده جيد .

[١] - في خ : وهل .
[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « من العجمة تبيان العرب بعدم الرجوع عن الوعيد يومًا » .
[٣] - في ز : والجار .
[٤] - في ز : يثني عن .
[٥] - في ز : المهدد .
[٦] - في ز : و .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في ز : مقدار .
[٩] - ما بين المعكوفين سقط من ز .

أبو المغيرة ، حدثنا صفوان ، عن شريح بن عبيد ، عن سعد بن أبي وقاص ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **إني لأرجو أن لا تَعجِزَ أمتي عند**[١] **ربها أن يؤخرهم نصف يوم** » . قيل لسعد : وما نصف يوم ؟ قال : خمسمائة سنة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان[٢] ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ ، قال : من الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض .

ورواه ابن جرير(١٦٠) ، عن ابن بشار[٣] ، عن ابن مهدى . وبه قال مجاهد وعكرمة . ونص عليه أحمد بن حنبل في كتاب « **الرد علىٰ الجهمية** » .

وقال مجاهد : هذه الآية كقوله : ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلىٰ الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** ﴾ .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا عارم[٤] - محمد بن الفضل - حدثنا حماد بن زيد ، عن يحيىٰ بن عتيق ، عن محمد بن سيرين ، عن رجل من أهل الكتاب أسلَمَ قال : إن الله تعالىٰ خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، ﴿ **وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ ، وجعل أجل الدنيا ستة أيام ، وجعل الساعة في اليوم السابع ، ﴿ **وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون** ﴾ ، فقد مضت الستة الأيام ، وأنتم في اليوم السابع ، فمثل[٥] ذلك كمثل الحامل إذا دخلت شهرها ، ففي أية لحظة[٦] ولدت كان تمامًا .

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ لنبيه ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستعجلوه به : ﴿ **قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين** ﴾ ، أي : إنما أرسلني الله إليكم نذيرًا لكم

(١٦٠) تفسير الطبري (١٢٩/١٧) .

[١] - في ز : عن .
[٢] - في ز : شيبان .
[٣] - في ز : يسار .
[٤] - بعده في ز ، خ : « بن » .
[٥] - في ز : بمثل .
[٦] - سقط من خ .

بين يدي عذاب شديد ، وليس إليّ من حسابكم من شيء ، أمركم إلىٰ الله ؛ إن شاء عجَّل لكم العذاب ، وإن شاء أخره عنكم ، وإن شاء تاب علىٰ من يتوب إليه ، وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة ، وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار ، ﴿ **لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب** ﴾ ، و ﴿ **إنما أنا لكم نذير مبين * فالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، أي : آمنت[١] قلوبهم وصدقوا إيمانهم بأعمالهم ، ﴿ **لهم مغفرة ورزق كريم** ﴾ ، أي : مغفرة لما سلف من سيئاتهم ، ومجازاة حسنة علىٰ القليل من حسناتهم .

قال محمد بن كعب القرظي : إذا سمعت الله تعالى يقول : ﴿ **ورزق كريم** ﴾ فهو : الجنة .

وقوله : ﴿ **والذين سعوا في آياتنا معاجزين**[٢] ﴾ قال مجاهد : يثبطون الناس عن متابعة النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم . وكذا قال عبد الله بن الزبير : مثبطين .

وقال ابن عباس : ﴿ **معاجزين** ﴾ : مراغمين .

﴿ **أولئك أصحاب الجحيم** ﴾ ، وهي النار الحارة الموجعة ، الشديد[٣] عذابها ونكالها ، أجارنا الله منها ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابًا فوق العذاب بما كانوا يفسدون** ﴾ .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلىٰ أرض الحبشة ، ظنًّا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة

[١] - في خ : « آمنوا » .
[٢] - في ز : معجزين .
[٣] - في ز ، خ : « الشديدة » .

ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، بمكة « **النجم** » ، فلما بلغ هذا الموضع : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزىٰ * ومناة الثالثة الأخرىٰ** ﴾ قال : فألقىٰ الشيطان علىٰ لسانه : « **تلك الغرانيق العلىٰ ، وإن شفاعتهن**[١] **ترتجىٰ** » قالوا : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم . فسجد وسجدوا ، فأنزل الله عز وجل [هذه الآية][٢] : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنىٰ ألقىٰ الشيطان في أمنيته** ﴾ الآية[٣].

و[٤]رواه ابن جرير(١٦١) ، عن بندار ، عن غندر ، عن شعبة به نحوه . وهو مرسل .

وقد رواه البزار في مسنده(١٦٢) ، عن يوسف بن حماد ، عن أمية بن خالد ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - فيما أحسب ، الشك في الحديث - أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قرأ بمكة سورة « **النجم** » حتىٰ انتهىٰ[٥] إلىٰ : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزىٰ** ﴾ ، وذكر بقيته . ثم قال البزار : لا يروىٰ متصلًا إلا بهذا الإسناد . تفرد بوصله أمية بن خالد ، وهو ثقة مشهور . وإنما يروىٰ هذا من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، [عن ابن عباس][٦] .

ثم رواه ابن أبى حاتم ، عن أبى العالية ، وعن السدي مرسلًا . وكذا رواه ابن جرير(١٦٣) ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس مرسلًا أيضًا .

وقال قتادة : كان النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، عند المقام إذ نعس ، فألقىٰ الشيطان علىٰ لسانه : « **وإن شفاعتها لترتجىٰ ، وإنها لمع الغرانيق العلىٰ** » . فحفظها المشركون ، وأجرىٰ الشيطان أن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قد قرأها ، فَزَلت[٧] بها ألسنتهم ، فأنزل الله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ...** ﴾ الآية ، فدحر الله الشيطان .

ثم قال ابن أبى حاتم : حدثنا موسى بن أبى موسى الكوفى ، حدثنا محمد بن إسحاق

(١٦١) تفسير الطبري (١٧/١٣٣) .

(١٦٢) مسند البزار برقم (٢٢٦٣) « كشف الأستار » .

(١٦٣) تفسير الطبري (١٧/١٣١) .

[١] - في ز : شفاعتهم .

[٢] - سقط من خ .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في ز : فدلت .

المسيبي ، حدثنا محمد بن فليح ، عن موسىٰ بن عقبة ، عن ابن شهاب قال : أنزلت « **سورة النجم** » ، وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه ، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارىٰ بمثل[١] الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر ، وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم ، وأحزنه ضلالهم ، فكان يتمنىٰ هداهم ، فلما أنزل الله سورة النجم قال : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزىٰ * ومناة الثالثة الأخرىٰ * ألكم الذكر وله الأنثىٰ** ﴾ ألقىٰ الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت ، فقال : « **وإنهن لهن الغرانيق العلىٰ ، وإن شفاعتهن لهي[٢] التي ترتجىٰ** » . وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته ، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة ، وزلت[٣] بها ألسنتهم ، وتباشروا بها ، وقالوا : إن محمدًا قد رجع إلىٰ دينه الأول ودين قومه . فلما بلغ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، [آخر النجم][٤] ؛ سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك ، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلًا كبيرًا ، فرفع علىٰ كفه ترابًا فسجد عليه ، فعجب الفريقان [ ][٥]كلاهما من جماعتهم في السجود ، لسجود رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم علىٰ غير إيمان ولا يقين - ولم يكن المسلمون سمعوا الآية التي ألقىٰ الشيطان في مسامع المشركين - فاطمأنت أنفسهم لما ألقىٰ الشيطان في أمنية رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ، وحدثهم به الشيطان أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قد قرأها في السورة ، فسجدوا لتعظيم آلهتهم ، ففشت تلك الكلمة في الناس ، وأظهرها الشيطان ، حتىٰ بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين - عثمان بن مظعون وأصحابه - وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، وصلوا مع رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة علىٰ التراب علىٰ كفه ، وحُدِّثوا أن المسلمين قد أمنوا بمكة ، فأقبلوا سراعًا وقد نسخ الله ما ألقىٰ الشيطان ، وأحكم الله آياته ، وحفظه الله من الفرية ، وقال الله : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنىٰ ألقىٰ الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد** ﴾ ، فلما بين الله قضاءه ، وبرّأه من سجع الشيطان ، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم المسلمين ، واشتدوا عليهم . وهذا أيضًا مرسل .

وفي تفسير ابن جرير(١٦٤) عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام نحوه .

---

(١٦٤) - تفسير الطبري (١٧/١٣٣) .

[١] - في ز : من .

[٢] - في ز : لهن .

[٣] - في ز : ودلت .

[٤] - سقط من ز .

[٥] - في ز : منهما .

وقد رواه الإمام أبو بكر البيهقي في كتابه : « **دلائل النبوة** » فلم يجز به موسىٰ بن عقبة . ساقه في مغازيه بنحوه ، قال : وقد روينا عن ابن إسحاق هذه القصة .

قلت : وقد ذكرها محمد بن إسحاق في السيرة بنحو من هذا ، وكلها مرسلات ومنقطعات ، فالله أعلم . وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ، ومحمد بن كعب القرظي ، وغيرهما بنحو من ذلك ، ثم سأل هاهنا سؤالًا : كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالىٰ لرسوله صلوات الله وسلامه عليه ؟ ثم حكىٰ [ ][١] أجوبة عن الناس ، من ألطفها : أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك ، فتوهموا أنه صدر عن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم ، وليس كذلك في نفس الأمر ، بل[٢] إنما كان من صنيع الشيطان ، لا من رسول الرحمن صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ، والله أعلم .

وهكذا تنوّعت أجوبة المتكلمين عن هذا بتقدير صحته ، وقد تعرض القاضي عياض - رحمه الله - في كتاب « **الشفاء** » لهذا وأجاب بما حاصله .

وقوله : ﴿ **إلا إذا تمنىٰ ألقىٰ الشيطان في أمنيته** ﴾ ، هذا فيه تسلية له - صلوات الله وسلامه عليه - أي : لا يهيدنك ذلك[٣] فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء .

قال البخاري : قال ابن عباس : ﴿ **في أمنيته** ﴾ إذا حدث ألقىٰ الشيطان في حديثه ، فيبطل الله ما يلقي الشيطان ، ويحكم الله آياته .

قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **إذا تمنىٰ [ألقىٰ الشيطان في أمنيته** ﴾ ، يقول : إذا حدث ألقىٰ الشيطان في حديثه .

وقال مجاهد : ﴿إذا تمنى ﴾][٤]يعنى : إذا قال .

ويقال : ﴿ **أمنيته** ﴾ قراءته[٥] ، ﴿ **إلا أماني** ﴾ : يقولون ولا يكتبون[٦] .

قال البغوي(١٦٥) : وأكثر المفسرين قالوا : معنىٰ قوله ﴿ **تمنىٰ** ﴾ ، أي : تلا وقرأ كتاب الله ، ﴿ **ألقىٰ الشيطان في أمنيته** ﴾ أي : في تلاوته . قال الشاعر في عثمان [حين

---

(١٦٥) معالم التنزيل للبغوي (٥/٣٩٤) .

---

[١] - في ز : لي .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - ما بين المعكوفين سقط من ز .
[٥] - في ز : قرآنه .
[٦] - في ز : يكتنون .

قتل][١] :

تمنى كتاب الله أول ليلة   وآخرها لاقى حمام المقادر

وقال الضحاك : ﴿ إذا تمنى ﴾ : إذا تلا . قال ابن جرير : هذا القول أشبه بتأويل الكلام ، وقوله : ﴿ فينسخ اللَّهُ ما يلقى الشيطان ﴾ حقيقة النسخ لغة : الإزالة والرفع .

قال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : أي : فيبطل الله سبحانه وتعالىٰ ما ألقىٰ الشيطان .

وقال الضحاك : نسخ جبريل بأمر الله ما ألقىٰ الشيطان ، وأحكم الله آياته

وقوله : [﴿ والله عليم ﴾ أي : بما يكون من الأمور والحوادث ، لا تخفىٰ عليه خافية ﴿ حكيم ﴾][٢]، أي : في تقديره وخلقه وأمره ، له الحكمة التامّة ، والحجة البالغة ، ولهذا قال : ﴿ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض ﴾ ، أي : شك وشرك ، وكفر ونفاق ، كالمشركين حين فرحوا بذلك ، واعتقدوا أنه صحيح ، وإنما كان من الشيطان .

قال ابن جريج : ﴿ الذين في قلوبهم [مرض ﴾ هم][٣]المنافقون ، ﴿ والقاسية قلوبهم ﴾ هم[٤] المشركون .

وقال مقاتل بن حيان : هم اليهود .

﴿ وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ﴾ أى : في ضلال ومخالفة وعناد بعيد ، أي : من الحق والصواب .

﴿ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به ﴾ ، أي : وليعلم الذين أوتوا العلم النافع ، الذي[٥] يفرقون به[٦] بين الحق والباطل ، المؤمنون[٧] بالله ورسوله ، أن ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك ، الذي أنزله بعلمه ، وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره ، بل هو كتاب حكيم ، ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ .

وقوله : ﴿ فيؤمنوا به ﴾ ، أي : يصدّقوه وينقادوا له ، ﴿ فتخبت[٨] له قلوبهم ﴾ ،

---

[١] - ما بين المعكوفين تقرأ في ز : « جبريل » .
[٢] - ما بين المعكوفين في ز : « عليم حكيم » .
[٣] - ما بين المعكوفين في ز : « من كفرهم » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : الذين .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - في خ : والمؤمنون .
[٨] - في ز : وتخبت .

أي: تخضع وتذل [له قلوبهم][١] ، ﴿ وإنّ الله لهادي الذين آمنوا إلىٰ صراط مستقيم ﴾ ، أي : في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فيرشدهم إلىٰ الحق واتباعه ، ويوفقهم لمخالفة الباطل واجتنابه ، وفي الآخرة يهديهم[٢] الصراط المستقيم ، الموصل إلىٰ درجات الجنات ، ويزحزحهم عن العذاب الأليم والدركات .

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكفار أنهم لا يزالون ﴿في مرية﴾ ، أي : في شك وريب من هذا القرآن . قاله ابن جريج ، واختاره ابن جرير .

وقال سعيد بن جبير وابن زيد : ﴿ منه ﴾ أى : مما[٣] ألقىٰ الشيطان .

﴿ حتىٰ تأتيهم الساعة بغتة ﴾ قال مجاهد : فجأة . وقال قتادة : ﴿ بغتة ﴾ بغت القومَ[٤] أمرُ الله ، وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سكرتهم[٥] وغرتهم ونعمتهم ، فلا تغتروا بالله ، إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون .

وقوله : ﴿ أو يأتيهم عذاب يوم عقيم ﴾ ، قال مجاهد : قال أبيّ بن كعب : هو يوم بدر . وكذا قال [مجاهد ، و][٦]عكرمة ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وغير واحد ، واختاره ابن جرير .

وقال عكرمة ومجاهد [في رواية عنهما][٧] : هو يوم القيامة لا ليلة لهم . وكذا قال الضحاك والحسن البصرى .

وهذا القول هو الصحيح ، وإن كان يوم بدر من جملة ما أوعدوا به ، لكن هذا هو

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - بعده في خ : « إلى » .
[٣] - في ز ، خ : « بما » .
[٤] - في ز ، خ : « الله » .
[٥] - في ز : سكوتهم .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ز ، خ .

المراد ، ولهذا قال : ﴿ **الملك يومئذ لله يحكم بينهم** ﴾ كقوله : ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ ، وقوله : ﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا على الكافرين عسيرًا** ﴾ .

﴿ **فالذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، أي : آمنت قلوبهم ، وصدقوا بالله ورسوله ، وعملوا بمقتضى ما علموا[١] ، وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم .

﴿ **في جنات النعيم** ﴾ أى : لهم النعيم المقيم ، الذى لا يحول ولا يزول ولا يبيد .

﴿ **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** ﴾ أي : كفرت قلوبهم بالحق ، وجحدوا به ، وكذبوا به ، وخالفوا الرسل ، واستكبروا عن اتباعهم ﴿ **فأولئك لهم عذاب مهين** ﴾ ، أي : مقابلة استكبارهم وإعراضهم عن الحق ، كقوله تعالى : ﴿ **إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين** ﴾ أى : صاغرين[٢] .

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

يخبر تعالى عمن خرج مهاجرًا في سبيل الله ابتغاء مرضاته ، وطلبًا لما عنده ، وترك الأوطان والأهلين والخلان ، وفارق بلاده في الله ورسوله ، ونصرة لدين الله ، ﴿ **ثم قتلوا** ﴾ ، أي : في الجهاد ، ﴿ **أو ماتوا** ﴾ ، أي : حتف أنفهم[٣] ، أي : من غير قتال على فرشهم ، فقد حصلوا على الأجر الجزيل ، والثناء الجميل ، كما قال تعالى : ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا** ﴾ ، أي : ليُجْرِيَنّ عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم .

﴿ **وإن الله لهو خير الرازقين * ليدخلنهم مدخلًا يرضونه** ﴾ أى : الجنة .كما قال تعالى : ﴿ **فأمّا إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم** ﴾ . فأخبر أنه يحصل له الراحة والرزق وجنة النعيم ، كما قال هاهنا : ﴿ **ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا** ﴾ ثم قال :

---

[١] - في ز : عملوا . [٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز : أنفسهم .

﴿ ليدخلنهم مدخلًا يرضونه وإن الله لعليم ﴾ ، أي : بمن يهاجر ويجاهد في سبيله ، وبمن يستحق ذلك ﴿ حليم ﴾ ، أي : يحلم ويصفح ، ويغفر لهم الذنوب ، ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه ، وتوكلهم عليه ، فأما من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر ، فإنه حي عند ربه يرزق ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ والأحاديث في هذا كثيرة كما تقدم . وأما من توفي في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه ، وعظيم إحسان الله إليه .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا المسيب بن واضح ، حدثنا ابن المبارك ، عن عبد الرحمن بن شريح ، عن ابن الحارث - يعني : عبد الكريم - عن ابن عقبة - يعني : أبا عبيدة بن عقبة - قال : حدثنا شرحبيل بن السمط : طال رباطنا وإقامتنا علىٰ حصن بأرض الروم ، فمر بي سلمان - يعني : الفارسي - رضي الله عنه - فقال : إني سمعت رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « من مات مرابطًا ، أجرىٰ الله عليه مثل ذلك الأجر ، وأجرىٰ عليه الرزق ، وأمن[١] من[٢] الفتانين » واقرءوا إن شئتم : ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا وإن الله لهو خير الرازقين * ليدخلنهم مدخلًا يرضونه وإن الله لعليم حليم ﴾ .

وقال أيضًا : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا زيد بن بشر ، أخبرني همام ، أنه سمع أبا قبيل وربيعة بن سيف المعافري يقولان : كنا بـ «رودس» ، ومعنا فضالة بن عبيد الأنصاري صاحب رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، فمر بجنازتين ؛ إحداهما قتيل ، والأخرىٰ متوفىٰ ، فمال الناس علىٰ القتيل ، فقال فضالة : ما لي أرىٰ الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا ؟ فقالوا : هذا قتيل في سبيل الله تعالىٰ . فقال : والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت ، اسمعوا كتاب الله : ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ﴾ حتىٰ آخر الآية .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان ، أنبأنا ابن[٣] المبارك ، أنبأنا ابن لهيعة ، حدثنا[٤] سلامان[٥] بن عامر الشعباني ، أن عبد الرحمن بن جحدم الخولاني حدثه : أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع جنازتين ؛ أحدهما : أصيب بمنجنيق ، والآخر توفي ، فجلس فضالة بن عبيد عند قبر المتوفىٰ ، فقيل له : تركت الشهيد فلم تجلس عنده ؟ فقال : ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت ، إن الله يقول : ﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا

---

[١] - في ز : أومن .
[٢] - سقط من خ .
[٣] - سقط من ز ، خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في خ : « سليمان » .

أو ماتوا ﴾ إلى قوله : **﴿ يرضونه ﴾** ، فما تبتغي أيها العبد إذا أدخلت مدخلًا ترضاه ، ورزقت رزقًا حسنًا ، واللَّه ما أبالى من أى حفرتيهما بعثت .

ورواه[١] ابن جرير(١٦٦) ، عن يونس بن عبد الأعلىٰ ، عن ابن وهب ، أخبرني عبد الرحمن بن شريح ، عن[٢] سلامان بن عامر قال : كان فضالة بـ «رودس» أميرًا علىٰ الأرباع ، فخرج بجنازتي[٣] رجلين ؛ أحدهما قتيل ، والآخر متوفىٰ ... فذكر نحو ما تقدم .

وقوله : **﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنّه اللَّه ﴾** ، ذكر مقاتل بن حيان وابن جريج[٤] : أنها نزلت في سرية من الصحابة ، لقوا جمعًا من المشركين في شهر محرم ، فناشدهم[٥] المسلمون لئلا يقاتلوهم في الشهر الحرام ، فأبىٰ[٦] المشركون إلا قتالهم ، وبغوا عليهم ، فقاتلهم المسلمون ، فنصرهم اللَّه عليهم ، **﴿ إن[٧] اللَّه لعفو غفور ﴾** .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

يقول تعالىٰ منبهًا علىٰ أنه الخالق المتصرف في خلقه بما يشاء ، كما قال : **﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك علىٰ كل شيء قدير * تولج الليل في النهار ...﴾** الآية . ومعنىٰ إيلاجه الليل في النهار ، والنهار في الليل : إدخاله من هذا في هذا ، و[من][٨] هذا في هذا ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار - كما في الشتاء - وتارة يطول النهار ويقصر الليل - كما في الصيف .

وقوله : **﴿ وأن اللَّه سميع بصير ﴾** ، أي : سميع بأقوال عباده ، بصير بهم ، لا يخفىٰ

---

(١٦٦) تفسير الطبري (١٧/١٣٦) .

---

[١] - في ز : رواه .
[٢] - في ز ، خ : « و » .
[٣] - في خ : « بجنازتين » .
[٤] - في ز ، خ : « جرير » .
[٥] - في ز : فناشدوهم .
[٦] - مكررة في ز .
[٧] - في ز : وإن .
[٨] - سقط من خ .

عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم .

ولما بيَّن أنه المتصرف في الوجود ، الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، قال : ﴿ **ذلك بأن الله هو الحق** ﴾ ، أي : الإله الحق ، الذي[١] لا تنبغي العبادة إلا له ، لأنه ذو[٢] السلطان العظيم ، الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وكل شيء فقير إليه ، ذليل لديه ، ﴿ **وأن ما يدعون من دونه هو الباطل** ﴾ ، أي : من الأصنام والأنداد والأوثان ، وكل ما عبد من دونه تعالىٰ فهو باطل ، لأنه لا يملك ضرًا ولا نفعًا .

وقوله : ﴿ **وأن الله هو العلى الكبير** ﴾ كما قال : ﴿ **وهو العلى العظيم** ﴾ وقال : ﴿ [ ][٣] **الكبير المتعال** ﴾ ، فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ، لأنه العظيم الذي لا أعظم منه ، العلي الذي لا أعلىٰ منه ، الكبير[٤] الذي لا أكبر منه ، تعالىٰ وتقدس وتنزه وعز وجل عما يقول[٥] الظالمون علوًا كبيرًا .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

وهذا أيضًا من الدلالة علىٰ قدرته وعظيم سلطانه ، فإنه[٦] يرسل الرياح فتثير سحابًا ، فيمطر علىٰ الأرض الجرُز التي لا نبات فيها ، وهي هامدة يابسة سوداء قحلة ، ﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فتصبح الأرض مخضرة** ﴾ ، الفاء هاهنا للتعقيب ، وتعقيب كل شيء بحسبه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ [**ثم خلقنا**][٧] **النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظامًا** ﴾

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « وهو » .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في خ : « يقوله » .
[٦] - في ز : وإنه .
[٧] - في ز ، خ ، ش : « فخلقنا » .

الآية ، وقد ثبت في الصحيحين : أن بين كل شيئين أربعين يومًا ، ومع هذا هو معقب بالفاء ، وهكذا هاهنا قال : ﴿ فتصبح الأرض مخضرة ﴾ ، أي : خضراء بعد [يبسها ومحولها][١].

وقد ذكر عن بعض أرض[٢] الحجاز أنها تصبح عقب المطر خضراء[٣] ، فاللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ إن اللَّه لطيف خبير ﴾ ، أي : عليم بما في أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر ، لا يخفىٰ عليه خافية ، فيوصّل إلىٰ كل منه قسطًا[٤] من الماء فينبته به ، كما قال لقمان [لابنه][٥] : ﴿ يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها اللَّه إن اللَّه لطيف خبير ﴾ ، وقال : ﴿ ألَّا يسجدوا للَّه الذى يخرج الخبء في السماوات والأرض ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ [ ][٦] ، وقال : ﴿ وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ...﴾ الآية ، ولهذا قال أمية ابن أبي الصلت - أو زيد بن عمرو بن نفيل - في قصيدته :

وقُولا له من يُنْبِتُ الحبَّ في الثرىٰ فيُصبِحُ منه البَقْلُ يهتزُّ رابيا
ويخرجُ منه حبَّه في رءوسه ففي ذاك آياتٌ لمن كان واعيا

وقوله : ﴿ له ما في السماوات وما في الأرض وإن اللَّه لهو الغني الحميد ﴾ ، أي : ملكه جميع الأشياء ، وهو غني عما سواه ، وكل شيء فقير إليه ، وعبيد[٧] لديه .

وقوله : ﴿ ألم تر أن اللَّه سخر لكم ما في الأرض ﴾ ، أي : من حيوان وجماد ، وزروع وثمار ، كما قال : ﴿ وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه ﴾ ، أي : من إحسانه وفضله وامتنانه ، ﴿ والفلك تجري في البحر بأمره ﴾ ، أي[٨] : بتسخيره وتسييره[٩] ، أي : في البحر العجاج ، وتلاطم الأمواج ، تجري الفلك بأهلها بريح طيبة ، ورفق وتؤدة ، فيحملون فيها ما شاءوا من تجائر وبضائع ومنافع ، من بلد إلىٰ بلد ، وقطر إلىٰ قطر ، ويأتون بما عند أولئك إلىٰ هؤلاء ، كما ذهبوا بما عند هؤلاء إلىٰ أولئك ، مما يحتاجون إليه ، ويطلبونه ويريدونه .

---

[١] - في ز : « يباسها وطولها .
[٢] - في خ : أهل .
[٣] - في خ : « خضرة » .
[٤] - في خ : قسطه .
[٥] - سقط من ت ، ز .
[٦] - في خ : الآية .
[٧] - في ت : « عبد » .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - سقط من خ .

﴿ **ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه** ﴾ ، أي : لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض ، فهلك من فيها ، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته ، يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، ولهذا قال : ﴿ **إن الله بالناس لرءوف رحيم** ﴾ أي : مع ظلمهم ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ **وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم إن الإنسان لكفور** ﴾ كقوله : ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتًا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون** ﴾ وقوله : ﴿ **قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه** ﴾ ، وقوله : ﴿ **قالوا ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾ ومعنى الكلام : كيف تجعلون [مع الله][١] أندادًا وتعبدون معه غيره ، وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف ، ﴿ **وهو الذي أحياكم** ﴾ ، أي : خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا يذكر فأوجدكم ، ﴿ **ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ **إن الإنسان لكفور** ﴾ ، أي : جحود .

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾

يخبر تعالى أنه جعل لكل قوم منسكًا .

قال ابن جرير : يعني لكل أمة نبي منسكًا . قال : وأصل المنسك في كلام العرب هو الموضع الذي يعتاده الإنسان ويتردد إليه ، إما لخير أو شر . قال : ولهذا سميت مناسك الحج بذلك ؛ لترداد الناس إليها وعكوفهم عليها .

فإن كان كما قال من أن المراد : لكل أمة نبي جعلنا منسكًا ، فيكون المراد بقوله : ﴿ **فلا ينازعنك في الأمر** ﴾ ، أي : هؤلاء المشركون ، وإن كان المراد : لكل أمة جعلنا منسكًا جعلًا قدريًا ، كما قال : ﴿ **ولكل وجهة هو موليها** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **هم ناسكوه** ﴾ ، أي : فاعلوه فالضمير هاهنا عائد على هؤلاء الذين لهم مناسك وطرائق ، أي : هؤلاء إنما يفعلون هذا عن قدر الله وإرادته ، فلا تتأثر بمنازعتهم لك ، ولا يصرفك ذلك عما

[١] - في ت : « لله » .

أنت عليه من الحق ، ولهذا قال : ﴿ **وادع إلىٰ ربك إنك لعلىٰ هدى مستقيم** ﴾ ، أي : طريق واضح مستقيم موصل إلىٰ المقصود .

وهذه كقوله : ﴿ **ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **الله أعلم بما تعملون** ﴾ تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، كقوله : ﴿ **هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدًا بيني وبينكم** ﴾ ولهذا قال : [﴿ **الله**][1] **يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون** ﴾ . وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير** ﴾ .

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

يخبر تعالىٰ عن كمال علمه بخلقه ، وأنه محيط بما في السماوات وما في الأرض ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، وأنه تعالىٰ علم الكائنات كلها قبل وجودها ، وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ ، كما ثبت في صحيح مسلم(١٦٧) ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء** » .

وفي السنن(١٦٨) من حديث جماعة من الصحابة : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **أول ما خلق الله القلم قال له : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن . فجرىٰ القلم بما هو كائن إلىٰ يوم القيامة** » .

---

(١٦٧) مسلم ، كتاب القدر ، باب : حجاج آدم موسى (٢٦٥٣) بلفظ : « كتب الله مقادير الخلائق».

(١٦٨) ورد من حديث عبادة بن الصامت : أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : القدر (٤٧٠٠) ، والترمذي في تفسير القرآن (٣٣١٩) وفي القدر (٢١٥٥) . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » . ورواه البيهقي في الأسماء والصفات من حديث ابن عباس (ص ٣٧٨) .

---

[١] – ما بين المعكوفين في ز : « الله يحكم بيني وبينكم ولهذا قال » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا ابن بكير ، حدثني ابن لهيعة ، حدثني عطاء بن دينار ، حدثني سعيد بن جبير قال[١] : قال ابن عباس : خلق اللَّه اللوح المحفوظ مسيرة مائة عام ، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى : اكتب . فقال القلم : وما أكتب ؟ قال : علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة . فجرى القلم بما هو كائن في علم اللَّه إلى يوم القيامة ، فذلك قوله للنبي ، صلى اللَّه عليه وسلم : ﴿ [**ألم تعلم**][٢] **أن اللَّه يعلم ما في السماء والأرض** ﴾ .

وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها ، وقدرها وكتبها أيضًا ، فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك ، على الوجه الذي يفعلونه ، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره ، وهذا يعصى باختياره ، وكتب ذلك عنده ، وأحاط بكل شيء علمًا ، وهو سهل عليه يسير لديه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **إن ذلك في كتاب إن ذلك على اللَّه يسير** ﴾ .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

يقول تعالى مخبرًا عن المشركين فيما جهلوا وكفروا ، وعبدوا من دون اللَّه ﴿ما لم ينزل به سلطانًا﴾، يعني : حجة وبرهانًا ، كقوله : ﴿ **ومن يدع مع اللَّه إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **ما لم ينزل به سلطانًا وما ليس لهم به علم** ﴾ ، أي : ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه ، وإنما هو أمر[٣] تلقوه عن آبائهم وأسلافهم ، بلا دليل ولا حجة ، وأصله مما سوّل لهم الشيطان وزينه لهم ، ولهذا توعدهم تعالى بقوله : ﴿ **وما للظالمين من نصير** ﴾ ، أي : من ناصر ينصرهم من اللَّه ، فيما يحل بهم من العذاب والنكال .

ثم قال : ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات** ﴾ ، أي : وإذا ذكرت لهم آيات[٤] القرآن ، والحجج والدلائل الواضحات على توحيد اللَّه ، وأنه لا إله إلا هو ، وأن رسله الكرام حق

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - في خ : « آي » .

وصدق ﴿ **يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا** ﴾ ، أي : يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل الصحيحة [من القرآن][١] ، ويسطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء ﴿ **قل** ﴾ ، أي : يا محمد ، لهؤلاء : ﴿ **أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا** ﴾ ، أي : النار وعذابها ونكالها أشد وأشق وأطم وأعظم مما تُخَوِّفون[٢] به أولياء الله المؤمنين في الدنيا ، وعذاب[٣] الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تنالون منهم ، إن نلتم بزعمكم وإرادتكم .

وقوله : ﴿ **وبئس المصير** ﴾ أي : وبئس النار منزلًا ومقيلًا ومرجعًا وموئلًا ومقامًا ، ﴿ **إنها ساءت مستقرًا ومقامًا** ﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ (٧٤) ﴾ .

يقول تعالى منبهًا على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها : ﴿ **يا أيها الناس ضرب مثل** ﴾ ، أي : لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به ، ﴿ **فاستمعوا له** ﴾ ، أي : أنصتوا وتفهموا . ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له** ﴾ ، أي : لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد ، على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ، ما قدروا على ذلك . كما قال الإمام أحمد(١٦٩) :

حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا شريك ، عن عمارة بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة - رفع الحديث - قال : « **ومن أظلم ممن خلق خلقًا[٤] كخلقي ! فليخلقوا مثل خلقي ذرة أو ذبابة أو حبة** » .

وأخرجه صاحبا الصحيح(١٧٠) ، من طريق[٥] عمارة ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق**

(١٦٩) المسند (٢/٣٩١) .

(١٧٠) صحيح البخاري ، كتاب اللباس حديث (٥٩٥٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة(٢١١١).

[١] - في خ : « بالقرآن » .
[٢] - في ز : تحدثون .
[٣] - في ز : عذاب .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - في ز : طرق .

كخلقي ، فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا[١] **شعيرة** » .

ثم قال تعالىٰ أيضًا : ﴿ **وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه** ﴾ ، أي : هم عاجزون عن خلق ذباب واحد ، بل أبلغ من ذلك ، عاجزون عن مقاومته والانتصار منه ، لو سلبها شيئًا[٢] من الذي عليها من الطيب ، ثم أرادت أن تستنقذه منه ، لما قدرت علىٰ ذلك . هذا ، والذباب من أضعف مخلوقات اللّٰه وأحقرها ، ولهذا قال : [﴿ **ضعف الطالب والمطلوب** ﴾ .

قال][٣] ابن عباس : الطالب : الصنم ، والمطلوب : الذباب . واختاره ابن جرير ، وهو ظاهر السياق . وقال السدي وغيره : ﴿ **الطالب** ﴾ : العابد ، ﴿ **والمطلوب** ﴾ : الصنم .

ثم قال : ﴿ **ما قدروا اللّٰه حق قدره** ﴾ أي : ما عرفوا قدر اللّٰه وعظمته حين عبدوا معه غيره ، من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها ، ﴿ **إن اللّٰه لقوي عزيز** ﴾ ، أي : هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ﴿ **إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ ويعيد** ﴾ ، ﴿ **إن اللّٰه هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **عزيز** ﴾ أي : عز كلَّ شيء فقهره وغلبه ، فلا يُمانَع ولا يُغالَب ؛ لعظمته وسلطانه ، وهو الواحد القهار .

ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٧٦﴾

يخبر تعالىٰ أنه يختار من الملائكة رسلًا فيما يشاء من شرعه وقدره ، ومن الناس لإبلاغ رسالاته ، ﴿ **إن اللّٰه سميع بصير** ﴾ ، أي : سميع لأقوال عباده ، بصير بهم ، عليم بمن يستحق ذلك منهم ، كما قال : ﴿ **اللّٰه أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلىٰ اللّٰه ترجع الأمور** ﴾ ، أي : يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به ، فلا يخفىٰ عليه شيء من أمورهم ، كما قال : ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر علىٰ غيبه أحدًا * إلا من ارتضىٰ من رسول** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **وأحصىٰ كل شيء عددًا** ﴾ ، فهو سبحانه رقيب عليهم ، شهيد علىٰ ما يقال لهم ، حافظ لهم ، ناصر

---

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز : شيء .

[٣] - سقط من ز ، خ .

جنابهم ، ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ الآية .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

اختلف[١] الأئمة - رحمهم الله - في هذه السجدة الثانية من سورة الحج : هل هي مشروع السجود فيها أم لا ؟ على قولين ، وقد قدمنا عند الأولى حديث عقبة بن عامر ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **فضلت سورة الحج بسجدتين ، فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما** » .

وقوله : ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده** ﴾ ، أي : بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم ، كما قال تعالى : ﴿ **اتقوا الله حق تقاته** ﴾ .

وقوله : ﴿ **هو اجتباكم** ﴾ ، أي : يا هذه الأمة ، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم ، وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول ، وأكمل شرع .

﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ ، أي : ما كلفكم ما لا تطيقون ، وما ألزمكم[٢] بشيء فشق عليكم إلا جعل لكم فرجًا ومخرجًا ، فالصلاة - التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين - تجب في الحضر أربعًا ، وفي السفر تقصر إلى ثنتين ، وفي الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة ، كما ورد به الحديث ، وتصلى رجالًا وركبانًا ، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها . وكذا في النافلة في السفر [إلى القبلة][٣] وغيرها ، والقيام فيها يسقط بعذر المرض ، فيصليها المريض جالسًا ، فإن لم يستطع فعلى جنبه ، إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات ، في سائر الفرائض والواجبات ، ولهذا قال عليه السلام : « **بعثت**

[١] - في خ : اختلفت . [٢] - في خ : « وما أكرمكم » .
[٣] - في خ : « في السلسلة » .

بالحنيفية السمحة »(١٧١) وقال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما أميرين إلى اليمن : « **بشرا ولا تنفرا ، ويسِّرا ولا تعسِّرا** »(١٧٢) والأحاديث في هذا كثيرة ، ولهذا قال ابن عباس في قوله : ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ ، يعني : من[١] ضيق .

وقوله : ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم** ﴾ ، قال ابن جرير : نصب على تقدير : ﴿ **ما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ ، أي : من ضيق ، بل وسَّعه عليكم كملة أبيكم إبراهيم . [قال : ويحتمل أنه منصوب على تقدير : الزموا ملة أبيكم إبراهيم][٢] .

قلت : وهذا المعنى في هذه الآية كقوله : ﴿ **قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينًا قيمًا ملة إبراهيم حنيفًا** ﴾ الآية . وقوله : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا** ﴾ ، قال الإمام عبد الله بن المبارك : عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ قال : الله عز وجل وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان وقتادة .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ ، يعني : إبراهيم؛ وذلك لقوله : ﴿ **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** ﴾ . قال ابن جرير : وهذا لا وجه له ؛ لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسم هذه الأمة في القرآن مسلمين ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا** ﴾ . قال مجاهد : الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة ، وفي الذكر ، ﴿ **وفي هذا** ﴾ يعني : القرآن . وكذا قال غيره .

قلت[٣] : وهذا هو الصواب ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ **هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بأنه ملة أبيهم إبراهيم الخليل ، ثم ذكر منته تعالى على هذه الأمة بما نوَّه به من ذكرها ، والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان ، في كتب الأنبياء ، يتلى على الأحبار والرهبان ،

(١٧١) رواه أحمد (٢٢٣٩١) (٢٦٦/٥) ، من حديث عليّ بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة مرفوعًا في حديث طويل ، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٥٧/٨/رقم:٧٨٦٨) من نفس طريق أحمد ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٩/٥) وعزاه لأحمد والطبراني في الكبير وقال : « وفيه على بن يزيد الألهاني ، وهو ضعيف » . وأخرجه ابن سعد في الطبقات (١٩٢/١) من حديث حبيب بن أبي ثابت مرفوعًا - وهو مرسل ، وفي إسناده برد الحريري لا يعرف .

(١٧٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٠٣٨) ، ومسلم في صحيحه برقم (١٧٣٢) .

[١] - سقط من خ . [٢] - سقط من ز ، خ .

[٣] - سقط من خ . وفي ز : بل .

فقال : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل** ﴾ ، أي : من قبل هذا القرآن ، ﴿ **وفي هذا** ﴾ ، وقد قال النسائي(١٧٣) عند تفسير[١] هذه الآية :

أنبانا هشام بن عمار ، حدثنا محمد بن شعيب ، أنبأنا معاوية بن سلام ، أن أخاه زيد بن سلام أخبره ، عن أبي سلام أنه أخبره قال : أخبرني الحارث الأشعري ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **من دعا بدعوىٰ الجاهلية فإنه من جثيّ[٢] جهنم** » . قال رجل : يا رسول اللّٰه ، وإن صام وصلىٰ ؟ قال : « **نعم ، وإن صام وصلىٰ ، فادعوا بدعوة اللّٰه التي سماكم بها : المسلمين ، المؤمنين ، عباد الله** » .

وقد قدمنا هذا الحديث بطوله عند تفسير قوله : ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** ﴾ من سورة البقرة ، ولهذا قال : ﴿ **ليكون الرسول شهيدًا عليكم ، وتكونوا شهداء علىٰ الناس** ﴾ ، أي : إنما جعلناكم هكذا أمة وسطًا ، عدولًا[٣] ، خيارًا ، مشهودًا بعدالتكم عند جميع الأمم ؛ لتكونوا يوم القيامة ﴿ **شهداء علىٰ الناس** ﴾ لأن جميع الأمم معترفة يومئذ [بسيادتها وفضلها][٤] علىٰ كل أمة سواها ، فلهذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة ، في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم ، والرسول يشهد علىٰ هذه الأمة أنه بلغها ذلك . وقد تقدم الكلام علىٰ هذا عند قوله : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء علىٰ الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا** ﴾ . وذكرنا حديث نوح وأمته بما أغنى عن إعادته .

وقوله : ﴿ **فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ ، أي : قابلوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها ، وأدوا حق اللّٰه عليكم في أداء ما افترض ، وطاعة ما أوجب ، وترك ما حرم ، ومن أهم ذلك إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة : وهو الإِحسان إلىٰ خلق اللّٰه ، بما أوجب للفقير علىٰ الغني ، من إخراج جزء نزر[٥] من ماله في السَّنَة للضعفاء والمحاويج ، كما تقدم بيانه وتفصيله في آية الزكاة من سورة التوبة وقوله : ﴿ **واعتصموا بالله** ﴾ ، أي : اعتضدوا باللّٰه واستعينوا [واتكلوا][٦]عليه وتأيدوا به ﴿ **هو مولاكم** ﴾ ، أي : حافظكم وناصركم ، ومظفركم علىٰ أعدائكم ، ﴿ **فنعم المولىٰ ونعم النصير** ﴾ ، [يعني : نعم[٧] الولي][٨] ، ونعم الناصر من الأعداء .

---

(١٧٣) سنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٤٩) .

---

[١] - في خ : تفسيره .
[٢] - في خ : جثى .
[٣] - في ت : « عدولًا » .
[٤] - في خ : « بسيادتهم وفضلهم » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - ما بين المعكوفين في خ : « وتوكلوا » .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - ما بين المعكوفين سقط من خ .

قال وهيب بن الورد[١] : يقول اللّٰه تعالىٰ : ابن آدم ، اذكرني إذا غضبتَ أذكرك إذا غضبتُ ، فلا أمحقك فيمن أمحق ، وإذا ظُلمتَ فاصبر ، وارض بنصرتي ، فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك . رواه ابن أبي حاتم .

واللّٰه تعالىٰ أعلم ، وله الحمد والمنة ، والثناء الحسن والنعمة ، وأسأله التوفيق والعصمة ، في سائر الأفعال والأقوال .

هذا[٢] آخر تفسير سورة الحج ، وصلى اللّٰه على سيدنا محمد وآله وصحبة وسلم وشرف وكرم ، ورضي اللّٰه تعالىٰ عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين [ ][٣] .

---

[١] - في ز : الزرد . [٢] - سقط من خ .

[٣] - في ز : [وهو آخر الجزء الرابع يتلوه في الخامس إن شاء الله تعالى سورة المؤمنين ، والحمد لله وحسبنا الله ونعم الوكيل] .

سورة المؤمنون

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ
ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ
حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ
﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾

قال الإمام أحمد(١) : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرني يونس بن سليم قال : أملى عَليَّ يونس ابن يزيد الأيلي ، عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عَبْدٍ القاري قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : كان إذا نزل[١] على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، يسمع عند وجهه كدوي النحل ، فمكثنا ساعة ، فاستقبل القبلة ورفع يديه ، فقال : « **اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر [علينا ، وارض عنا]**[٢] **وأرضنا** » ثم قال : « **لقد أنزلت عليَّ عشر آيات ، مَنْ أقامهن دخل الجنة** » . ثم قرأ : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ حتى ختم العشر .

وكذا رواه[٣] الترمذي في تفسيره[٤] ، والنسائي في الصلاة ، من حديث عبد الرزاق به ، وقال الترمذي[٥] : منكر ، لا نعرف أحدًا رواه غير يونس بن سليم ، ويونس لا نعرفه .

(١) - رواه أحمد حديث ٢٢٣ - (١/٣٤) . ورواه الترمذي في كتاب التفسير من السنن حديث (٣٧٢١) من طريق عبد الرزاق ، عن يونس بن سليم ، عن الزهري ، ثم رواه من طريق عبد الرزاق أيضًا ، عن يونس ابن سليم ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري ثم قال : هذا أصح من الحديث الأول ، سمعت إسحاق بن منصور يقول : روى أحمد بن حنبل وعلي بن المديني وإسحاق بن إبراهيم ، عن عبد الرزاق ، عن يونس بن سليم ، عن يونس بن يزيد ، عن الزهري هذا الحديث ، قال أبو عيسى : « ومن سمع من عبد الرزاق =

[١] - في ز : أنزل .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في خ : روى .
[٤] - أي في كتاب التفسير من السنن .
[٥] - لعل هذا سهو من الحافظ ، وصوابه النسائي كما في السنن الكبرى (١/٤٥٠) ، ولم نقف عليه من قول الترمذي في السنن .

وقال النسائي في تفسيره(٢) : أنبأنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جعفر ، عن أبي عمران ، عن يزيد بن بابَنُوس قال : قلنا لعائشة : يا أم المؤمنين ! كيف كان خُلُق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ؟ قالت : كان خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم القرآن ، فقرأت : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ حتىٰ انتهت إلىٰ ﴿ **والذين هم علىٰ صلواتهم يحافظون** ﴾ قالت : هكذا كان خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم .

= قديمًا فإنهم إنما يذكرون فيه يونس بن يزيد ، وبعضهم لا يذكر فيه " عن يونس بن يزيد " ومن ذكر فيه " عن يونس بن يزيد " فهو أصح ، وكان عبد الرزاق ربما ذكر في هذا الحديث " يونس بن يزيد " ، وربما لم يذكره ، وإذا لم يذكر فيه يونس فهو مرسل » ولم يقل غير هذا .

ورواه النسائي في الكبرى في كتاب الوتر ، باب : رفع اليدين في الدعاء ، حديث ١٤٣٩ - (١/٤٥٠) .

وقال أبو عبد الرحمن النسائي : هذا حديث منكر ، لا نعلم أحدًا رواه غير يونس بن سليم ويونس بن سليم لا نعرفه ، والله أعلم .

ويونس بن سليم ذكره ابن حبان في الثقات (٩/٢٨٨) . وذكره البخاري في التاريخ الكبير (٤/٢/٤١٣) وقال : قال أحمد بن حنبل : سألت عبد الرزاق عنه قال : كان خيرًا من عين بقة . فظننت أنه لا شيء . - و« عين بقة » هذا غلط ، فاتت على مصححي الكتاب ، وصحفها بعضهم إلى « غير ثقة » - وفي التاريخ الصغير (٢١٤) : خير من برق - يعني عمرو بن برق - قال أحمد : فلما ذكر هذا عند ذاك علمت أن ذا ليس بشيء . وقال يحيى بن معين : ما أعرفه يروي عنه عبد الرزاق (الجرح ٩/٢٤٠) . وقال النسائي : لا أعرفه (التهذيب ٣٢/٥٠٨ - ٥١٠) . وقال العقيلي : لا يتابع على حديثه ولا يعرف إلا به .

والحديث رواه الحاكم (١/٥٣٥) بإسنادين أحدهما من طريق المسند وصححه ، ووافقه الذهبي .

ورواه الحافظ المزي بإسناده إلى عبد الرزاق ، وقال : أخرجاه - يعنى الترمذي والنسائي - من حديث عبد الرزاق عنه ، فوقع لنا بدلًا عاليًا ، وذكر قول النسائي فيه .

وأورده السيوطي في الدر المنثور (٥/٣) وزاد نسبته إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، والعقيلي ، والبيهقي في الدلائل ، والضياء في المختارة .

(٢) - **حسن** ، والحديث رواه النسائي في كتاب التفسير من سننه الكبرى ١١٣٥٠ - (٦/٤١٢) ورواه البخاري في الأدب المفرد حديث ٣٠٨ ، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص ٢٩ ، والحاكم في مستدركه (٢/٣٩٢) وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل (٢/٣٠٩) . جميعهم من حديث جعفر بن سليمان عن أبي عمران به . وزاد السيوطي في الدر (٥/٣) نسبته إلى ابن المنذر .

وهذا إسناد حسن من أجل يزيد بن بابنوس ، قال البخاري : كان من الذين قاتلوا عليًا . وقال ابن عدي : أحاديثه مشاهير . وقال الدارقطني : لا بأس به . وذكره ابن حبان في الثقات . وقال أبو حاتم : مجهول . وقال أبو داود : كان شيعيًا . وفي التقريب : مقبول .

وشطره الأول صحيح ، رواه مسلم في صحيحه في حديث طويل ، وأبو داود حديث ١٣٤٢ ، والنسائي في الصغرى حديث ١٦٠١ ، وابن ماجه في كتاب الأحكام ، حديث ٢٣٣٣ ، والدارمي في سننه (١/ ٣٤٥) ، وأحمد (٦/٥٤ ، ٩١ ، ١١١ ، ١٦٣ ، ١٨٨ ، ٢١٦) .

وقد رُوي عن كعب الأحبار ، ومجاهد ، وأبي العالية ، وغيرهم : لما خلق اللّه جنة عدن ، وغرسها بيده ، نظر إليها ، وقال لها : تكلمي . فقالت : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ . قال كعب الأحبار : لِما أعد لهم من الكرامة فيها . وقال أبو العالية : فأنزل اللّه ذلك في كتابه .

وقد رُوي ذلك عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا ، فقال أبو بكر البزار(٣) : حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا [أبو][١] المغيرة بن سلمة ، حدثنا وهيب ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : خلق اللّه الجنة لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وغرسها ، وقال لها تكلمي : فقالت : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ ، فدخلتها الملائكة فقالت : طوبىٰ لك ، منزلَ الملوك ! .

ثم قال(٤) : وحدثنا بشر بن آدم ، وحدثنا يونس بن عبيد اللّه العمري[٢] ، حدثنا عدي ابن الفضل ، حدثنا الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **خلق اللّه الجنة لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وملاطها[٣] المسك** » . قال أبو بكر البزار[٤] : ورأيت في موضع آخر في هذا الحديث : « **حائط الجنة لبنة ذهب ، ولبنة**

---

(٣) - الحديث في مختصر زوائد البزار حديث ٢٢٥٣ - (٢/٤٨٠) . وإسناده هكذا : حدثنا محمد بن المثنى ، ثنا الحجاج بن المنهال ، ثنا حماد بن سلمة ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد رضي الله عنه فذكره . وأورده في كشف الأستار حديث ٣٥٠٧ . وذكره في مجمع الزوائد (١٠/٣٩٧) وقال : رواه البزار مرفوعًا وموقوفًا ، والطبراني في الأوسط إلا أنه قال : عن النبي ﷺ قال : « **إن الله خلق جنة عدن بيده لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة** » والباقي بنحوه . ورجال الموقوف رجال الصحيح ، وأبو سعيد لا يقول هذا إلا بتوقف .

(٤) - **إسناده ضعيف** - وهو في مختصر زوائد البزار حديث ٢٢٥٤ - (٢/٤٨٠) . وكشف الأستار حديث ٣٥٠٨.

ورواه الطبراني في الأوسط من حديث عثمان بن عمر الضبي ، عن أبي عمر الضرير ، عن عدي به [حديث ٣٧٠١ - (٤/٩٩)] وهو في مجمع البحرين حديث ٤٨٦٠ . وقال : لم يرو هذا الحديث عن الجريري إلا عدي بن الفضل .

وعدي بن الفضل : رُوي عن يحيى بن معين أنه قال : ضعيف ، وقال مرة : ليس بشيء . وفي موضع آخر : سئل يحيى بن معين : يكتب حديثه ؟ فقال : لا ، ولا كرامة . وعنه : ليس بثقة . وقال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : متروك الحديث ، وترك أبو زرعة حديثه . وقال أبو داود : ضعيف . وقال في موضع آخر : لا يكتب حديثه . وقال النسائي : ليس بثقة .

---

[١] - زيادة من ز .

[٢] - في ز ، وخ : « العبير » . وفي تهذيب الكمال : العميري .

[٣] - في خ : « بلاطها » . [٤] - سقط من خ .

فضة ، وملاطها المسك ، فقال لها : تكلمي . فقالت : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ . فقالت الملائكة : طوبىٰ لك ، منزل الملوك » .

ثم قال البزار : لا نعلم أحدًا رفعه إلا عدى بن فضل ، وليس هو بالحافظ ، وهو شيخ متقدم الموت .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥) : حدثنا أحمد بن عليّ ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا بقية ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال : قال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لما خلق اللَّه جنة عدن ، خلق فيها مالا عين رأت ، [ولا أذن سمعت]**[١] ، **ولا خطر علىٰ قلب بشر ، ثم قال لها : تكلمي . فقالت : ﴿ قد أفلح المومنون ﴾** » .

بقية : - عن الحجازيين - ضعيف .

وقال الطبراني(٦) : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا منجاب بن الحارث ، حدثنا حماد بن عيسىٰ العبسي ، عن إسماعيل السدي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس يرفعه : « **لما خلق اللَّه جنة عدن بيده ، ودلّىٰ فيها ثمارها ، وشق فيها أنهارها ، ثم نظر إليها فقال : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ قال : وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل** » .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا(٧) : حدثنا محمد بن المثنىٰ البزار ، حدثنا محمد بن زياد الكلبي ، حدثنا يعيش بن حسين ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **خلق اللَّه جنة عدن بيده ، لبنة من دُرّة بيضاء ، ولبنة من ياقوتة حمراء ، ولبنة من زَبَرْجَدَة خضراء ، ملاطها المسك ، وحصباؤها اللؤلؤ ، وحشيشها الزعفران ، ثم قال لها : انطقي . قالت : ﴿ قد أفلح**

(٥) - رواه الطبراني في الكبير حديث ١١٤٣٩ - (١٨٤/١١) ، وفي الأوسط حديث ٧٣٨ - (٢٢٤/١) . وقال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن ابن جريج ؛ إلا بقية ، تفرد به هشام بن خالد . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٩٧/١٠ - ٣٩٨) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وأحد إسنادي الطبراني في الأوسط جيد .

(٦) - **إسناده ضعيف** من أجل أبي صالح ، واسمه باذام ، ويقال : باذان ، مولى أم هانئ بنت أبي طالب ، قال النسائي : ليس بثقة . وقال أبو أحمد بن عدي : عامة ما يرويه تفسير ، روى ابن أبي خالد عنه تفسيرًا كبيرًا ، في ذلك التفسير ما لم يتابعه أهل التفسير عليه ، ولم أعلم أحدًا من المتقدمين رضيه . ، والحديث رواه الطبراني في الأوسط ٥٥١٨ - (٣٤٩/٥) . وقال : لم يرو هذا الحديث عن السدي إلا حماد بن عيسى ، تفرد به منجاب .

(٧) - صفة الجنة لابن أبي الدنيا رقم (٢٠) ومحمد بن زياد الكلبي : ويعيش بن حسين .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

المؤمنون ﴾ ، فقال الله : **وعزتي وجلالي ، لا يجاورني فيك بخيل** » . ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ .

فقوله تعالى : ﴿ **قد أفلح المؤمنون** ﴾ ، أي : قد فازوا وسعدوا ، وحصلوا على الفلاح ، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف .

﴿ **الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ قال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **خاشعون** ﴾ : خائفون ، ساكنون . وكذا رُوي عن مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والزهري . وعن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - : الخشوع : خشوع القلب . وكذا قال إبراهيم النخعي . وقال الحسن البصري : كان خشوعهم في قلوبهم ، فغضوا بذلك أبصارهم ، وخفضوا الجناح .

وقال محمد بن سيرين : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة ، فلما نزلت هذه الآية : ﴿ **قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾ خفضوا أبصارهم إلى موضع سجودهم .

قال ابن سيرين : وكانوا يقولون : لا يجاوز بصره مصلاه ، فإن كان قد اعتاد النظر فليغمض . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

ثم روى ابن جرير عنه وعن عطاء بن أبي رباح أيضًا مرسلًا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك ، حتى نزلت هذه الآية .

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرّغ قلبه لها ، واشتغل بها عما عداها ، وآثرها على غيرها ، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي ، عن أنس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « **حُبب إليَّ الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة** »(٨) .

وقال الإمام أحمد(٩) : حدثنا وكيع ، حدثنا مسعر ، عن عمرو بن مرة ، عن سالم بن أبي الجعد ، [عن رجل من أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **يا بلال ، أرحنا بالصلاة**][١] » .

---

(٨) - رواه النسائي (٧/٦١) (٣٩٣٩،٣٩٤٠) . ورواه أحمد (١٢٣١٤) .

(٩) - رواه أحمد حديث ٢٣١٩٤ - (٥/٣٦٤) . ورواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : في صلاة العتمة حديث ٤٩٨٥ - (٤/٢٩٨) من طريق مسدد ، عن عيسى بن يونس ، عن مسعر بن كدام به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[وقال الإمام أحمد أيضًا(١٠) : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، ثنا إسرائيل ، عن عثمان بن المغيرة ، عن سالم بن أبي الجعد][١] ، أن [عبد الله بن محمد بن الحنفية][٢] قال : دخلت مع أبي علىٰ صهر لنا من الأنصار ، فحضرت الصلاة ، فقال : يا جارية ، ائتني بوضوء لعلّي أصلي فأستريح . فرآنا أنكرنا عليه ذلك ، فقال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **قم يا بلال ، فأرحنا بالصلاة** » .

وقوله : ﴿ **والذين هم عن اللغو معرضون** ﴾ ، أي : عن الباطل ، وهو يشمل الشرك - كما قاله بعضهم - والمعاصي[٣] - كما قاله آخرون - ومالا فائدة فيه من الأقوال والأفعال ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كرامًا** ﴾ قال قتادة : أتاهم واللّٰه من أمر اللّٰه ما وقذهم[٤] عن ذلك .

وقوله : ﴿ **والذين هم للزكاة فاعلون** ﴾ الأكثرون علىٰ أن المراد بالزكاة هاهنا زكاة الأموال ، مع أن هذه الآية[٥] مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة ، في سنة اثنتين من الهجرة ، والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصب والمقادير الخاصة ، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبًا بمكة ، كما قال تعالىٰ في سورة الأنعام وهي مكية : ﴿ **وآتوا حقه يوم حصاده** ﴾ .

وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا زكاة النفس من الشرك والدنس ، كقوله : ﴿ **قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها** ﴾ وكقوله : ﴿ **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ علىٰ أحد القولين في تفسيرها .

وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادًا ، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال ، فإنه من جملة زكاة النفوس ، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطىٰ هذا وهذا ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون * إلا علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغىٰ وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾ ، أي : والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام ، فلا يقعون فيما نهاهم اللّٰه عنه من زنا أو لواط ، ولا يقربون سوىٰ أزواجهم

---

(١٠) - الحديث في المسند برقم ٢٣٢٦٠ - (٣٧١/٥) . ورواه أبو داود في كتاب الأدب ، باب : صلاة العتمة ، حديث ٤٩٨٦ - (٢٩٨/٤) . من طريق محمد بن كثير ، عن إسرائيل به .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في الأصول التي بين أيدينا " محمد بن الحنفية " والمثبت من المسند وسنن أبي داود .
[٣] - في خ : « والعاصي » . [٤] - في خ : « ما فذهم » .
[٥] - سقط من : خ .

التي أحلها اللّٰه لهم ، وما ملكت أيمانهم من السراري ، ومن تعاطىٰ ما أحله اللّٰه له فلا لوم عليه ولا حرج ، ولهذا قال : ﴿ **فإنهم غير ملومين * فمن ابتغىٰ وراء ذلك** ﴾ أي : غير الأزواج والإماء ﴿ **فأولئك هم العادون** ﴾ ، أي : المعتدون .

وقال ابن جرير(١١) : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا سعيد ، عن قتادة - أن امرأة اتخذت مملوكها[١] ، وقالت : تأولت آية من كتاب اللّٰه : ﴿ **أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ فأتىٰ بها عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - فقال له ناس من أصحاب النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : تأولتْ آية من كتاب اللّٰه - عز وجل - علىٰ غير وجهها . قال : فغرب العبد وجز رأسه ، وقال : أنتِ بعده حرام على كل مسلم .

هذا أثر غريب منقطع ، ذكره ابن جرير في أول تفسير سورة المائدة ، وهو هاهنا أليق ، وإنما حرمها على الرجال معاملة لها بنقيض قصدها ، واللّٰه أعلم .

وقد استدل الإمام الشافعي رحمه اللّٰه ومن وافقه علىٰ تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة : ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون * إلا علىٰ أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم** ﴾ ، قال : فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين ، وقد قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فمن ابتغىٰ وراء ذلك فأولئك هم العادون** ﴾ .

وقد استأنسوا بحديث رواه الإمام الحسن بن عرفة في جزئه المشهور(١٢) حيث قال : حدثني عليّ بن ثابت الجزري ، عن مسلمة بن جعفر ، عن حسان بن حميد ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **سبعة لاينظر اللّٰه إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولا يجمعهم مع العاملين**[٢] ، **ويدخلهم النار أول الداخلين** ، [**إلا أن يتوبوا**][٣] ، **فمن تاب ؛ تاب اللّٰه عليه : ناكح يده ، والفاعل والمفعول به ، ومدمن الخمر ، والضارب والديه حتىٰ يستغيثا ، والمؤذي جيرانه حتىٰ يلعنوه ، والناكح حليلة جاره** » . هذا حديث غريب ، وإسناده فيه من لا يعرف لجهالته ، واللّٰه أعلم .

وقوله : ﴿ **والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون** ﴾ ، أي : إذا ائتُمنوا لم يخونوا ، بل يؤدونها إلىٰ أهلها ، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك ، لا كصفات المنافقين ، الذين قال

---

(١١) - تفسير الطبري حديث ١١٢٧٧ - (٥٨٦/٩) .

(١٢) - إسناده ضعيف ، علته مسلمة هذا ، قال الذهبي : مسلمة بن جعفر ، عن حسان بن حميد ، عن أنس في سب الناكح يده ، يجهل هو وشيخه ، وقال الأزدي : ضعيف .

---

[١] - اتخذت مملوكها : أي أمكنته من نفسها ، وتسرت به كأنه زوج لها .

[٢] - في [خ] : « العالمين » . [٣] - ما بين المعكوفتين مكرر في [خ] .

فيهم النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان** »[١٣] .

وقوله : ﴿ **والذين هم علىٰ صلواتهم يحافظون** ﴾ ، أي : يواظبون عليها في مواقيتها ، كما قال ابن مسعود : سألت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم فقلت : يا رسول اللّه ! أي العمل أحب إلىٰ الله ؟ قال : « **الصلاة علىٰ وقتها** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **بر الوالدين** » . قلت : ثم أي ؟ قال : « **الجهاد في سبيل الله** » .

أخرجاه في الصحيحين[١٤] . وفي مستدرك الحاكم قال : « الصلاة في أول وقتها »[١٥] .

وقال ابن مسعود ومسروق في قوله : ﴿ **والذين هم على صلواتهم يحافظون** ﴾ يعنى : مواقيت الصلاة ، وكذا قال أبو الضحىٰ ، وعلقمة بن قيس ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة . وقال قتادة : علىٰ مواقيتها وركوعها وسجودها .

وقد افتتح اللّه ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة ، واختتمها بالصلاة ، فدل علىٰ أفضليتها ، كما قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ علىٰ الوضوء إلا مؤمن** »[١٦] .

ولما وصفهم تعالىٰ بالقيام بهذه الصفات الحميدة ، والفعال الرشيدة ، قال : ﴿ **أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون** ﴾ .

وثبت في الصحيحين[١٧] أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **إذا سألتم اللّه الجنة**

---

(١٣) - رواه البخاري في الإيمان (٣٣) ، ومسلم في الإيمان (٥٩) .

(١٤) صحيح البخاري كتاب الأدب (٥٩٧٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان (٨٥) .

(١٥) المستدرك (١٨٨/١) وقال الحاكم : « فقد صحت هذه اللفظة باتفاق الثقتين بندار - محمد بن بشار - والحسن بن مكرم على روايتهما عن عثمان بن عمرو ، وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » .

(١٦) ورد من حديث ثوبان : رواه أحمد (٢٤٢٧٩) (٢٧٦/٥ - ٢٧٧) وابن ماجة في كتاب الطهارة وسننها ، باب : المحافظة على الوضوء (٢٧٧) . من طريق سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد ، عنه به . وقال البوصيري : رجال إسناده ثقات أثبات ؛ إلا أن فيه انقطاعاً بين سالم وثوبان ، فإنه لم يسمع منه بلا خلاف ، ولكن أخرجه الدارمي ، وابن حبان في صحيحه من طريق ثوبان متصلاً .

ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة حديث (٢٧٨) من طريق المعتمر ، عن ليث ، عن مجاهد عنه ، به ، وإسناده ضعيف لأجل ليث بن أبي سليم .

ومن حديث أبي أمامة : رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها (٢٧٩) من طريق إسحاق بن أسيد عن أبي حفص الدمشقي عنه به ، وضعفه البوصيري في الزوائد .

(١٧) البخاري في كتاب الجهاد والسير (٢٧٩٠) ، وفي التوحيد (٧٤٢٣) عن أبي هريرة ، ولم يعزه صاحب التحفة إلى غير البخاري .

فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلىٰ الجنة ، وأوسط الجنة ، ومنه تَفَجَّر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن » .

وقال ابن أبي حاتم(١٨) : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : [« **ما منكم**][١] **من أحد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإن مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله : ﴿ أولئك هم الوارثون ﴾** » .

وقال ابن جريج : عن ليث ، عن مجاهد : **﴿ أولئك هم الوارثون ﴾** قال : ما من عبد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، فأما المؤمن فيبنىٰ بيته الذي في الجنة ، ويهدم بيته الذي في النار ، وأما الكافر فيهدم بيته الذي في الجنة ، ويبنىٰ بيته الذي في النار . ورُوي عن سعيد بن جبير نحو ذلك .

فالمؤمنون يرثون منازل الكفار ؛ لأنهم خلقوا لعبادة الله تعالىٰ ، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة ، وترك أولئك ما أمروا به مما خلقوا له ، أحرز هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل ، بل أبلغ من هذا أيضًا ، وهو ما ثبت في صحيح مسلم(١٩) ، عن أبي بردة بن أبي موسى [عن أبيه][٢] ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال ، فيغفرها الله لهم ، ويضعها علىٰ اليهود والنصارىٰ** » . وفي لفظ له : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا ، فيقول**[٣] **: هذا فكاكك من النار** » . فاستحلف عمر بن عبد العزيز أبا بردة بالله الذي لا إله إلا هو - ثلاث مرات - أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فحلف له .

قلت : هذه الآية كقوله تعالى : **﴿ تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيًا ﴾** .

وكقوله : **﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾** وقد قال مجاهد وسعيد بن جبير : الجنة بالرومية : هي[٤] الفردوس . وقال بعض السلف : لا يسمىٰ البستانُ فردوسًا إلا إذا كان فيه عنب ، فالله أعلم .

---

(١٨) ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب : صفة الجنة (٤٣٤١) عن أبي بكر بن أبي شيبة وأحمد بن سنان ، كلاهما عن أبي معاوية ، به . وقال البوصيري في الزوائد (٣٢٧/٣) : « هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين » .

(١٩) صحيح مسلم في كتاب التوبة حديث (٢٧٦٧) .

---

[١] - سقط من : [خ] .
[٢] - مكررة في خ .
[٣] - في ت : « فيقال » .
[٤] - سقط من : ت .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين ، وهو آدم عليه السلام ، خلقه الله من صلصال من حمإٍ مسنون .

وقال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن أبي يحيىٰ ، عن ابن عباس : ﴿ **من سلالة من طين** ﴾ . قال : صفوة الماء . وقال مجاهد : ﴿ **من سلالة** ﴾ أي : من مني آدم . وقال ابن جرير : إنما سمي آدم طينًا لأنه مخلوق منه . وقال قتادة : استل آدم من الطين . وهذا أظهر في المعنىٰ ، وأقرب إلىٰ السياق ، فإن آدم - عليه السلام - خلق من طين لازب ، وهو الصلصال من الحمإ المسنون ، وذلك مخلوق من التراب ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون** ﴾ .

وقال الإمام أحمد[٢٠] : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا عوف ، حدثنا قسامة بن زهير ، عن أبي موسىٰ ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم علىٰ قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض ، وبين ذلك ، والخبيث والطيب ، وبين ذلك** » . وقد رواه أبو داود والترمذي من طرق عن عوف الأعرابي به نحوه ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٢٠) المسند (٤/٤٠٠) (١٩٦٣٦) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب : في القدر ، حديث (٤٦٩٣) (٤/٢٢٢) . والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة البقرة ، حديث (٢٩٥٥) (٥/١٨٧-١٨٨) . وعبد بن حميد (٥٤٩) . وابن سعد في الطبقات (١/٢٣) . وابن خزيمة في التوحيد ص (٦٤) . والحاكم (٢/٢٦١-٢٦٢) . والطبرى (١/٢١٤) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ...﴾ من سورة البقرة . وابن حبان في صحيح في كتاب التاريخ ، باب : بدءُ الخلق (٦١٦٠) (١٤/٢٩) . وأبو نعيم في الحلية (٨/١٣٥) . كلهم من طريق عوف ، عن قسامة بن زهير ، عن أبي موسى - رضي الله عنه ... فذكره . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٦٣٠) . وزاد نسبته إلى ابن عساكر (٢/٣٠٧/٢) . والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٧،٣٨٥) .

﴿ ثم جعلناه نطفة ﴾ هذا الضمير عائد علىٰ جنس الإِنسان ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ وبدأ خلق الإِنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴾ ، أي : ضعيف ، كما قال : ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين ﴾ يعني : الرحم معد لذلك مهيأ له ، ﴿ إلىٰ قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون ﴾ ، أي : مدة معلومة وأجل معين ، حتىٰ استحكم ، وتنقل من حال إلىٰ حال ، وصفة إلىٰ صفة ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ ثم خلقنا النطفة علقة ﴾ ، أي : ثم[١] صيرنا النطفة ، وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل ، وهو ظهره - وترائب المرأة - وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلىٰ الثندوة فصارت علقة حمراء على شكل العلقة ، مستطيلة . قال عكرمة : وهي دم ﴿ فخلقنا العلقة مضغة ﴾ ، وهي قطعة كالبَضعة من اللحم ، لا شكل فيها ولا تخطيط ، ﴿ فخلقنا المضغة عظامًا ﴾ ، يعني : شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين ، بعظامها وعصبها وعروقها .

وقرأ آخرون : ﴿ فخلقنا المضغة عظمًا ﴾ قال ابن عباس : وهو عظم الصلب .

وفي الصحيح (٢١) من حديث أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « كل جسد ابن آدم يبلىٰ إلا عَجْبُ الذنب ، منه خلق ، ومنه[٢] يُركب » . ﴿ فكسونا العظام لحمًا ﴾ أي : وجعلنا علىٰ ذلك ما يستره ويشده ويقويه ﴿ ثم أنشأناه خلقًا آخر ﴾ ، [أي : ثم نفخنا فيه الروح ، فتحرك وصار خلقًا آخر][٣] ، ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب ﴿ فتبارك اللَّه أحسن الخالقين ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا جعفر بن مسافر ، حدثنا يحيىٰ بن حسان ، حدثنا النضر - يعني ابن كثير مولىٰ بني هاشم - حدثنا زيد بن عليّ ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - قال : إذا تمت النطفة[٤] أربعة أشهر ، بُعث[٥] إليها ملكٌ[٦] فنفخ فيها الروح في الظلمات الثلاث ، فذلك قوله : ﴿ ثم أنشأناه خلقًا آخر ﴾ ، يعني : [نفخنا فيه][٧] الروح. وروي عن أبي سعيد الخدري أنه [نفخ][٨] الروح .

(٢١) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن برقم (٤٨١٤، ٤٩٣٥) ، وصحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] - سقط من : [خ] .
[٢] - في خ : «وفيه » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - في ت : للنطفة .
[٥] - في ت : بعث الله .
[٦] - في ت : ملكًا .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « به » .
[٨] - سقط من ز .

[قال ابن عباس : ﴿ **ثم أنشأناه خلقًا آخر** ﴾ ، يعني به الروح][١] . وكذا قال مجاهد ، وعكرمة ، والشعبي ، والحسن ، وأبو العالية ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، والسدي ، وابن زيد ، واختاره ابن جرير . وقال العوفي : عن ابن عباس : ﴿ **ثم أنشأناه خلقًا آخر** ﴾ ، يعني : ننقله[٢] من حال إلىٰ حال ، إلىٰ أن خرج طفلًا ، ثم نشأ صغيرًا ثم احتلم ، ثم صار شابًّا ، ثم كهلًا ، ثم شيخًا[٣] هرمًا . وعن قتادة والضحاك نحو ذلك ، ولا منافاة ؛ فإنه من ابتداء نفخ الروح شرع في هذه التنقلات والأحوال ، والله أعلم .

قال الإمام أحمد في مسنده (٢٢) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن زيد بن وهب ، عن عبد الله - هو ابن مسعود قال : حدثنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « **إن أحدكم ليجمع خلقه**[٤] **في بطن أمه في أربعين يومًا ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : رزقه ، وأجله ، وعمله ، وهل هو شقي أو سعيد . فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها** » . أخرجاه من حديث سليمان بن مهران الأعمش .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن خيثمة قال : قال عبد الله - يعني ابن مسعود - : إن النطفة إذا وقعت في الرحم ، طارت في كل شعر وظفر ، فتمكث أربعين يومًا ، ثم تتحدر[٥] في الرحم فتكون علقة .

وقال الإمام أحمد أيضًا (٢٣) : حدثنا حسين بن الحسن ، حدثنا أبو كُدَينة ، عن عطاء ابن السائب ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن عبد الله قال : مر يهودي برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه ، فقالت قريش[٦] : يا يهودي ! إن هذا يزعم أنه نبي . فقال : لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي . قال : فجاءه حتىٰ جلس ، فقال : يا محمد ! مم يخلق الإنسان ؟ فقال : « **يا يهودي ! من كلٍّ يُخْلَقُ ، من نطفة الرجل ومن**

---

(٢٢) تفسير الطبري (٨١/٨) .

(٢٣) المسند (٣٨٢/١) ، وصحيح البخاري ، كتاب القدر حديث (٦٥٩٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب القدر (٢٦٤٣) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٢] - في ز : ينقله .
[٣] - بعده في ت : « ثم » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في [خ] : « تتحد » .
[٦] - سقط من : ز، خ .

نطفة المرأة ، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم » . [فقام اليهودي فقال : هكذا كان يقول من قبلك][١] .

وقال الإمام أحمد(٢٤) : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين ليلة ، فيقول : يا رب ! ماذا ؟ أشقي أم سعيد ؟ أذكر أم أنثى ؟ فيقول الله ، [فيكتبان ، فيقولان : ماذا ؟ أذكر أم أنثى ؟ فيقول الله عز وجل][٢] ، فيكتبان ، ويكتب عمله وأثره ، ومصيبته ورزقه ، ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد على ما فيها ولا ينقص** » .

وقد رواه مسلم في صحيحه(٢٥) من حديث سفيان بن عيينة ، عن عمرو - وهو ابن دينار - به نحوه ، ومن طرق أخرى ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن حذيفة بن أسيد أبي سريحة الغفاري بنحوه ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٢٦) : حدثنا أحمد بن عَبْدَة ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا عبيد الله بن أبي بكر ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن الله وكل بالرحم ملكا ، فيقول : أي رب ! نطفة . أي رب ! علقة . أي رب ! مضغة . فإذا أراد الله خلقها قال : يا رب ! ذكر أو أنثى ؟ شقي أو سعيد ؟ فما الرزق والأجل ؟ قال : فذلك يكتب في بطن أمه** » .

أخرجاه في الصحيحين(٢٧) من حديث حمّاد بن زيد به .

وقوله : ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ ، يعني : حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال ، وشكل إلى شكل ، حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السّويّ الكامل الخلق قال : ﴿ **فتبارك الله أحسن الخالقين** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا علي بن زيد ، عن أنس قال : قال عمر - يعني ابن الخطاب رضي الله عنه - : وافقت ربي ووافقني في أربع ؛ نزلت هذه الآية : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من**

---

(٢٤) المسند (٤٦٥/١) .

(٢٥) المسند (٦/٤) (١٦١٨٩) ، وصحيح مسلم ، كتاب القدر حديث (٢٦٤٤) .

(٢٦) صحيح مسلم ، كتاب القدر حديث (٢٦٤٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

طين ﴾ . الآية . قلت أنا : فتبارك اللَّه أحسن الخالقين ، فنزلت : ﴿ **فتبارك اللَّه أحسن الخالقين** ﴾

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا شيبان ، عن جابر الجعفي ، عن عامر الشعبي ، عن زيد بن ثابت الأنصاري[٢٨] قال : أملىٰ عليَّ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم هذه الآية : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **خلقًا آخر** ﴾ فقال معاذ : فتبارك اللَّه أحسن الخالقين ! فضحك رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال له معاذ : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : « بها ختمت : ﴿ **فتبارك اللَّه أحسن الخالقين** ﴾ » .

جابر بن زيد الجعفي ضعيف جدًّا ، وفي خبره هذا نكارة شديدة ، وذلك أن هذه السورة مكية . وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة ، وكذلك إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضًا ، فاللَّه أعلم .

وقوله : ﴿ **ثم إنكم بعد ذلك لميتون** ﴾ يعني : بعد هذه النشأة الأولىٰ من العدم تصيرون إلىٰ الموت ﴿ **ثم إنكم يوم القيامة تبعثون** ﴾ يعني : النشأة الآخرة ﴿ **ثم اللَّه ينشئ النشأة الآخرة** ﴾ يعني : يوم المعاد ، وقيام الأرواح والأجساد ، فيحاسب الخلائق ويوفي كل عامل عمله ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

لما ذكر تعالىٰ خلق الإنسان ، عطف بذكر خلق السموات السبع ، وكثيرًا ما يذكر تعالىٰ خلق السموات والأرض مع خلق الإنسان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لخلق السمٰوات والأرض أكبر من خلق الناس** ﴾ وهكذا في أول (الم السجدة) التي كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقرأ بها صبيحة يوم الجمعة ، في أولها خلق السموات والأرض ، ثم بيان خلق الإنسان من سلالة من طين ، وفيها أمر المعاد والجزاء ، وغير ذلك من المقاصد .

فقوله : ﴿ **سبع طرائق** ﴾ قال مجاهد : يعني السموات السبع . وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **تسبح له السمٰوات السبع والأرض ومن فيهن** ﴾ ، ﴿ **ألم تروا كيف خلق اللَّه سبع سمٰوات طباقًا** ﴾ ﴿ **اللَّه الذي خلق سبع سمٰوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن**

(٢٧) صحيح البخاري ، كتاب الحيض ، حديث (٣١٨) ، وصحيح مسلم ، كتاب القدر (٢٦٤٦) .

(٢٨) رواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٣٦٧) « مجمع البحرين » عن أبي زرعة عن آدم بن إياس به وجابر الجعفي ضعيف .

لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا ﴾ .

وهكذا قال هاهنا : ﴿ **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين** ﴾ ، أي: ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير ، وهو سبحانه لا يَحجبُ عنه سماء سماء ، ولا أرض أرضًا ، ولا جبل إلا يعلم ما في وَعْره ، ولا بحر إلا يعلم ما في قَعْره ، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال ، والبحار والقفار والأشجار ، ﴿ **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين** ﴾.

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ (٢٠) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢) ﴾

يذكر تعالى نعمه على عبيده[١] التي لا تعد ولا تحصى ، في إنزاله القطر من السماء ﴿ **بقدر** ﴾ ، أي : بحسب الحاجة ، لا كثيرًا فيفسد الأرض والعمران ، ولا قليلًا فلا يكفي الزروع والثمار ، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به ، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيرًا لزرعها ، ولا تحتمل دمنتها[٢] إنزال المطر عليها يسوق إليها الماء من بلاد أخرى ، كما في أرض مصر، ويقال لها : (الأرض الجرز) يسوق الله إليها ماء النيل ، معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها ، فيأتي الماء يحمل طينًا أحمر ، فيسقي أرض مصر ، ويقر الطين على أرضهم ليزدرعوا فيه ؛ لأن أرضهم سباخ يغلب عليها الرمال ، فسبحان اللطيف الخبير ، الرحيم الغفور .

وقوله : ﴿ **فأسكناه في الأرض** ﴾ ، أي : جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض ، وجعلنا[٣] في الأرض قابلية له ، تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى .

وقوله : ﴿ **وإنا على ذهاب به لقادرون** ﴾ ، أي : لو شئنا أن لا تمطر[٤] لفعلنا ، ولو

---

[١] - في ز : عبده .

[٢] - سقط من : [خ] .

[٣] - في ز : وجعل .

[٤] - في ز : نمطر .

شئنا لصرفناه عنكم إلىٰ السباخ والبراري والقفار لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه أجاجًا لا ينتفع به لشرب ولا لسقي لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الأرض بل ينجر علىٰ وجهها لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فيها يغور إلىٰ مدى لا تصلون إليه ولا تنتفعون به لفعلنا ، ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبًا فراتًا زلالًا ، فيسكنه في الأرض ويسلكه ينابيع في الأرض ، فيفتح العيون والأنهار ، فيسقي به الزروع والثمار ، وتشربون منه ودوابكم وأنعامكم ، وتغتسلون منه وتتطهرون وتتنظفون ، فله الحمد والمنة .

وقوله : ﴿ **فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب** ﴾ ، يعني : فأخرجنا لكم بما أنزلنا من السماء ﴿ **جنات** ﴾ أي : بساتين ﴿ **وحدائق ذات بهجة** ﴾ ، أي : ذات منظر حسن .

وقوله : ﴿ **من نخيل وأعناب** ﴾ ، أي : فيها نخيل وأعناب ، وهذا ما كان يألف أهل الحجاز ، ولا فرق بين الشيء وبين نظيره ، وكذلك في حق كل أهل إقليم ، عندهم من الثمار من نعمة اللّٰه عليهم ما يعجزون عن القيام بشكره .

وقوله : ﴿ **لكم فيها فواكه كثيرة** ﴾ ، أي : من جميع الثمار ، كما قال : ﴿ **ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات** ﴾ وقوله[١] : ﴿ **ومنها تأكلون** ﴾ كأنه معطوف علىٰ شيء مقدر ، تقديره : تنظرون إلىٰ حسنه ونضجه ، ومنه تأكلون .

وقوله : ﴿ **وشجرةً تخرج من طور سيناء** ﴾ ، يعني : الزيتونة . والطور : هو الجبل ، وقال بعضهم : إنما يسمىٰ طورًا إذا كان فيه شجر ، فإن عري عنها سمي جبلًا لا طورًا ، واللّٰه أعلم . وطور سيناء : هو طور سينين ، وهو الجبل الذي كُلِّم عليه موسىٰ بن عمران عليه السلام ، وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون .

وقوله : ﴿ **تَنْبُتُ بالدهن** ﴾ قال بعضهم : الباء زائدة ، وتقديره : تنبت الدهن ، كما في قول العرب : ألقىٰ فلان بيده ، أي : يده . وأما علىٰ قول من يضمن الفعل فتقديره : تخرج بالدهن ، أو تأتي بالدهن ؛ ولهذا قال : ﴿ **وصبغ** ﴾ ، أي : أدم ، قاله قتادة ، ﴿ **للآكلين** ﴾ ، أي : فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ .

كما قال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا وكيع ، عن عبد اللّٰه بن عيسىٰ ، عن عطاء الشامي ، عن أبي أسيد - واسمه مالك بن ربيعة الساعدي الأنصاري - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **كلوا الزيت وادهنوا به ، فإنه من شجرة مباركة** » .

(٢٩) المسند (٤٩٧/٣) (١٦١٠١) . وهو حديث صحيح - إسناده ضعيف . عطاء الشامي الأنصاري : قال الحافظ في التقريب : مقبول ، من الرابعة .ت س .
=

[١] - سقط من ز .

وقال عبد بن حميد في مسنده(٣٠) وتفسيره : حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن زيد ابن أسلم ، عن أبيه ، عن عمر : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : **«ائتدموا بالزيت وادهنوا به ، فإنه يخرج من شجرة مباركة »** .

ورواه الترمذي وابن ماجة ، من غير وجه عن عبد الرزاق . قال الترمذي : ولا يعرف إلا من حديثه ، وكان يضطرب فيه ، فربما ذكر فيه عمر ، وربما لم يذكره .

قال أبو القاسم الطبراني(٣١) : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، حدثنا أبي ، حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثني الصعب بن حكيم بن شريك بن نميلة ، عن أبيه ، عن جده قال[١] : ضفت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - [ليلة عاشوراء ، فأطعمني][٢] من رأس بعير بارد ، وأطعمنا زيتًا ، وقال : هذا الزيت المبارك الذي قال الله لنبيه صلىٰ الله عليه وسلم .

وقوله : **﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون * وعليها وعلىٰ الفلك تحملون ﴾** يذكر تعالىٰ ما جعل لخلقه في الأنعام من المنافع ، وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرث ودم ، ويأكلون من حُملانها ، ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، ويركبون ظهورها ، ويحملونها الأحمال الثقال إلىٰ

= وقال في التهذيب : قال البخاري : لم يقم حديثه .وذكره العقيلي في الضعفاء .وذكره ابن حبان في الثقات . والحديث أخرجه الترمذي في كتاب الأطعمة ، باب : ما جاء في أكل الزيت (٤/ ٢٥١) حديث (١٨٥٢) . والدارمي في سننه (٢/ ١٠٢) . والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٧- ٣٩٨) . والطبراني في الكبير (١٩/ ٢٦٩- ٢٧٠) حديث (٥٩٧) . والخطيب في الموضح (٢/ ١٩٤) . والبغوي في شرح السنة (١١/ ٣١٠ ، ٣١١) رقم ٢٨٧٠ ، ٢٨٧١ . والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٤٠١ - ٤٠٢) . والبخاري في الكنى من تاريخه ص ٦ رقم ٣١ . وقال الترمذي : حديث غريب من هذا الوجه إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن عبد الله بن عيسى . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .اهـ .

وضعف الشيخ الألباني هذا الطريق تحت حديثه في السلسلة الصحيحة (٢٧٩) .

وذكر الشيخ له ثلاث طرق غير هذا ، فصحح الحديث بمجموع طرقه عن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عباس .

(٣٠) المنتخب لعبد بن حميد برقم (١٣) ، وسنن الترمذي ، كتاب الأطعمة (١٨٥١) ، سنن ابن ماجه ، كتاب الأطعمة (٣٣١٩) .

(٣١) المعجم الكبير (١/ ٧٤) والصعب بن حكيم لا يعرف كما قال الذهبي ،وقال الحافظ : مقبول ، وكذلك جده ، وأبو مستور .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ،خ : « ليلة ، فأطعمني عشورًا » .

البلاد النائية عنهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتحمل أثقالكم إلىٰ بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم** ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ **أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون** ﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

يخبر تعالىٰ عن نوح عليه السلام حين بعثه[١] إلىٰ قومه ؛ لينذرهم عذاب اللَّه وبأسه الشديد ، وانتقامه ممن أشرك به ، وخالف أمره وكذب رسله ﴿ **فقال يا قوم اعبدوا اللَّه ما لكم من إله غيره أفلا تتقون** ﴾ أي : ألا تخافون من اللَّه في إشراككم به ؟ ! ﴿ **فقال الملأ** ﴾ وهم السادة والأكابر منهم ﴿ **ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم** ﴾ يعنون : يترفع عليكم ، ويتعاظم بدعوىٰ النبوة ، وهو بشر مثلكم ، فكيف[٢] أوحي إليه دونكم ؟ ﴿ **ولو شاء اللَّه لأنزل ملائكة** ﴾ ، أي : لو أراد أن يبعث نبيًا ، لبعث ملكا من عنده ولم يكن بشرًا ! ﴿ **ما سمعنا بهذا** ﴾ ، أي : ببعثة البشر ﴿ **في آبائنا الأولين** ﴾ يعنون بهذا أسلافهم[٣] وأجدادهم والأمم الماضية .

وقوله : ﴿ **إن هو إلا رجل به جنّة** ﴾ ، أي : مجنون فيما يزعمه ، من أن اللَّه أرسله إليكم ، واختصه من بينكم بالوحي ﴿ **فتربصوا به حتىٰ حين** ﴾ ، أي : انتظروا به ريب المنون ، واصبروا عليه مدّة حتىٰ تستريحوا منه .

قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم

---

[١] - في ز : بعثه اللَّه . [٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : آباءهم .

مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

[يقول تعالى مخبرًا][١] عن نوح عليه السلام أنه دعا ربه يستنصره على قومه ، كما قال تعالى مخبرًا عنه[٢] في الآية الأخرى : ﴿ **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **رب انصرني بما كذبون** ﴾ فعند ذلك أمره الله تعالى بصنعة السفينة وإحكامها وإتقانها ، وأن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ، أي : ذكرًا وأنثى من كل صنف من الحيوانات والنباتات والثمار ، وغير ذلك ، وأن يحمل فيها أهله ﴿ **إلا من سبق عليه القول منهم** ﴾ ، أي : سبق فيه القول من الله بالهلاك ، وهم الذين لم يؤمنوا به من أهله ؛ كابنه وزوجته ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون** ﴾ أي : عند معاينة إنزال المطر العظيم ، لا تأخذنك رأفة بقومك ، وشفقة عليهم ، وطمع في تأخيرهم[٣] لعلهم يؤمنون ، فإني قد قضيت أنهم مغرقون على ما هم عليه من الكفر والطغيان ، وقد تقدمت القصة مبسوطة في سورة هود بما يغني عن إعادة ذلك هاهنا .

وقوله : ﴿ **فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين** ﴾ كما قال : ﴿ **وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون** ﴾ وقد امتثل نوح - عليه السلام - هذا . كما قال تعالى : ﴿ **وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها** ﴾ فذكر الله تعالى عند ابتداء سيره وعند انتهائه . وقال تعالى : ﴿ **وقل ربي أنزلني منزلًا مباركًا وأنت خير المنزلين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن في ذلك لآيات** ﴾ أي : إن في هذا الصنيع - وهو إنجاء المؤمنين ، وإهلاك الكافرين - ﴿ **لآيات** ﴾ أي : لحجج ودلالات واضحات على صدق الأنبياء فيما جاءوا به عن الله تعالى ، وأنه تعالى فاعل لما يشاء ، قادر[٤] على كل شيء ، عليم بكل شيء .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « يخبر تعالى » . [٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : تأخرهم . [٤] - في ز : وقادر .

وقوله : ﴿ وإن كنا لمبتلين ﴾ أي : لمختبرين للعباد بإرسال المرسلين .

﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٣٤) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٤١) ﴾

يخبر تعالىٰ أنه أنشأ بعد قوم نوح قرنًا آخرين[١] - قيل : المراد بهم عاد ؛ فإنهم كانوا مستخلفين بعدهم ، وقيل : المراد بهؤلاء ثمود ؛ لقوله : ﴿ **فأخذتهم الصيحة بالحق** ﴾ وأنه تعالى أرسل فيهم رسولًا منهم ، فدعاهم إلىٰ عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، فكذبوه وخالفوه ، وأبوا عن[٢] اتباعه ؛ لكونه بشرًا مثلهم ، واستنكفوا عن اتباع رسول بشري ، فكذبوا بلقاء اللَّه في القيامة ، وأنكروا المعاد الجثماني ، وقالوا : ﴿ **أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا أنكم مخرجون * هيهات هيهات لما توعدون** ﴾ ، أي : بعيد بعيد ذلك ﴿ **إن هو إلا رجل افترىٰ علىٰ اللَّه كذبًا** ﴾ ، أي : فيما جاءكم به من الرسالة والنذارة والإخبار بالمعاد ﴿ **وما نحن له بمؤمنين * قال رب انصرني بما كذبون** ﴾ ، أي : استفتح عليهم الرسول ، واستنصر ربه عليهم ، فأجاب دعاءه ، ﴿ **قال عما قليل ليصبحن نادمين** ﴾ ، أي : بمخالفتك وعنادك فيما جئتهم به ، ﴿ **فأخذتهم الصيحة بالحق** ﴾ ، أي : وكانوا يستحقون ذلك من اللَّه لكفرهم وطغيانهم .

---

[١] - في ز ، خ : « آخر » . [٢] - في ز : من .

والظاهر أنه اجتمع عليهم صيحة مع الريح الصرصر العاصف القوي البارد[١] ، ﴿ تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى[٢] إلا مساكنهم ﴾ وقوله : ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾ ، أي : صرعى هلكى كغثاء السيل ، وهو : الشيء الحقير التافه الهالك الذي[٣] لا ينتفع بشيء منه ، ﴿ فبعدًا للقوم الظالمين ﴾ ، كقوله : ﴿ وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ﴾ أي : بكفرهم وعنادهم ، ومخالفة رسول الله ، فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم .

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ ثم أنشأنا [من بعدهم][٤] قرونًا آخرين ﴾ ، أي : أممًا وخلائق ، ﴿ ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون ﴾ ، يعني : بل [يؤخذون علىٰ][٥] حسب ما قدر لهم تعالىٰ في كتابه المحفوظ وعلمه قبل كونهم ، أمة بعد أمة ، وقرنًا بعد قرن ، وجيلًا بعد جيل ، وخلفًا بعد سلف .

﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترىٰ ﴾ قال ابن عباس : يعني : يتبع بعضهم بعضًا ، وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدىٰ الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ﴾ وقوله : ﴿ كلما جاء أمة رسولها كذبوه ﴾ يعني : جمهورهم وأكثرهم ، كقوله تعالىٰ : ﴿ يا حسرة علىٰ العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴾ وقوله : ﴿ فأتبعنا بعضهم بعضًا ﴾ ، أي : أهلكناهم ، كقوله : ﴿ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ﴾ وقوله : ﴿ وجعلناهم أحاديث ﴾ أي : أخبارًا وأحاديث للناس ، كقوله : ﴿ فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات [لكل صبارٍ شكورٍ][٦] ﴾

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا

---

[١] - في ز : الباردة .
[٢] - في ز: ترى .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من ز . وفوق الآية كتب : «كذا» .
[٥] - في ز : يوجدون .
[٦] - في ز : لقوم يؤمنون .

عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

يخبر تعالىٰ أنه بعث رسوله موسىٰ - عليه السلام - وأخاه هارون إلىٰ فرعون وملائه ، بالآيات والحجج الدامغات ، والبراهين القاطعات ، وأن فرعون وقومه استكبروا عن اتباعهما ، والانقياد لأمرهما ؛ لكونهما بشرين ، كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر ، تشابهت قلوبهم ، فأهلك الله فرعون وملأه ، وأغرقهم في يوم واحد أجمعين ، وأنزل علىٰ موسىٰ الكتاب ، وهو : التوراة ، فيها أحكامه وأوامره ونواهيه ، وذلك بعدما قصم الله فرعون والقبط ، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وبعد أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة بعامة ، بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد آتينا موسىٰ الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولىٰ بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون** ﴾ [**ثم قال تعالى**][١]

وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عبده ورسوله عيسىٰ ابن مريم - عليهما السلام - أنه جعلهما آية للناس ، أي : حجة قاطعة علىٰ قدرته علىٰ ما يشاء ، فإنه خلق آدم من غير أبٍ ولا أم ، وخلق حواء من ذكرٍ بلا أنثىٰ ، وخلق عيسىٰ من أنثىٰ بلا ذكر ، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثىٰ .

وقوله : ﴿ **وآويناهما إلىٰ ربوة ذات قرار ومعين** ﴾ ، قال الضحاك عن ابن عباس : الربوة : المكان المرتفع من الأرض ، وهو أحسن ما يكون فيه النبات . وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة .

قال ابن عباس : وقوله : ﴿ **ذات قرار** ﴾ يقول : ذات خصب ﴿ **ومعين** ﴾ يعني ماء طاهرًا .

وقال مجاهد : ربوة مستوية .

[وقال سعيد بن جبير : ﴿ **ذات قرار ومعين** ﴾ استوىٰ الماء فيها][٢] .

وقال مجاهد وقتادة : ﴿ **ومعين** ﴾ : الماء الجاري .

ثم اختلف المفسرون في مكان هذه الربوة في أي أرض هي ؟ فقال عبد الرحمن بن زيد

---

[١] - سقط من ت ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ابن أسلم : ليس الربىٰ إلا بمصر ، والماء حين يرسل يكون الربىٰ عليها القرىٰ ، ولولا الربىٰ غرقت القرىٰ . ورُوي عن وهب بن منبه نحو هذا ، وهو بعيد جدًّا .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن يزيد المقرئ ، حدثنا سفيان ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى : ﴿ **وآويناهما إلىٰ ربوة ذات قرار ومعين** ﴾ قال : هي دمشق .

قال : وروي عن عبد اللَّه بن سلام ، والحسن[١] ، وزيد بن أسلم ، وخالد بن معدان نحو ذلك .

وقال ابن أبي حاتم[٢] : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **ذات قرار ومعين** ﴾ قال : أنهار دمشق .

وقال ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد : ﴿ **وآويناهما إلىٰ ربوة** ﴾ قال : عيسىٰ ابن مريم وأمه ، حين أويا إلىٰ غوطة دمشق وما حولها .

وقال عبد الرزاق : عن بشر بن رافع ، عن أبي عبد اللَّه بن عم أبي هريرة قال : سمعت أبا هريرة يقول في قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **إلىٰ ربوة ذات قرار ومعين** ﴾ قال : هي الرملة من فلسطين .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن يوسف الفريابي ، حدثنا روّاد بن الجراح ، حدثنا عباد[٣] بن عباد الخواص أبو عتبة ، حدثنا السيباني[٤] ، عن ابن وعلة ، عن كريب السحولي ، عن مرة البهزي قال : سمعت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول لرجل : « **إنك ميت بالربوة** » . فمات بالرملة[٥] . وهذا حديث غريب جدًّا .

وأقرب الأقوال في ذلك : ما رواه العوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وآويناهما إلىٰ ربوة ذات قرار ومعين** ﴾ قال : المعين : الماء الجاري ، وهو النهر الذي قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **قد جعل ربك تحتك سريًّا** ﴾ . وكذا قال الضحاك وقتادة : ﴿ **إلىٰ ربوة ذات قرار ومعين** ﴾ : هو بيت المقدس . فهذا واللَّه أعلم هو الأظهر ؛ لأنه المذكور في الآية الأخرىٰ ، والقرآن يفسر [بعضه بعضًا ، وهو[٦] أولىٰ ما][٧] يفسر به ، ثم الأحاديث الصحيحة ، ثم الآثار .

---

[١] – في خ : « الحسين » .

[٢] – سقط من : خ .

[٣] – في ز : عبد الله .

[٤] – في ز : الشيباني .

[٥] – في خ : « بالربلة » .

[٦] – في ت : وهذا .

[٧] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ (٥٦) ﴾

يأمر تعالىٰ عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين بالأكل من الحلال ، والقيام بالصالح من الأعمال ، فدل هذا علىٰ أن الحلال عون علىٰ العمل الصالح ، فقام الأنبياء - عليهم السلام - بهذا أتم القيام ، وجمعوا بين كل خير قولًا وعملًا ودلالة ونصحًا ، فجزاهم اللَّه عن العباد خيرًا .

قال الحسن البصري في قوله : ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات** ﴾ قال : أما واللَّه ما أُمِروا بأصفركم ولا أحمركم ، ولا حلوكم ولا حامضكم ، ولكن قال[1] : انتهوا إلىٰ الحلال منه .

وقال سعيد بن جبير والضحاك : ﴿ **كلوا من الطيبات** ﴾ يعني : الحلال .

وقال أبو إسحاق السبيعي ، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل : كان عيسىٰ ابن مريم يأكل من غزل أمه .

وفي الصحيح(٣٢) : « **ما من نبي إلا رعىٰ الغنم** » . قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « **نعم ، كنت أرعاها علىٰ قراريط لأهل مكة** » .

وفي الصحيح(٣٣) : « **إن داود عليه السلام كان يأكل من كسب يده** » .

وفي الصحيحين(٣٤) : « **إن أحب الصيام إلىٰ اللَّه صيام داود ، وأحب القيام إلىٰ اللَّه قيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، ولا يفر إذا لاقىٰ** » .

(٣٢) صحيح البخاري ، كتاب الإجارة حديث (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٣٣) صحيح البخاري ، كتاب البيوع حديث (٢٠٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه نحوه .
(٣٤) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة حديث (١١٣١) ، وصحيح مسلم ، كتاب الصيام (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

[١] - سقط من : خ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع ، حدثنا أبو بكر بن أبي مريم ، عن ضمرة بن حبيب : أن أم عبد الله أخت[١] شداد بن أوس ، بعثت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقدح لبن عند فطره ، وهو صائم ، وذلك في أول النهار وشدة الحر فرد إليها رسولها : « **أنَّىٰ كانت لك الشاة ؟** » . فقالت : اشتريتها من مالي . فشرب منه ، فلما كان من الغد أتته أم عبد الله أخت[٢] شداد فقالت : يا رسول الله ! بعثت إليك بلبن مرثيّة[٣] لك من طول النهار وشدة الحر ، فرددت إليَّ الرسول فيه ؟ فقال لها : « **بذلك أمرت الرسل ، [أن لا تأكل][٤] إلا طيبًا ولا تعمل إلا صالحًا** »(٣٥) .

وقد ثبت في صحيح مسلم(٣٦) وجامع الترمذي ومسند الإمام أحمد - واللفظ له - من حديث فضيل بن مرزوق ، عن عدي بن ثابت ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا أيها الناس ! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إني بما تعملون عليم ﴾** ، وقال : **﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾** » . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام ، يمد يديه إلىٰ السماء : يا رب ! يا رب ! فأنىٰ يستجاب لذلك ؟ ! . وقال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث فضيل ابن مرزوق .

وقوله : **﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة ﴾** ، أي : دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد ، وملة واحدة ، وهو الدعوة إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له ؛ ولهذا قال : **﴿ وأنا ربكم فاتقون ﴾** وقد تقدم الكلام علىٰ ذلك في سورة الأنبياء ، وأن قوله : **﴿ أمة واحدة ﴾** منصوب علىٰ الحال .

وقوله : **﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبرًا ﴾** ، أي : الأمم الذين بعثت[٥] إليهم الأنبياء

(٣٥) ورواه الحاكم في المستدرك (١٢٥/٤) من طريق المعافى بن عمران عن أبي بكر بن أبي مريم به نحوه ، وقال : « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبي : « قلت : وابن أبي مريم واه » .
(٣٦) صحيح مسلم برقم (١٠١٥) ، وسنن الترمذي برقم (٢٩٨٩) ، والمسند (١٥٩/٦) .

[١] - في ز : بنت .
[٢] - في ز ، خ : « بنت » .
[٣] - سقط من : خ . ومعنى مرثية : توجُّعًا لك وإشفاقًا . من رثى له : إذا رق وتوجع . وهي من أبنية المصادر ، نحو المغفرة والمعذرة . وقيل : الصواب أن يقال : مرثاة لك . من قولهم : رثيت للحي رثيا ومرثاة ورثيت الميت مرثية . النهاية (١٩٦/٢) .
[٤] - في خ : « لا يأكلن » .
[٥] - في ز : بعث .

﴿ **كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ أي : يفرحون بما هم فيه من الضلال ؛ لأنهم يحسبون أنهم مهتدون ؛ ولهذا قال متهددًا لهم ومتوعدًا : ﴿ **فذرهم في غمرتهم** ﴾ ، أي : في غيهم وضلالهم ﴿ **حتىٰ حين** ﴾ ، أي : إلىٰ حين حينهم وهلاكهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ ، يعني : أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا ؟ ! كلا ، ليس الأمر كما يزعمون في قولهم : ﴿ **نحن أكثر أموالًا وأولادًا وما نحن بمعذبين** ﴾ ، لقد أخطأوا في ذلك وخاب رجاؤهم ، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاء ؛ ولهذا قال : ﴿ **بل لا يشعرون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد اللَّه ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ **إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملي لهم إن كيدي متين** ﴾ وقال : ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيدًا ، وجعلت له مالًا ممدودًا * وبنين شهودًا * ومهدت له تمهيدًا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفىٰ إلا من آمن وعمل صالحًا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون** ﴾ . والآيات في هذا كثيرة .

قال قتادة في قوله : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ قال : مُكِرَ واللَّه بالقوم في أموالهم وأولادهم ، يا بن آدم ، فلا تعتبر الناس بأموالهم وأولادهم ، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح .

وقال الإمام أحمد (٣٧) : حدثنا محمد [بن عبيد ، حدثنا أبان بن إسحاق ، عن الصباح ابن محمد ، عن مرة الهمداني][١] ، حدثنا عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن اللَّه قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم ، وإن اللَّه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب ، فمن أعطاه اللَّه الدين فقد أحبه ، والذي نفسي بيده ، لا يسلم عبد حتىٰ يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتىٰ يأمنَ جاره بوائقه** » . قالوا : وما بوائقه يا نبي اللَّه ؟ قال :

(٣٧) المسند (١/٣٨٧) .

[١] - ما بين المعكوفتين بياض في ز ، خ .

« غشمه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالًا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدّق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ، ولكن يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » .

إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى : ﴿ **إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون** ﴾ ، أي : هم مع[١] إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح ، مشفقون من الله خائفون منه ، وجلون من مكره بهم ؛ كما قال الحسن البصري : إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا .

﴿ **والذين هم بآيات ربهم يؤمنون** ﴾ ، أي : يؤمنون بآياته الكونية والشرعية ؛ كقوله تعالى إخبارًا عن مريم عليها السلام : ﴿ **وصدّقت بكلمات ربها وكتبه** ﴾ ، أي : أيقنت أن ما كان فإنما[٢] هو عن قدر الله وقضائه ، وما شرعه الله فهو إن كان أمرًا فمما يحبه ويرضاه ، وإن كان نهيًا فهو مما يكرهه ويأباه ، وإن كان خبرًا فهو حق ، كما قال الله : ﴿ **والذين هم بربهم لا يشركون** ﴾ ، أي : لا يعبدون معه غيره ، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله ، أحدًا صمدًا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ، وأنه لا نظير له ولا كفء له .

وقوله : ﴿ **والذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون** ﴾ . أي : يعطون العطاء[٣] وهم خائفون أن لا يتقبل منهم ، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء ، وهذا من باب الإشفاق[٤] والاحتياط .

كما قال الإمام أحمد(٣٨) : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا مالك بن مغول ، حدثنا عبد الرحمن بن سعيد بن وهب ، عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله ! ﴿ **الذين يؤتون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة** ﴾[٥] هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر ، وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال : « **لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق ؛ ولكنه الذي [يصلي و][٦] يصوم**

(٣٨) المسند (١٥٩/٦) (١٥٣٧٠) والحديث أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن =

[١] - في ز : من .
[٢] - في خ : إنما .
[٣] - بعده في ز : فيه .
[٤] - في ز : الاشتقاق .
[٥] - بعده في خ : « يا رسول الله » .
[٦] - سقط من ز .

ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل » .

وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم من حديث مالك بن مغول به بنحوه . وقال : « **لا ، يا بنت الصديق ، ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل**[١] **منهم ﴿ أولئك يسارعون في الخيرات ﴾** » . وقال الترمذي : روي هذا الحديث من حديث عبدالرحمن بن سعيد ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم نحو هذا .

وهكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والحسن البصري في تفسير هذه الآية .

وقد قرأ آخرون هذه الآية : (**والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة**) ، أي : يفعلون ما يفعلون وهم خائفون . ورُوي هذا مرفوعًا إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قرأ كذلك .

قال الإمام أحمد(٣٩) : حدثنا عفان ، حدثنا صخر بن جويرية ، حدثنا إسماعيل المكي ، حدثنا أبو خلف مولىٰ بني جمح ، أنه دخل مع عبيد بن عمير علىٰ عائشة - رضي الله عنها - فقالت : مرحبًا بأبي عاصم ، ما يمنعك أن تزورنا أو تُلِمّ بنا ؟ فقال : أخشىٰ أن أُمِلَّكِ . فقالت : ما كنت لتفعل . قال : جئت لأسألك[٢] عن آية في[٣] كتاب الله عز وجل ، كيف كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقرؤها . قالت : أية آية ؟ فقال : **﴿ الذين يؤتون ما ءاتوا ﴾** أو **﴿ الذين يأتون ما أتوا ﴾** فقالت : أيتهما أحب إليك ؟ فقلت : والذي نفسي بيده ، لإحداهما أحب إليّ من الدنيا جميعًا - أو الدنيا وما فيها - . قالت : وما هي ؟ فقلت : **﴿ الذين يأتون ما أتوا ﴾** فقالت : أشهد أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كذلك[٤] كان يقرؤها ، وكذلك أنزلت ، ولكن الهجاء حُرِّف .

إسماعيل بن مسلم المكي[٥] ضعيف . والمعنىٰ علىٰ القراءة الأولىٰ - وهي قراءة الجمهور : السبعة وغيرهم - أظهر ؛ لأنه قال : **﴿ أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾**

= سورة « المؤمنون » . (٥/ ٣٢٧، ٣٢٨/رقم : ٣١٧٥) . وابن ماجة في كتاب الزهد ، باب : التوقي على العمل (٢/ ١٤٠٤/رقم : ٤١٩٨) . والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٩٣-٣٩٤) . كلهم من طريق مالك بن مغول به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٣٩) المسند (٦/ ٩٥) (٢٤٧٥٣) **وإسماعيل المكي : قال الحافظ في التعجيل في ترجمة أبي خلف : إسماعيل المكي هو ابن أمية ، أحد الثقات المشهورين من رجال الصحيح ، وظن شيخنا الهيثمي =**

[١] - في ز : يقبل .
[٢] - في ز : لأسأل .
[٣] - في خ : من .
[٤] - في ز : كذا .
[٥] - في ت : « وهو » .

فجعلهم من السابقين ، ولو كان المعنىٰ علىٰ القراءة الأخرىٰ لأوشك أن لا يكونوا من السابقين ، بل من المقتصدين أو المقصرين ، والله تعالىٰ أعلم .

﴿ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن عدله في شرعه علىٰ عباده في الدنيا : أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها ، أي : إلا ما تطيق حمله والقيام به ، وأنه يوم القيامة يحاسبهم بأعمالهم التي كتبها عليهم في كتاب مسطور لا يضيع منه شيء ، ولهذا قال : ﴿ **ولدينا كتاب ينطق بالحق** ﴾ ، يعني : كتاب الأعمال ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ ، أي : لا يبخسون من الخير شيئًا ، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده[١] المؤمنين .

ثم قال منكرًا علىٰ الكفار والمشركين من قريش : ﴿ **بل قلوبهم في غمرة** ﴾ ، أي : في غفلة وضلالة ﴿ **من هذا** ﴾ ، أي : القرآن الذي أنزله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم .

وقوله : ﴿ **ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون** ﴾ قال الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **ولهم أعمال** ﴾ ، أي : سيئه ﴿ **من دون ذلك** ﴾ ، يعني :

= في مجمع الزوائد له أنه إسماعيل بن مسلم المكي ، وليس كما ظن . (التعجيل ترجمة ١٢٦٤) .
أبو خلف ؛ قال في التعجيل : لا يعرف ، وذكره أبو أحمد الحاكم في الكنى فيمن لم يقف له على اسم . قال الحافظ : وقد تابع عفان ويزيد ؛ عبد الوهاب بن عطاء عن صخر ، أخرجه أبو العباس السراج في تفسيره ، وقد تابع إسماعيل على روايته عن أبي خلف المذكور طلحة بن عمرو المكي ، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده عن عبد الله بن نمير ، عن طلحة ، وأخرجه الحاكم أيضًا من طريق وكيع عن طلحة ، فصار أبو خلف بذلك مشهوراً بعد أن كان مجهولاً ، لكن بقي بيان حاله . التعجيل ت ١٢٦٤ .

والحديث عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٢/٧ ، ٧٣) لأحمد ، وقال : «وفيه إسماعيل بن مسلم المكي وهو ضعيف » .

[١] - في ز : بعباده .

الشرك ﴿ **هم لها عاملون** ﴾ قال : لا بد أن يعملوها . وكذا روي عن مجاهد والحسن وغير واحد .

وقال آخرون : ﴿ **لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون** ﴾ ، أي : قد كتب عليهم أعمال سيئة لابد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة ، لتحق عليهم كلمة العذاب .

ورُوي نحو هذا عن مقاتل بن حيان والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو ظاهر قوي حسن . وقد قدمنا في حديث ابن مسعود : « **فوالذي لا إله غيره ، إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتىٰ ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها** » .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون** ﴾ ، يعني : حتىٰ إذا جاء مترفيهم - وهم : السعداء المنعمون في الدنيا - عذابُ اللَّه وبأسه ونقمته بهم ﴿ **إذا هم يجأرون** ﴾ ، أي : يصرخون ويستغيثون ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلًا إن لدينا أنكالًا وجحيمًا وطعامًا ذا غصة وعذابًا أليمًا** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص** ﴾

وقوله : ﴿ **لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون** ﴾ ، أي : لا نجيركم مما حل بكم ، سواء جأرتم أو سكتم ، لا محيد ولا مناص ولا وَزَرَ لزم الأمر ، ووجب العذاب . ثم ذكر أكبر ذنوبهم فقال : ﴿ **قد كانت آياتي تتلىٰ عليكم فكنتم علىٰ أعقابكم تنكصون** ﴾ ، أي : إذا دُعيتم أبيتم ، وإن طُلبتم امتنعتم ﴿ **ذلكم بأنه إذا دعي اللَّه وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم للَّه العلي الكبير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **مستكبرين به سامرًا تهجرون** ﴾ في تفسيره قولان ؛ أحدهما : أن ﴿مستكبرين﴾ حال منهم حين نكوصهم عن الحق وإبائهم إياه ، استكبارًا عليه واحتقارًا له ولأهله ، فعلىٰ هذا الضمير في ﴿ **به** ﴾ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه الحرم بمكة ، ذمّوا لأنهم كانوا يسمرون[١] به الهجر من الكلام .

والثاني : أنه ضمير القرآن ، كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام : إنه سحر ، إنه شعر ، إنه كهانة ، إلىٰ غير ذلك من الأقوال الباطلة .

والثالث : أنه محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كانوا يذكرونه في سمرهم بالأقوال الفاسدة ، ويضربون له الأمثال الباطلة ، من أنه شاعر ، أو كاهن ، أو ساحر ، أو كذاب ، أو مجنون ،

---

[١] - في خ : « يمرون » .

وكل ذلك باطل ، بل هو عبد الله ورسوله ، الذي أظهره الله عليهم وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ مستكبرين به ﴾ أي : بالبيت ، يفتخرون به ، ويعتقدون أنهم أولياؤه ، [وليسوا بهم][١] . كما قال النسائي في التفسير من سننه :

أخبرنا أحمد بن سليمان ، أخبرنا عبيد الله ، عن إسرائيل ، عن عبد الأعلىٰ ، أنه سمع سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس أنه قال : إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية : ﴿ مستكبرين به سامرًا تهجرون ﴾ ، فقال : مستكبرين بالبيت ، يقولون : نحن أهله ، ﴿ سامرًا ﴾ ، قال : [كانوا يتكبرون ويسمرون فيه ، ولا يعمرونه ويهجرونه][٢] (٤٠) . وقد أطنب ابن أبي حاتم هاهنا ، بما ذا حاصله .

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾

يقول تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم ، وتدبرهم له ، و[٣] إعراضهم عنه ، مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله علىٰ رسول أكمل منه ولا أشرف ، لا سيما آباؤهم[٤] الذين ماتوا في الجاهلية ، حيث لم يبلغهم كتاب ولا أتاهم نذير ، فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله إليهم بقبولها ، والقيام بشكرها

(٤٠) سنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٥١) .

[١] - ما بين المعكوفتين في خ : « ولستم به » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « يتكبرون يعمرونه يهجرونه » .

[٣] - في ز : وفي . [٤] - في ز : وآباؤهم .

وتفهمها ، والعمل بمقتضاها آناء الليل وأطراف النهار ، كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول صلىٰ اللَّه عليه وسلم ورضي عنهم .

وقال قتادة : ﴿ **أفلم يدبروا القول** ﴾ : إذًا واللَّه يجدون في القرآن زاجرًا عن معصية اللَّه لو تدبره القوم وعقلوه ، ولكنهم أخذوا بما تشابه به فهلكوا عند ذلك .

ثم قال منكرًا علىٰ الكافرين من قريش : ﴿ **أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون** ﴾ ، أي : أَفَهُم[١] لا يعرفون محمدًا وصدقه وأمانته وصيانته التي نشأ بها فيهم ؟ أي : أفيقدرون علىٰ إنكار ذلك والمباهتة فيه ؟ ولهذا قال جعفر بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - للنجاشي ملك الحبشة : أيها الملك ؛ إن اللَّه بعث إلينا رسولًا نعرف نسبه وصدقه وأمانته .

وهكذا قال المغيرة بن شعبة لنائب كسرىٰ حين بارزهم . وكذلك قال أبو سفيان صخر ابن حرب لملك الروم هرقل ، حين سأله وأصحابه عن صفات النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم ونسبه وصدقه وأمانته ، وكانوا بعد كفارًا لم يسلموا ، ومع هذا ما أمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك .

وقوله : ﴿ **أم يقولون به جنة** ﴾ يحكي[٢] قولَ المشركين عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه تقوّل القرآن ، أي : افتراه من عنده ، أو أن به جنونًا لا يدري ما يقول ، وأخبر عنهم أن قلوبهم لا تؤمن به ، وهم يعلمون بطلان ما يقولونه في القرآن ، فإنه قد أتاهم من كلام اللَّه ما لا [يطاق ولا][٣] يدافع ، وقد تحداهم وجميع أهل الأرض أن يأتوا بمثله ، فما استطاعوا ولا يستطيعون أبد الآبدين ؛ ولهذا قال : ﴿ **بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون** ﴾ يحتمل أن تكون هذه جملة حالية ، أي : في حالة[٤] كراهة أكثرهم للحق ، ويحتمل أن تكون خبرية مستأنفة ، واللَّه أعلم .

وقال قتادة : ذكر لنا أن نبيَّ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لقي رجلًا فقال له : « **أسلم** » . فقال الرجل : إنك لتدعوني إلى أمر أنا له كاره . فقال نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **وإن كنت كارهًا** » . وذكر لنا أنه لقي رجلًا فقال له : « **أسلم** » . فتصعَّده ذلك وكَبُرَ عليه ، فقال له نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أرأيت لو كنت في طريق وعْر وعْث ، فلقيت رجلًا تعرف وجهه وتعرف نسبه ، فدعاك إلىٰ طريق واسع سهل**[٥] ، **أكنت متِّبعه ؟** » . **قال : نعم . فقال :** « **فوالذي**[٦] **نفس محمد بيده ، إنك لفي أوعر من**

---

[١] - في ز : فهم .
[٢] - في ز ، خ : « علي » .
[٣] - بياض في ز .
[٤] - في ز :بحال .
[٥] - في ت : أسهل .
[٦] - في ز : والذي.

ذلك الطريق لو قد كنت عليه ، وإني لأدعوك [إلى أسهل][١] من ذلك لو دعيت إليه » . وذكر لنا أن نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم لقي رجلًا فقال له[٢] : « **أسلم** » . فتصعَّده ذلك ، فقال له نبي الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أرأيت فَتَيَيْك ؛ أحدهما إذا حدثك صدقك ، وإذا ائتمنته أدىٰ إليك ، أهو أحب إليك أم فتاك الذي إذا حدثك كذبك ، وإذا ائتمنته خانك ؟** » . قال : بل فتاي الذي إذا حدثني صدقني ، وإذا ائتمنته أدىٰ إليَّ . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **كذاكم أنتم[٣] عند ربكم** » .

وقوله : ﴿ **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السمٰوات والأرض ومن فيهن** ﴾ قال مجاهد وأبو صالح والسدي : الحق هو الله عز وجل ، والمراد : لو أجابهم الله إلىٰ ما في أنفسهم من الهوىٰ ، وشرع الأمور علىٰ وفق ذلك ، ﴿ **لفسدت السمٰوات والأرض ومن فيهن** ﴾ ، أي : لفساد أهوائهم واختلافها .

كما أخبر عنهم في قولهم : ﴿ **لولا نزل[٤] هذا القرآن علىٰ رجل من القريتين عظيم** ﴾ ، ثم قال : ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **أم لهم نصيب من الملك فإذًا لا يؤتون الناس نقيرًا** ﴾ ، ففي هذا كله تبيين عجز العباد ، واختلاف آرائهم وأهوائهم ، وأنه تعالىٰ هو الكامل في جميع صفاته ، وأقواله وأفعاله ، وشرعه وقدره ، وتدبيره لخلقه ، تعالىٰ وتقدس ، فلا إله غيره ، ولا رب سواه . ثم قال : ﴿ **بل أتيناهم بذكرهم** ﴾ يعني القرآن . ﴿ **فهم عن ذكرهم معرضون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أم تسألهم خَرْجًا** ﴾ ، قال الحسن : أجرًا . وقال قتادة : جعلًا ﴿ **فخراج ربك خير** ﴾ أي : أنت لا تسألهم أجرًا[٥] ولا جعلًا ولا شيئًا علىٰ دعوتك إياهم إلىٰ الهدىٰ ، بل أنت في ذلك تحتسب عند الله جزيل ثوابه ، كما قال : ﴿ **قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا علىٰ الله** ﴾ وقال : ﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين** ﴾ وقال : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربىٰ** ﴾ ، وقال : ﴿ **وجاء من أقصىٰ المدينة رجل يسعىٰ قال يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإنك لتدعوهم إلىٰ صراط مستقيم * وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون** ﴾ . قال الإمام أحمد :

---

[١] - في خ : لأسهل .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : أنزل
[٥] - في ز : أجرة .

حدثنا حسن بن موسىٰ ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أتاه - فيما يرىٰ النائم - ملكان ، فقعد أحدهما عند رجليه ، والآخر عند رأسه ، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : اضرب مثل هذا ومثل أمته . فقال : إن [مثل هذا][١] ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلىٰ رأس مفازة ، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به ، فبينا هم كذلك ؛ إذ أتاهم رجل في حلة حبرة ، فقال : أرأيتم إن وردت بكم[٢] رياضًا مُعشبة ، وحياضًا رِوَاء ، تتبعوني ؟ فقالوا : نعم . قال : فانطلق بهم ، فأوردهم رياضًا مُعشبة وحياضًا رواء ، فأكلوا وشربوا وسمنوا ، فقال لهم : ألم ألفكم علىٰ تلك الحال ، فجعلتم لي إن وردت بكم رياضًا مُعشبة وحياضًا رواء أن تتبعوني ؟ قالوا : بلىٰ . قال : فإن بين أيديكم رياضًا أعشب من هذه ، وحياضًا هي أروىٰ من هذه ، فاتبعوني . قال : فقالت طائفة : صدق واللّٰه ، لنتبعَنّه . وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه (٤١) .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي : حدثنا زهير ، حدثنا يونس بن محمد ، حدثنا يعقوب ابن عبد اللّٰه الأشعري ، حدثنا حفص بن حميد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن عمر ابن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إني ممسك بحُجَزكم : هلمَّ عن النار ! هلمَّ عن النار ! وتغلبونني ، وتقاحمون فيها تقاحم الفَراش والجنادب ، فأوشك أن أرسل حجزكم ، وأنا فرطكم علىٰ الحوض ، فتردون عليّ معًا وأشتاتًا ، أعرفكم بسيماكم وأسمائكم ، كما يعرف الرجلُ الغريبَ من الإِبل في إبله ، فيذهب بكم ذات اليمين وذات الشمال ، فأناشد فيكم رب العالمين : أي رب ، قومي ! أي رب ، أمتي ! فيقال : يا محمد ؛ إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؛ إنهم كانوا يمشون بعدك القهقرىٰ علىٰ أعقابهم . فلأعرفن[٣] أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك [من اللّٰه][٤] شيئًا ، قد بلغت . ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل بعيرًا له رغاء ينادي : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك شيئًا قد بلغت . ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرسًا له حمحمة ، فينادي : يا محمد ؛ يا محمد ؛ فأقول : لا أملك لك شيئًا ، قد بلغت . ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل سقاء[٥] من أدم ينادي : يا محمد ؛ يا محمد ،**

(٤١) المسند (١/٢٦٧) .

[١] - في ز : مثله .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في [خ] : « فلاعن » .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز ، خ : « شيئًا » .

فأقول : لا أملك لك شيئًا ، قد بلغت (٤٢) .

وقال عليّ بن المديني : هذا حديث حسن الإسناد ، إلا أن حفص بن حميد مجهول ، لا أعلم روىٰ عنه غير يعقوب بن عبد الله الأشعري القمي .

قلت : بل قد[١] روىٰ عنه أيضًا أشعث بن إسحاق ، وقال فيه يحيىٰ بن معين : صالح . ووثقه النسائي وابن حبان .

وقوله : ﴿ **وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون** ﴾ ، أي : لعادلون حائرون منحرفون . تقول العرب : نكب فلان عن الطريق : إذا زاغ عنها .

وقوله : ﴿ **ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون** ﴾ يخبر تعالىٰ عن غلظهم في كفرهم ، بأنه لو أزاح عللَهُم وأفهمهم القرآن ، لما انقادوا له ، ولاستمروا علىٰ كفرهم وعنادهم وطغيانهم . كما قال تعالىٰ : [﴿ **ولو علم الله فيهم خيرًا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** ﴾ .

وقال :][٢] ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون * وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** ﴾ فهذا من باب علمه تعالىٰ بما لا يكون لو كان كيف كان[٣] يكون .

قال الضحاك : عن ابن عباس : كل ما فيه « **لو** » فهو مما لا يكون أبدًا .

وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا

---

(٤٢) أورده الحافظ في المطالب العلية (٣٧٥/٥) ، والبوصيري في الإتحاف ، وقال : هذا إسناد فيه مقال ، حفص بن حميد قال فيه ابن المديني : مجهول ، لا اعلم روى عنه غير يعقوب . وقال النسائي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات ، ويعقوب بن عبد الله ؛ قال الطبراني : ثقة . وقال النسائي : ليس به بأس . وقال الدارقطني : ليس بالقوي ، وذكره ابن حبان في الثقات . وباقي رجال الإسناد ثقات . وله شاهد في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة .

وقال الهيثمي في المجمع (٨٥/٣) : « رواه أبو يعلى في الكبير والبزار إلا أنه قال : حمل قشعًا مكان سقاء . ورجال الجميع ثقات » .

---

[١] - سقط من ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : [خ] .

[٣] - سقط من : م .

عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ
وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا
وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ
إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولقد أخذناهم بالعذاب** ﴾ ، أي : ابتليناهم بالمصائب والشدائد ، ﴿ **فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** ﴾ ، أي : فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة ، بل استمروا علىٰ غيهم وضلالهم ﴿ **فما استكانوا** ﴾ ، أي : ما[١] خشعوا ، ﴿ **وما يتضرعون** ﴾ ، أي : ما[٢] دعوا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا محمد بن حمزة المروزي ، حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أبي ، عن يزيد - يعني النحوي - ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال : جاء أبو سفيان إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : يا محمد ؛ أنشدك اللَّه والرحم ، فقد أكلنا العلْهز - يعني : الوبر والدم - ، فأنزل اللَّه : ﴿ **ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** ﴾ .

وهكذا رواه النسائي(٤٣) عن محمد بن عقيل ، عن عليّ بن الحسين ، عن أبيه ، به . وأصل هذا الحديث في الصحيحين ، أن[٣] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم دعا علىٰ قريش حين استعصوا فقال : « **اللهم ؛ أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف** (٤٤) » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا سلمة بن شبيب ، حدثنا عبد اللَّه

(٤٣) سنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٥٢) .

(٤٤) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن (٤٦٩٣) ، وصحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة (٢٧٩٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .

[١] - سقط من ز .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - في ز : عن .

ابن إبراهيم بن عمر بن كيسان ، حدثني وهب بن عمر بن كيسان قال : حبس وهب بن منبه ، فقال له رجل من الأبناء : ألا أنشدك بيتًا من شعر يا أبا عبد الله ؟ فقال وهب : نحن في طرف من عذاب الله ، والله تعالىٰ يقول : ﴿ **ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** ﴾ . قال : وصام وهب ثلاثًا متواصلة ، فقيل له : ما هذا الصوم يا أبا عبد الله ؟ قال : أحدث لنا فأحدَثْنا . يعني : أحدث لنا [الحبس فأحدثنا][١] زيادة عبادة .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا فتحنا عليهم بابًا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون** ﴾ . أي : حتىٰ إذا جاءهم أمر الله ، وجاءتهم الساعة بغتة ، وأخذهم من عقاب الله ما لم يكونوا يحتسبون ، فعند ذلك أبْلَسُوا[٢] من كل خير ، وأيسوا من كل راحة ، وانقطعت آمالهم ورجاؤهم .

ثم ذكر تعالىٰ نعمته علىٰ عباده في أن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ، وهي العقول والفهوم ، التي يدركون بها الأشياء ، ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة علىٰ وحدانية الله تعالىٰ ، وأنه الفاعل المختار لما يشاء .

وقوله : ﴿ **قليلًا ما تشكرون** ﴾ ، أي : وما أقل شكركم لله علىٰ ما أنعم به عليكم ! كقوله : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر في بدئه الخليقة ، وذرئه لهم في سائر أقطار الأرض ، علىٰ اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم ، ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم ، فلا يترك منهم صغيرًا ولا كبيرًا ، ولا ذكرًا ولا أنثىٰ ، ولا جليلًا ولا حقيرًا ، إلا أعاده كما أبداه ؛ ولهذا قال : ﴿ **وهو الذي يحيي ويميت** ﴾ ، أي: يحيي الرمم ويميت الأمم ، ﴿ **وله اختلاف الليل والنهار** ﴾ ، أي : وعن أمره تسخير الليل والنهار ، كل منهما يطلب الآخر طلبًا حثيثًا ، يتعاقبان لا يفتران ، ولا يفترقان بزمان غيرهما ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ ، أي : أفليس لكم عقول تدلكم علىٰ العزيز العليم ، الذي قد قهر كل شيء ، وعز كل شيء وخضع له كل شيء ؟

ثم قال مخبرًا عن منكري البعث ، الذين أشبهوا من قبلهم من المكذبين : ﴿ **بل قالوا مثل ما قال الأولون * قالوا أئذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أئنا لمبعوثون** ﴾ ، يعني : يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلىٰ البِلَىٰ ، ﴿ **لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا**

---

[١] - بياض في ز .
[٢] - في ز : أيسوا .

أساطير الأولين ﴾ ، يعنون : الإعادة محال ، إنما يخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين واختلافهم . وهذا الإنكار والتكذيب منهم كقوله تعالى إخبارًا عنهم : ﴿ **أئذا كنا عظامًا نخرة * قالوا تلك إذًا كرة خاسرة * فإنما هي زجرة واحدة * فإذا هم بالساهرة** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ، وضرب لنا مثلًا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم** ﴾

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

يقرر تعالى وحدانيته واستقلاله بالخلق والتصرف والملك ؛ ليرشد إلى أنه الذي لا إله إلا هو ، ولا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ، ولهذا قال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين العابدين معه غيره ، المعترفين له بالربوبية ، وأنه لا شريك[١] له فيها ، ومع هذا فقد أشركوا معه في الإلهية ، فعبدوا غيره معه ، مع اعترافهم أن الذين عبدوهم لا يخلقون شيئًا ، ولا يملكون شيئًا ، ولا يستبدون بشيء ، بل اعتقدوا أنهم يقربونهم إليه زلفى : ﴿[**ما نعبدهم إلا**][٢] **ليقربونا إلى الله زلفى** ﴾ فقال : ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها** ﴾ ، أي : مَنْ مالكها الذي خلقها ومن فيها من الحيوانات والنباتات والثمرات ، وسائر صنوف المخلوقات ﴿ **إن كنتم تعلمون * سيقولون لله** ﴾ ، أي : فيعترفون لك بأن ذلك لله وحده لا شريك له ، فإذا كان ذلك ﴿ **قل أفلا تذكرون** ﴾ أنه لا تنبغي العبادة إلا للخالق الرازق لا لغيره .

﴿ **قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم** ﴾ أي : من هو خالق العالم العلوي بما فيه من الكواكب النيرات ، والملائكة الخاضعين له في سائر الأقطار منها والجهات ، ومن هو رب العرش العظيم ، يعني : الذي هو سقف المخلوقات ، كما جاء في الحديث الذي

---

[١] - في ز : شرك .
[٢] - في ز : إنما نعبدهم .

رواه أبو داود(٤٥) ، عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **شأن الله أعظم من ذلك ، إن عرشه علىٰ سمٰواته هكذا** » - **وأشار بيده مثل القبة** .

وفي الحديث الآخر(٤٦) : « **ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهنّ في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن الكرسي بما فيه بالنسبة إلىٰ العرش كتلك الحلقة في تلك الفلاة** » ولهذا قال بعض السلف : إن مسافة ما بين قطري العرش من جانب إلىٰ جانب مسيرة خمسين ألف سنة ، [وارتفاعها عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة][١] . قال الضحاك عن ابن عباس : إنما سمى عرشًا لارتفاعه . وقال الأعمش : عن كعب الأحبار : إن السماوات والأرض[٢] في العرش ؛ كالقنديل المعلق بين السماء والأرض .

وقال مجاهد : ما السماوات والأرض في العرش إلا كحلقة في أرض فلاة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا العلاء بن سالم ، حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان الثوري ، عن عمار الدُّهْني ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : العرش لا يقدر أحد قدره . وفي رواية : إلا الله عز وجل .

وقال بعض السلف : العرش من ياقوتة حمراء .

ولهذا قال هاهنا : ﴿ **ورب العرش العظيم** ﴾ ، يعني : الكبير ، وقال في آخر السورة : ﴿ **رب العرش الكريم** ﴾ ، أي : الحسن البهي ، فقد جمع العرش بين العظمة في الاتساع ، والعلوّ والحسن الباهر ، ولهذا قال من قال : إنه من ياقوتة حمراء .

---

(٤٥) سنن أبي داود حديث (٤٧٢٦) من حديث محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن جده جبير بن مطعم رضي الله عنه . وقال المنذري : هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من وجه من الوجوه إلا من هذا الوجه . ولم يقل يه محمد بن إسحاق : حدثني يعقوب بن عتبة ، ومحمد بن إسحاق مدلس ، وإذا قال المدلس : عن فلان ، ولم يقل : حدثنا - أو سمعت ، أو أخبرنا - لا يحتج بحديثه . وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقي : وقد تفرد به يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس الثقفي ، عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم القرشي النوفلي ، وليس لهما في الصحيحين رواية . وانفرد به محمد بن إسحاق ، عن يعقوب وابن إسحاق لا يحتج بحديثه . وقال البيهقي في الأسماء والصفات : وهذا حديث يتفرد به محمد بن إسحاق عن يعقوب ، وصاحبا الصحيح لم يحتجا به .

(٤٦) تقدم تخريجه (سورة البقرة / آية ٢٥٥) ، (سورة النساء / آية ١٦٤) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ . [٢] - سقط من ز .

وقال ابن مسعود : إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور العرش من نور وجهه .

وقوله : ﴿ **سيقولون للّه**[١] **قل أفلا تتقون** ﴾ ، أي : إذا كنتم تعترفون بأنه رب السماوات ورب العرش العظيم ، أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه ، في عبادتكم معه غيره وإشراككم به ؟

قال أبو بكر عبد اللّه بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتاب « التفكر والاعتبار » : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد اللّه بن جعفر ، أخبرني عبد اللّه بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم كثيرًا ما يحدث عن امرأة كانت في الجاهلية علىٰ رأس جبل ، معها ابن لها يرعىٰ غنمًا ، فقال لها ابنها : يا أُمَّاه ، من خلقك ؟ قالت : اللّه . قال : فمن خلق أبي ؟ قالت : اللّه . قال : فمن خلقني ؟ قالت : اللّه . قال : فمن خلق السماوات ؟ قالت : اللّه . قال : فمن خلق الأرض ؟ قالت : اللّه . قال : فمن خلق الجبل ؟ قالت : اللّه . قال : فمن خلق هذه الغنم ؟ قالت : اللّه . قال : فإني أسمع للّه شأنًا ، ثم ألقىٰ نفسه من الجبل فتقطع . قال ابن عمر : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم كثيرًا ما يحدثنا هذا الحديث . قال عبد اللّه بن دينار : كان ابن عمر كثيرًا ما يحدثنا بهذا الحديث .

قلت : في إسناده عبد اللّه بن جعفر المدينى والد الإمام على بن المدينى ، وقد تكلموا فيه . فاللّه أعلم .

﴿ **قل من بيده ملكوت كل شيء** ﴾ ، أي : بيده الملك ﴿ **ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها** ﴾ ، أي : متصرف فيها ، وكان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يقول : « **لا والذي نفسي بيده** » ، وكان إذا اجتهد في اليمين قال : « **لا ومقلب القلوب** » ، فهو سبحانه الخالق المالك المتصرف ، ﴿ **وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون** ﴾ كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدًا ، لا يُخْفَر في جواره ، وليس لمن دونه أن يجير عليه ؛ لئلا يفتات عليه ، ولهذا قال اللّه : ﴿ **وهو يجير ولا يجار عليه** ﴾ ، أي : وهو السيد العظيم الذي لا أعظم منه ، الذي له الخلق والأمر ، ولا معقب لحكمه ، الذي لا يمانع ولا يخالف ، وما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وقال اللّه : ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ أي : لا يسأل عما يفعل لعظمته وكبريائه وقهره وغلبته وعزته ، وحكمته وعدله[٢] ، والخلق كلهم يسألون عن أعمالهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين * عما كانوا يعملون** ﴾ .

---

[١] - في ز : الله .
[٢] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **سيقولون لله**[١] ﴾ ، أي : سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالىٰ وحده لا شريك له ، ﴿ **قل فأنىٰ تسحرون** ﴾ ، أي : فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره ، مع اعترافكم وعلمكم بذلك ؟

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **بل أتيناهم بالحق** ﴾ وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله ، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة علىٰ ذلك ﴿ **وإنهم لكاذبون** ﴾ ، أي : في[٢] عبادتهم مع الله غيره ، ولا دليل لهم علىٰ ذلك ، كما قال في آخر السورة ﴿ **ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ فالمشركون لا يفعلون[٣] ذلك [عن دليل قادهم إلىٰ ما هم فيه من الإفك والضلال ، وإنما يفعلون ذلك][٤] اتباعًا لآبائهم وأسلافهم الحيارىٰ الجهال ، كما [قال الله عنهم][٥] : ﴿ **إنا وجدنا آباءنا علىٰ أمة وإنا علىٰ آثارهم مقتدون** ﴾

مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

ينزه تعالىٰ نفسه عن أن يكون له ولد أو شريك في الملك ، فقال تعالىٰ : ﴿ [**ما اتخذ الله من ولد**][٦] **وما كان معه من إله إذًا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم علىٰ بعض** ﴾ ، أي : لو قدر تعدد الآلهة ، لانفرد كل منهم بما يخلق ، فما كان ينتظم الوجود ، والمشاهد أن الوجود منتظم متسق ، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض في غاية الكمال ﴿ **ما ترىٰ في خلق الرحمن من تفاوت** ﴾ . ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه ، فيعلو بعضهم علىٰ بعض ، والمتكلمون ذكروا هذا المعنىٰ وعبروا عنه بدليل التمانع ، وهو أنه لو فرض صانعان فصاعدًا ، فأراد واحد تحريك جسم وأراد الآخر سكونه ، فإن لم يحصل مراد كل واحد[٧] منهما كانا عاجزين ، والواجب لا يكون عاجزًا ، ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد ، وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد ، فيكون محالًا ، فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر ، كان الغالب هو الواجب ، والآخر المغلوب ممكنًا ، لأنه[٨] لا يليق بصفة[٩] الواجب أن

---

[١] - في ز : الله .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في ز : يعقلون .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز : قالوا .
[٦] - سقط من ز .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : لصفة .

يكون مقهورًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولعلا بعضهم علىٰ بعض سبحان الله عما يصفون** ﴾ ، أي : عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علوًّا كبيرًا .

﴿ **عالم الغيب والشهادة** ﴾ ، أي : يعلم [ما يغيب][١] عن المخلوقات وما يشاهدونه ، ﴿ **فتعالىٰ عما يشركون** ﴾ ، أي : تقدس وتنزه وتعالىٰ وعز وجل [عما يقول الظالمون والجاحدون][٢] .

قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ (٩٥) ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨)

يقول تعالىٰ آمرًا [نبيه محمدًا صلىٰ الله عليه وسلم][٣] أن يدعو[٤] بهذا الدعاء عند حلول النقم : ﴿ **رب إما تريني ما يوعدون** ﴾ ، أي : إنْ[٥] عاقبتهم - وإني شاهدٌ ذلك - فلا تجعلني فيهم ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(٤٧) والترمذي وصححه : « **وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وإنا علىٰ أن نريك ما نعدهم لقادرون** ﴾ ، أي : لو شئنا لأريناك ما نحل[٦] بهم من النقم والبلاء والمحن .

ثم قال مرشدًا له إلى الترياق النافع في مخالطة الناس ، وهوالإحسان إلى من يسيء ، ليستجلب خاطره ، فتعود عداوته صداقة ، وبغضه محبة ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن السيئة** ﴾ ، وهذا كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم * وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ ، أي : ما يلهم هذه الوصية أو هذه[٧] الخصلة أو الصفة ﴿ **إلا الذين صبروا** ﴾ ،

(٤٧) المسند (٢٤٣/٥)(٢٢٢٠٨) ، أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة « ص » (٥/ ٣٦٨، ٣٦٩/رقم : ٣٢٣٥) . من طريق محمد بن بشار ، عن معاذ بن هانئ ، عن جهضم بن عبد الله اليمامي به وقال : هذا حديث حسن صحيح .

[١] - في ز : بغيب .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز : يدعى .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : يحل .
[٧] - سقط من ز .

أي : على أذى الناس ، فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح ﴿ **وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة .

وقوله تعالى : ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين** ﴾ أمره الله[١] أن يستعيذ من الشياطين ؛ لأنهم لا تنفع معهم الحيل ، ولا ينقادون بالمعروف .

وقد قدمنا عند الاستعاذة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « **أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من همزه ونفخه ونفثه** »(٤٨) .

وقوله تعالى : ﴿ **وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ ، أي : في شيء من أمري ، ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور ، وذلك مَطْرَدَة للشياطين ، عند الأكل والجماع والذبح ، وغير ذلك من الأمور ؛ ولهذا روى أبو داود(٤٩) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « **اللهم إني أعوذ بك من الهرم ، وأعوذ بك من الهدم ومن الغرق ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت** » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، أخبرنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم من الفزع : « **بسم الله ، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون** »(٥٠) .

قال : فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيرًا - لا يعقل أن يحفظها - كتبها له فعلقها في عنقه ، ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث محمد بن إسحاق ، وقال الترمذي : حسن غريب .

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت ، من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى ،

---

(٤٨) انظر تفسير الاستعاذة في تفسير سورة الفاتحة .

(٤٩) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة برقم (١٥٥٢) . والنسائي في الاستعاذة (٥٥٣١ ، ٥٥٣٢) .

(٥٠) المسند (١٨١/٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب الطب (٣٨٩٣) ، وسنن الترمذي ، كتاب الدعوات (٣٥٢٨) ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٦٠١) .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

وقيلهم عند ذلك ، وسؤالهم الرجعة إلىٰ الدنيا ؛ ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته ؛ ولهذا قال : ﴿ **رب ارجعون * لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا** ﴾ كما قال الله تعالىٰ : ﴿ **وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربّ لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين * ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أوَلَمْ تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ [**يوم يأتي تأويله**][١] **يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نُرَدُّ فنعمل غير الذي كنا نعمل** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحًا إنا موقنون** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ وقفوا علىٰ النار فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مردٍ من سبيل** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **قالوا**[٢] **ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلىٰ خروج من سبيل * ذٰلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العليّ الكبير** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير** ﴾ ، فذكر تعالىٰ أنهم يسألون الرجعة فلا يجابون ؛ عند الاحتضار ، ويوم النشور ، ووقت العرض علىٰ الجبار ، وحين يعرضون علىٰ النار ، وهم في غمرات [العذاب في][٣] الجحيم .

وقوله هاهنا : ﴿ **كلا إنها كلمة هو قائلها** ﴾ وكلا : حرف ردع وزجر ، أي : لا نجيبه إلى ما طلب ، ولا نقبل منه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنها كلمة هو قائلها** ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أي : لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم . ويحتمل أن يكون ذلك [علة لقوله][٤] ﴿ **كلا** ﴾ ، أي : لأنها كلمة ، أي : سؤاله الرجوع ليعمل صالحًا هو كلام منه ، وقول لا عمل[٥] معه ، ولو رد لما عمل صالحًا ، ولكان يكذب في مقالته هذه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون** ﴾ .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - في خ : عذاب .
[٤] - في ز : علمه كقوله .
[٥] - في [خ] : « أعمل » .

وقال محمد بن كعب القرظي : ﴿ **حتىٰ إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحًا فيما تركت** ﴾ قال : فيقول الجبار : ﴿ **كلا إنها كلمة هو قائلها** ﴾ .

وقال عمر بن عبد اللَّه مولى غفرة : إذا سمعت اللَّه تعالى يقول : ﴿ **كلا** ﴾ : فإنما يقول : كذب .

وقال قتادة في قوله تعالىٰ : ﴿ **حتىٰ إذا جاء أحدهم الموت** ﴾ قال : كان العلاء بن زياد يقول : لِيُنْزِلْ أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت ، فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة اللَّه عز وجل وقال قتادة : واللَّه ما تمنىٰ أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة ، ولكن تمنىٰ أن يرجع فيعمل بطاعة اللَّه ، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ، ولا قوة إلا باللَّه . وعن محمد بن كعب القرظي نحوه .

وقال أبو محمد بن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن يوسف ، حدثنا فضيل - يعني ابن عياض - عن ليث ، عن طلحة بن مصرف ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : إذا وضع - يعني : الكافر - في قبره ، فيرىٰ مقعده من النار ، قال : فيقول : رب ، ارجعون أتوب وأعمل صالحًا . قال : فيقال : قد عُمّرت ما كنت مُعَمرًا . قال : فيضيق عليه قبره ، قال : فهو كالمنهوش ينام ويفزع ، تهوي إليه هوام الأرض وحيَّاتها وعقاربها(٥١) .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا عمرو[١] بن عليّ ، حدثني سلمة بن تمام ، حدثنا عليّ ابن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، عن عائشة - رضي اللَّه عنها - أنها قالت : ويل لأهل المعاصي من أهل القبور ! تدخل عليهم في قبورهم حيات سود - أو : دُهْم - حية عند رأسه ، وحية عند رجليه ، يقرصانه حتىٰ يلتقيا في وسطه ، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلىٰ يوم يبعثون** ﴾ .

وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى : ﴿ **ومن ورائهم** ﴾ يعنى : أمامهم .

وقال مجاهد : البرزخ : الحاجز[٢] بين الدنيا والآخرة .

وقال محمد بن كعب : البرزخ ما بين الدنيا والآخرة ، ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون ، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم .

---

(٥١) - رواه الترمذي في السنن برقم (١٠٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال : « حديث حسن غريب » .

---

[١] - في ز : عمر . [٢] - بعده في خ : ما .

وقال أبو صخر : البرزخ : المقابر ، لاهم في الدنيا ولاهم في الآخرة ، فهم مقيمون إلى يوم يبعثون .

وفي قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن ورائهم برزخ** ﴾ تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **من ورائهم جهنم** ﴾ وقال : ﴿ **ومن ورائه عذاب غليظ** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إلىٰ يوم يبعثون** ﴾ ، أي : يستمر به العذاب إلىٰ يوم البعث ، كما جاء في الحديث : « فلا يزال معذبًا فيها » أى : في الأرض

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

يخبر تعالىٰ أنه إذا نفخ في الصور نفخة النشور ، وقام الناس من القبور ﴿ **فلا أنساب بينهم** ﴾ ، أي : لا تنفع الأنساب يومئذ ولا يرثي والد لولده ولا يلوي عليه ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم** ﴾ ، أي :لا يسأل القريب عن قريبه وهو يبصره ، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره وهو أعز الناس عليه - كان - في الدنيا ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ .

وقال ابن مسعود : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادىٰ مناد : ألا من كان له مظلمة فليجئ فليأخذ حقه . قال : فيفرح المرء أن يكون له الحق علىٰ والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرًا ؛ ومصداق ذلك في كتاب الله : قال الله تعالىٰ : ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

وقال الإمام أحمد(٥٢) : حدثنا أبو سعيد مولىٰ بني هاشم ، حدثنا عبد الله بن جعفر ، حدثتنا أم بكر بنت المسور بن مَخْرَمة ، عن عبيد[١] الله بن أبي رافع ، عن المسور - هو

---

(٥٢) المسند (٣٢٣/٤) (١٨٩٦٠) ، ورواه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب فاطمة - عليها السلام - (٣٧٦٧) . ومسلم في صحيحه بشرح النووي في كتاب فضائل =

[١] - في ز : عبد .

ابن مخرمة - رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **فاطمة بضعة مني ، [يقبضني ما يقبضها][١] ، وينشطني ما ينشطها ، وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير[٢] نسبي وسببي وصهري** » . وهذا الحديث له أصل في الصحيحين(٥٣) عن المسور ابن مخرمة أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قال : « **فاطمة بضعة مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها** » .

وقال الإمام أحمد(٥٤) : حدثنا أبو عامر ، حدثنا زهير ، عن عبد اللّه بن محمد ، عن حمزة بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : سمعت رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وآله وسلم يقول علىٰ هذا المنبر : « **ما بال رجال يقولون : إن رحم رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم لا تنفع قومه ؟ بلىٰ واللّه ، إن رحمى موصولة في الدنيا والآخرة ، وإني - أيها الناس - فرط لكم إذا جئتم . قال رجل : يا رسول اللّه ، أنا فلان بن فلان ، [وقال أخوه : أنا**

= الصحابة ، باب : فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام (١٦/ ٣/ح ٢٤٤٩ (٩٤) . وأبو داود في كتاب النكاح ، باب : ما يكره أن يجمع بينهن من النساء (٢/ ٢٢٤/ح ٢٠٧١) . والنسائي في الكبرى في كتاب المناقب ، باب : مناقب فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم (٥/ ٩٧/ ٨٣٧٠) . والترمذي في كتاب المناقب ، باب : ما جاء في فضل فاطمة رضي الله تعالى عنها (٥/ ٦٥٥/ح ٣٨٦٧) وقال : حديث حسن صحيح . وابن ماجه في سننه في كتاب النكاح ، باب : الغيرة (١/ ٦٤٣/ ح ١٩٩٨) .

(٥٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب (٣٧١٤) ، وصحيح مسلم ، فضائل الصحابة (٢٤٤٩) .

(٥٤) المسند (١٨/٣) (١١١٥٢) . وحمزة بن أبي سعيد الخدري ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢١١/٣) رقم ٩٢٥ ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلاً ، وقال ابن حجر في التعجيل : وثقه ابن حبان ، ولم يذكر فيه ابن أبي حاتم جرحاً ، ولا ذكر له راوياً غير ابن عقيل .

وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب - (٩٨٦) . ورواه أحمد (١١١٥٣، ١١٦٠٧) (١٨/٣، ٦٢) . من طريق زكريا بن عدي أنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الله بن محمد به .

وتابع حمزة :

١ - عبد الرحمن بن أبي سعيد ؛ أخرجه أبو يعلى في مسنده - (١٢٣٨) (٢/٤٣٣-٤٣٤) حدثنا زهير ، حدثنا أبو عامر عن زهير ، عن عبد الله بن محمد عنه به .

٢ - سعيد بن المسيب : رواه أحمد (١١٣٦١) (٣٩/٣) من طريق شريك عن عبد الله بن محمد عنه به نحوه . لكن شريك بن عبد الله القاضي سيىء الحفظ .

والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٣٦٧/١٠) وقال : رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله ابن محمد بن عقيل وقد وثق .

ويشهد له حديث أبي هريرة عند البخاري في الرقاق ، باب : في الحوض . (٦٥٨٥، ٦٥٨٦) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « يغيظني ما يغيظها » [٢] - في ت ، خ : إلا .

فلان بن فلان][١] . فأقول لهم : أما النسب فقد عرفت ، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقرىٰ » .

وقد ذكرنا في مسند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من طرق متعددة عنه - رضي الله عنه - أنه لما تزوج أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - قال : أما والله ما بي إلا أني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : **« كل سبب ونسب فإنه منقطع يوم القيامة ، إلا سببي ونسبي »** (٥٥) .

رواه الطبراني(٥٦) ، والبزار ، والهيثم بن كليب ، والبيهقي ، والحافظ الضياء في « المختارة » وذكر أنه أصدقها أربعين ألفا إعظاما وإكرامًا رضي الله عنه .

فقد رویٰ الحافظ ابن عساكر(٥٧) في ترجمة أبي العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من طريق أبي القاسم[٢] البغوي ، حدثنا سليمان بن عمر[٣] الأقطع ، حدثنا إبراهيم بن عبد السلام ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، سمعت ابن عمر يقول : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم **« كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري »** .

ورویٰ فيها(٥٨) من طريق عمار بن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عبد الله ابن عمرو مرفوعًا : **« سألت ربي - عز وجل - أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ، ولا يتزوج إليَّ أحد منهم ؛ إلا كان معي في الجنة ، فأعطاني ذلك » . ومن حديث عمار بن سيف ، عن إسماعيل عن عبد الله بن عمرو[٤]** .

---

(٥٥) مسند عمر بن الخطاب لابن كثير (٣٨٩/١) .

(٥٦) المعجم الكبير (٤٥/٣) ، ومسند البزار برقم (٢٤٤٥) «كشف الأستار» ، وسنن البيهقي الكبرى (٧/ ٦٤) ، والمختارة للمقدسي برقم (٢٨١) .

(٥٧) تاريخ دمشق (١١٩/١٩ « المخطوط ») ورواه علي بن سعيد ، عن سليمان بن عمر الرقي ، عن إبراهيم ابن عبد السلام ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن محمد بن عباد بن جعفر ، عن عبد الله بن الزبير مرفوعًا ، وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٣٩٦٣) .

(٥٨) تاريخ دمشق (١١٩/١٩ « المخطوط ») ورواه الطبراني في الأوسط برقم (٣٩٦١) « مجمع البحرين » من طريق يزيد بن الكميت ، عن عمار بن سيف ، به ، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨٥/٧) : « إسناده واهٍ » وفي الباب عن ابن أبي أوفي رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : ز ، خ.

[٢] - بعده في خ : « بن » .

[٣] - بعده في ز : « بن » .

[٤] - بياض في : ز ، خ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون** ﴾ أي :من رجحت حسناته علىٰ سيئاته ولو بواحدة ، قاله ابن عباس .

﴿ **فأولئك هم المفلحون** ﴾ أي :الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة . وقال ابن عباس : أولئك الذين فازوا بما طلبوا ، ونجوا من شر ما منه هربوا .

﴿ **ومن خفت موازينه** ﴾ أي :ثقلت سيئاته علىٰ حسناته ﴿ **فأولئك الذين خسروا أنفسهم** ﴾ أي :خابوا وهلكوا ، وباءوا[١] بالصفقة الخاسرة .

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٥٩) : حدثنا إسماعيل بن أبي[٢] الحارث ، حدثنا داود بن المُحبَّر ، حدثنا صالح المري ، عن ثابتٍ البناني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان ، عن أنس ابن مالك يرفعه قال : « [إن للَّه ملكًا موكلًا][٣] بالميزان ، فيؤتىٰ بابن آدم فيوقف بين يدي[٤] الميزان ، فإن ثقل ميزانه نادىٰ ملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقىٰ بعدها أبدًا ، وإن خف ميزانه نادىٰ ملك بصوت يسمع الخلائق : شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا » .

إسناده ضعيف ، فإن داود بن المحبر ضعيف[٥] متروك .

ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **في جهنم خالدون** ﴾ أي :ماكثون فيها ، دائمون ، مقيمون لا[٦] يظعنون

﴿ **تلفح وجوههم النار** ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتغشىٰ وجوههم النار** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا فروة بن أبي المغراء ، حدثنا محمد بن سليمان ابن الأصبهاني ، عن أبي سنان ضرار بن مرة ، عن عبد اللَّه بن أبي الهذيل ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال[٧] : « **إن جهنم لما سيق لها[٨] أهلها يلقاهم لهبها ثم تلفحهم لفحة فلم[٩] يبق لهم لحم إلا سقط علىٰ العرقوب** » .

---

(٥٩) ورواه أبو نعيم في الحلية كما في تخريج الإحياء (٤٠٩٨) ، وقال : « تفرد به داود بن المحبر » .

---

[١] - في ز : وفازوا .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : ملك موكل.
[٤] - في ت : « كفتي » .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ت : « فلا » .
[٧] - سقط من : ز - خ .
[٨] - سقط من : ز ، خ .
[٩] - في ز : لم .

وقال ابن مردويه : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيىٰ القزاز ، حدثنا الخضر بن علي بن يونس القطان ، حدثنا عمر بن أبي الحارث بن الخضر القطان ، حدثنا سعد[١] بن سعيد المقبري ، عن أخيه ، عن أبيه ، عن أبي الدرداء - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **تلفح وجوههم النار** ﴾ قال : « **تلفحهم لفحة فتسيل لحومهم علىٰ أعقابهم** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وهم فيها كالحون** ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني : عابسون .

وقال الثوري عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد اللَّه بن مسعود : ﴿ **وهم فيها كالحون** ﴾ قال : ألم تر إلىٰ الرأس المشيط الذي قد بدا أسنانه وقلصت شفتاه .

وقال الإمام أحمد (٦٠) : أخبرنا علي بن إسحاق أخبرنا عبد اللَّه - هو ابن المبارك رحمه اللَّه - أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي السمح ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : ﴿ **وهم فيها كالحون** ﴾ ، قال : تشويه النار ، فتقلص شفته العليا حتىٰ تبلغ وسط رأسه ، وتسترخىٰ شفته السفلىٰ حتىٰ تضرب[٢] سرته » .

ورواه الترمذي عن سويد بن نصر ، عن عبد اللَّه بن المبارك به ، وقال : حسن غريب .

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ

(٦٠) - المسند (١١٨٥٢) إسناده ضعيف لضعف رواية دراج عن أبي الهيثم . وأخرجه عبد الله بن المبارك - زوائد نعيم بن حماد - (٢٩٢) ومن طريقه عبد الله بن أحمد في « الزهد » (ص ٢٧) . والترمذي ، كتاب صفة جهنم ، باب : ما جاء في صفة طعام أهل النار (٢٥٩٠) . وكتاب التفسير ، باب : « ومن سورة المؤمنين » (٣١٧٥) . وأبو يعلى في « مسنده » (١٣٦٧/٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٨٢/٨) . والحاكم في « المستدرك » (٣٥٩،٢٤٦/٢) وصححه وسكت عنه الذهبي . والبيهقي في « البعث » (٥٠٧) ، والبغوي في « شرح السنة » (٤٤١٦/١٥) . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب .
قلت : وغرابته لتفرد أبي شجاع به عن أبي الهيثم . وأما تصحيح الترمذي والحاكم له فليس بشيء ، لأن رواية دراج عن أبي الهيثم ضعيفة ، كما تقدم بيانه في غير موضع من هذا الكتاب . والحديث زاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٣١/٥) إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في « صفة النار » وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه . وعزاه الهندي أيضًا في « كنز العمال » (٣٩٧٩٠/١٤) إلى ابن عساكر وسعيد بن منصور .

[١] - في ز : سعيد .
[٢] - في ت : « تبلغ » .

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ ﴿١٠٧﴾

هذا تقريع من الله ، [تعالىٰ لأهل النار وتوبيخ لهم][١] علىٰ ما ارتكبوه[٢] من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم التي أوبقتهم في ذلك ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ألم تكن آياتي تتلىٰ عليكم فكنتم بها تكذبون** ﴾ أي :قد أرسلت إليكم الرسل ، وأنزلت عليكم[٣] الكتب ، وأزلت شبهكم ، ولم يبق لكم حجة تدلون بها[٤] ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **لئلا يكون للناس علىٰ الله حجة بعد الرسل** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **وما كنا معذبين حتىٰ نبعث رسولاً** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير**﴾ إلىٰ قوله : ﴿**فسحقًا لأصحاب السعير** ﴾ ولهذا قالوا : ﴿ **ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قومًا ضالين** ﴾ أي : قد قامت علينا الحجة ، ولكن كنا أشقىٰ من أن ننقاد لها ونتبعها ، فضللنا عنها ولم نرزقها .

ثم قالوا : ﴿ **ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون** ﴾ أي : ردَّنا إلىٰ الدار الدنيا ، فإن عدنا إلىٰ ما سلف منا فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة ، كما قالوا : ﴿ **فاعترفنا بذنوبنا * فهل إلىٰ خروج من سبيل** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿**فالحكم للَّه العلي الكبير** ﴾ أي : لا سبيل إلىٰ الخروج ؛ لأنكم كنتم تشركون باللَّه إذا وحّده المؤمنون .

﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾﴾

هذا جواب من اللَّه تعالىٰ للكفار ، إذا سألوا الخروج من النار ، والرجعة إلىٰ هذه الدار . يقول : ﴿ **اخسئوا فيها** ﴾ أي :امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء ﴿ **ولا تكلمون** ﴾ أي :لا تعودوا إلىٰ سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي ، قال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ قال : هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبدة بن سليمان المروزي ، حدثنا عبد اللَّه بن

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « وتوبيخ لأهل النار » .
[٢] - في ز : ارتكبوا .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

المبارك ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، قال : إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عامًا ، ثم يرد عليهم : إنكم ماكثون. قال : هانت دعوتهم - واللَّه - علىٰ مالك ورب مالك ، ثم يدعون ربهم فيقولون : ﴿ **ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين * ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون** ﴾ قال : فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم : ﴿ **اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ قال : فواللَّه ما نبس القوم بعدها بكلمة واحدة[١] ، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم ، قال : فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير ، أولها زفير وآخرها شهيق .

وقال [ابن أبي حاتم][٢] أيضًا : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، حدثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، حدثنا أبو الزعراء قال : قال عبد اللَّه بن مسعود : إذا أراد اللَّه تعالىٰ أن لا يخرج منهم أحدًا - يعني من جهنم - غيَّر وجوههم وألوانهم ، فيجيء الرجل [من المؤمنين][٣] فيشفع فيقول : يا رب ؛ فيقول اللَّه : من عرف أحدًا فليخرجه ، فيجيء الرجل من المؤمنين فينظر فلا يعرف أحدًا ، [فيناديه الرجل : يا فلان][٤] ، أنا فلان . فيقول : ما أعرفك ! قال[٥] : فعند ذلك يقولون[٦] : ﴿ **ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون** ﴾ فعند ذلك يقول اللَّه تعالىٰ : ﴿**اخسئوا فيها ولا تكلمون** ﴾ فإذا قال ذلك أطبقت عليهم النار[٧] ، فلا يخرج منهم أحد[٨] .

ثم قال تعالىٰ مذكرًا لهم بذنوبهم في الدنيا وما كانوا يستهزئون بعباده المؤمنين وأوليائه ؛ فقال تعالىٰ : ﴿ **إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين * فاتخذتموهم سخريًا** ﴾ أي :فسخرتم منهم في دعائهم إياي ، وتضرعهم إليّ ﴿ **حتىٰ أنسوكم ذكري** ﴾ أي : حملكم بغضهم علىٰ أن نسيتم معاملتي ﴿ **وكنتم منهم تضحكون** ﴾ أي :من صنيعهم وعبادتهم ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون** ﴾ أي :يلمزونهم استهزاء .

ثم أخبر تعالىٰ عما جازىٰ به أولياءه وعباده الصالحين ، فقال تعالىٰ : ﴿ **إني جزيتهم اليوم بما صبروا** ﴾ أي :علىٰ أذاكم لهم ، واستهزائكم بهم[٩] ﴿ **أنهم هم الفائزون** ﴾ [أي جعلناهم هم الفائزون][١٠] بالسعادة والسلامة والجنة والنجاة[١١] من النار .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « فيقول » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ز : يقول .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في ز ، خ : « بشر » .
[٩] - في ز ، خ : « منهم » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[١١] - في ز ، خ : « الناجون » .

﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ ﴾

يقول تعالىٰ منبهًا لهم علىٰ ما أضاعوه في عمرهم القصير في الدنيا من طاعة اللَّه تعالىٰ، وعبادته وحده[١]، ولو صبروا في مدة الدنيا القصيرة لفازوا كما فاز أولياؤه المتقون ﴿ **قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين** ﴾ أي: كم كانت إقامتكم في الدنيا ﴿ **قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم فاسأل العادين** ﴾ أي: الحاسبين ﴿ **قال إن لبثتم إلا قليلًا** ﴾ أي: مدة يسيرة علىٰ كل تقدير ﴿ **لو أنكم كنتم تعلمون** ﴾ أي: لما آثرتم الفاني علىٰ الباقي، ولما تصرفتم لأنفسكم هذا التصرف السيّىء، [ولا استحققتم][٢] من اللَّه سخطه في تلك المدة اليسيرة، فلو أنكم صبرتم علىٰ طاعته وعبادته كما فعل المؤمنون لفزتم كما فازوا.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن الوزير، حدثنا الوليد، حدثنا صفوان، عن أيفع بن عبد الكلاعي، أنه سمعه يخطب الناس، فقال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **إن اللَّه إذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، قال: يا أهل الجنة، كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟ قالوا: لبثنا يومًا أو بعض يوم، قال: لنعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم! رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين، ثم يقول: يا أهل النار، كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟ قالوا لبثنا يومًا أو بعض يوم، فيقول: بئس ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم! ناري وسخطي امكثوا فيها خالدين مخلدين** »:

وقوله تعالىٰ: ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا** ﴾ أي: أفظننتم أنكم مخلوقون عبثًا بلا قصد، ولا إرادة منكم، ولا حكمة لنا؟! [وقيل: للعبث، أي: لتلعبوا وتعبثوا، كما خلقت البهائم، لا ثواب لها ولا عقاب، وإنما خلقناكم للعبادة، وإقامة أوامر اللَّه عز وجل][٣] ﴿ **وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ أي: لا تعودون في الدار الآخرة كما قال تعالىٰ: ﴿ **أيحسب الإنسان أن يترك سدي** ﴾ يعني هملًا[٤].

وقوله: ﴿ **فتعالىٰ اللَّه الملك الحق** ﴾ أي: تقدس أن يخلق شيئًا عبثًا، فإنه الملك الحق،

---

[١] - سقط من: ز، خ.

[٢] - في ز: إن استحقيتم.

[٣] - سقط من: ز، خ.

[٤] - في ز، خ: « مهملا ».

المنزه عن ذلك ﴿ **لا إله إلا هو رب العرش الكريم** ﴾ فذكر العرش ؛ لأنه سقف جميع المخلوقات ، ووصفه بأنه كريم أي :حسن المنظر بهي الشكل ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأنبتنا فيها من كل زوج كريم** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا علي بن محمد الطنافسي ، حدثنا إسحاق بن سليمان - شيخ من أهل العراق - أنبأنا شعيب بن صفوان ، عن رجل من آل سعيد بن العاص قال : كان آخر خطبة خطبها[١] عمر بن عبد العزيز ؛ أن حمد اللَّه ، وأثنىٰ عليه ، ثم قال : أما بعد ، [أيها الناس][٢] فإنكم لم تخلقوا عبثًا ، ولن تتركوا سدىٰ ، وإن لكم معادًا ينزل اللَّه فيه للحكم بينكم والفصل بينكم ، فخاب وخسر وشقىٰ [عبدٌ أخرجه اللَّه من رحمته][٣] ، وحرم جنة عرضها السماوات والأرض ، ألم تعلموا أنه لا يأمن غدًا إلا من حذر هذا[٤] اليوم وخافه ، وباع نافدًا بباق ، و[٥] قليلًا بكثير ، وخوفًا بأمان ؟ ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين ، وسيكون من بعدكم الباقين ، حتىٰ تردوا إلىٰ خير الوارثين ؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا إلىٰ اللَّه عز وجل قد قضىٰ نحبه ، وانقضىٰ أجله ، حتىٰ تغيبوه في صدع من الأرض ، في بطن صدع غير ممهد ولا موسد ، قد فارق الأحباب وباشر التراب ، وواجه الحساب ، مرتهن بعمله ، غني عما ترك ، فقير إلىٰ ما قدم ، فاتقوا اللَّه عباد اللَّه قبل انقضاء مواثيقه ، ونزول الموت بكم ، ثم رفع[٦] طرف ردائه علىٰ وجهه ، فبكىٰ وأبكىٰ من حوله .

وقال ابن أبي حاتم : ثنا يحيىٰ بن نصير[٧] الخولاني ، ثنا ابن وهب ، أخبرني ابن لهيعة ، عن أبي[٨] هبيرة ، عن حنش بن عبد اللَّه ، أن رجلًا مصابًا مر به علىٰ[٩] عبد اللَّه ابن مسعود ، فقرأ في أذنه هذه الآية : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون * فتعالىٰ اللَّه الملك الحق** ﴾ حتىٰ ختم السورة فبرأ ، [فذكر ذلك لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم][١٠] فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « **بماذا قرأت في أذنه ؟** » فأخبره ، [فقال له : « **إنها إذا قرئت في أذنه أحرقته**][١١] » ، ثم قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وآله وسلم : « **والذي نفسي بيده ، لو أن رجلا موقنًا قرأها علىٰ جبل لزال** » .

---

[١] - في ز : خطب .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « من خرج من رحمة الله » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من ز .
[٦] - في ز : حين تردوا .
[٧] - في ت : « جعل » .
[٨] - في ز ، خ : « نصر » .
[٩] - سقط من : خ .
[١٠] - سقط من : ز ، خ .
[١٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وروىٰ أبو نعيم من طريق خالد بن نزار ، عن سفيان بن عيينة ، عن محمد بن المنكدر ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبيه ، قال : بعثنا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في سرية ، وأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا وأصبحنا : ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون** ﴾ قال : فقرأناها فغنمنا وسلمنا .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا(٦١) : حدثنا إسحاق بن وهب العلاف الواسطي ، حدثنا أبو المسيب سلمة بن سلام ، حدثنا بكر بن خنيس[١] ، عن نهشل بن سعيد ، عن الضحاك بن مزاحم ، عن عبد اللَّه بن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **أمان أمتي[٢] من الغرق إذا ركبوا في السفن[٣] : باسم اللَّه الملك الحق ، وما قدروا اللَّه حق قدره ، والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالىٰ عما يشركون ، بسم اللَّه مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم** ».

وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

يقول تعالىٰ متوعدًا من أشرك به غيره ، وعبد معه سواه ، ومخبرًا أن من أشرك باللَّه ﴿ **لا برهان له** ﴾ ، أي : لا دليل له علىٰ قوله ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ومن يدع مع اللَّه إلهًا آخر لا برهان له به** ﴾ وهذه جملة معترضة ، وجواب الشرط في قوله : ﴿ **فإنما حسابه عند ربه** ﴾ أي :اللَّه يحاسبه علىٰ ذلك .

ثم أخبر ﴿ **إنه لا يفلح الكافرون** ﴾ أي :لديه يوم القيامة لا فلاح لهم ولا نجاة .

قال قتادة : ذكر لنا أن نبي اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال لرجل : « **ما تعبد ؟** » قال : أعبد اللَّه وكذا وكذا ، حتىٰ عد أصناما ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **فأيهم إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك ؟** » قال : اللَّه عز وجل [قال : « **فأيهم إذا كانت لك حاجة فدعوته أعطاكها ؟** » قال : اللَّه عز وجل][٤] قال : « **فما يحملك علىٰ أن تعبد هؤلاء معه ؟** » قال : أردت شكره بعبادة هؤلاء معه أم حسبت أن يغلب عليه ، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **تعلمون ولا يعلمون** » . فقال[٥] الرجل [بعد][٦] ما

---

(٦١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٢٤) ، وفي كتاب الدعاء برقم (٨٠٤) من طرق عن عبد الحميد الهلالي ، عن نهشل به ، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٣٢) : « نهشل بن سعيد متروك » .

---

[١] - في ز : حبيش .
[٢] - في ز : لأمتي .
[٣] - في ت : السفينة .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز، خ .
[٥] - في ز : قال .
[٦] - في ز : بعد و .

أسلم : لقيت رجلًا خصمني .

هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روىٰ أبو عيسىٰ الترمذي في جامعه مسندًا[٦٢] عن عمران ابن الحصين عن أبيه عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم نحو ذلك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين** ﴾ هذا إرشاد من اللّٰه تعالىٰ إلىٰ هذا الدعاء ، فالغفر إذا أطلق معناه : محوه الذنب ، وستره عن الناس ، والرحمة معناها : أن يسدده ويوفقه في الأقوال والأفعال .

آخر تفسير سورة المؤمنون

☆ ☆ ☆

(٦٢) سنن الترمذي برقم (٣٤٨٣) وقال : « هذا حديث غريب » .

تفسير سورة النور

وهي مدنية

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١) ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢)

يقول تعالىٰ : هذه ﴿ **سورة أنزلناها** ﴾ فيه تنبيه إلىٰ[١] الاعتناء بها ، ولا ينفي ما عداها ﴿ **وفرضناها** ﴾ قال مجاهد وقتادة : أي : بينا الحلال والحرام ، والأمر والنهي والحدود .

وقال البخاري : ومن قرأ ﴿ **فرضناها** ﴾ يقول : فرضناها عليكم ، وعلىٰ من بعدكم ، ﴿ **وأنزلنا فيها آيات بينات** ﴾ أي : مفسرات واضحات ﴿ **لعلكم تذكرون** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** ﴾ [ ][٢] هذه الآية الكريمة فيها حكم الزاني في الحد ، وللعلماء فيه تفصيل ونزاع ؛ فإن الزاني لا يخلو إما أن يكون بكرًا وهو الذي لم يتزوج ، أو محصنًا وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح ، وهو حر بالغ عاقل ، فأمّا إذا كان بكرًا لم يتزوج ، فإن حده [جلد مائة][٣] ، كما في الآية ، ويزاد علىٰ ذلك أن يغرب عامًا [عن بلده][٤] عند جمهور العلماء ، خلافًا لأبي حنيفة رحمه الله ؛ فإن عنده : أن التغريب إلىٰ رأي الإمام ، إن شاء غرّب ، وإن شاء لم يغرب .

وحجة الجمهور في ذلك ما ثبت في الصحيحين(١) من رواية الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني في الأعرابيين اللذين أتيا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال أحدهما : يا رسول الله؛ إن ابني [ ][٥] كان عسيفًا - يعني : أجيرًا - علىٰ هذا ، فزنا بامرأته ، فافتديت [ ][٦] منه بمائة شاة ووليدة ، فسألت أهل العلم ؛ فأخبروني أن علىٰ ابني جلد مائة وتغريب عام ، وأن علىٰ امرأة هذا الرجم ؛ فقال

(١) - صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب : إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، حديث (٢٦٩٦) وأطرافه حديث (٢٧٢٥) في الشروط ، و(٦٦٣٣) في الأيمان والنذور ، و(٦٨٢٨ ، و٦٨٣٦، و٦٨٤٣) ثلاثتهم في الحدود ، و(٧١٩٥) في الأحكام ، و(٧٢٦٠) في أخبار الآحاد . وصحيح مسلم ، كتاب الحدود ، باب : من اعترف على نفسه بالزنا حديث (١٦٩٨) .

[١] - في ت : « على » .
[٢] - في ت : يعني .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « مائة جلدة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ت : هذا .
[٦] - في ت : ابني .

رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب اللَّه تعالىٰ ، الوليدة والغنم رد عليك ، وعلىٰ ابنك جلد مائة وتغريب عام . واغد يا أنيس - لرجل من أسلم - إلىٰ امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها** » . فغدا عليها فاعترفت فرجمها .

وفي هذا دلالة علىٰ تغريب الزاني مع جلد مائة إذا كان بكرًا لم يتزوج ، فأما إن كان محصنًا [وهو الذي قد وطئ في نكاح صحيح وهو حر بالغ عاقل][١] فإنه يرجم .

كما قال الإمام مالك : حدثني محمد[٢] بن شهاب ، عن[٣] عبيد اللَّه بن عبد اللَّه ابن عتبة بن مسعود : أن ابن عباس أخبره : أن عمر - رضي الله عنه - قام : فحمد اللَّه ، وأثنىٰ عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس؛ فإن اللَّه تعالىٰ بعث محمدًا صلىٰ اللَّه عليه وسلم بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها ووعيناها ، ورجم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ورجمنا بعده ، فأخشىٰ أن يطول بالناس زمان أن يقول قائل : لا نجد آية الرجم في كتاب اللَّه؛ فيضلوا بترك فريضة قد أنزلها اللَّه ، فالرجم في كتاب اللَّه حق علىٰ [ ][٤] من زنىٰ إذا أحصن من الرجال و[ ][٥] النساء ، إذا قامت البينة أو الحبل أو الاعتراف .

أخرجاه في الصحيحين(٢) من حديث مالك مطولًا . وهذه[٦] قطعة منه فيها مقصودنا هٰهنا.

وروىٰ الإمام أحمد(٣) عن هشيم ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، حدثني عبد الرحمن بن عوف : أن عمر بن الخطاب خطب الناس فسمعته يقول : ألا وإن ناسًا يقولون : ما بال الرجمُ وفي كتاب اللَّه [ ][٧] الجلد ، وقد رجم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ورجمنا بعده ، ولولا أن يقول [قائلون أو يتكلم متكلمون][٨] : أن عمر زاد في كتاب اللَّه ما ليس منه[٩] لأثبتُّها كما نزلت [ ][١٠] .

(٢) - رواه البخاري في الحدود ، باب : الاعتراف بالزنا ، حديث (٦٨٢٩) ، وباب : رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت ، حديث (٦٨٣٠) ، ورواه مسلم حديث (١٦٩١) في الحدود ، باب : رجم الثيب في الزنا . وأبو داود حديث (٤٤١٨) في الحدود ، باب : الرجم . ورواه الترمذي ، حديث (١٤٣٢) في الحدود ، باب : ما جاء في تحقيق الرجم ، وابن ماجه حديث (٢٥٥٣) في الحدود ، باب : الرجم ، وأحمد حديث (٣٩٣) ، والدارمي حديث (٢٣٢٢) في الحدود ، باب : حد المحصنين في الزنا .

(٣) - رواه أحمد حديث (١٩٨) .

[١] - في ت : من حديث .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ت : « أخبرنا » .
[٤] - في ت : كل .
[٥] - في ت : من .
[٦] - في ز : « هذا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : وإنما فيه .
[٨] - في ت : « قائل ويتكلم متكلم » .
[٩] - في ز : « فيه » .
[١٠] - في ت : به .

وأخرجه النسائي من حديث عبيد اللّه بن عبد الله [ ][١].

وقد روىٰ الإمام[٢] أحمد(٤) أيضًا عن هشيم ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : خطب عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه- فذكر الرجم ، فقال : [إنا لا نجد من الرجم بدًّا][٣] لاتخدعن عنه ، فإنه حد من حدود اللّه تعالىٰ ، ألا وإن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قد رجم ، ورجمنا بعده ، ولولا أن يقول قائلون : [زاد عمر][٤] في كتاب اللّه ما ليس فيه ؛ لكتبت في ناحية من[٥] المصحف : وشهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وفلان وفلان : أن رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم قد رجم ورجمنا بعده ، ألا وإنه سيكون من بعدكم قوم يكذبون بالرجم وبالدجال وبالشفاعة ، وبعذاب القبر ، وبقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا .

وروىٰ أحمد(٥) أيضًا عن يحيى القطان ، عن يحيىٰ الأنصاري ، عن سعيد بن المسيب ، عن عمر بن الخطاب : « إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم ... » الحديث

رواه الترمذي من حديث سعيد ، عن عمر ، وقال : صحيح .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي : حَدَّثَنَا عبيد اللّه بن عمر القواريري ، حَدَّثَنَا يزيد بن زريع ، حَدَّثَنَا ابن عون ، عن محمد هو ابن سيرين قال : نبئت عن كثير بن الصلت قال : كنا عند مروان ، وفينا زيد ، فقال زيد : كنا نقرأ : (الشيخ[٦] والشيخة [إذا زنيا][٧] فارجموهما ألبتة) ، قال مروان : ألا كتبتها في المصحف ؟ قال : ذكرنا ذلك وفينا عمر بن الخطاب ؛ فقال : أنا أشفيكم من ذلك ، قال : قلنا : فكيف ؟ قال : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم ؛ قال : فذكر كذا وكذا ، وذكر الرجم ، فقال : يا رسول اللّه ؛ اكتبني آية الرجم ، قال : « **لا أستطيع الآن** » هذا أو نحو ذلك .

---

(٤) - رواه أحمد حديث (١٥٧) .

(٥) - رواه أحمد حديث (٢٥١) . ورواه الترمذي حديث (١٤٣١) في الحدود ، باب : ما جاء في تحقيق الرجم .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز .

[٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ز : « والشيخ » .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وقد رواه النسائي(٦) [عن][١] محمد بن المثني ، عن غندر ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن يونس بن جبير ، عن كثير بن الصلت ، عن زيد بن ثابت به[٢] ، وهذه طرق كلها متعددة متعاضدة[٣] ، ودالة علىٰ أن آية الرجم كانت مكتوبة فنسخ تلاوتها ، وبقي حكمها معمولًا به ، [ولله الحمد][٤] .

وقد أمر رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم برجم هذه المرأة ، وهي زوجة الرجل الذي استأجر الأجير ، لما زنت مع الأجير ، ورجم رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ماعزًا والغامدية ، وكل هؤلاء لم ينقل عن[٥] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه[٦] جلدهم قبل الرجم ، وإنما وردت الأحاديث [الصحاح][٧] المتعددة الطرق والألفاظ بالاقتصار علىٰ رجمهم ، وليس فيها ذكر الجلد ، ولهذا كان هذا مذهب جمهور العلماء ، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعي - رحمهم اللَّه - وذهب الإمام أحمد - رحمه اللَّه - إلىٰ أنه يجب أن يجمع علىٰ الزاني المحصن بين الجلد للآية والرجم للسنة ، كما رُوِيَ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - أنه لما أتىٰ بشراحة ، وكانت قد زنت وهي محصنة ، فجلدها يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة ، ثم قال : جلدتها بكتاب اللَّه ، ورجمتها بسنة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وقد روىٰ الإمام أحمد ، ومسلم ، وأهل السنن الأربعة من حديث قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد اللَّه الرقاشي عن عبادة بن الصامت(٧) قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل اللَّه لهن سبيلًا ، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب سنة**[٨] ، **والثيب بالثيب جلد مائة والرجم** »

---

(٦) - رواه النسائي في الكبرى (٤/٢٧٠) حديث ٧١٤٥ .

(٧) - رواه مسلم حديث (١٦٩٠) في الحدود ، باب : حد الزنى ، وأبو داود حديث (٤٤١٥) في الحدود ، باب : الرجم ، والترمذي حديث (١٤٣٤) في الحدود ، باب : ما جاء في الرجم على الثيب ، والنسائي في الكبرى حديث (٧١٤٢ ، ٧١٤٣ ، ٧١٤٤) (٤/٢٧٠) في كتاب الرجم ، وابن ماجه حديث (٢٥٥٠) ، في الحدود ، باب : حد الزنى ، وأحمد حديث (٢٢٧٦٩) ، والدارمي حديث (٢٣٢٧) في الحدود ، باب : تفسير قول الله تعالى : ﴿ ويجعل الله لهن سبيلًا ﴾ .

---

[١] - في ت : « من حديث » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « والله أعلم » .
[٥] - في ز : « أن » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ت : « الصحيحة المتعاضدة » .
[٨] - في ت : « عام » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ أي : في حكم اللَّه ، لا ترجموهما [وترثوا لهما][١] في شرع اللَّه ، وليس المنهي عنه الرأفة الطبيعية [علىٰ إقامة الحد ، وإنما هي الرأفة التي تحمل الحاكم][٢] علىٰ ترك الحد ، فإنه لا[٣] يجوز له ذلك .

قال مجاهد : ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ قال : إقامة الحدود إذا رفعت إلىٰ السلطان ، فتقام ولا تعطل ، وكذا رُوي عن سعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وقد جاء في الحديث : « **تعافوا الحدود فيما بينكم ، فما بلغني من حد فقد وجب** »(٨) وفي الحديث الآخر : « **لحدّ يقام في الأرض خير لأهلها من أن يمطروا أربعين صباحًا** »(٩) .

وقيل المراد : ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ فلا تقيموا الحد كما ينبغي من شدة الضرب الزاجر عن المأثم ، وليس المراد الضرب المبرح . قال عامر الشعبي : ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ قال : رحمة في شدة الضرب ، وقال عطاء : ضرب ليس بالمبرح ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن حماد بن أبي سليمان : يجلد القاذف وعليه ثيابه ، والزاني تخلع ثيابه ، ثم تلا ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ فقلت : هذا في الحكم ؟ قال : هذا في الحكم والجلد . يعني : في إقامة الحد وفي شدة الضرب .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا عمرو بن عبد اللَّه الأودي ، حَدَّثَنَا وكيع ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبيد[٤] اللَّه بن عبد اللَّه بن عمر : أن جارية لابن عمر زنت ، فضرب رجليها . قال نافع : أراه قال : و[٥]ظهرها . قال : قلت : ﴿ **ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله** ﴾ قال : يا بني ؛ ورأيتني أخذتني بها رأفة ؟ إن اللَّه لم يأمرني أن أقتلها ، ولا أن أجعل جلدها في رأسها ، وقد أوجعت حيث ضربت .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ أي : فافعلوا ذلك ، أقيموا[٦]

---

(٨) - رواه أبو داود حديث (٤٣٧٦) في الحدود ، باب : العفو عن الحدود ما لم تبلغ السلطان ، والنسائي حديث (٤٨٨٦) في قطع السارق ، باب : ما يكون حرزًا وما لا يكون . كلاهما من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده به .

(٩) - رواه أحمد حديث (٨٥٢١) ، وابن ماجه حديث (٢٥٣٨) في الحدود ، باب : إقامة الحدود ، كلاهما من حديث جرير بن يزيد ، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، عن أبي هريرة به مرفوعًا . وجرير بن يزيد ضعيف ، والراوي عنه عيسى بن يزيد : مقبول .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « وترأفوا بهما» .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٣] - في ت : « فلا » .

[٤] - في ز : « عبد » .

[٥] - سقط من ت .

[٦] - في ت : وأقيموا .

الحدود علىٰ من زنىٰ ، وشددوا عليه الضرب ، ولكن ليس مبرحًا ؛ ليرتدع هو ومن يصنع مثله بذلك ، وقد جاء في المسند(١٠) عن بعض الصحابة أنه قال : يا رسول اللَّه ؛ إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها فقال : « **ولك في ذلك أجر** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾ هذا فيه تنكيل للزانيين إذا جلدا[١] بحضرة الناس ؛ فإن ذلك يكون أبلغ في زجرهما ، وأنجع في ردعهما ؛ فإن في ذلك تقريعًا وتوبيخًا وفضيحة إذا كان الناس حضورًا .

قال الحسن البصري في قوله : ﴿ **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾ يعني : علانية ، ثم قال علي بن أبي طلحة [عن ابن عباس][٢] ﴿ **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾ الطائفة : الرجل فما فوقه ، و[٣] قال مجاهد : الطائفة : [رجل][٤] إلىٰ الألف ، وكذا قال عكرمة ، ولهذا قال الإمام أحمد : إن الطائفة تصدق علىٰ واحد . وقال عطاء بن أبي رباح اثنان ، وبه قال إسحاق بن راهويه ، وكذا قال سعيد بن جبير ﴿ **طائفة من المؤمنين** ﴾ [قال : يعني الرجلين فصاعدًا ، وقال الزهري : ثلاثة نفر فصاعدًا ، وقال عبد الرزَّاق : حدثني ابن وهب عن الإمام مالك في قوله ﴿ **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾][٥] قال الطائفة أربعة نفر فصاعدًا ؛ لأنه لا يكون شهادة في الزنا دون[٦] أربعة شهداء فصاعدًا وبه قال الشافعي .

(١٠) - رواه أحمد (١٥٦٣٤) (٤٣٦/٣) عن معاوية بن قرة ، [عن أبيه] : أن رجلًا قال : يا رسول اللَّه ! إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها ، [أو] قال : إني لأرحم الشاة أن أذبحها ؛ فقال : « [و] الشاة إن رحمتها رحمك اللَّه] ».وحديث ٢٠٤١٥ (٣٤/٥) . والبخاري في « الأدب المفرد » حديث (٣٧٣) . ورواه الطبراني في « الصغير » (١٠٩/١) . وفي الأوسط (٢٥٥/٣) (٣٧٠) . وفي « الكبير » (٢٣/١٩) (٤٥-٤٦) . والبزار كما في كشف الأستار (٦٨/٢) حديث ١٢٢١ . وأبو نعيم في الحلية » (٣٤٣/٦) . من طريق زياد بن مخراق ، عن معاوية بن قرة ، عن أبيه به . وأخرجه الحاكم (٥٨٧/٣) . من حديث عدي بن الفضل ، عن يونس بن عبيد ، عن معاوية عن أبيه به . وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٠٢/٢، ٦/ ٣٤٣) . والطبراني في الأوسط (١٤٢/٣) حديث (٢٧٣٦) . وفي الكبير (٢٤/١٩) حديث (٤٧) . من طريق يونس بن عبيد ، عن معاوية بن قرة . والحديث سكت عنه الحاكم ، وقال الذهبي : فيه عدي بن الفضل وهو هالك . والحديث صححه الألباني في صحيح الأدب المفرد وهو عنده في الصحيحة حديث (٢٦) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥/٤ - ٣٦) وقال : رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير والصغير كلهم من غير شك قالوا : قال : يا رسول الله ! إني لأذبح الشاة فأرحمها . وله ألفاظ كثيرة ورجاله ثقات . اهـ .

[١] - في ز : « جلدوا » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ت : الرجل الواحد .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ت : « إلا » .

وقال ربيعة : خمسة ، وقال الحسن البصري : عشرة ، وقال قتادة : أمر اللَّه أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين أي : نفر من المسلمين ؛ ليكون ذلك موعظة وعبرة ونكالًا .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن عثمان ، حَدَّثَنَا بقية قال : سمعت نصر بن علقمة [ ][١] في قوله تعالىٰ ﴿ **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾ قال : ليس ذلك للفضيحة ، إنما ذلك ليُدعىٰ اللَّه تعالىٰ لهما بالتوبة والرحمة .

ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

هذا خبر من اللَّه تعالىٰ بأن الزاني لا يطأ إلا زانية [أو مشركة أي][٢] : لا يطاوعه علىٰ مراده من الزنا إلا زانية عاصية ، أو مشركة لا ترىٰ حرمة ذلك ، وكذلك ﴿ **الزانية لا ينكحها إلا زان** ﴾ أي : عاص بزناه ﴿ **أو مشرك** ﴾ لا يعتقد تحريمه ، قال سفيان الثوري ، عن حبيب بن أبي عمرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة** ﴾ قال : ليس هذا بالنكاح إنما هو الجماع ، لا يزني بها إلا زان أو مشرك ، وهذا إسناد صحيح عنه ، وقد روي عنه من غير وجه أيضًا .

وقد رُوي عن مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وعروة بن الزبير ، والضحاك ، ومكحول ، ومقاتل بن حيان ، وغير واحد ؛ نحو ذلك .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وحرم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾ أي : تعاطيه ، والتزويج بالبغايا أو تزويج العفائف [بالفجار من الرجال][٣] .

و[٤]قال أبو داود الطيالسي : حَدَّثَنَا قيس ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ **وحرم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾ قال : حرم اللَّه الزنا علىٰ المؤمنين .

وقال قتادة ومقاتل بن حيان : حرم اللَّه علىٰ المؤمنين نكاح البغايا ، وتقدم في ذلك فقال : ﴿ **وحرم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾ وهذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان** ﴾ وقوله ﴿ **محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان** ﴾ الآية ، ومن هٰهنا ذهب الإِمام أحمد بن حنبل - رحمه اللَّه - إلىٰ أنه لا يصح العقد من الرجل العفيف

---

[١] - في ت : ويقول . [٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « بالرجال الفجار » . [٤] - سقط من : ز .

علىٰ المرأة البغي ، ما دامت[١] كذلك حتىٰ[٢] تستتاب ، فإن تابت صح العقد عليها وإلا فلا ، وكذلك لا يصح تزويج المرأة الحرة العفيفة بالرجل الفاجر المسافح حتىٰ يتوب توبة صحيحة لقوله تعالىٰ ﴿ **وحرم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(١١) : حَدَّثَنَا عارم ، حَدَّثَنَا معتمر بن سليمان ؛ قال : قال أبي : حَدَّثَنَا الحضرمي ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد اللَّه بن عمرو - رضي اللَّه عنهما - أن رجلًا من المسلمين[٣] استأذن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في امرأة يقال لها : أم مهزول ، كانت تسافح وتشترط له أن تنفق عليه ، قال : فاستأذن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أو ذكر له أمرها قال : فقرأ عليه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾ .

وقال النسائي(١٢) : أخبرنا عمرو بن علي[٤] ، حَدَّثَنَا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن الحضرمي ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد اللَّه بن عمرو قال : كانت امرأة يقال لها : أم مهزول ، وكانت تسافح ، فأراد رجل من أصحاب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يتزوجها فأنزل اللَّه - عز وجل - ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾

قال[٥] الترمذي(١٣) : حَدَّثَنَا عبد بن حميد ، حَدَّثَنَا روح بن عبادة ، عن عبيد اللَّه بن الأخنس ، أخبرني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : كان رجل يقال له : مرثد ابن أبي مرثد ، وكان رجلًا يحمل الأسارى من مكة حتىٰ يأتي بهم المدينة ، قال : وكانت امرأة بغي بمكة يقال لها : عناق ، وكانت صديقة له ، وإنه واعد[٦] رجلًا من أسارى مكة يحمله ، قال : فجئت حتىٰ انتهيت إلىٰ ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة ، قال : فجاءت عناق فأبصرت سواد ظل تحت[٧] الحائط ؛ فلما انتهت إليّ عرفتني[٨] ؛ فقالت : مرثد ؟ فقلت : مرثد ؛ فقالت : مرحبًا وأهلًا ، هلم فبت عندنا الليلة . قال : فقلت[٩] يا عناق ؛ حرم اللَّه الزنا ، فقالت[١٠] : يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم . قال : فتبعني

(١١) - المسند (٢/١٥٩) .

(١٢) - النسائي في الكبرى حديث (١١٣٥٩) .

(١٣) - رواه الترمذي حديث (٣١٧٧) في تفسير القرآن ، تفسير سورة النور .

[١] - في ز : « دامها » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ت : « المؤمنين » .

[٤] - في ت : « عدي » .

[٥] - في ز : « وقال » .

[٦] - في ز : « وعد » .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - في ز : « عرفت » .

[٩] - في ز : « قلت » .

[١٠] - في ز : « قالت » .

ثمانية وسلكت[١] الخندمة[٢] فانتهيت إلىٰ غار أو كهف فدخلت فيه فجاءوا حتىٰ قاموا علىٰ رأسي فبالوا ، فظل بولهم علىٰ رأسي ، فأعماهم[٣] اللَّه عني ، قال : ثم رجعوا ، ورجعت[٤] إلىٰ صاحبي فحملته ، وكان رجلًا ثقيلًا حتىٰ انتهيت إلىٰ الإذخر[٥] ، ففككت عنه أكبله[٦]، فجعلت أحمله ويعينني حتىٰ أتيت به المدينة ، فأتيت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ؛ فقلت : يا رسول الله ! أنكح عناقًا ، أنكح عناقًا - مرتين - فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليّ شيئًا حتىٰ نزلت ﴿ **الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك علىٰ المؤمنين** ﴾ [فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا مرثد ! الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك**][٧] **فلا تنكحها** » .

ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

وقد[٨] رواه أبو داود والنسائي في كتاب النكاح من سننيهما(١٤) من حديث عبيد اللَّه بن الأخنس به .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا مسدد أبو الحسن ، حَدَّثَنَا عبد الوارث ، عن حبيب المعلم ، حدثني عمرو بن شعيب ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله** » .

وهكذا أخرجه أبو داود(١٥) في سننه عن مسدد ، وأبي معمر [ ][٩] - عبد اللَّه بن عمرو - كلاهما عن عبد الوارث به .

وقال الإمام أحمد(١٦) : حَدَّثَنَا يعقوب ، حَدَّثَنَا عاصم بن محمد بن زيد بن عبد اللَّه بن

(١٤) - رواه أبو داود حديث (٢٠٥١) في باب : قوله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية ﴾ والنسائي حديث ٣٢٢٨ في باب : تزويج الزانية .

(١٥) - رواه أبو داود حديث (٢٠٥٢) في باب : قوله تعالى : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية ﴾

(١٦) - رواه أحمد (٢/١٣٤) .

[١] - في ت : « ودخلت » .

[٢] - الخندمة : اسم جبل في مكة .

[٣] - في خ : « ونحاهم » .

[٤] - في ت : « فرجعت » .

[٥] - الإذخر : موضع خارج مكة ينبت فيه الإذخر.

[٦] - أكبله : جمع - قلة - كبل ، وهو القيد الضخم .

[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٨] - سقط من : ز .

[٩] - في خ ، ز : « عن » .

عمر بن الخطاب ، عن أخيه عمر بن محمد ، عن عبد اللَّه بن يسار - مولى ابن عمر - قال : أشهد لسمعت سالمًا يقول : قال عبد اللَّه : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، والمرأة المترجلة المتشبهة بالرجال ، والديوث . وثلاثة لا ينظر اللَّه إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ، ومدمن الخمر ، والمنان بما أعطىٰ** » .

ورواه النسائي(١٧) عن عمرو بن علي الفلاس ، عن يزيد بن زريع ، عن عمر بن محمد العمري ، عن عبد اللَّه بن يسار به .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٨) : حَدَّثَنَا يعقوب ، حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا الوليد بن كثير ، عن قطن بن وهب ، عن عويمر بن الأجدع ، عمن حدثه ، عن سالم بن عبد اللَّه بن عمر قال : حدثني عبد اللَّه بن عمر: أن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم قال : « **ثلاثة حرم اللَّه عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق [ ]**[١] ، **والديوث الذي يقر في أهله الخبث** » .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده(١٩) : حدثني شعبة ، حدثني رجل من آل سهل بن حنيف ، عن محمد بن عمار ، عن عمار بن ياسر قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا يدخل الجنة ديوث** » يستشهد به لما قبله من الأحاديث .

وقال ابن ماجة(٢٠) : حَدَّثَنَا هشام بن عمار ، حَدَّثَنَا سلَّام بن سوار ، حَدَّثَنَا كثير بن سليم ، عن الضحاك بن مزاحم ، سمعت أنس بن مالك يقول : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول[٢] : « **من أراد أن يلقىٰ اللَّه طاهرًا مطهرًا فليتزوج الحرائر** » في إسناده ضعف .

قال[٣] الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري في كتاب[٤] « الصحاح في اللغة » : الديوث : القُنْذُع وهو الذي لا غيرة له .

---

(١٧) - رواه النسائي حديث ٢٥٦٢ في الزكاة ، باب : المنان بما أعطى .

(١٨) - رواه أحمد (٦٩/٢) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٧/٨) وقال : فيه راوٍ لم يسم .

(١٩) - مسند الطيالسي رقم ٦٤٢ .

(٢٠) - رواه ابن ماجة حديث (١٨٦٢) في النكاح ، باب : تزويج الحرائر ، وهذا إسنادٌ ضعيف ، سلام بن سوار ضعيف ، وكثير بن سليم ضعيف ، والضحاك : صدوق كثير الإرسال ، وهشام بن عمار : صدوق كبر فصار يتلقن ، فحديثه في القديم أصح .

---

[١] - في ت : لوالديه .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : وقال .

[٤] - في ت : « كتابه » .

فأما الحديث الذي رواه الإمام أبو عبد الرحمن النسائي(٢١) في كتاب النكاح من سننه : أخبرنا محمد بن إسماعيل بن علية ، عن يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، وغيره ، عن هارون بن رئاب ، عن عبد اللّٰه بن عبيد بن عمير - وعبد الكريم ، عن عبد اللّٰه بن عبيد بن عمير ، عن ابن عباس - عبد الكريم رفعه إلىٰ[١] ابن عباس ، وهارون لم يرفعه - قالا : جاء رجل إلىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقال[٢] : إن عندي امرأة [ ][٣] من أحب الناس إليّ وهي لا تمنع يد . لامس قال : « **طلقها** » . قال : لا صبر لي عنها ، قال : « **استمتع بها** » .

ثم قال النسائي : هذا الحديث غير ثابت ، وعبد الكريم ليس بالقوي ، وهارون أثبت منه وقد أرسل الحديث وهو ثقة ، وحديثه أولىٰ بالصواب من حديث عبد الكريم .

قلت : وهو ابن أبي المخارق البصري المؤدب ، تابعي ضعيف الحديث ، وقد خالفه هارون ابن رئاب وهو تابعي ثقة من رجال مسلم ، فحديثه المرسل أولىٰ ، كما قال النسائي، لكن قد رواه النسائي(٢٢) في كتاب الطلاق عن إسحاق بن راهويه ، عن النضر بن شميل ، عن حماد بن سلمة ، عن هارون بن رئاب ، عن عبد اللّٰه بن عبيد بن عمير ، عن ابن عباس مسندًا ، فذكره . [فهذا][٤] بهذا الإسناد رجاله[٥] علىٰ شرط مسلم ؛ إلا أن النسائي بعد روايته له قال : « وهذا خطأ والصواب مرسل . ورواه غير النضر علىٰ الصواب » .

وقد رواه النسائي (٢٣) أيضًا وأبو داود عن الحسين بن حريث ، أخبرنا الفضل بن موسىٰ ، أخبرنا الحسين بن واقد ، عن عمارة بن أبي حفصة عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فذكره . وهذا إسناد[٦] جيد .

وقد اختلف الناس في هذا الحديث ما بين مضعف له كما تقدم عن النسائي ، ومنكر[٧] كما قال الإمام[٨] أحمد : هو حديث منكر ، وقال ابن قتيبة : إنما أراد أنها سخية لا تمنع

---

(٢١) - رواه النسائي حديث (٣٢٢٩) في النكاح ، باب : تزويج الزانية .

(٢٢) - رواه النسائي حديث (٣٤٦٥) في الطلاق ، باب : ما جاء في الخلع .

(٢٣) - رواه النسائي حديث (٣٤٦٤) في الطلاق ، باب : ما جاء في الخلع . أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنَّ امْرَأَتِي لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ فَقَالَ : « غَرِّبْهَا إِنْ شِئْتَ » قَالَ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَتْبَعَهَا نَفْسِي قَالَ : « اسْتَمْتِعْ بِهَا » .

---

[١] - سقط من : خ .

[٢] - في ز : « قال » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : وهي .

[٤] - سقط من خ .

[٥] - في خ : « فرجاله » .

[٦] - في خ : « الإسناد » .

[٧] - سقط من : خ ، ز .

[٨] - سقط من : ز .

سائلًا ، وحكاه النسائي في سننه عن بعضهم فقال : وقيل : سخية تعطى ، وردّ هذا بأنه لو كان المراد لقال[١] : لا تردّ يد ملتمس ، وقيل : المراد إن سجيتها لا ترد يد لامس ، [لا أن][٢] المراد أن هذا واقع منها وأنها تفعل الفاحشة فإن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لا يأذن في مصاحبة من هذه صفتها ؛ فإن زوجها والحالة هذه يكون ديوثًا ، وقد تقدم الوعيد علىٰ ذلك ، ولكن لما كانت سجيتها هكذا ليس فيها ممانعة ولا مخالفة لمن أرادها لو خلا بها أحد، أمره[٣] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بفراقها ، فلما ذكر أنه يحبها أباح له البقاء معها ، لأن محبته لها محققة ووقوع[٤] الفاحشة منها متوهم[٥] ، فلا يصار إلىٰ الضرر العاجل ، لتوهم الآجل ، واللَّه سبحانه وتعالىٰ أعلم .

قالوا : فأما إذا حصلت توبة فإنه يحل التزويج، كما قال الإمام أبو محمد بن أبي حاتم - رحمه اللَّه - : حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج ، حَدَّثَنَا أبو خالد ، عن ابن أبي ذئب قال : سمعت شعبة[٦] - مولىٰ ابن عباس - رضي اللَّه عنه - قال : سمعت ابن عباس وسأله رجل فقال[٧] له : إني كنت ألم بامرأة آتي منها ما حرم اللَّه - عز وجل - علي ، فرزق اللَّه - عز وجل - من ذلك توبة ، فأردت أن أتزوجها ، فقال أناس : إن الزاني لا ينكح إلا زانية [ ][٨] . فقال ابن عباس : ليس هذا في هذا ، انكحها فما كان من إثم فعليَّ .

وقد ادعىٰ طائفة آخرون من العلماء أن هذه الآية منسوخة .

قال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج ، حَدَّثَنَا أبو خالد ، عن يحيىٰ بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب قال : ذكر عنده : ﴿**الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك**﴾ قال : كان يقال : نسختها التي بعدها ﴿**وأنكحوا الأيامىٰ منكم**﴾ قال : كان يقال : الأيامي من المسلمين .

و[٩]هكذا رواه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب « الناسخ والمنسوخ » له ، عن سعيد بن المسيب(٢٤) .

ونص علىٰ ذلك أيضا الإمام أبو عبد اللَّه محمد بن إدريس الشافعي رحمه اللَّه .

(٢٤) - الناسخ والمنسوخ ص (١٠٠) ، أثر (١٧١) وروى نحوه الشافعي في الأم (١٢/٥، ١٤٨) والبيهقي في الكبرى (١٥٤/٧) .

[١] - في ز : « فقال » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « لأن » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في خ : « ووقع » .
[٥] - في ز : « متوهمة » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ز : « قال » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : أو مشركة .
[٩] - سقط من : ز .

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) ﴾

هذه الآية الكريمة فيها بيان حكم جلد القاذف للمحصنة ، وهي الحرة البالغة العفيفة ، فإذا كان المقذوف رجلًا فكذلك يجلد قاذفه أيضًا ، وليس في هذا نزاع بين العلماء ، فأما إن أقام القاذف بينة علىٰ صحة ما قاله رُدَّ[١] عنه الحد ؛ ولهذا قال تعالىٰ ﴿ **ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا وأولئك هم الفاسقون** ﴾ فأوجب علىٰ القاذف إذا لم يقم بينة[٢] علىٰ صحة ما قاله[٣] ثلاثة أحكام : (أحدها) أن يجلد ثمانين جلدة ، (الثاني) أنه تردّ شهادته دائمًا[٤] ، (الثالث) أن يكون فاسقًا ليس بعدل ، لا عند الله ولا عند الناس ، ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا [فإن الله غفور رحيم]**[٥] ﴾ . واختلف[٦] العلماء في هذا الاستثناء ، هل يعود إلىٰ الجملة الأخيرة فقط ؛ فترفع التوبةُ الفسقَ فقط ، ويبقىٰ مردود الشهادة دائمًا وإن تاب ، أو يعود إلىٰ الجملتين الثانية والثالثة ؟ وأما[٧] الجلد : فقد ذهب وانقضىٰ ، سواء تاب أو أصر ، ولا حكم له بعد ذلك بلا خلاف ، فذهب الإمام مالك والشافعي وأحمد بن حنبل إلىٰ أنه إذا تاب قبلت شهادته ، وارتفع عنه حكم الفسق ، ونص عليه سعيد بن المسيب سيد التابعين ، وجماعة من السلف أيضًا ، وقال الإمام أبو حنيفة : إنما يعود الاستثناء إلىٰ الجملة الأخيرة فقط ، فيرتفع الفسق بالتوبة ويبقىٰ مردود الشهادة أبدًا ، وممن ذهب إليه من السلف : القاضي شريح وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومكحول وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر . وقال الشعبي والضحاك : لا تقبل [شهادته وإن تاب إلا أن يعترف علىٰ نفسه بأنه[٨] قد قال البهتان ، فحينئذ تقبل][٩] شهادته والله أعلم .

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

---

[١] - في خ : « درأ » .
[٢] - في خ : « البينة » .
[٣] - في خ : « قال » .
[٤] - في ت : « أبدًا » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « الآية » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ت : « أنه » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

﴿ وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِاللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ الْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج ، وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر اللَّه - عز وجل - وهو أن يحضرها إلى الإمام فيدعي عليها بما رماها به ، فيحلفه الحاكم أربع شهادات باللَّه في مقابلة أربعة شهداء ، إنه لمن الصادقين ، أي : فيما رماها به من الزنا ﴿ **والخامسة أن لعنة اللَّه عليه إن كان من الكاذبين** ﴾ فإذا قال ذلك بانت منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي[١] وطائفة كثيرة من العلماء ، وحرمت عليه أبدًا ، ويعطيها مهرها ويتوجه عليها حد الزنا ، ولا يدرأ عنها العذاب[٢] إلا أن تلاعن فتشهد أربع شهادات باللَّه إنه لمن الكاذبين ، أي : فيما رماها به ﴿ **والخامسة أن غضب اللَّه عليها إن كان من الصادقين** ﴾ ولهذا قال ﴿ **ويدرأ عنها العذاب** ﴾ يعني : الحد ﴿ **أن تشهد أربع شهادات باللَّه إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب اللَّه عليها إن كان من الصادقين** ﴾ فخصها بالغضب [كما] أن الغالب أن الرجل لا يتجشم[٣] فضيحة أهله ورميها بالزنا ، إلا وهو صادق معذور ، وهي تعلم صدقه فيما رماها به ، ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب اللَّه عليها ، والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه .

ثم ذكر تعالى [لطفه بخلقه ورأفته بهم وشرعه لهم] الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق ، فقال تعالى : ﴿ **ولولا فضل اللَّه عليكم ورحمته** ﴾ أي : لحرجتم[٤] ولشق عليكم كثير من أموركم ﴿ **وأن اللَّه تواب** ﴾ [ ][٥] : على عباده ، وإن كان [ ][٦] بعد الحلف والأيمان المغلظة ﴿ **حكيم** ﴾ فيما يشرعه ، ويأمر به وفيما ينهى عنه ، وقد وردت الأحاديث بمقتضى العمل بهذه الآية ، وذكر سبب نزولها وفيمن نزلت فيه[٧] من الصحابة .

قال الإمام أحمد(٢٥) : حدثنا يزيد ، أخبرنا عباد بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم**

---

(٢٥) - رواه أحمد (٢٣٨/١)

---

[١] - في ز : « الشافعية » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « يتحشم »
[٤] - في ز : « لخرجتم » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : اي .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : ذلك .
[٧] - سقط من : ز .

ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا ﴾ قال سعد بن عبادة - وهو سيد الأنصار رضي الله عنه - : أهكذا أنزلت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم ؟** » فقالوا : يا رسول الله ! لا تلمه فإنه رجل غيور والله ما تزوّج امرأة قط [إلا بكرًا ، وما طلق امرأة قط][١] فاجترأ رجل منا أن يتزوّجها من شدّة غيرته ، فقال سعد : والله يا رسول الله ؛ إني لأعلم أنها حق[٢] ، وأنها من الله ، ولكني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعًا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحرّكه ، حتىٰ آتي بأربعة شهداء فوالله [ ][٣] لا آتي بهم حتىٰ يقضي حاجته !! قال : فما لبثوا إلا يسيرًا حتىٰ جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، فجاء من أرضه عشاءً ، فوجد عند أهله رجلًا فرأىٰ بعينيه وسمع بأذنيه فلم يهيجه حتىٰ أصبح فغدا علىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ إني جئت أهلي عشاءً فوجدت عندها رجلًا فرأيت بعيني وسمعت بأذني ، فكره رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما جاء به، واشتدّ عليه ، واجتمعت [ ][٤] الأنصار ، وقالوا[٥] : قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة ، الآن يضرب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجًا. وقال هلال: يا رسول الله؛ إني[٦] قد أرىٰ ما اشتدّ عليك مما جئت به ، والله يعلم إني لصادق . فوالله إن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه إذ[٧] أنزل الله علىٰ رسوله صلىٰ الله عليه وسلم الوحي ، وكان إذا نزل[٨] عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد[٩] وجهه ، يعني فأمسكوا عنه حتىٰ فرغ من الوحي فنزلت **﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله ﴾** الآية ، فسري عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **أبشر يا هلال، فقد[١٠] جعل الله لك فرجًا ومخرجًا** » فقال هلال: قد كنت أرجو ذلك من ربي - عز وجل - فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أرسلوا إليها** » فأرسلوا إليها فجاءت ، فتلاها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عليهما ، وذكرهما[١١] وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا ، فقال هلال : والله يا رسول الله لقد صدقت عليها فقالت : كذب . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لاعنوا بينهما** » فقيل لهلال : اشهد،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت : « لحق » .
[٣] - في ت : إني .
[٤] - في ت : عليه .
[٥] - في ز : « فقال » .
[٦] - في ت : « فإني » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ت : « أنزل » .
[٩] - في ز : « تزبد » .
[١٠] - في ز : « قد » .
[١١] - في ت : « فذكرهما » .

فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، فلما [كان في][١] الخامسة قيل له : يا هلال ؛ اتق الله ، فإن عذاب الدنيا أهون من الآخرة وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب ، فقال : والله لا يعذبني الله عليها ، كما لم يجلدني عليها ، فشهد في الخامسة : أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ، ثم قيل [للمرأة : اشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، وقيل لها عند الخامسة][٢] : اتقي الله ، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب ، فتلكأت ساعة ، ثم قالت : والله لا أفضح قومي ، فشهدت في الخامسة : أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، ففرق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بينهما ، وقضىٰ أن لا يدعىٰ ولدها لأب ولا يرمى ولدها ، ومن رماها أو رمىٰ ولدها فعليه الحد ، وقضىٰ [أن لا بيت لها عليه][٣] ، ولا قوت لها ، من أجل أنهما يتفرقان[٤] من غير طلاق ولا متوفىٰ عنها ، وقال : « **إن جاءت به أصيهب [أريسح حمش][٥] الساقين(*) فهو لهلال ، وإن جاءت به أورق جعدًا جماليًا خدلج الساقين سابغ الأليتين فهو الذي رميت به** » .

فجاءت به أورق جعدًا جماليًا خدلج الساقين سابغ الأليتين فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لولا الأيمان لكان لي ولها شأن** » .

قال عكرمة : فكان بعد ذلك أميرًا علىٰ مصر وكان يدعىٰ لأمه ولا يدعي لأب .

ورواه أبو داود (٢٦) عن الحسن بن علي ، عن يزيد بن هارون به نحوه مختصرًا .

ولهذا الحديث شواهد كثيرة في الصحاح وغيرها من وجوه كثيرة ، فمنها ما

قال البخاري(٢٧) : حدثني محمد بن بشار ، حَدَّثَنا ابن أبي عدي ، عن هشام بن

(*) أما الجعد فبفتح الجيم وإسكان العين ، قال الهروي : الجعد في صفات الرجال يكون مدحا ويكون ذمًا ، فإذا كان مدحًا فله معنيان : أحدهما أن يكون معصوب الخلق شديد الأسرة ، والثاني أن يكون شعره غير سبط لأن السبوطة أكثرها في شعور العجم . وأما الجعد المذموم فله معنيان : أحدهما القصير المتردد ، والآخر البخيل يقال : جعد الأصابع وجعد اليدين أي بخيل .

وأما حَمْشُ الساقين أي رقيقهما ، والحموشة الدقة .

(٢٦) - رواه أبو داود حديث (٢٢٥٦) في كتاب الطلاق في اللعان .

(٢٧) - رواه البخاري حديث (٤٧٤٧) في كتاب التفسير ، ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهاداتٍ .. وأطرافه عنده حديث (٢٦٧١) في الشهادات ، و(٥٣٠٧) في الطلاق .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « كانت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ت : « يفترقان » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « أريشح خمس» .

حسان، حدثني عكرمة، عن ابن عباس: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بشريك بن سحماء فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **البينة أو حد في ظهرك** » فقال: يا رسول اللَّه! إذا رأىٰ أحدنا علىٰ[١] امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل[٢] النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول[٣]: « **البينة وإلا حد في ظهرك** » فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن اللَّه ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه ﴿ **والذين يرمون أزواجهم** ﴾ - فقرأ حتىٰ بلغ - ﴿ **إن كان من الصادقين** ﴾ فانصرف النبي صلىٰ اللَّه تعالىٰ عليه وآله وسلم، فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد، والنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول: « **إن[٤] اللَّه يعلم[٥] أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟** » ثم قامت فشهدت، فلما كان عند[٦] الخامسة وقفوها وقالوا: [إنها موجبة][٧]. قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتىٰ ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين، خدلَّج الساقين فهو لشريك بن سحماء** » فجاءت به كذلك. فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **لولا[٨] ما مضىٰ من كتاب اللَّه لكان لي ولها شأن** ».

انفرد به البخاري من هذا الوجه، وقد رواه من غير وجه عن ابن عباس وغيره.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أحمد بن منصور الزيادي، حَدَّثَنَا يونس بن محمد، حَدَّثَنَا صالح - وهو ابن عمر - حَدَّثَنَا عاصم - يعني ابن كليب - عن أبيه، حدثني ابن عباس قال: جاء رجل إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فرمىٰ امرأته برجل، فكره ذلك رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فلم يزل يردده حتىٰ أنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿ **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء** ﴾ فقرأ حتىٰ فرغ من الآيتين، فأرسل إليهما فدعاهما، فقال: « **إن اللَّه تعالىٰ قد أنزل فيكما** » فدعا الرجل فقرأ عليه فشهد أربع شهادات باللَّه إنه لمن الصادقين، ثم أمر به فأمسك علىٰ فيه فوعظه، فقال له: كل شيء أهون عليك من لعنة اللَّه، ثم أرسله، فقال: لعنة اللَّه عليه إن كان من الكاذبين، ثم [دعا بها][٩] فقرأ عليها فشهدت أربع شهادات باللَّه إنه لمن[١٠] الكاذبين، ثم أمر بها فأمسك علىٰ فيها فوعظها وقال: ويحك! كل شيء أهون من غضب اللَّه، ثم أرسلها فقالت: غضب اللَّه عليها إن كان من الصادقين. فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **أما واللَّه لأقضين بينكما قضاءً**

---

[١] - في خ، ز: « مع ».
[٢] - سقط من: ز.
[٣] - سقط من: خ، ز.
[٤] - سقط من: خ، ز
[٥] - في خ، ز: « يشهد ».
[٦] - في ت: « في ».
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز: « بها موجب ».
[٨] - في ز: « لو ما ».
[٩] - في ت: « دعاها ».
[١٠] - في ت: « من ».

فصلًا »

قال: فولدت فما رأيت مولودًا بالمدينة أكثر[١] غاشية(*) منه، فقال: « **إن جاءت به لكذا وكذا فهو كذا، وإن جاءت به لكذا وكذا فهو لكذا** » فجاءت به يشبه الذي قُذفت به.

وقال الإمام أحمد(٢٨): حَدَّثَنَا يحيىٰ بن سعيد، حَدَّثَنَا عبد الملك بن أبي سليمان، قال: سمعت سعيد بن جبير قال: سئلت عن المتلاعنين أيفرق بينهما؟ - في إمارة ابن الزبير- فما دريت ما أقول، فقمت من مكاني إلىٰ منزل ابن عمر، فقلت: يا[٢] أبا عبد الرحمن؛ المتلاعنان أيفرق بينهما؟ فقال: سبحان الله، إن أول من سأل عن ذلك فلان بن فلان، فقال: يا رسول الله! أرأيت الرجل يرىٰ امرأته علىٰ فاحشة فإن تكلم تكلم بأمر عظيم، وإن سكت سكت علىٰ[٣] مثل ذلك؟ فسكت فلم يجبه، فلما كان بعد ذلك، أتاه فقال الذي سألتك عنه قد ابتليت به؟ فأنزل الله تعالىٰ هذه الآيات في سورة النور ﴿ **والذين يرمون أزواجهم** ﴾ حتىٰ بلغ ﴿ **أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين** ﴾ فبدأ بالرجل فوعظه، وذكره وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة؛ فقال: والذي بعثك بالحق ما كذبتك، ثم ثنىٰ بالمرأة فوعظها وذكرها، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فقالت المرأة[٤]: والذي بعثك بالحق إنه لكاذب. قال: فبدأ بالرجل فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم ثنى بالمرأة، فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين. ثم فرق بينهما

رواه النسائي(٢٩) في التفسير من حديث عبد الملك بن أبي سليمان به

وأخرجاه في الصحيحين(٣٠) من حديث سعيد بن جبير عن [ابن عباس].

وقال الإمام أحمد(٣١): حَدَّثَنَا يحيىٰ بن حماد، حَدَّثَنَا أبو عوانة، عن الأعمش، عن

(*) الغاشية ههنا: الناس الذين ذهبوا ليروا المولود.

(٢٨) - الحديث في المسند (١٩/٢)

(٢٩) - النسائي في الكبرى رقم (١١٣٥٧).

(٣٠) - البخاري (٥٣١٢) في الطلاق، باب: إن أحدكما كاذب، ومسلم (١٤٩٣) في كتاب اللعان كلاهما من حديث سعيد بن جبير، عن ابن عمر.

(٣١) - المسند (٤٢١/١)، ومسلم حديث (١٤٩٥) في كتاب: اللعان.

---

[١] - سقط من: خ، ز.

[٢] - سقط من: خ، ز.

[٣] - في ز: « عن ».

[٤] - سقط من: خ، ز.

إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : كنا جلوسًا عشية الجمعة في المسجد ، فقال رجل من الأنصار : أحدنا إذا رأىٰ مع امرأته رجلًا [فقتله][١] قتلتموه ، وإن تكلم جلدتموه ، وإن سكت سكت علىٰ غيظ ؟!. والله لإن أصبحت صالحًا[٢] لأسألن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم. قال : فسأله ، فقال : يا رسول الله ! إن أحدنا إذا رأىٰ مع امرأته رجلًا [فقتله][٣] قتلتموه ، وإن تكلم جلدتموه ، وإن سكت سكت علىٰ غيظ ، اللهم احكم ، قال : فأنزلت[٤] آية اللعان ، فكان ذلك الرجل أول من[٥] ابتلي به .

انفرد بإخراجه مسلم ، فرواه من طرق عن سليمان بن مهران الأعمش به .

وقال الإمام أحمد أيضًا(٣٢) : حَدَّثَنَا أبو كامل ، حَدَّثَنَا إبراهيم بن سعد ، حَدَّثَنَا ابن شهاب ، عن سهل بن سعد قال : جاء عويمر إلىٰ عاصم بن عدي ، فقال له[٦] : سل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : أرأيت رجلًا وجد رجلًا مع امرأته ، فقتله أيقتل به ، أم كيف يصنع ؟ فسأل عاصم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فعاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المسائل ، قال : فلقيه عويمر فقال : ما صنعت ؟ قال : ما صنعت ! إنك لم تأتني بخير ، سألت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فعاب المسائل ، فقال عويمر : والله[٧] لآتين رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فلأسألنه . فأتاه فوجده قد أنزل عليه فيها . قال : فدعا بهما ولاعن[٨] بينهما . قال عويمر : إن انطلقت بها يا رسول الله لقد كذبت عليها . قال : ففارقها قبل أن يأمره رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فصارت سنة المتلاعنين . وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم « **أبصروها ؛ فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين ، فلا أراه إلا قد صدق ، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة[٩] فلا أراه إلا كاذبًا** » فجاءت به علىٰ النعت المكروه .

أخرجاه في الصحيحين(٣٣) وبقية الجماعة إلا الترمذي . من طرق عن الزهري به

---

(٣٢) - المسند (٣٣٤/٥) (٢٢٩٣٧) .

(٣٣) - البخاري حديث (٤٧٤٥) في التفسير ، باب : قوله تعالى ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم ... ﴾ ، ومسلم رقم (١٤٩٢) في اللعان ، وأبو داود حديث (٢٢٤٥) في كتاب الطلاق ، باب : في اللعان ، والنسائي (١٤٣/٦ رقم ٣٤٠٢) كتاب الطلاق ، باب : الرخصة في ذلك =

---

[١] - في خ : « فقتلته » ، وفي ت : « إن قتله » . [٢] - في خ : « صحيحًا » .

[٣] - في خ : « فقتلته » ، وفي ز : « إن قتله » . [٤] - في خ : « فنزلت » .

[٥] - في ز : « ما » . [٦] - سقط من : خ .

[٧] - سقط من : خ ، ز . [٨] - في خ : « ولاعن » .

[٩] - في ز : « وجرة » .

[ورواه البخاري(٣٤) أيضًا من طرق عن الزهري به، فقال: حَدَّثَنَا سليمان بن داود أبو الربيع، حَدَّثَنَا فليح، عن الزهري، عن سهل بن سعد، أن رجلًا أتىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال: يا رسول اللَّه! أرأيت رجلًا رأىٰ مع امرأته رجلًا أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ فأنزل اللَّه تعالىٰ فيهما ماذكر في القرآن من التلاعن، فقال له رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم «**قد قضي فيك وفي امرأتك**» قال: فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ففارقها، فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين. وكانت حاملًا فأنكر حملها وكان ابنها يدعىٰ إليها. ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض اللَّه لها][١].

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٣٥): حَدَّثَنَا إسحاق بن الضيف، حَدَّثَنَا النضر بن شميل، حَدَّثَنَا يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن زيد بن يثيع، عن حذيفة -رضي اللَّه عنه- قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لأبي بكر: «**لو رأيت مع أم رومان رجلًا ما كنت فاعلًا به؟**» قال: كنت واللَّه فاعلًا به شرًّا، قال: «**فأنت يا عمر؟**» قال: كنت واللَّه فاعلًا، كنت أقول: لعن اللَّه الأعجز فإنه[٢] خبيث. قال: فنزلت ﴿ **والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم** ﴾ ثم قال: لا نعلم أحدًا أسنده إلا النضر بن شميل، عن يونس بن أبي إسحاق، ثم رواه من حديث الثوري عن أبي إسحاق عن زيد بن يثيع مرسلًا، فاللَّه أعلم.

وقال الحافظ أبو يعلى(٣٦): حَدَّثَنَا مسلم بن أبي مسلم الجرمي، حَدَّثَنَا مخلد بن الحسين، عن هشام، عن ابن سيرين، عن أنس بن مالك -رضي اللَّه عنه- قال: لأول لعان كان في الإسلام: أن شريك بن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته، فرفعته[٣] إلىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: «**أربعة شهود وإلا فحد في ظهرك**» فقال: يا رسول اللَّه؛ إن اللَّه يعلم إني لصادق ولينزلن اللَّه عليك ما يبرئ به ظهري من الجلد. فأنزل اللَّه آية اللعان ﴿ **والذين يرمون أزواجهم [ولم يكن لهم شهداء إلا**

= وابن ماجه حديث (٢٠٦٦) في الطلاق، باب: اللعان.

(٣٤) - رواه البخاري حديث (٤٧٤٦) في التفسير، تفسير قوله تعالى: ﴿ والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾.

(٣٥) «كشف الأستار» (٢٢٣٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٧٤): «رجاله ثقات».

(٣٦) مسند أبي يعلى (٥/٢٠٧)، ورواه مسلم حديث (١٤٩٦) من طريق هشام عن محمد، به.

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز. [٢] - في ز: «وإنه».

[٣] - في خ: «فرفعه».

أنفسهم][١] ﴾ إلىٰ آخر الآية، قال: فدعاه النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم؛ فقال: « **اشهد باللَّه إنك لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا** » فشهد بذلك أربع شهادات، ثم قال له في الخامسة: « **ولعنة اللَّه عليك إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا** »، ففعل ثم دعاها[٢] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال: « **قومي فاشهدي باللَّه إنه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا** » فشهدت بذلك أربع شهادات، ثم قال لها في الخامسة: « **وغضب اللَّه عليك إن كان من الصادقين فيما رماك به من الزنا** » قال[٣]: فلما [كان في][٤] الرابعة أو الخامسة سكتت سكتة حتىٰ ظنوا أنها ستعترف، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت علىٰ القول، ففرق رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بينهما وقال: « **انظروه، فإن جاءت به جعدًا حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء، وإن جاءت به أبيض سبطًا** [][٥] **قضيئ**(*) **العينين فهو لهلال بن أمية** » فجاءت به آدم[٦] جعدًا حمش[٧] الساقين، فقال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **لولا ما نزل فيهما من كتاب اللَّه لكان لي ولها شأن** ».

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين -رضي اللَّه عنها- حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت، والفرية التي غار اللَّه -عز وجل- لها ولنبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، فأنزل اللَّه تعالىٰ براءتها صيانة لعرض رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: فقال تعالىٰ ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ أي: جماعة منكم - يعني: ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، فكان المقدم في هذه اللعنة: عبد اللَّه بن أبيّ ابن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتىٰ دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به وجوزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريبًا من شهر حتىٰ نزل القرآن، وسياق[٨] ذلك في الأحاديث الصحيحة.

وقال الإمام أحمد(٣٧): حَدَّثَنَا عبد الرزاق، حَدَّثَنَا معمر، عن الزهري قال: أخبرني سعيد

(*) أي فاسد العين. وهو من قَضِئَ الثوبُ يقضأ فهو قضئ: إذا تقزّر وتشقق. النهاية (٤/٧٦).
(٣٧) - المسند (٦/١٩٤ - ١٩٧) (٢٥٧٣١).

---

[١] - ما بين المعكوفتين من: ز.
[٢] - في خ، ز: « رماها ».
[٣] - في ز: « فقالت ».
[٤] - في خ: « كانت ».
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز: « قصير ».
[٦] - سقط من: ت.
[٧] - في ز: « خمش ».
[٨] - في ت: « بيان ».

ابن المسيب، وعروة بن الزبير، وعلقمة بن وقاص، وعبيد اللّٰه بن عبد اللّٰه بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها اللّٰه تعالىٰ، وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعىٰ لحديثها من بعض، وأثبت له اقتصاصًا، وقد[١] وعيت عن كل [واحد منهم][٢] الحديث الذي حدثني، [وبعض حديثهم][٣] يصدق بعضًا : ذكروا أن عائشة -رضي اللّٰه عنها- زوج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قالت : كان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم معه. قالت عائشة -رضي اللّٰه عنها- : فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، وخرجت مع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، وذلك بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتىٰ إذا فرغ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من [غزوه][٤]، وقفل ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتىٰ جاوزت الجيش فلما قضيت شأني، أقبلت إلىٰ الرحل[٥]، فلمست صدري، فإذا عقد[٦] من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا[٧] هودجي، فرحلوه علىٰ بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه. قالت : وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يهبلن[٨] ولم يغشهن اللحم ؛ إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة[٩] الهودج [حين رفعوه وحملوه][١٠]، وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم، وليس بها[١١] داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت [أن القوم سيفقدونني][١٢]، فيرجعون إليّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني[١٣] فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرّس من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي فرأىٰ سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رآني، وكان قد رآني، قبل [أن يضرب عليَّ][١٤] الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، واللّٰه ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حتىٰ[١٥] أناخ راحلته، فوطئ علىٰ يدها فركبتها، فانطلق يقود بي

---

[١] - سقط من : ز.

[٢] - سقط من ز، خ.

[٣] - في خ، ز: « وبعضهم ».

[٤] - في خ : « غزوته تلك ».

[٥] - في خ : « رحلي ».

[٦] - بعده في خ : لي.

[٧] - في خ : « فاحتملوا ».

[٨] - في ت : « يثقلن ».

[٩] - في خ، ز : « ثقل ».

[١٠] - في خ، ز : « حتى رحلوه ورفعوه ».

[١١] - في خ، ز : « فيها ».

[١٢] - في خ، ز : « أنهم سيفقدوني ».

[١٣] - في خ : « عيناي ».

[١٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت.

[١٥] - في خ : « حين ».

الراحلة حتىٰ أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولىٰ كبره عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا[١] شهرًا ، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف[٢] من رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [اللطف الذي كنت أرىٰ منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][٣] فيسلم ثم يقول : « **كيف تيكم** ؟ » فذلك الذي[٤] يريبني ، ولا أشعر بالشر حتىٰ[٥] خرجت بعدما نقهت ، وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع - وهو متبرزنا - ولا نخرج إلا ليلًا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف(*) قريبًا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه [في البرية][٦] ، وكنا نتأذىٰ بالكنف أن نتخذها في بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح ، وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد المطلب [بن عبد مناف][٧] ، وأمها ابنة صخر بن عامر ، خالة أبي بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب ، فأقبلت أنا وابنة أبي رهم [أم مسطح][٨] قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها(**) ، فقالت : تعس مسطح ! فقلت لها : بئسما قلت ! تسبين رجلًا شهد بدرًا ؟ قالت[٩]: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال ؟ قلت : وماذا قال ؟ قالت : فأخبرتني بقول أهل الإفك ، فازددت مرضًا إلىٰ مرضي ، فلما رجعت إلىٰ بيتي ، فدخل[١٠] عليّ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فسلّم[١١] ثم قال : « **كيف تيكم** ؟ » [قلت][١٢] : أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت : وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي[١٣] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فجئت أبوي فقلت لأمي : يا أمتاه ؛ ما[١٤] يتحدث الناس[١٥] ؟ فقالت : أي بنية هوني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها . قالت : فقلت[١٦] : سبحان الله ،

(*) الكُنُف : الكنيف : الساتر ويسمى التُّرسُ (كنيفًا) لأنه يستر صاحبه ، وقيل للمرحاض : (كنيف) . المصباح المنير [٢/٥٤٢] .

(**) مِرطها : المِرْط : كساء من صوف أَوْ خَزٍ يؤتزر به ، وتتلفع المرأة به ، والجمع (مُرُوط) . المصباح المنير [٢/٥٦٩] .

[١] - في خ : « قدمناها » .
[٢] - في ت : « أرى » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في خ : « حين » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - في خ : « فقالت » .
[١٠] - في خ : « دخل » .
[١١] - في ز : « فسلم ثم » .
[١٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « فقلت له » .
[١٣] - في ز : « يا » .
[١٤] - في ت : « ماذا » .
[١٥] - بعده في ت : به .
[١٦] - سقط من : ز .

أو قد تحدث الناس بها ؟ قالت : فبكيت تلك الليلة ، حتىٰ أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت أبكي ، قالت[١] : فدعا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [علي بن أبي طالب][٢] ، وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي ، يسألهما[٣] ويستشيرهما في فراق أهله ، قالت : فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود ، فقال[٤] : يا رسول اللّٰه ؛ هم أهلك ، ولا نعلم إلا خيرًا . وأما علي بن أبي طالب فقال : [ ][٥] ؛ لم يضيق اللّٰه عليك والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر ، قالت : فدعا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بريرة فقال : « **أي بريرة ؛ هل رأيت من شيء يريبك من عائشة** » فقالت له[٦] بريرة : والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا قط أغمصه[٧](*) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله . فقام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وآله وسلم [من يومه][٨] فاستعذر من عبد اللّٰه بن أبيّ ابن سلول . قالت : فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو علىٰ المنبر : « **يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في [أهل بيتي][٩] ، فواللّٰه ما علمت علىٰ أهلي إلا خيرًا ، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا ، وما كان يدخل علىٰ أهلي إلا معي** » فقام سعد بن معاذ الأنصاري - رضي اللّٰه عنه - فقال : أنا أعذرك منه يا رسول اللّٰه ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من[١٠] الخزرج أمرتنا ففعلنا بأمرك[١١] . قالت : فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلًا صالحًا ، ولكن احتملته[١٢] الحمية ، فقال لسعد بن معاذ[١٣] ! كذبت لعمر اللّٰه لا تقتله ولا تقدر علىٰ قتله[١٤] ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت ، لعمر اللّٰه لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فتثاور الحيان : الأوس والخزرج حتىٰ هموا أن يقتتلوا ، ورسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [قائم علىٰ المنبر ، فلم يزل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم][١٥] يخفضهم حتىٰ سكتوا ، وسكت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم .

(*) أغمصه ؛ أي : أعيبُها به وأطْعَنُ به عليها . نهاية [٣/٣٨٦] .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عليًا » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - بعده في ت : أسامة .
[٥] - بعده في ت : « يارسول الله » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ز : « أغمضه » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - في ت: « أهلي » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز : « أمرك » .
[١٢] - في المسند : اجتهلته .
[١٣] - بعده في ت : كذبت .
[١٤] - بعده في ت : ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل .
[١٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

قالت : وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي . قالت[١] : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي[٢]، استأذنت عليّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي، فبينا نحن علىٰ ذلك إذ دخل علينا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فسلم ثم[٣] جلس . قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل ، وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني شيء ، قالت : فتشهد رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حين جلس ثم قال : « **أما بعد ، يا عائشة ؛ فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك اللّٰه ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري اللّٰه ، ثم[٤] توبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف [بذنب ثم][٥] تاب ، تاب اللّٰه عليه** » قالت : فلما قضىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مقالته قلص دمعي حتىٰ ما أحس منه قطرة ، فقلت[٦] لأبي : أجب عني رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم فقال: واللّٰه ما أدري ما أقول لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقلت لأمي : أجيبي رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقالت: واللّٰه ما أدري ما أقول لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . قالت : فقلت – وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ[٧] كثيرًا من القرآن – : واللّٰه لقد [عرفت أنكم قد][٨] سمعتم بهذا الحديث[٩] ، حتىٰ استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم : إني بريئة – واللّٰه يعلم إني بريئة – لا تصدقوني ، [ولئن اعترفت بأمر – واللّٰه عز وجل يعلم أني منه بريئة – تصدقوني ، فواللّٰه ما][١٠] أجد لي ولكم مثلًا إلا كما قال أبو يوسف ﴿ **فصبر جميل واللّٰه المستعان علىٰ ما تصفون** ﴾ قالت : ثم تحولت ، فاضطجعت[١١] علىٰ فراشي ، قالت : وأنا واللّٰه حينئذ اعلم أني بريئة، وأن اللّٰه تعالىٰ مبرئي ببراءتي ، ولكن واللّٰه ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلىٰ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم اللّٰه فيَّ بأمر يتلىٰ، ولكن كنت أرجو أن يرىٰ رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني اللّٰه بها . قالت : فواللّٰه[١٢] ما رام رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم مجلسه ، ولا خرج من أهل البيت أحد حتىٰ أنزل اللّٰه تعالىٰ علىٰ نبيه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي حتىٰ أنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق [في اليوم الشاتي][١٣] من ثقل القول الذي أنزل عليه . قالت : فلما سري عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهو يضحك فكان[١٤] أول كلمة تكلم بها أن قال : « **أبشري يا**

---

[١] – سقط من : ت .

[٢] – بعده في ت : إذ .

[٣] – في ز : « و » .

[٤] – في م : « و » .

[٥] – ما بين المعكوفتين في خ : « بذنبه و » .

[٦] – في ز : « قلت » .

[٧] – في ت : « أحفظ » .

[٨] – ما بين المعكوفتين في ت : « علمت لقد » .

[٩] – سقط من : ز .

[١٠] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، وفي ز : « وإني والله لا » .

[١١] – في خ : « فاضجعت » .

[١٢] – في ز : « والله » .

[١٣] – في م : « وهو في يوم شات » .

[١٤] – في ز : « كان » .

عائشة، **أما اللّٰه عز وجل فقد برأك** » قالت[١] : فقالت لي أمي : قومي إليه، فقلت : واللّٰه لا أقوم إليه ولا أحمد إلا اللّٰه عز وجل هو الذي أنزل براءتي وأنزل اللّٰه - عز وجل - ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ [العشر الآيات كلها، فلما أنزل اللّٰه هذا في][٢] براءتي، قالت : فقال[٣] أبو بكر رضي اللّٰه عنه وكان ينفق على مسطح [بن أثاثة][٤] لقرابته منه وفقره- : واللّٰه لا أنفق عليه شيئًا أبدًا بعد الذي قال لعائشة. فأنزل اللّٰه تعالىٰ ﴿ **ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربىٰ** ﴾ - إلىٰ قوله[٥] - ﴿ **ألا تحبون أن يغفر اللّٰه لكم واللّٰه غفور رحيم** ﴾ فقال أبو بكر: بلىٰ[٦] واللّٰه إني لأحب أن يغفر اللّٰه لي، فرجع إلىٰ مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: واللّٰه[٧] لا أنزعها منه أبدًا.

قالت عائشة: وكان رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش زوج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عن أمري[٨]، ما[٩] علمت أو ما[١٠] رأيت ؟ » فقالت: يا رسول اللّٰه؛ أحمي سمعي وبصري، واللّٰه ما علمت إلا خيرًا. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فعصمها اللّٰه تعالىٰ بالورع، وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها فهلكت فيمن هلك. قال ابن شهاب: فهذا ما انتهىٰ إلينا من أمر هؤلاء الرهط.

أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما(٣٨) من حديث الزهري.

وهكذا رواه ابن إسحاق عن الزهري كذلك قال: وحدثني يحيىٰ بن عباد بن عبد اللّٰه ابن الزبير، عن أبيه، عن عائشة -رضي اللّٰه عنها- وحدثني عبد اللّٰه بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري عن عمرة عن عائشة بنحو ما تقدم، واللّٰه أعلم.

ثم قال البخاري (٣٩)، وقال أبو أسامة، عن هشام بن عروة قال[١١] : أخبرني أبي عن عائشة -رضي اللّٰه عنها- قالت: لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به. قام رسول اللّٰه

(٣٨) - رواه البخاري في الشهادات (٢٦٦١)، وفي التفسير (٤٧٥٠)، ومسلم في كتاب التوبة (٢٧٧٠).

(٣٩) - صحيح البخاري، كتاب التفسير حديث (٤٧٥٧).

[١] - سقط من : ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « عشر آيات فأنزل الله هذه الآيات ».

[٣] - في خ : « قال ».

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز.

[٥] - سقط من : ز.

[٦] - سقط من : ز.

[٧] - سقط من : ز.

[٨] - بعده في ت : فقال : يازينب.

[٩] - في ت : « ماذا ».

[١٠] - سقط من : ت.

[١١] - سقط من : خ.

صلىٰ اللّه عليه وسلم فيَّ خطيبًا فتشهد فحمد اللّه وأثنىٰ عليه بما هو أهله . ثم قال : « **أما بعد ، أشيروا عليّ في أناس أبنوا أهلي ، وايم اللّه ، ما علمت علىٰ أهلي من سوء]**[١] **وأبنوهم بمن ، واللّه ما علمت عليه من سوء قط ، ولا يدخل**[٢] **بيتي قط إلا وأنا حاضر ، ولا غبت في سفر إلا غاب معي** » فقام سعد بن معاذ[٣] الأنصاري فقال[٤] : ائذن [لي يارسول الله أن أضرب][٥] أعناقهم ، فقام رجل من الخزرج ، وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل ، فقال : كذبت[٦] ! أما واللّه لو كانوا[٧] من الأوس ، ما أحببت أن تضرب أعناقهم . حتىٰ كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد وما علمت . فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح ، فعثرت فقالت : تعس مسطح! فقلت [لها : أي أم ؛ تسبين ابنك ؟ فسكتت][٨] ثم عثرت الثانية فقالت : تعس مسطح ! [فقلت لها : أي أم ؛ تسبين ابنك ؟ ثم عثرت الثالثة فقالت : تعس مسطح!][٩] . فانتهرتها . فقالت : واللّه ما أسبه إلا فيك . فقلت : في أي شأني ؟ قالت : فبقرت(*) لي الحديث ، فقلت : وقد كان هذا ؟ قالت : نعم واللّه . فرجعت إلىٰ بيتي ، كأن الذي خرجت له لا أجد منه[١٠] قليلًا ولا كثيرًا ، ووعكت ، وقلت لرسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : أرسلني إلىٰ بيت أبي ، فأرسل معي الغلام ، فدخلت الدار ، فوجدت أم رومان في السفل ، وأبا بكر فوق البيت يقرأ. فقالت [أمي][١١] : ما جاء بك يا بنية؟ فأخبرتها ، وذكرت لها الحديث ، وإذا هو لم يبلغ منها ما[١٢] بلغ مني ، [فقالت : يا بنية خففي عليك الشأن ، فإنه واللّه لقلّ ما كانت امرأة قط حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر ، إلا حسدنها ، وقيل فيها . فقلت][١٣] : وقد علم به أبي؟ قالت : نعم. قلت : ورسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، ورسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فاستعبرت وبكيت ، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ فنزل ، فقال لأمي : ما شأنها؟ قالت : بلغها الذي ذكر من شأنها ففاضت عيناه – رضي اللّه عنه – فقال[١٤] : أقسمت عليك أي[١٥] بنية إلا [ما][١٦] رجعت

---

[١] – بعده في ت : ما علمت على أهلي إلا خيرًا .

[٢] – في ز : « دخل » .

[٣] – في خ ، ز : « عبادة » .

[٤] – بعده في خ : يارسول الله .

[٥] – في ت : « لنا أن نضرب » .

[٦] – في ز : « كذب » .

[٧] – في ز : « كان » .

[٨] – في ز : « يا أم ؛ أتسبين ؟ وسكتت » .

[٩] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[١٠] – في ز : « لا » .

[١١] – في ت : أم رومان .

[١٢] – في ت : « مثل الذي » .

[١٣] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[١٤] – في ز : « وقال » .

[١٥] – في خ ، ت : « يا » .

[١٦] – سقط من خ ، ت .

إلىٰ بيتك . فرجعت ، ولقد جاء رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بيتي فسأل عني خادمي ، فقالت : [يا رسول اللَّه ، لا][١] ، واللَّه ما علمت عليها عيبًا إلا أنها كانت ترقد حتىٰ تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها ، وانتهرها بعض أصحابه فقال : اصدقي رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم حتىٰ أسقطوا لها به . فقالت : سبحان اللَّه ! واللَّه ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ علىٰ تبر الذهب الأحمر ، وبلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له . فقال : سبحان اللَّه ! واللَّه ما كشفت كنف أنثىٰ قط . قالت عائشة رضي اللَّه عنها فقتل شهيدًا في سبيل اللَّه .

قالت : وأصبح أبواي عندي فلم يزالا حتىٰ دخل عليّ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم وقد صلىٰ العصر ، ثم دخل وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي ، فحمد اللَّه تعالىٰ وأثنىٰ عليه ثم قال : « **أما بعد ، يا عائشة ؛ إن كنت قارفت سوءًا أو**[٢] **ظلمت فتوبي إلىٰ اللَّه ، فإن اللَّه يقبل التوبة عن عباده** » قالت : وقد[٣] جاءت امرأة من الأنصار فهي[٤] جالسة بالباب ، فقلت : ألا تستحيي من هذه المرأة أن تذكر شيئًا فوعظ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فالتفتّ إلي أبي فقلت له: [أجبه][٥] . قال : فماذا أقول ؟ فالتفتّ إلي أمي فقلت : [أجيبيه][٦] . قالت : ماذا أقول ؟ فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت اللَّه وأثنيت عليه بما هو أهله ، ثم قلت : أما بعد فواللَّه إن قلت لكم : إني لم أفعل - واللَّه عز وجل يشهد إني لصادقة - ما ذاك بنافعي عندكم ، لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم ، وإن قلت لكم : إني قد فعلت - واللَّه يعلم أني لم أفعل - لتقولن قد باءت [به][٧] علىٰ نفسها ، وإني واللَّه ما أجد لي ولكم مثلًا - والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه - إلا أبا يوسف حين قال ﴿ **فصبر جميل واللَّه المستعان علىٰ ما تصفون** ﴾ وأنزل اللَّه علىٰ رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم من ساعته فسكتنا فرفع عنه ، وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ، ويقول : « **أبشري يا عائشة ، فقد أنزل اللَّه براءتك** » قالت : وكنت[٨] أشد ما كنت غضبًا ، فقال لي أبواي : قومي إليه[٩] ، فقلت : لا واللَّه لا أقوم إليه [ولا أحمده][١٠] ، ولا أحمدكما ، ولكن أحمد اللَّه الذي أنزل براءتي ، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ، وكانت عائشة تقول : أما زينب بنت جحش فعصمها[١١] اللَّه بدينها فلم تقل إلا خيرًا ، وأما أختها حمنة

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « و » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « وهي » .
[٥] - في ت : « أجب رسول الله ﷺ » .
[٦] - في ت : « أجيبي رسول الله ﷺ » .
[٧] - سقط من خ ، ت .
[٨] - في ز : « فكنت » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - سقط من خ ، ت .
[١١] - في ز : « فقد عصمها » .

بنت جحش فهلكت فيمن هلك ، وكان الذي يتكلم فيه : مسطح وحسان بن ثابت ، و[١]المنافق عبد اللَّه بن أبيّ ابن سلول ، وهو[٢] الذي كان[٣] يستوشيه ويجمعه ، وهو الذي تولىٰ كبره منهم هو وحمنة ، قالت : فحلف[٤] أبو بكر أن لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدًا ، فأنزل اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولا يأتل أولو الفضل منكم** ﴾[٥] يعني : أبا بكر ﴿ **والسعة أن يؤتوا أولىٰ القربىٰ والمساكين** ﴾ يعني : مسطحًا ، إلىٰ قوله ﴿ **ألا تحبون أن يغفر اللَّه لكم واللَّه غفور رحيم** ﴾ ؟ فقال أبو بكر : بلىٰ واللَّه يا ربنا ، إنا لنحب[٦] أن تغفر لنا ، وعاد له بما كان يصنع .

هكذا رواه البخاري من هذا الوجه معلقًا بصيغة الجزم عن أبي أسامة حماد بن أسامة [أحد الأئمة الثقات . وقد رواه ابن جرير(٤٠) في تفسيره عن سفيان بن وكيع عن أبي أسامة][٧] به مطولًا مثله أو نحوه .

ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن أبي أسامة ببعضه .

وقال الإمام أحمد(٤١) : حَدَّثَنَا هشيم ، [ ][٨] أخبرنا عمر[٩] بن أبي سلمة ، عن أبيه ، عن عائشة -رضي اللَّه عنها- قالت : لما نزل عذري من السماء ، جاءني النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فأخبرني بذلك ، فقلت : نحمد اللَّه لا نحمدك .

وقال الإمام أحمد(٤٢) : حدثني ابن أبي عدي ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد اللَّه ابن أبي بكر عن ، عمرة عن عائشة قالت : لما نزل عذري ، قام رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن ، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم .

وأخرجه أهل السنن الأربعة . وقال الترمذي : هذا حديث حسن . ووقع عند أبي داود تسميتهم : حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش .

---

(٤٠) تفسير الطبري (٧٤/١٨) .

(٤١) المسند (٣٠/٦) (٢٤١٢٢) وأخرجه الطبراني في الكبير : (١٢١/٢٣/رقم : ١٥٥، ١٥٦) من طرق عن عمر بن أبي سلمة عن أبيه به.

(٤٢) المسند (٣٥/٦) (٢٤١٧٥) ، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب الحدود ، باب : حد القذف (٤/ ١٦٠/رقم : ٤٤٧٤، ٤٤٧٥) . والترمذي في جامعه في كتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة =

---

[١] - في ز : « وأما » .
[٢] - في ز : « فهو » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في ز : « وحلف » .
[٥] - في ز : « إلى آخر الآية » .
[٦] - في ز : « نحب » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - في المسند : عن منصور .
[٩] - في ز ، خ : عمرو . والمثبت من المسند .

فهذه طرق متعددة عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- في المسانيد والصحاح والسنن وغيرها[١] .

وقد روي من حديث أمها أم رومان -رضي الله عنها- فقال الإمام أحمد(٤٣) : حَدَّثَنَا علي بن عاصم، أخبرنا حصين، عن أبي وائل، عن مسروق، عن أم رومان؛ قالت: بينا أنا عند عائشة إذ دخلت علينا امرأة من الأنصار؛ فقالت: فعل الله بابنها وفعل، فقالت عائشة: ولم؟ قالت: إنه كان فيمن حدث الحديث، قالت [عائشة][٢] وأي حديث[٣] ؟ قالت: كذا وكذا. قالت: وقد بلغ ذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؟ قالت: نعم، قالت[٤]: وبلغ أبا بكر؟ قالت: نعم. فخرت عائشة -رضي الله عنها- مغشيًّا عليها فما أفاقت إلا وعليها حمىٰ بنافض. قالت: فقمت فدثرتها. قالت: وجاء النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال[٥]: « ما[٦] **شأن هذه** ؟ » قلت: يا رسول الله؛ أخذتها حمىٰ بنافض قال: « **فلعله في حديث تحدث به** » قالت: فاستوت له[٧] عائشة قاعدة فقالت: والله لئن حلفت لكم لا تصدقوني ولئن اعتذرت إليكم لا تعذروني، فمثلي ومثلكم كمثل يعقوب وبنيه[٨] ﴿**والله المستعان علىٰ ما تصفون**﴾ قالت: وخرج[٩] رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل[١٠] الله عذرها، فرجع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ومعه أبو بكر [فدخل فقال: يا عائشة؛ « **إن الله تعالىٰ قد أنزل عذرك** » فقالت: بحمد الله لا بحمدك، فقال لها أبو بكر، تقولين هذا لرسول الله صلىٰ الله عليه وسلم؟ قالت: نعم، قالت: وكان فيمن حدث هذا الحديث رجل كان يعوله أبو بكر][١١] فحلف [أبو بكر][١٢] أن لا يصله فأنزل الله ﴿ **ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة** ﴾ إلىٰ آخر الآية قال[١٣] أبو بكر: بلىٰ، فوصله .

= النور (٥/٣٣٦/رقم : ٣١٨١) . والنسائي في الكبرى كتاب التعزيرات والشهود ، باب : حد القذف (٤/٣٢٥/رقم : ٧٣٥١) . وابن ماجة في سننه في كتاب الحدود ، باب : حد القذف (٢/٨٥٧/رقم : ٢٥٦٧) . كلهم من طريق ابن أبي عدي به .

(٤٣) المسند (٦/٣٦٧) (٢٧١٨٣) ، وأخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ . (٦/٤٨٢/رقم : ٣٣٨٨) . وأطرافه في (٤١٤٣، ٤٦٩١، ٤٧٥١) . من طرق عن حصين ، عن أبي وائل شقيق بن سلمة ، عن مسروق بن الأجدع ، عن أم رومان .

[١] - في ز : « وغيرهم » .
[٢] - سقط من خ ، ت .
[٣] - في خ : « الحديث » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « فقال » .
[٦] - في خ : « فما » .
[٧] - سقط من : خ ، ز .
[٨] - بعده في ت : حين قال : فصبر جميل .
[٩] - في خ : « فخرج » .
[١٠] - في ز : « فأنزل » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[١٢] - سقط من خ ، ت .
[١٣] - في خ ، ت : « فقال » .

تفرّد به البخاري دون مسلم من طريق حصين، وقد رواه البخاري عن موسىٰ بن إسماعيل، عن أبي عوانة، وعن محمد بن سلام، عن محمد بن فضيل - كلاهما - عن حصين به(٤٤). وفي لفظ أبي عوانة: حدثتني أم رومان، وهذا صريح في سماع مسروق منها وقد أنكر ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي، وذلك لما ذكره أهل التاريخ أنها ماتت في زمان[١] النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم.

قال الخطيب: وقد كان مسروق يرسله، فيقول: سئلت أم رومان، ويسوقه، فلعل بعضهم كتب: سئلت بألف. فاعتقد[٢] الراوي أنها سألت فظنه متصلًا، قال الخطيب: وقد رواه البخاري، كذلك ولم تظهر له علته. كذا قال واللّٰه أعلم. [ورواه بعضهم عن مسروق عن عبد اللّٰه بن مسعود عن أم رومان فاللّٰه أعلم][٣].

فقوله تعالىٰ: ﴿ **إنّ الذين جاءوا بالإفك** ﴾ أي: بالكذب والبهت والافتراء ﴿ **عصبة** ﴾ أي: جماعة منكم ﴿ **لا تحسبوه شرًا لكم** ﴾ أي: يا آل أبي بكر ﴿ **بل هو خير لكم** ﴾ أي: في الدنيا والآخرة، لسان صدق في الدنيا ورفعة منازل في الآخرة، وإظهار شرف لهم باعتناء اللّٰه تعالىٰ بعائشة أم المؤمنين -رضي اللّٰه عنها- حيث أنزل اللّٰه تعالى براءتها في القرآن العظيم ﴿ **الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾ ولهذا لما دخل عليها ابن عباس -رضي اللّٰه عنه- وعنها[٤] وهي في سياق الموت، قال لها: أبشري؛ فإنك زوجة رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وكان يحبك، ولم يتزوّج بكرًا غيرك، ونزلت[٥] براءتك من السماء(٤٥).

وقال ابن جرير في تفسيره(٤٦): حدثني محمد بن عثمان الواسطي، حَدَّثَنا جعفر بن عون، عن المعلى بن عرفان، عن محمد بن عبد اللّٰه بن جحش قال: تفاخرت عائشة وزينب -رضي اللّٰه عنهما- فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء قال وقالت عائشة: أنا التي نزل عذري في [كتاب اللّٰه][٦]، حين حملني صفوان[٧] بن المعطل علىٰ

---

(٤٤) صحيح البخاري (٤١٤٣) من رواية موسى بن إسماعيل، وحديث (٣٣٨٨) من رواية بن سلام.

(٤٥) رواه البخاري في صحيحه حديث (٤٧٥٣).

(٤٦) تفسير الطبري (١٨/٧٠).

---

[١] - في خ، ت: «زمن».

[٢] - في خ، ت: «اعتقد».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٤] - سقط من: ز.

[٥] - في ز: «أنزل».

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز: «كتابه».

[٧] - سقط من: ز.

الراحلة. فقالت لها زينب: يا عائشة؛ ما قلت حين ركبتيها؟ قالت: قلت[١]: حسبي الله ونعم الوكيل، قالت: قلت كلمة المؤمنين.

وقوله تعالىٰ: ﴿ **لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم** ﴾ أي: لكل من تكلم في هذه القضية ورمىٰ أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بشيء من الفاحشة نصيب عظيم من العذاب.

﴿ **والذي تولىٰ كبره منهم** ﴾ قيل: ابتدأ به، وقيل: الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه.

﴿ **له عذاب عظيم** ﴾ أي: علىٰ ذلك، ثم الأكثرون علىٰ أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبيّ ابن سلول، قبحه الله ولعنه، وهو الذي تقدم النص عليه في الحديث، وقال ذلك مجاهد وغير واحد.

وقيل: [بل][٢] المراد به حسان بن ثابت. وهو قول غريب، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري بما قد يدل علىٰ إيراد[٣] ذلك، لما كان لإيراده كبير فائدة، فإنه كان[٤] من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومآثر، وأحسن مآثره[٥]؛ أنه كان يذب عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بشعره[٦]، وهو الذي قال له رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **هاجهم وجبريل معك** »(٤٧).

وقال الأعمش، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق؛ قال: كنت عند عائشة -رضي الله عنها- فدخل حسان بن ثابت فأمرت فألقي له وسادة، فلما خرج، قلت لعائشة: ما تصنعين بهذا؟ يعني يدخل عليك، وفي رواية قيل لها: أتأذنين لهذا يدخل عليك وقد قال الله: ﴿ **والذي تولىٰ كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾؟ فقالت[٧]: وأي عذاب أشد من العمىٰ -وكان قد ذهب بصره- لعل الله أن يجعل ذلك هو العذاب العظيم. ثم قالت: إنه كان ينافح عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وفي رواية أنه أنشدها عندما دخل عليها شعرًا[٨] يمتدحها به فقال:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

(٤٧) - رواه البخاري حديث (٣٢١٣)، كتاب بدء الخلق.

[١] - سقط من: ت.
[٢] - سقط من خ، ت.
[٣] - سقط من: خ، ز.
[٤] - سقط من: ت.
[٥] - في خ، ز: « محاسنه ».
[٦] - سقط من: خ، ز.
[٧] - في خ، ت: « قالت ».
[٨] - سقط من: ز.

فقالت : أما أنت فلست كذلك ، وفي رواية : لكنك لست كذلك(٤٨) .

وقال ابن جرير(٤٩) : حَدَّثَنَا الحسن بن قزعة ، حَدَّثَنَا سلمة بن علقمة ، حَدَّثَنَا داود عن عامر ، عن عائشة أنها قالت : ما سمعت بشعر[١] أحسن من شعر حسان ، ولا[٢] تمثلت به إلا رجوت له الجنة ، قوله لأبي سفيان بن الحارث[٣] بن عبد المطلب :

هجوت[٤] محمدًا فأجيب[٥] عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
فإنّ أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
أتشتمه ولست له بكفء ؟ ... فشرّكما لخيركما الفداء
لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء

فقيل : يا أم المؤمنين ؛ أليس هذا لغوًا ؟ قالت : لا ، إنما اللغو ما قيل عند النساء . قيل : أليس اللَّه يقول : ﴿ **والذي تولىٰ كبره منهم له عذاب عظيم** ﴾ قالت : أليس قد أصابه عذاب[٦] عظيم ، أليس[٧] قد ذهب بصره وكنع[٨] بالسيف ؟ تعني : الضربة التي ضربه إياها صفوان ابن المعطل السلمي[٩] حين بلغه عنه[١٠] أنه يتكلم في ذلك فعلاه بالسيف ، وكاد أن يقتله .

لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾

هذا تأديب من اللَّه تعالىٰ للمؤمنين في قصة عائشة -رضي اللَّه عنها- حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السوء[١١] وما ذكر من شأن الإفك ، فقال تعالىٰ : ﴿ **لولا** ﴾

---

(٤٨) صحيح البخاري حديث (٤١٤٦) حدثني بشر بن خالد ، عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الأعمش ، به .

(٤٩) تفسير الطبري (١٨/٦٩) .

---

[١] - في خ ، ز : « بشيء » .
[٢] - في ز : « ما » .
[٣] - في خ ، ز : « حرب » .
[٤] - في ز : « هجرت » .
[٥] - في ز : « وأجبت » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ز : « كتع » .
[٩] - سقط من : خ ، ز .
[١٠] - سقط من خ ، ت .
[١١] - في ز : « السيء » .

يعني[١] : هلا ﴿ **إذ سمعتموه** ﴾ أي : ذلك الكلام أي [٢] الذي رميت به أم المؤمنين - رضي اللّٰه عنها - ﴿ **ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا** ﴾ أي : قاسوا[٣] ذلك الكلام على أنفسهم ، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى و[٤]الأحرى .

وقد قيل : إنها نزلت في أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته - رضي اللّٰه عنهما - كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار ، عن أبيه ، عن بعض رجال بني النجار : إن أبا أيوب خالد بن زيد الأنصاري[٥] قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ؛ أما تسمع ما يقول الناس في عائشة - رضي اللّٰه عنها -؟ قال : نعم ، و[٦] ذلك الكذب ، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت : لا ، واللّٰه ما كنت لأفعلَهُ . قال : فعائشة واللّٰه خير منك . قال : فلما نزل القرآن ذكر اللّٰه - عز وجل - من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك : ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ، ثم قال تعالى : ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون** ...﴾ الآية أي : كما قال أبو أيوب وصاحبته(٥٠) .

وقال محمد بن عمر الواقدي : حدثني ابن أبي حبيب ، عن داود بن الحصين ، عن أبي سفيان ، عن أفلح مولى أبي أيوب أن أم أيوب قالت لأبي أيوب : ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب أفكنت - يا أم أيوب - [فاعلة ذلك][٧] ؟ قالت : لا واللّٰه . قال : فعائشة واللّٰه خير منك . فلما نزل[٨] القرآن ، وذكر أهل الإفك ، قال اللّٰه عز وجل : ﴿ **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذا إفك مبين** ﴾ يعني : أبا أيوب حين قال لأم أيوب ما[٩] قال .

ويقال : إنما قالها أبي بن كعب .

وقوله تعالى : ﴿ **[ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا]**[١٠] ﴾ أي :هلا ظنوا الخير ، فإن أم المؤمنين أهله وأولى به ، هذا ما يتعلق بالباطن ، ﴿ **وقالوا** ﴾ أي :بألسنتهم : ﴿ **هذا إفك مبين** ﴾ أي : كذب ظاهر على أم المؤمنين - رضي اللّٰه عنها - فإن الذي وقع لم يكن ريبة ، وذلك أن مجيء أم المؤمنين راكبة جهرة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت

---

[١] - في ز : « بمعنى » .
[٢] - سقط من خ ، ت .
[٣] - في ز : « قاسوه » .
[٤] - سقط من خ ، ت .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - سقط من خ ، ت .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - في خ - ت : « أنزل » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ز : « وقالوا هذا إفك مبين » .

الظهيرة، والجيش بكماله يشاهدون ذلك، ورسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بين أظهرهم، ولو[١] كان هذا الأمر فيه ريبةٌ لم يكن هكذا[٢] جهرة، ولا كانا يقدمان علىٰ مثل ذلك علىٰ رءوس الأشهاد، ، بل كان [يكون هذا][٣] لو قدر - خفية مستورًا، فتعين أن ما جاء به أهل الإفك مما رموا به أم المؤمنين هو الكذب البحت، والقول الزور، والرعونة الفاحشة الفاجرة[٤]، والصفقة الخاسرة.

قال الله تعالىٰ: ﴿ **لولا** ﴾ أي: هلا ﴿ **جاءوا عليه** ﴾ أي: علىٰ ما قالوه ﴿ **بأربعة شهداء** ﴾ يشهدون علىٰ[٥] صحة ما جاءوا به ﴿ **فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون** ﴾ أي: في حكم الله كذبة[٦] فاجرون.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

يقول تعالىٰ: ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة** ﴾ أيها الخائضون في شأن عائشة؛ بأن قَبِلَ توبتكم وإنابتكم إليه في الدنيا، وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة إلىٰ الدار الآخرة ﴿ **لمسكم فيما أفضتم فيه** ﴾ من قضية الإفك ﴿ **عذاب عظيم** ﴾ وهذا فيمن عنده إيمان رزقه الله بسببه التوبة إليه، كمسطح وحسّان وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، فأما من خاض فيه من المنافقين، كعبد الله بن أبيّ ابن سلول وأضرابه، فليس أولئك مرادين في هذه الآية؛ لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه، وهكذا شأن ما يرد من الوعيد علىٰ فعل معين يكون مطلقًا مشروطًا بعدم التوبة، أو ما يقابله[٧] من عمل صالح يوازنه أو يرجح عليه.

ثم قال تعالىٰ: ﴿ **إذ تلقونه بألسنتكم** ﴾ قال مجاهد وسعيد بن جبير: أي: يرويه بعضكم عن بعض، يقول هذا: سمعته من فلان وقال فلان: كذا، وذكر بعضهم كذا.

وقرأ آخرون: (**إذ تَلِقُونه**[٨] **بألسنتكم**) وفي صحيح البخاري(٥١) عن عائشة أنها كانت

---

[١] - في ز: « لو ».
[٢] - في خ، ت: « هذا ».
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ، ت: « هذا يكون ».
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: « في ».
[٦] - في خ، ت: « كاذبون ».
[٧] - في خ، ت: « يقبله ».
[٨] - في ز: « تَلِيقونه ».

تقرؤها كذلك، وتقول: هو من وَلْقِ القول[١] يعني: الكذب الذي يستمر صاحبه فيه[٢]، تقول العرب: ولق فلان في السير إذا استمر فيه، والقراءة الأولىٰ أشهر، وعليها الجمهور، ولكن الثانية مروية عن أم المؤمنين عائشة.

قال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج، حَدَّثَنَا أبو أسامة، عن نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة [عن عائشة أنها كانت تقرأ (**إذ تَلِقُونه**) وتقول: إنما هو ولق القول - والولق: الكذب. قال ابن أبي مليكة][٣]: هي أعلم به من غيرها.

وقوله تعالىٰ: ﴿**وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم**﴾ أي: تقولون ما لا تعلمون.

ثم قال تعالىٰ: ﴿**وتحسبونه هينًا وهو عند اللَّه عظيم**﴾ أى: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين، وتحسبون ذلك يسيرًا سهلًا، ولو لم تكن زوجة النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لما كان هينًا، فكيف وهي زوجة النبي الأمي خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؟ فعظيم عند اللَّه أن يقال في زوجة [نبيه و][٤]رسوله ما قيل، [فإن اللَّه سبحانه وتعالىٰ][٥] يغار لهذا، وهو سبحانه وتعالىٰ لا يقدّر علىٰ زوجة نبي من أنبيائه ذلك، حاشا وكلًّا، ولما [لم يكن ذلك][٦] فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء، زوجة سيد ولد آدم علىٰ الإطلاق في الدنيا والآخرة؟! ولهذا قال تعالىٰ: ﴿**وتحسبونه هينًا وهو عند اللَّه عظيم**﴾.

وفي الصحيحين(٥٢): «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط اللَّه لا يدري ما تبلغ، يهوي بها في النار أبعد مما[٧]** بين السماء والأرض». وفي رواية «**لا يلقي لها بالًا**».

﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

(٥٠) رواه الطبري في تفسيره (٧٧/١٨).

(٥١) صحيح البخاري، كتاب المغازي (٤١٤٤)، وطرفه حديث (٤٧٥٢).

(٥٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق (٦٤٧٨)، وصحيح مسلم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[١] - في ت: «اللسان».

[٢] - في ت: «عليه».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز: «اللَّه».

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

[٧] - في ز: «ما».

هذا تأديب آخر بعد الأول : الأمر بالظن خيرًا أي : إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة ، فأولىٰ ينبغي الظن بهم خيرًا ، وأن لا يشعر نفسه سوىٰ ذلك ، ثم إن علق بنفسه شيء من ذلك - وسوسة أو خبالًا - فلا ينبغي أن يتكلم به ، فإن[١] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إن اللَّه تعالىٰ تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل** » . أخرجاه في الصحيحين(٥٣) .

وقال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا** ﴾ أي ما ينبغي لنا أن نتفوّه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد ﴿ **سبحانك هذا بهتان عظيم** ﴾ أي : سبحان اللَّه أن يقال هذا الكلام علىٰ زوجة رسوله وحليلة خليله !

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **يعظكم اللَّه أن تعودوا لمثله أبدًا** ﴾ أي : ينهاكم اللَّه متوعدًا أن يقع منكم ما يشبه هذا ﴿أبدًا﴾ ، أي : فيما يستقبل ؛ ولهذا[٢] قال : ﴿ **إن كنتم مؤمنين** ﴾ أي : إن كنتم تؤمنون باللَّه وشرعه ، وتعظمون رسوله صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فأما من كان متصفًا بالكفر [فذاك له][٣] حكم آخر .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ويبين اللَّه لكم الآيات** ﴾ أي : يوضح لكم الحكم[٤] الشرعية ، والأحكام القدرية ﴿ **واللَّه عليم حكيم** ﴾ أي : عليم بما يصلح عباده ، حكيم في شرعه وقدره .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

وهذا تأديب ثالث لمن سمع شيئًا من الكلام السيئ فقام بذهنه [منه شيء وتكلم به][٥] فلا يكثر منه ، ولا يشيعه ويذيعه ، فقد قال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم** ﴾ أي : يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح ﴿ **لهم عذاب أليم في الدنيا** ﴾ أي : بالحد . وفي الآخرة بالعذاب ﴿ **واللَّه يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ أي : فردوا الأمور إليه ترشدوا .

---

(٥٣) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق حديث (٥٢٦٩) ، وصحيح مسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « فلهذا » .
[٣] - في ت : « فله » .
[٤] - في ت : « الأحكام » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « شيء به » .

وقال الإمام أحمد(٥٤) : حَدَّثَنَا محمد بن بكر، حَدَّثَنَا ميمون بن أبي محمد المرئي[١]، حَدَّثَنَا محمد بن عباد المخزومي، عن ثوبان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **لاتؤذوا عباد الله، ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من طلب[٢] عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته** ».

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾

يقول الله تعالى: ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رءوف رحيم** ﴾ أي: لولا هذا؛ لكان أمر آخر، ولكنه تعالى رءوف بعباده، رحيم بهم، فتاب على من تاب إليه من هذه القضية[٣]، وطهر من طهر منهم، بالحد الذي أقيم عليهم[٤].

ثم قال: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان** ﴾ يعني: طرائقه ومسالكه وما يأمر به ﴿ **ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر** ﴾ هذا تنفير وتحذير من ذلك بأفصح [عبارة وأبلغها وأوجزها][٥] وأحسنها.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ **خطوات الشيطان** ﴾: عمله، وقال عكرمة: نزغاته. وقال قتادة: كل معصية فهي من خطوات الشيطان. وقال أبو مجلز: النذور في المعاصي من خطوات الشيطان.

وقال[٦] مسروق: سأل رجل ابن مسعود؛ فقال: إني حرمت أن آكل طعامًا فقال: هذا من نزغات الشيطان: كَفِّرْ عن يمينك وكُلْ.

---

(٥٤) المسند (٥/٢٧٩) (٢٢٥٠٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٨٦، ٨٧) وعزاه لأحمد وقال: « ورجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان، وهو ثقة ».

---

[١] - في ز: « المرائي ».
[٢] - في خ، ز: « ظلم ».
[٣] - سقط من: خ، ز.
[٤] - في خ، ت: « عليه ».
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز: « العبارة أوجزها وأبلغها ».
[٦] - بياض في: ز.

وقال الشعبي في رجل نذر ذبح ولده: وهذا من نزغات الشيطان، وأفتاه أن يذبح كبشًا.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أبي، حَدَّثَنَا حسان بن عبد الله المصري، حَدَّثَنَا السري بن يحيىٰ، عن سليمان التيمي، عن أبي رافع؛ قال: غضبت على امرأتي فقالت[١]: هي يوم يهودية، ويوم نصرانية، وكل مملوك لها حر إن لم تطلق امرأتك، فأتيت عبد الله بن عمر؛ فقال: إنما هذه من نزغات الشيطان. وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة، وهي يومئذ أفقه امرأة بالمدينة، وأتيت عاصم بن عمر فقال مثل ذلك.

ثم قال تعالىٰ: ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكىٰ منكم من أحد أبدًا** ﴾ أي: لولا هو يرزق لمن[٢] يشاء التوبة [ ][٣] والرجوع إليه، ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودنسها وما فيها من أخلاق رديئة، كل بحسبه- لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرًا ﴿ **ولكن الله يزكي من يشاء** ﴾ أى: من خلقه، ويضل من يشاء، ويرديه في مهالك الضلال والغي.

وقوله: ﴿ **والله سميع عليم** ﴾ أى: سميع لأقوال عباده، عليم بهم، من يستحق منهم الهدىٰ والضلال.

وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾

يقول تعالىٰ: ﴿ **ولا يأتل** ﴾ من الألية [وهي الحلف][٤]، أى: لا يحلف ﴿ **أولو الفضل منكم** ﴾ أى: الطول والصدقة والإحسان ﴿ **والسعة** ﴾ أى: الجدة ﴿ **أن يؤتوا أولي القربىٰ والمساكين والمهاجرين في سبيل الله** ﴾ أى: لا تحلفوا أن لا تصلوا قراباتكم المساكين والمهاجرين، وهذا[٥] في غاية الترفق[٦] والعطف علىٰ صلة الأرحام؛ ولهذا قال: ﴿ **وليعفوا وليصفحوا** ﴾ أى: عما تقدم منهم من الإساءة والأذىٰ، وهذا[٧] من حلمه تعالىٰ وكرمه، ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم.

---

[١] - في ز: « فقلت ».
[٢] - في خ، ت: « من ».
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز: « إليه ».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٥] - في ز: « هذه ».
[٦] - في ز: « الترقق ».
[٧] - في ز: « هذا ».

وهذه الآية نزلت في الصديق -رضي الله عنه- حين حلف أن لا ينفع مسطح بن أثاثة بنافعة، بعد ما قال في عائشة ما قال، كما تقدم في الحديث، فلما أنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه - شرع تبارك وتعالى - وله الفضل والمنة - يعطف الصديق على قريبه ونسيبه، وهو مسطح بن أثاثة، فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكينًا لا مال له؛ إلا ما ينفق عليه أبو بكر -رضي الله عنه- وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد ولق ولقة تاب الله عليه منها، وضرب الحد عليها. وكان الصديق -رضي الله عنه- معروفًا بالمعروف، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب، فلما نزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ أي: كان[١] الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر [ذنب من أذنب][٢] إليك [يغفر الله][٣] لك، وكما تصفح يصفح[٤] عنك، فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنا نحب أن تغفر لنا يا ربنا. ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا. في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبدًا؛ فلهذا كان الصديق هو الصديق -رضي الله عنه- [وعن بنته][٥].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)﴾

هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات[٦]، خرج مخرج الغالب[ ][٧]، فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول، وهي عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما.

وقد أجمع العلماء -رحمهم الله- قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به [الذين ذكروا][٨] في هذه الآية، فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن، وفي بقية أمهات المؤمنين قولان: أصحهما أنهن كهي، والله أعلم.

---

[١] - في ت: «فإن».

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: «عن المذنب». [٣] - ما بين المعكوفتين في ز: «نغفر».

[٤] - في ز: «نصفح». [٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

[٦] - سقط من: ز. [٧] - ما بين المعكوفتين في ز: «المؤمنات».

[٨] - ما بين المعكوفتين في ت: «بعد هذا الذي ذكر».

وقوله[١] : ﴿ لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ كقوله : ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابًا مهينًا ﴾ .

وقد ذهب بعضهم إلىٰ أنها خاصة بعائشة - رضي الله عنها - فقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج ، حَدَّثَنَا عبد الله بن خراش ، عن العوام ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ﴾ نزلت في عائشة خاصة .

و[٢]كذا قال مقاتل بن حيان ، وقد ذكره ابن جرير عن عائشة فقال(٥٥) : حَدَّثَنَا أحمد ابن عبدة الضبي ، حَدَّثَنَا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه قال : قالت عائشة : رميت بما رميت به وأنا غافلة ، فبلغني بعد ذلك ، قالت : فبينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جالس عندي ؛ إذ أوحي إليه ، قالت : وكان إذا أوحي إليه أخذه كهيئة السبات ، وإنه أوحي إليه وهو جالس عندي ، ثم استوىٰ جالسًا يمسح علىٰ وجهه ، وقال : « يا عائشة ؛ أبشري ! » قالت : فقلت[٣] : بحمد الله لا بحمدك ، فقرأ ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ﴾ - حتىٰ قرأ[٤] - ﴿ أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ .

هكذا أورده وليس فيه أن الحكم خاص بها ، وإنما فيه أنها سبب النزول دون غيرها ، وإن كان الحكم يعمها كغيرها ، ولعله مراد ابن عباس ومن قال كقوله ، والله أعلم .

وقال الضحاك وأبو الجوزاء وسلمة بن نبيط : المراد بها أزواج النبي خاصة دون غيرهن من النساء .

وقال العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات ... ﴾ الآية يعني : أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، رماهن أهل النفاق فأوجب الله لهم اللعنة والغضب ، وباءوا بسخط من الله ، فكان ذلك في أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، ثم نزل بعد ذلك ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ﴾ إلىٰ قوله[٥] ﴿ فإن الله غفور رحيم ﴾ فأنزل الله الجلد والتوبة ، فالتوبة تقبل ، والشهادة ترد .

وقال ابن جرير :(٥٦) حَدَّثَنَا القاسم ، حَدَّثَنَا الحسين ، حَدَّثَنَا هشيم ، أخبرنا العوام بن حوشب ، عن شيخ من بني أسد ، عن ابن عباس قال : فسر سورة النور ، فلما أتىٰ علىٰ هذه

(٥٥) تفسير الطبري (٨٢/١٨) .
(٥٦) تفسير الطبري (٨٣/١٨) .

[١] - بياض في : ز .
[٢] - سقط من خ ، ت .
[٣] - في ز : « قلت » .
[٤] - في خ ، ت : « بلغ » .
[٥] - سقط من : ز .

الآية : ﴿ **إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا ...**﴾ الآية. قال: في شأن عائشة وأزواج النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، وهي مبهمة وليست لهم توبة، ثم قرأ: ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء** ﴾ **إلىٰ قوله** ﴿ **إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ...**﴾ الآية. قال: فجعل لهؤلاء توبة و[١] لم يجعل لمن قذف أولئك توبة. قال: فهمّ بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر به[٢] سورة النور.

فقوله: وهي مبهمة؛ أي: عامة في تحريم قذف كل محصنة، ولعنته في الدنيا والآخرة

وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هذا في عائشة، ومن صنع مثل هذا أيضًا اليوم في المسلمات فله ما قال اللّٰه تعالىٰ، و[٣] لكن عائشة كانت [إمامًا في][٤] ذلك.

وقد اختار ابن جرير عمومها وهو الصحيح، ويعضد العموم ما رواه ابن أبي حاتم:

حَدَّثَنَا أحمد بن عبد الرحمن بن أخي ابن وهب، حدثني عمي، حَدَّثَنَا سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة: أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: « **اجتنبوا السبع الموبقات** » قيل: يارسول الله وما هن؟ قال: « **الشرك باللّٰه، والسحر، وقتل النفس التي حرم اللّٰه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات** ».

أخرجاه في الصحيحين(٥٧) من حديث سليمان ابن بلال به.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٥٨): حَدَّثَنَا محمد بن عمرو بن خالد الحذاء الحراني، حدثني أبي ح[٥]. وحَدَّثَنَا أبو شعيب الحراني، حَدَّثَنَا جدي أحمد بن أبي شعيب، حَدَّثَنَا موسىٰ بن أعين[٦]، عن ليث، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة، عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: « **قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة** ».

و[٧]قوله: ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون** ﴾ قال ابن

---

(٥٧) صحيح البخاري حديث (٢٧٦٦) وصحيح مسلم (٨٩).

(٥٨) المعجم الكبير للطبراني (١٩٦/٣)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٧٩/٦): « وفيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف وقد يحسن حديثه، وبقية رجاله رجال الصحيح ».

---

[١] - سقط من خ، ت.

[٢] - سقط من: خ، ز.

[٣] - سقط من خ، ت.

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز: « إمام ».

[٥] - في خ: « حينئذ ».

[٦] - في ز: « عين ».

[٧] - سقط من خ، ت.

أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج ، حَدَّثَنَا أبو يحيىٰ الرازي ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن مطرف ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : إنهم - يعني المشركين - إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة ، قالوا : تعالوا حتىٰ نجحد فيجحدون ، فيختم علىٰ أفواههم ، وتشهد أيديهم وأرجلهم ، ولا يكتمون اللَّه حديثًا .

وقال ابن جرير(٥٩) وابن أبي حاتم أيضًا : حَدَّثَنَا يونس بن عبد الأعلىٰ ، حَدَّثَنَا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد - عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إذا كان يوم القيامة ، عرف الكافر بعمله ، فيجحد ويخاصم ، فيقال له**[١]**: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك ، فيقول : كذبوا . فيقول : أهلك وعشيرتك ، فيقول : كذبوا . فيقال : احلفوا فيحلفون ثم [يصمهم اللَّه ، فتشهد]**[٢] **عليهم أيديهم وألسنتهم ، ثم يدخلهم النار** » .

وقال ابن أبي حاتم أيضًا : حَدَّثَنَا أبو شيبة إبراهيم بن[٣] عبد اللَّه بن أبي شيبة الكوفي ، حَدَّثَنَا منجاب بن الحارث التميمي[٤] ، حَدَّثَنَا أبو عامر الأسدي ، حَدَّثَنَا سفيان ، عن [ ][٥] عبيد المكتب ، عن فضيل بن عمرو الفقيمي ، عن الشعبي ، عن أنس بن مالك ، قال : كنا عند النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فضحك حتىٰ بدت نواجذه ثم قال : « **تدرون**[٦] **مم أضحك ؟** » قلنا : اللَّه ورسوله أعلم . قال : « **من مجادلة العبد لربه [يوم القيامة]**[٧] ، **يقول : يارب ؛ ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول : بلىٰ ؛ فيقول : لا أجيز علي [إلا شاهدًا من نفسي]**[٨] **. فيقول : كفى بنفسك اليوم [عليك شهيدًا]**[٩]**، وبالكرام عليك شهودًا**[١٠]**، فيختم علىٰ فيه ، ويقال لأركانه : انطقي ! فتنطق بعمله ، ثم يخلّى بينه وبين الكلام ، فيقول : بعدًا لكنَّ وسحقًا ! فعنكنَّ كنت أناضل** » .

وقد رواه مسلم(٦٠) والنسائي جميعًا عن أبي بكر بن أبي النضر ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه

(٥٩) تفسير الطبري (١٨/١٠٥) ، ورواه أبو يعلى في مسنده حديث (١٣٩٢) من طريق ابن لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم به ، ورواية دراج عن أبي الهيثم فيها ضعف .

(٦٠) صحيح مسلم حديث (٢٩٦٩) .

[١] - سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « يضمهم » .
[٣] - في خ و ت : « عن » .
[٤] - في خ ، ت : « التيمي » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن » .
[٦] - في خ ، ت : « أتدرون » .
[٧] - سقط من خ ، ت .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « شاهد مني من نفسي » .
[٩] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١٠] - في ز : « شهيدًا » .

الأشجعي ، عن سفيان الثوري به ، ثم قال النسائي : لا أعلم أحدًا روىٰ هذا الحديث عن سفيان الثوري غير الأشجعي ، وهو حديث غريب ، والله أعلم ، هكذا قال .

وقال قتادة: ابن آدم؛ والله إن عليك لشهودًا، غير [متهمة من][١] بدنك، فراقبهم واتق الله في سرك[٢] وعلانيتك ، فإنه لا يخفىٰ عليه خافية ، والظُلْمة عنده ضوء ، والسر عنده علانية ، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ، ولا قوة إلا بالله .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق** ﴾ قال ابن عباس : ﴿ **دينهم** ﴾ ؛ أي : حسابهم ، وكل ما في القرآن دينهم أي : حسابهم ، وكذا قال غير واحد .

ثم إن قراءة الجمهور بنصب الحق علىٰ أنه صفة لدينهم ، وقرأ مجاهد بالرفع علىٰ أنه نعت الجلالة ، وقرأها بعض السلف في مصحف أبيّ بن كعب : (يومئذ يوفيهم اللّه الحق دينهم) .

وقوله ﴿ **ويعلمون أن الله هو الحق المبين** ﴾ أي : وعده ووعيده ، وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه .

ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

قال ابن عباس : الخبيثات[٣] من القول للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول . والطيبات من القول للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول . قال : ونزلت في عائشة وأهل الإفك .

وهكذا روي عن مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والشعبي والحسن بن أبي الحسن البصري وحبيب بن أبي ثابت والضحاك واختاره ابن جرير ، ووجهه بأن الكلام القبيح أولىٰ بأهل القبح من الناس ، والكلام الطيب أولىٰ بالطيبين من الناس ، فما[٤] نسبه أهل النفاق إلىٰ عائشة [من كلام][٥] هم أولىٰ به ، وهي أولىٰ بالبراءة والنزاهة منهم ؛ ولهذا قال :﴿ **أولئك مبرءون مما يقولون** ﴾ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات[٦] من النساء ، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « متممة في » .
[٢] - في ز : « سرائرك » .
[٣] - في ت : « الخبائث » .
[٤] - في ز : « مما » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « للخبيثين » .

وهذا أيضًا يرجع إلىٰ ما قاله أولئك باللازم، أي : ما كان اللَّه[١] ليجعل عائشة زوجة لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إلا وهي طيبة ؛ لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له[٢] ، لا شرعًا ولا قدرًا ؛ ولهذا قال:﴿ **أولئك مبرءون مما يقولون** ﴾ أي : هم بُعداء عما يقوله أهل الإفك والعدوان ﴿ **لهم مغفرة** ﴾ أي: بسبب ما قيل فيهم من الكذب ﴿ **ورزق كريم** ﴾ أي: عند اللَّه في جنات النعيم، وفيه وعد بأن تكون زوجة رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم في الجنة .

و[٣] قال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا محمد بن مسلم ، حَدَّثَنَا أبو نعيم ، حَدَّثَنَا عبد السلام بن حرب . عن يزيد بن عبد الرحمن ، عن الحكم ، عن يحيىٰ بن الجزار ؛ قال : جاء أسير بن جابر إلىٰ عبد اللَّه فقال: لقد سمعت الوليد بن عقبة[٤] اليوم تكلم[٥] اليوم بكلامٍ أعجبني ، فقال عبد اللَّه : إن الرجل المؤمن يكون في قلبه [الكلمة غير الطيبة][٦] تتجلجل في صدره [ما تستقر حتىٰ يلفظها][٧] ، فيسمعها الرجل عنده يتلها فيضمها إليه ، وإن الرجل الفاجر يكون في قلبه الكلمة الطيبة تتجلجل في صدره ما تستقر حتىٰ يلفظها ، فيسمعها الرجل الذي عنده يتلها فيضمها إليه ، ثم قرأ عبد اللَّه ﴿ **الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات** ﴾ .

ويشبه هذا ما رواه الإمام أحمد (٦١) في المسند مرفوعًا : « **مثل الذي يسمع الحكمة[٨] ثم لا يحدث إلا بشرّ ما سمع ، كمثل رجل جاء إلىٰ صاحب غنم ، فقال : [اجْزِرْني][٩] شاة ، فقال : اذهب فخذ بأذن أيها شئت فذهب فأخذ بأذن كلب الغنم** » .

وفي الحديث الآخر : « **الحكمة ضالة المؤمن من[١٠] حيث وجدها أخذها** »(٦٢) .

---

(٦١) المسند (٢/٣٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦٢) رواه الترمذي حديث (٢٦٨٧) ، وابن ماجة حديث (٤١٦٩) من طريق عبد الله بن نمير ، عن إبراهيم ابن الفضل ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه . وقال الترمذي : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي ، يضعف في الحديث من قبل حفظه ».

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - سقط من خ ، ت .

[٤] - في ز : « عتبة » .

[٥] - بعده في خ ، ت : اليوم .

[٦] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: «غير طابل » .

[٧] - ما بين المعكوفتين في خ، ز : « حتى يخرجها » .

[٨] - في خ ، ز : « الكلمة » .

[٩] - في ت : اجرز لي ، ومعنى : «أجزرني » أعطني شاة تصلح للذبح .

[١٠] - سقط من : خ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾

هذه آداب شرعية أدب الله بها عباده المؤمنين، وذلك في الاستئذان، [أمر الله المؤمنين][١] أن لا يدخلوا بيوتًا غير بيوتهم حتىٰ يستأنسوا [أي : يستأذنوا][٢] قبل الدخول ويسلموا بعده، وينبغي أن يستأذن [ثلاثًا][٣]، فإن أذن له وإلا انصرف، كما ثبت في الصحيح(٦٣) أن أبا موسىٰ حين استأذن علىٰ عمر ثلاثًا فلم يؤذن له انصرف، ثم قال عمر: ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس يستأذن ؟ ائذنوا له . فطلبوه فوجدوه قد ذهب، فلما جاء بعد ذلك؛ قال: ما رجعك[٤] ؟ قال: إني استأذنت ثلاثًا فلم يؤذن لي، وإني سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: « **إذا[٥] استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له فلينصرف** ». فقال عمر[٦] : لتأتين[٧] علىٰ هذا ببينة وإلا أوجعتك ضربًا . فذهب إلىٰ ملإ من الأنصار فذكر لهم ما قال عمر؛ فقالوا: لا يشهد لك إلا أصغرنا، فقام معه أبو سعيد الخدري فأخبر عمر بذلك؛ فقال: ألهاني عنه الصفق بالأسواق .

وقال الإمام أحمد(٦٤) : حَدَّثَنَا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ثابت، عن أنس أو غيره: أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم استأذن على سعد بن عبادة فقال: « **السلام عليك ورحمة الله** ». فقال سعد: وعليك السلام ورحمة الله . ولم يسمع النبي صلىٰ الله عليه وسلم حتىٰ سلم ثلاثًا ورد عليه سعد ثلاثًا، ولم يسمعه؛ فرجع النبي صلىٰ الله عليه وسلم فاتبعه

(٦٣) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب: التسليم والاستئذان ثلاثًا حديث (٦٢٤٥)، وصحيح مسلم حديث (٢١٥٣) .
(٦٤) المسند (١٣٨/٣) .

[١] - في خ، ت: «أمرهم».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت: « ثلاث مرات » .
[٤] - في خ، ت: « أرجعك » .
[٥] - في ت: « إن » .
[٦] - سقط من: خ، ز .
[٧] - في خ، ت: « لتأتيني» .

سعد فقال: يا رسول اللّٰه؛ بأبي أنت وأمي ! ما سلمت تسليمة إلا وهي بأذني ، ولقد رددت عليك ولم أسمعك؛ وأردت أن أستكثر من [سلامك ومن][١] البركة ، ثم أدخله البيت ، فقرب إليه زبيبًا ، فأكل نبي اللّٰه ، فلما فرغ قال : « **أكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة ، وأفطر عندكم الصائمون !** » .

وقد روىٰ أبو داود (٦٥) والنسائي من حديث أبي عمرو الأوزاعي : سمعت يحيىٰ بن أبي كثير يقول : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن قيس بن سعد - هو ابن عبادة - قال: زارنا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم في منزلنا فقال: « **السلام عليكم ورحمة الله** » . فرد سعد ردًّا خفيًّا . قال قيس : فقلت : ألا تأذن لرسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ؟ فقال : دعه[٢] يكثر علينا من السلام . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **السلام عليكم ورحمة الله** » . فرد سعد ردًّا خفيًّا . ثم قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **السلام عليكم ورحمة الله** » . ثم رجع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم واتبعه سعد . فقال : يا رسول اللّٰه؛ إني كنت أسمع تسليمك وأرد عليك ردًّا خفيًّا لتكثر علينا من السلام . قال[٣] : فانصرف معه [رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأمر له سعد بغسل ، فاغتسل ، ثم ناوله بملحفة مصبوغة][٤] بزعفران أو ورس فاشتمل بها ، ثم رفع رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يديه وهو يقول : « **اللهم اجعل صلاتك ورحمتك علىٰ آل سعد بن عبادة** » . قال : ثم أصاب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم من الطعام ، فلما أراد الانصراف قرب إليه[٥] سعد حمارًا قد وطيء عليه بقطيفة ، فركب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقال سعد : يا قيس؛ اصحب رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال قيس : فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **اركب** » فأبيت فقال : « **إما أن تركب وإما أن تنصرف** » قال : فانصرفت .

وقد رُوي هذا من وجه آخر ، فهو حديث جيد قوي ، واللّٰه أعلم .

ثم ليعلم أنه ينبغي للمستأذن علىٰ أهل المنزل أن لا يقف تلقاء الباب بوجهه ، ولكن ليكن

---

(٦٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان حديث (٥١٨٥) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١٠١٥٧) ، (١٠١٥٩) من طريق عبد الله ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى سعد بن عبادة زائرًا ، فذكر الحديث .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز: «سماعك و» .

[٢] - في ز : « ودعه » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز : « له » .

الباب عن يمينه أو يساره ؛ لما رواه أبو داود(٦٦) : حَدَّثَنَا مؤمّل بن الفضل الحراني في آخرين قالوا : حَدَّثَنَا بقية ، حَدَّثَنَا محمد بن عبد الرحمن ، عن عبد اللَّه بن بسر[١] قال : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا أتىٰ باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول[٢] : « **السلام عليكم السلام عليكم** ». وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور . تفرد[٣] به أبو داود .

وقال أبو داود(٦٧) أيضًا : حَدَّثَنَا عثمان بن أبي شيبة ، حَدَّثَنَا جرير ح . قال أبو داود : حَدَّثَنَا أبو بكر بن أبي شيبة ، حَدَّثَنَا حفص ، عن الأعمش ، عن طلحة ، عن هزيل قال : جاء رجل - قال عثمان: سعد - فوقف علىٰ باب النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يستأذن، فقام علىٰ الباب - قال عثمان : مستقبل الباب - فقال له النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **هكذا عنك - أو هكذا ؛ فإنما الاستئذان من النظر** » .

وقد رواه أبو داود الطيالسي، عن سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن طلحة بن مصرف ، عن رجل ، عن سعد ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم - رواه أبو داود(٦٨) من حديثه .

وفي الصحيحين(٦٩) عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **لو أن امرءًا اطلع عليك بغير إذن ؛ فحذفته[٤] بحصاة ؛ ففقأت عينه ما كان عليك من جناح** » .

وأخرج الجماعة(٧٠) من حديث شعبة ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : أتيت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم في دين كان علىٰ أبي فدققت الباب فقال : « **من ذا ؟** » . قلت[٥] : أنا . قال : « **أنا أنا ؟** » . كأنه كرهه . وإنما كره ذلك ؛ لأن هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتىٰ يفصح باسمه أو كنيته التي هو مشهور بها ، وإلا فكل أحد يعبر عن نفسه بـ « أنا » فلا يحصل بها المقصود من الاستئذان الذي هو الاستئناس المأمور به في الآية .

(٦٦) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : كم مرة يسلم الرجل في الاستئذان حديث (٥١٨٦) .

(٦٧) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : الاستئذان ، حديث (٥١٧٤) .

(٦٨) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : الاستئذان ، حديث (٥١٧٥) .

(٦٩) صحيح البخاري ، كتاب الديات حديث (٦٩٠٢) ، وصحيح مسلم ، كتاب الأدب (٢١٥٨) .

(٧٠) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، (٦٢٥٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب الآداب (٢١٥٥) ، وسنن أبي داود ، كتاب الأدب (٥١٨٧) ، وسنن الترمذي ، كتاب الاستئذان حديث (٢٧١١) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١٠١٦٠) ، وسنن ابن ماجة حديث (٣٧٠٩) .

[١] - في ز : « بشر » .
[٢] - في ز : « فيقول » .
[٣] - في ت : « انفرد » .
[٤] - في خ ، ت : « فخذفته » .
[٥] - في خ ، ت : « فقلت » .

وقال العوفي عن ابن عباس: الاستئناس: الاستئذان. وكذا قال غير واحد. وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابن بشار، حَدَّثَنَا محمد بن جعفر، حَدَّثَنَا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية ﴿ **لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتىٰ تستأنسوا وتسلموا** ﴾ قال: إنما هي خطأ من الكاتب (حتىٰ تستأذنوا[١] وتسلموا).

وهكذا رواه[٢] هشيم عن أبي بشر، وهو جعفر بن إياس، [به. وروى معاذ[٣] بن سليمان، عن جعفر بن إياس][٤] عن سعيد، عن ابن عباس بمثله، وزاد: وكان ابن عباس يقرأ: (**حتىٰ تستأذنوا وتسلموا**) وكان يقرأ علىٰ قراءة أُبيّ بن كعب رضي اللَّه عنه وهذا غريب جدًّا عن ابن عباس.

وقال هشيم: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم قال: في مصحف ابن مسعود: (**حتىٰ تسلموا علىٰ أهلها وتستأذنوا**) وهذا أيضًا رواية عن ابن عباس وهو اختيار ابن جرير.

وقد قال الإمام أحمد(٧١): حَدَّثَنَا روح، حَدَّثَنَا ابن جريج، أخبرني عمرو بن أبي سفيان: أن عمرو بن أبي صفوان أخبره: أن كلدة بن الحنبل أخبره: أن صفوان بن أمية بعثه في الفتح بلبأ وجداية وضغابيس[٥] والنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بأعلىٰ الوادي قال: فدخلت [عليه] ولم أسلم ولم أستأذن. فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم « **ارجع فقل: السلام! عليكم أأدخل؟** ». وذلك بعد ما أسلم صفوان[٦]، ورواه أبو داود والترمذي، والنسائي من حديث ابن جريج به(٧٢)، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديثه.

---

(٧١) - رواه أحمد حديث ١٥٤٦٦ - (٣/٤١٤).

وقوله: لِبأ: اللِّبأ؛ مهموز وزان عنب: أول اللبن عند الولادة، وقال أبو زيد: وأكثرما يكون ثلاث حلبات، وأقلّه حلبة. المصباح المنير [٢/٥٤٨].

والجداية: بفتح الجيم وكسرها: أولاد الظباء ذكرًا كان أو أنثى مما بلغ ستة أشهر أو سبعة أشهر بمنزلة الجدي من المعز كذا في النهاية « ينظر عون المعبود » (٧/٥٥) (٥١٦٥).

وضغابيس: جمع ضغْبوس - بفتح الضاد وسكون الغين المعجمتين - وهو صغير القثاء. « ينظر عون المعبود » (٧/٥٥).

(٧٢) - رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب: كيف الاستئذان (٤/٣٤٤) حديث (٥١٧٦). والترمذي في كتاب الاستئذان، باب: ما جاء في التسليم قبل الاستئذان (٥/٦٢) حديث (٢٧١٠).

---

[١] - في م: « تستأنسوا ».
[٢] - في خ: « روى ».
[٣] - في ز: « سعاد ».
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٥] - في ز: « ضغاييس ».
[٦] - سقط من: ت.

وقال أبو داود(٧٣) : حَدَّثَنَا أبو بكر بن أبي شيبة ، حَدَّثَنَا أبو الأحوص ، عن منصور ، عن ربعي . قال : حَدَّثَنَا[١] رجل من بني عامر استأذن علي النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وهو في بيته فقال : أألج؟[٢] فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لخادمه : « **اخرج إلىٰ هذا ، فعلمه الاستئذان فقل له : قل : السلام عليكم أأدخل؟** » . فسمعه الرجل . فقال : السلام عليكم أأدخل ؟ فأذن له النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فدخل .

وقال هشيم : أخبرنا منصور ، عن ابن سيرين ، وأخبرنا يونس بن عبيد ، عن عمرو[٣] بن سعيد الثقفي : أن رجلًا استأذن علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : أألج ؟ أو أنلج ؟ فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم لأمة له - يقال لها : روضة - : « **قومي إلىٰ هذا فعلميه ؛ فإنه لا يحسن يستأذن ، فقولي له : يقول : السلام عليكم أأدخل؟** » فسمعها[٤] الرجل فقالها ؛ فقال : « **ادخل** » .

وقال الترمذي(٧٤) : حَدَّثَنَا الفضل بن الصباح ، حَدَّثَنَا سعيد بن زكريا ، عن عنبسة بن عبد الرحمن ، عن محمد بن زاذان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد اللَّه قال : قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم : « **السلام قبل الكلام** » .

ثم قال الترمذي(*) : عنبسة ضعيف الحديث ذاهب ، ومحمد بن زاذان منكر الحديث .

وقال هشيم(٧٥) : قال مغيرة : قال مجاهد : جاء ابن عمر من حاجة وقد أذاه الرمضاء ؛ فأتىٰ فسطاط امرأة من قريش فقال : السلام عليكم أأدخل ؟ قالت : ادخل بسلام ، فأعاد ، فأعادت وهو يراوح[٥] بين قدميه قال : قولي : ادخل . قالت : ادخل . فدخل .

[وقال ابن][٦] أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبو سعيد الأشج ، حَدَّثَنَا أبو نعيم الأحول ، حدثني خالد ابن إياس ، حدثتني جدتي أم إياس قالت : كنت في أربع نسوة يستأذنَّ[٧] [علىٰ

---

(٧٣) تفسير الطبري (٨٧/١٨) .

(٧٤) سنن الترمذي ، كتاب الاستئذان والأدب ، حديث (٢٦٩٩) .

(*) في السنن : هذا حديث منكر لا نعرفه إلا من هذا الوجه وسمعت محمدًا يقول .... فذكره .

(٧٥) تفسير الطبري (٨٧/١٨) .

---

[١] - في خ ، ز : « جاء » .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « عمر » .

[٤] - في خ ، ت : « فسمعه » .

[٥] - في ز : « يروح » .

[٦] - في خ ، ت : « لابن » .

[٧] - في خ ، ت : « استأذن » .

عائشة][١] ، فقلت[٢] : ندخل ؟ قالت[٣] : لا ، قلن[٤] لصاحبتكن : تستأذن[٥] . فقالت : السلام عليكم أندخل ؟ قالت : ادخلوا ، ثم قالت : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتىٰ تستأنسوا وتسلموا علىٰ أهلها ﴾** .

وقال هشيم (٧٦) : أخبرنا أشعث بن سوار ، عن كردوس ، عن ابن مسعود قال : عليكم أن تستأذنوا علىٰ أمهاتكم وأخواتكم . وقال[٦] أشعث عن عدي بن ثابت : أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله ، إني أكون في منزلي علىٰ الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها ولا[٧] والد ، ولا ولد ، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي ، وأنا علىٰ تلك الحال . قال : فنزلت **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا [غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها]﴾**[٨] .

وقال ابن جريج : سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال : ثلاث آيات جحدها الناس ؛ قال الله تعالىٰ : **﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾** قال ويقولون : إن أكرمهم عند الله أعظمهم بيتًا . قال : والإذن[٩] كله قد[١٠] جحده الناس . قال : قلت : أستأذن علىٰ أخواتي أيتام في حجري معي في بيت واحد ؟ قال : نعم . فرددت عليه[١١] ليرخص لي فأبىٰ ، فقال : تحب أن تراها عريانة ؟ قلت : لا ، قال : فاستأذن . قال : فراجعته أيضًا فقال : أتحب أن تطيع الله ؟ قال[١٢] : قلت : نعم . [ ][١٣] قال : فاستأذن .

قال ابن جريج : وأخبرني ابن طاوس عن أبيه قال : ما من امرأة أكره إليّ أن أرىٰ عورتها من ذات محرم . قال : وكان يشدد في ذلك .

وقال ابن جريج عن الزهري : سمعت هزيل بن شرحبيل الأودي الأعمىٰ أنه سمع ابن مسعود يقول : عليكم الإذن[١٤] علىٰ أمهاتكم .

---

(٧٦) تفسير الطبري (٨٧/١٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في ز : « فقلت » .
[٣] - في خ ، ت : « فقالت » .
[٤] - في خ ، ت : « فقلن » .
[٥] - في ز : « نستأذن » .
[٦] - في ز : « قال » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - سقط من ت .
[٩] - في ز : « الأدب » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - سقط من : خ ، ز .
[١٢] - سقط من : ز .
[١٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .
[١٤] - سقط من : خ .

وقال ابن جريج: قلت لعطاء: أيستأذن الرجل على امرأته؟ قال: لا . وهذا محمول على عدم الوجوب، وإلا فالأولى أن يعلمها بدخوله ولا يفاجئها[١] به[٢] لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها .

وقال أبو جعفر بن جرير(٧٧) : حَدَّثَنَا القاسم، حَدَّثَنَا الحسين، حَدَّثَنَا محمد بن حازم، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب امرأة عبد الله ابن مسعود عن زينب -رضي الله عنها- قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق؛ كراهة[٣] أن يهجم منا على أمر يكرهه: إسناده صحيح .

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أحمد بن سنان الواسطي، حَدَّثَنَا عبد الله بن نمير، حَدَّثَنَا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي هبيرة قال: كان عبد الله إذا دخل الدار استأنس تكلم ورفع صوته .

وقال مجاهد: حتى تستأنسوا قال: تنحنحوا أو تنخموا .

وعن الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- أنه قال: إذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتنحنح أو يحرك نعليه. ولهذا جاء في الصحيح(٧٨) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: **أنه نهى أن يطرق الرجل أهله طروقًا** . وفي رواية: «**ليلًا يتخونهم**».

وفي الحديث الآخر(٧٩) : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة نهارًا فأناخ بظاهرها وقال «**انتظروا حتى ندخل عشاء - يعني آخر النهار - حتى تتمشط الشعثة وتستحد المغيبة**» .

وقال ابن أبي حاتم(٨٠) : حَدَّثَنَا أبي، حَدَّثَنَا أبو بكر بن أبي شيبة، حَدَّثَنَا عبد الرحمن

---

(٧٧) تفسير الطبري (١٨/٨٨) .

(٧٨) صحيح البخاري، كتاب النكاح حديث (٥٢٤٣، ٥٢٤٤)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث (٧١٥) من حديث جابر، رضي الله عنه .

(٧٩) رواه البخاري في صحيحه حديث (٥٢٤٧) من حديث جابر، رضي الله عنه .

(٨٠) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/٦٠٧) ومن طريقه ابن ماجة في السنن حديث (٣٧٠٧)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٤/١٧٨)، حدثنا عبيد بن غنام عن أبي بكر بن أبي شيبة، به . قال البوصيري في الزوائد (٣/١٧١) : «هذا إسناد ضعيف» .

---

[١] - في ز: «يخافصها» .

[٢] - سقط من: ز .

[٣] - في ز: «كراهية» .

ابن سليمان، عن واصل بن السائب، حدثني أبو سورة[١] ابن أخي أبي أيوب، عن أبي أيوب قال: قلت: يا رسول الله؛ هذا السلام فما الاستئناس؟ قال «**يتكلم الرجل**[٢] **بتسبيحة أو**[٣] **تكبيرة أو**[٤] **تحميدة ويتنحنح؛ فيؤذن أهل البيت**». هذا حديث غريب.

وقال قتادة في قوله: ﴿**حتىٰ تستأنسوا**﴾ [قال][٥] هو[٦] الاستئذان [ثلاثًا][٧]. [قال: وكان يقال][٨]: الاستئذان ثلاثًا. فمن لم يؤذن له فيهنَّ[٩] فليرجع، أما الأولىٰ فليسمع الحي، وأما الثانية فليأخذوا حذرهم، وأما الثالثة فإن شاءوا أذنوا وإن شاءوا ردوا، ولا تقفن علىٰ باب قوم ردوك عن بابهم؛ فإن للناس حاجات ولهم أشغال، والله أولى بالعذر.

وقال مقاتل بن حيان في قوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتىٰ تستأنسوا وتسلموا علىٰ أهلها**﴾ كان الرجل في الجاهلية إذا لقي صاحبه لا يسلم عليه ويقول: حييت صباحًا! وحييت مساء! وكان ذلك تحية القوم بينهم، وكان أحدهم ينطلق إلىٰ صاحبه فلا يستأذن حتىٰ يقتحم ويقول: قد دخلت [ونحو ذلك][١٠]؛ فيشق ذلك علىٰ الرجل، ولعله يكون مع أهله، فغير الله ذلك كله في ستر[١١] وعفة وجعله [نقيًّا نزيهًا][١٢] من الدنس والقذر والدرن، فقال تعالىٰ: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتىٰ تستأنسوا وتسلموا علىٰ أهلها**﴾.

وهذا الذي قاله مقاتل حسن؛ ولهذا قال: ﴿**ذلكم خير لكم**﴾ يعني الاستئذان، خير لكم، بمعنىٰ هو خير من الطرفين للمستأذن ولأهل البيت ﴿**لعلكم تذكرون**﴾. وقوله: ﴿**فإن لم تجدوا فيها أحدًا فلا تدخلوها حتىٰ يؤذن لكم**﴾ وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير إذنه، فإن شاء أذن، وإن شاء لم يأذن ﴿**وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكىٰ لكم**﴾ [أي: إذا ردوكم من الباب قبل الإذن أو بعده ﴿**فارجعوا هو أزكىٰ لكم**﴾][١٣] أي: رجوعكم أزكىٰ وأطهر لكم ﴿**والله بما تعملون عليم**﴾.

---

[١] - في خ، ت: «ثورة».

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - في ز: «و».

[٤] - في ز: «و».

[٥] - سقط من: ت.

[٦] - في خ: «هؤلاء».

[٧] - سقط من خ، ت.

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٩] - في خ، ز: «منهم».

[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[١١] - في ز: «شر».

[١٢] - في ز: «نبيا نزها».

[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.

وقال قتادة: قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها أن استأذن علىٰ بعض إخواني، فيقول لي: ارجع، فأرجع وأنا مغتبط ﴿ **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكىٰ لكم والله بما تعملون عليم** ﴾.

وقال سعيد بن جبير [﴿ **وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا** ﴾ أي][١] : لا تقفوا علىٰ أبواب الناس.

وقوله: ﴿ **ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتًا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** ﴾ هذه الآية الكريمة أخص من التي قبلها، وذلك أنها تقتضي جواز الدخول إلىٰ البيوت التي ليس فيها أحد إذا كان له متاع فيها بغير إذن، كالبيت المعد للضيف إذا أذن له فيه أول مرة كفى. قال ابن جريج: قال ابن عباس: ﴿ **لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم** ﴾ ثم نسخ واستثنىٰ فقال: ﴿ **ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتًا غير مسكونة فيها متاع لكم** ﴾ وكذا روي عن عكرمة والحسن البصري. وقال آخرون: هي بيوت التجار كالخانات ومنازل الأسفار وبيوت مكة وغير ذلك. واختار ذلك ابن جرير وحكاه عن جماعة، والأول أظهر، والله أعلم. وقال مالك عن زيد بن أسلم: هي بيوت الشعر.

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

هذا أمر من الله تعالىٰ لعباده[٢] المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم فلا ينظروا إلا [إلى][٣] ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضُّوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر علىٰ محرم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعًا، كما رواه مسلم في صحيحه(٨١) من حديث يونس بن عبيد، عن عمرو بن سعيد، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جده [ ][٤] جرير بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه- قال: سألت النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة؟ فأمرني أن أصرف بصري.

وكذا رواه الإمام أحمد، عن هشيم، عن يونس بن عبيد به. ورواه أبو داود والترمذي

(٨١) صحيح مسلم، كتاب الآداب (٢١٥٩)، والمسند (٣٦١/٤)، وسنن أبي داود، كتاب النكاح (٢١٤٨)، وسنن الترمذي، كتاب الأدب (٢٧٧٦)، والنسائي في السنن الكبرى حديث (٩٢٣٣).

[١] - ما بين المعكوفتين في ت: « في الآية ».
[٢] - في ز: « عباده ».
[٣] - سقط من خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز: « عن ».

والنسائي من حديثه أيضًا، وقال الترمذي: حسن صحيح. وفي رواية لبعضهم فقال: «**أطرق بصرك**». يعني انظر إلىٰ الأرض، والصرف أعم؛ فإنه قد يكون إلىٰ الأرض وإلىٰ جهة أخرىٰ، والله أعلم.

وقال أبو داود(٨٢): حَدَّثَنَا إسماعيل بن موسىٰ الفزاري، حَدَّثَنَا شريك، عن أبي ربيعة الإيادي عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ: «**يا عليّ؛ لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولىٰ وليس لك الآخرة**».

ورواه الترمذي من حديث شريك، وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديثه.

وفي الصحيح(٨٣) عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**إياكم والجلوس علىٰ الطرقات**». قالوا يا رسول الله؛ لا[١]بد لنا من مجالسنا نتحدث[٢] فيها، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**إن أبيتم فأعطوا الطريق حقه**». قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غض البصر وكف الأذىٰ، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر**».

وقال أبو القاسم البغوي: حَدَّثَنَا طالوت بن عباد، حَدَّثَنَا فضيل[٣] بن جبير، سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول[٤]: «**اكفلوا لي بستٍّ[٥] أكفل لكم بالجنة، إذا حدث أحدكم فلا يكذب، وإذا ائتمِنَ فلا يخن، وإذا وعد فلا يخلف، وغضوا[٦] أبصاركم، وكفوا أيديكم، واحفظوا فروجكم**»(٨٤).

وفي صحيح البخاري(٨٥): «**من يكفل لي ما بين لحييه و[ما بين][٧] رجليه أكفل له الجنة**».

---

(٨٢) سنن أبي داود، كتاب النكاح حديث (٢١٤٩)، وسنن الترمذي، كتاب الأدب حديث (٢٧٧٧) وشريك ضُعف لسوء حفظه.

(٨٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب حديث (٢٤٦٥)، وصحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة حديث (٢١٢١) من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه.

(٨٤) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣٩٢/٧) من طريق أبي القاسم البغوي، به. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣١٤/٨)، وابن حبان في المجروحين (٢٠٤/٢) من طريق فضال بن جبير. ويقال: ابن زبير، به. وقال ابن حبان: «فضال بن جبير لا يحل الاحتجاج به».

(٨٥) صحيح البخاري حديث (٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد، رضي الله عنه.

---

[١] - في ز: «ما».
[٢] - في خ، ز: «نقعد».
[٣] - في ز: «فضل».
[٤] - سقط من: ز.
[٥] - في ز: «لستٌ».
[٦] - في ز: «غضوا».
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة قال: كل ما عصي الله به فهو كبيرة، وقد ذكر الطرفين فقال: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾.

ولما كان النظر داعية إلىٰ فساد القلب، كما قال بعض السلف: النظر سهام سمّ[١] إلىٰ القلب. ولذلك أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بحفظ الأبصار التي هي بواعث إلىٰ ذلك، فقال: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم** ﴾ وحفظ الفرج تارة يكون بمنعه من الزنا، كما قال: ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين** ﴾. وتارة يكون بحفظه من النظر إليه؛ كما جاء في الحديث في مسند أحمد والسنن(٨٦) « **احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك** ». ﴿ **ذلك أذكىٰ لهم** ﴾ أي: أطهر لقلوبهم واتقىٰ لدينهم، كما قيل: من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته، ويروىٰ: في قلبه.

وقد[٢] قال الإمام أحمد(٨٧): حَدَّثَنَا عتاب، حَدَّثَنَا عبد الله بن المبارك، أخبرنا يحيىٰ بن أيوب، عن عبيد الله بن زحر، عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة -رضي الله عنه- عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال: « **ما من مسلم ينظر إلىٰ محاسن امرأة [أول مرة][٣] ثم يغض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها** ».

وروي هذا مرفوعا عن ابن عمر وحذيفة(٨٨) وعائشة -رضي الله عنهم- ولكن في إسنادها ضعف؛ إلا أنها في الترغيب ومثله يتسامح فيه.

---

(٨٦) المسند (٣/٥، ٤)، وسنن أبي داود حديث (٤٠١٧)، وسنن ابن ماجة حديث (١٩٢٠) من حديث معاوية بن حيدة، رضي الله عنه.

(٨٧) المسند (٢٦٤/٥). وفي إسناده عبيد الله بن زحر، قال ابن حبان: « يروى الموضوعات عن الأثبات وإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسناد خبر عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم أبو عبد الرحمن، لم يكن ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم ».

(٨٨) أما حديث حذيفة، فرواه الحاكم في المستدرك (٣١٤/٤) من طريق إسحاق القرشي عن هشيم عن عبد الرحمن عن إسحاق عن محارب عن صلة بن زفر عن حذيفة، رضي الله عنه، وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي. قلت: إسحاق واه وعبد الرحمن هو الواسطي ضعفوه.

وأما حديث ابن عمر، فرواه أبو نعيم في الحلية (١٠١/٦) من طريق أبي اليمان عن أبي المهدي عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن ابن عمر، رضي الله عنهما، وإسناده ضعيف جدًا.

---

[١] - في ز: « سهم ». [٢] - سقط من خ، ت.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

وفي الطبراني(٨٩) من طريق عبيد الله بن زحر[١] عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة مرفوعًا: «**لتغضن أبصاركم ولتحفظن فروجكم ولتقيمن وجوهكم أو لتكسفن وجوهكم**».

وقال الطبراني(٩٠): حَدَّثَنَا أحمد بن زهير التستري، قال: قرأنا على محمد بن حفص ابن عمر الضرير المقرئ، حَدَّثَنَا يحيى بن أبي بكير، حَدَّثَنَا هريم بن سفيان، عن عبد الرحمن ابن إسحاق، عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها مخافتي أبدلته إيمانًا يجد حلاوته في قلبه**».

وقوله تعالىٰ: ﴿**إن الله خبير بما يصنعون**[٢]﴾ كما قال تعالىٰ: ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾.

وفي الصحيح(٩١) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «**كتب علىٰ ابن آدم حظه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة؛ فزنا العينين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا الأذنين الاستماع، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين الخطىٰ، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه**». و[٣] **رواه البخاري تعليقًا ومسلم مسندًا من وجه آخر بنحو ما تقدم**[٤].

وقد قال كثير من السلف: إنهم كانوا ينهون أن يُحِدَّ الرجل نظره[٥] إلىٰ الأمرد، وقد شدد كثير من أئمة الصوفية في ذلك، وحرمه طائفة من أهل العلم؛ لما فيه من الافتتان، وشدد آخرون في ذلك كثيرًا جدًا.

وقال ابن أبي الدنيا(٩٢): حَدَّثَنَا أبو سعيد المدني، حَدَّثَنَا عمرو[٦] بن سهل المازني،

---

(٨٩) المعجم الكبير (٢٤٦/٨) وعبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم ضعفاء.

(٩٠) المعجم الكبير (٢١٤/١٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٦٣:/٨): «وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف».

(٩١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان حديث (٦٣٤٣)، وصحيح مسلم، كتاب القدر حديث (٢٦٥٧).

(٩٢) ورواه أبو نعيم في الحلية (١٦٣/٣) من طريق داود بن عطاء عن عمر بن صهبان، عن صفوان عن =

---

[١] - في خ، ز: «يزيد».
[٢] - في ز: «تصنعون».
[٣] - سقط من خ، ت.
[٤] - في ت: «ذكر».
[٥] - في خ: «بصره».
[٦] - في ز: «عمر».

حدثني عمر بن محمد بن صهبان[١] ، عن صفوان بن سليم ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **كل عين باكية[٢] يوم القيامة إلا عينًا غضت عن محارم الله ، وعينًا سهرت في سبيل الله ، وعينًا يخرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجلّ** » .

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

هذا أمر من الله تعالىٰ للنساء المؤمنات ، وغيرة منه لأزواجهن عباده المؤمنين ، وتمييز لهن عن صفة نساء الجاهلية وفعال المشركات . وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة[٣] ما ذكره مقاتل بن حيان قال : بلغنا - والله أعلم - أن جابر بن عبد الله الأنصاري حدث أن أسماء بنت مرشدة ، كانت في محل لها في بني حارثة ، فجعل النساء يدخلن عليها غير متأزرات فيبدو ما في أرجلهن من الخلاخيل[٤] ، وتبدو صدورهن وذوائبهن ، فقالت أسماء : ما أقبح هذا ! فأنزل الله تعالىٰ : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهنّ** ﴾ الآية .

فقوله تعالىٰ : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾ أي : عما[٥] حرم الله عليهن من النظر إلىٰ غير أزواجهن ؛ ولهذا ذهب [كثير من العلماء إلىٰ][٦] أنه لا يجوز للمرأة أن

= أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، به . فلا أدري أسقط أبو سلمة من إسناد ابن أبي الدنيا أم لا ؟ وعمر بن صهبان منكر الحديث اتفق الأئمة على تضعيفه .

[١] - في ز : « ههبان » .
[٢] - في خ ، ز : « زانية » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - في خ ، ت : « الخلاخل » .
[٥] - في ز : « ما » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

تنظر إلىٰ الأجانب بشهوة ولا بغير شهوة أصلًا . واحتج كثير منهم بما رواه أبو داود والترمذي(٩٣) من حديث الزهري عن نبهان مولىٰ أم سلمة أنه حدثه أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وميمونة قالت : فبينما نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه - وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب - فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **احتجبا منه** » . فقلت : يا رسول الله ؛ أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أو عمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه ؟** » . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وذهب آخرون من العلماء إلىٰ جواز نظرهن إلىٰ الأجانب بغير شهوة ، كما ثبت في الصحيح(٩٤) أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم جعل ينظر إلىٰ الحبشة وهم يلعبون بحرابهم يوم العيد في المسجد وعائشة أم المؤمنين تنظر إليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتىٰ ملت ورجعت .

وقوله[١] : ﴿ **ويحفظن فروجهن** ﴾ قال[٢] سعيد بن جبير : عن الفواحش . وقال قتادة وسفيان : عما لا يحل لهن . وقال مقاتل : عن الزنا . وقال أبو العالية : كل آية أنزلت[٣] في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنا إلا هذه الآية ﴿ **ويحفظن فروجهن** ﴾ أن لا يراها أحد . قال : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** ﴾ أي : و[٤] لا يظهرن شيئًا من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه . قال[٥] ابن مسعود : كالرداء والثياب . يعني علىٰ ما كان يتعاناه نساء العرب من المقنعة التي تجلل ثيابها وما يبدو من أسافل الثياب فلا حرج عليها فيه ؛ لأن هذا لا يمكن إخفاؤه . [ونظيره في زي النساء ما يظهر من إزارها وما لا يمكن إخفاؤه . وقال][٦] بقول[٧] ابن مسعود الحسن وابن سيرين وأبو الجوزاء وابراهيم النخعي وغيرهم ، وقال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها** ﴾ قال : وجهها وكفيها والخاتم . وروي عن ابن عمر وعطاء وعكرمة وسعيد بن جبير ، وأبي[٨] الشعثاء والضحاك ، وإبراهيم النخعي وغيرهم نحو ذلك ، وهذا يحتمل أن يكون تفسيرًا للزينة التي نهين عن إبدائها ، كما قال أبو إسحاق السبيعي عن أبي الأحوص

---

(٩٣) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١١٢) ، وسنن الترمذي ، كتاب الأدب حديث (٢٧٧٨) .
(٩٤) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة حديث (٤٥٤) .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - في ز : « وقال » .
[٣] - في خ ، ت : « نزلت » .
[٤] - سقط من خ ، ت .
[٥] - في ز : « وقال » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ز : « يقول » .
[٨] - في ز : « أبو » .

عن عبد اللّٰه قال[١] في قوله: ﴿ ولا يبدين زينتهن ﴾ الزينة القرط والدملوج والخلخال[٢] والقلادة . وفي رواية عنه بهذا الإسناد قال: الزينة زينتان ؛ فزينة لا يراها إلا الزوج : الخاتم والسوار، [وزينة يراها الأجانب][٣] وهي الظاهر من الثياب .

وقال الزهرى: [لا يبدين][٤] لهؤلاء الذي سمىٰ اللّٰه ممن لا تحل[٥] له إلا الأسورة والأخمرة والأقرطة من غير حسر، وأما عامة الناس فلا يبدو منها إلا الخواتم .

وقال مالك عن الزهري: ﴿ إلا ما ظهر منها ﴾ الخاتم والخلخال .

ويحتمل أن ابن عباس ومن تابعه أرادوا تفسير ما ظهر منها بالوجه والكفين، وهذا هو المشهور عند الجمهور، ويستأنس له بالحديث الذي رواه أبو داود في سننه (٩٥) :

حَدَّثَنَا يعقوب بن كعب الإنطاكي، ومؤمل بن الفضل الحراني[٦] قالا : حَدَّثَنَا الوليد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشة -رضي اللّٰه عنها- أن أسماء بنت أبي بكر دخلت علىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: « يا أسماء؛ إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرىٰ منها إلا هذا ». وأشار إلىٰ وجهه وكفيه، لكن قال أبو داود وأبو حاتم الرازي: هذا[٧] مرسل . خالد بن دريك لم يسمع من عائشة ، واللّٰه أعلم .

وقوله تعالىٰ: ﴿ وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن ﴾ يعني المقانع يعمل لها ضيقات ضاربات علىٰ [صدور النساء][٨] لتواري ما تحتها من صدرها وترائبها ليخالفن شعار نساء أهل الجاهلية ، فإنهن لم يكن يفعلن ذلك بل كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة بصدرها لا يواريه شيء ، وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها، فأمر اللّٰه المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن، كما قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنىٰ أن يعرفن فلا يؤذين** ﴾ وقال في هذه الآية الكريمة ﴿ **وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن** ﴾ والخمر جمع خمار، وهو ما يخمر[٩] ، أي :يغطىٰ به الرأس وهي التي تسميها الناس المقانع .

---

(٩٥) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١٠٤) .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ز : « الدملج » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « يحل » .
[٦] - في خ : « الجواني » .
[٧] - في خ ، ت : « هو » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : « صدورهن » .
[٩] - بعده في خ ، ت : به .

قال سعيد بن جبير: ﴿ **وليضربن** ﴾ وليشددن ﴿ **بخمرهن علىٰ جيوبهن** ﴾ يعني علىٰ النحر والصدر فلا يرىٰ منه شيء .

وقال البخاري(٩٦) : وقال[١] أحمد بن شبيب : حَدَّثَنَا أبي ، عن يونس ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة -رضي اللَّه عنها- قالت : يرحم اللَّه نساء المهاجرات الأول ! لما أنزل اللَّه : ﴿ **وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن** ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها[٢] .

وقال أيضا(٩٧) : حَدَّثَنَا أبو نعيم ، حَدَّثَنَا إبراهيم بن نافع ، عن الحسن بن مسلم ، عن صفية بنت شيبة أن عائشة -رضي اللَّه عنها- [كانت تقول][٣] : لما نزلت هذه الآية ﴿ **وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن** ﴾ أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا أحمد بن عبد اللَّه بن يونس ، حدثني الزنجي بن خالد ، حَدَّثَنَا عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم[٤] ، عن صفية بنت شيبة قالت : بينا نحن عند عائشة قالت : فذكرن نساء قريش وفضلهن ، فقالت عائشة رضي اللَّه عنها : إن لنساء قريش لفضلًا ، وإني واللَّه ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقًا لكتاب[٥] اللَّه ولا إيمانًا بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور ﴿ **وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن** ﴾ انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل اللَّه[٦] إليهم فيها ويتلو الرجل علىٰ امرأته وابنته وأخته وعلىٰ كل ذي قرابته ، فما منهن امرأة إلا قامت إلىٰ مرطها المرحل[٧] فاعتجرت به ، تصديقًا وإيمانًا بما أنزل اللَّه من كتابه ، فأصبحن وراء رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم الصبح معتجرات ، كأن علىٰ رءوسهن الغربان . ورواه أبو داود(٩٨) من غير وجه عن صفية بنت شيبة به .

وقال ابن جرير(٩٩) : حَدَّثَنَا يونس ، أخبرنا ابن وهب : أن قرة[٨] بن عبد الرحمن ، أخبره

---

(٩٦) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٧٥٨) .

(٩٧) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٧٥٩) .

(٩٨) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١٠٠ ، ٤١٠١) .

(٩٩) تفسير الطبري (٩٤/١٨) ، وسنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١٠٢) . وقرة بن عبد الرحمن : صدوق له مناكير .

---

[١] - في خ ، ز : « وحدثنا » .
[٢] - في ز : « به » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « قالت » .
[٤] - في خ ، ت : « خيثم » .
[٥] - في ز : « بكتاب » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في ز : « المراجل » .
[٨] - في خ ، ز : قرقرة » .

عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها قالت : يرحم الله النساء المهاجرات الأول ! لما أنزل الله ﴿ **وليضربن بخمرهن علىٰ جيوبهن** ﴾ شققن أكثف مروطهن فاختمرن به[١] . ورواه أبو داود من حديث ابن وهب به .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن** ﴾ يعني[٢] :أزواجهن ﴿ **أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن** ﴾ كل هؤلاء محارم للمرأة يجوز لها أن تظهر عليهم[٣] بزينتها ولكن من غير [اقتصاد وتبهرج][٤].

وقال[٥] ابن المنذر: حَدَّثَنَا موسىٰ - يعني : ابن هارون - حَدَّثَنَا أبو بكر - يعني ابن أبي شيبة - حَدَّثَنَا عفان ، حَدَّثَنَا حماد بن سلمة ، أخبرنا داود ، عن الشعبي وعكرمة في هذه الآية : ﴿ **ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن** ﴾ حتىٰ فرغ منها قال : لم يذكر العم ولا الخال لأنهما يتبعان لأبنائهما ، ولا تضع خمارها عند العم والخال ، فأما الزوج فإنما ذلك كله من أجله فتتصنع له ما لا يكون بحضرة غيره .

وقوله : ﴿ **أو نسائهن** ﴾ يعني تظهر زينتها[٦] أيضًا للنساء المسلمات دون نساء[٧] أهل[٨] الذمة لئلا تصفهن لرجالهن ، وذلك وإن كان محذورًا في جميع النساء ، إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد فإنهن [لا يمنعهن[٩] من ذلك مانع ، وأما[١٠] المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتنزجر عنه][١١] ، وقد قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها » . أخرجاه في الصحيحين عن ابن مسعود(١٠٠) .

وقال سعيد بن منصور في سننه(١٠١) : حَدَّثَنَا إسماعيل بن عياش ، عن هشام بن الغار ، عن عبادة بن نسي ، عن أبيه ، عن الحارث بن قيس قال : كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلىٰ أبي عبيدة : أما بعد ، فإنه بلغني أن نساء من نساء المسلمين يدخلن الحمامات

---

(١٠٠) صحيح البخاري حديث (٥٢٤١) .

(١٠١) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٧/٩٥) من طريق سعيد بن منصور ، به .

---

[١] - في خ ، ت : « بها » .
[٢] - في خ ، ت : « أي » .
[٣] - سقط من: ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « تبرج » .
[٥] - في ز : « قال » .
[٦] - في خ ، ت : « بزينتها » .
[٧] - في خ ، ت : « النساء » .
[٨] - سقط من : خ ، ز .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - في خ ، ت : « فأما » .
[١١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

مع نساء أهل الشرك ، فإنه من قبلك ، فلا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن ينظر إلىٰ عورتها إلا أهل ملتها .

وقال مجاهد في قوله : ﴿ أو نسائهن ﴾ قال : نساؤهن المسلمات ليس المشركات من نسائهن ، وليس للمرأة المسلمة أن تنكشف بين يدي المشركة[١] .

وروىٰ عبد في تفسيره عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ﴿أو نسائهن﴾ قال : هنّ المسلمات لا تبديه ليهودية ولا نصرانية ، وهو النحر والقُرط والوشاح وما لا[٢] يحل أن يراه إلا محرم .

وروىٰ سعيد : حَدَّثَنَا جرير ، عن ليث ، عن مجاهد قال : لا تضع المسلمة خمارها عند مشركة ؛ لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿ أو نسائهن ﴾ فليست[٣] من نسائهنّ .

وعن مكحول وعبادة بن نسي ، أنهما كرها أن تقبل النصرانية واليهودية والمجوسية المسلمة .

فأما ما رواه ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا علي بن الحسين ، حَدَّثَنَا أبو عمير ، حَدَّثَنَا ضمرة قال : قال ابن عطاء عن أبيه[٤] قال : لما[٥] قدم أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بيت المقدس كان قوابل نسائهم[٦] اليهوديات والنصرانيات ، فهذا إن صح محمول[٧] علىٰ حال الضرورة ، أو أن ذلك من باب الامتهان ، ثم إنه ليس فيه كشف عورة[٨] ولابد ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ أو ما ملكت أيمانهنّ ﴾ قال ابن جريج[٩] : يعني من نساء المشركين ، فيجوز لها أن تظهر [زينتها لها ، ، وإن كانت مشركة لأنها أمتها . وإليه ذهب سعيد بن المسيب ، وقال الأكثرون : بل يجوز لها أن تظهر][١٠] علىٰ رقيقها من الرجال والنساء واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود(١٠٢) : حَدَّثَنَا محمد بن عيسىٰ ، حَدَّثَنَا أبو جميع سالم بن دينار ، عن ثابت ، عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أتىٰ فاطمة

(١٠٢) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١٠٦) .

[١] - في خ ، ت : « مشركة » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « فليس » .
[٤] - بعده في خ ، ت : قال .
[٥] - في ز : « ولما » .
[٦] - في خ ، ت : « نسائهن » .
[٧] - في خ ، ت : « فمحمول » .
[٨] - في خ ، ت : « عرة » .
[٩] - في ت : « جرير » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

بعبد قد وهبه لها قال: وعلىٰ فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأىٰ النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ما تلقىٰ قال: « **إنه ليس عليك بأس ، إنما هو أبوك وغلامك** » .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر(١٠٣) في تاريخه في[١] ترجمة [خديج الحصى][٢] مولىٰ معاوية أن عبد اللّٰه بن مسعدة الفزاري كان أسود شديد الأدمة ، وأنه قد كان النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وهبه لابنته فاطمة فربته ثم أعتقته ، ثم قد كان بعد ذلك كله مع معاوية أيام صفين ، وكان من[٣] أشد الناس علىٰ علي[٤] بن أبي طالب رضي اللّٰه عنه .

وقال الإمام أحمد(١٠٤) : حَدَّثَنا سفيان بن عيينة ، عن الزهري ، عن نبهان ، عن أم سلمة ذكرت أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: « **إذا كان لإحداكن مكاتب ، وكان له ما يؤدي فلتحتجب منه** » . ورواه أبو داود عن مسدد عن سفيان به[٥] .

وقوله: ﴿ **أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال** ﴾ يعني كالأجراء والأتباع الذين ليسوا[٦] بأكفاء، وهم مع ذلك في عقولهم وَلَهٌ وخَوَثٌ ، ولا همّ لهم إلىٰ النساء ولا يشتهونهنّ . قال ابن عباس : هو المغفل الذي لا شهوة له .

وقال مجاهد : هو الأبله .

وقال عكرمة: هو المخنث الذي لا يقوم زُبُّه[٧] . وكذلك قال غير واحد من السلف ، وفي الصحيح(١٠٥) من حديث الزهري عن عروة عن عائشة أن مخنثًا[٨] كان يدخل علىٰ أهل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة، فدخل النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: وهو ينعت امرأة يقول[٩] : إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع، وإذا أدبرت أدبرت بثمان، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: « **ألا أرىٰ هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلنّ**

(١٠٣) تاريخ دمشق (٢٧٨/٤ « المخطوط ») .

(١٠٤) المسند (٢٨٩/٦) ، وسنن أبي داود ، كتاب العتق حديث (٣٩٢٨) .

(١٠٥) صحيح مسلم حديث (٢١٨١) وزيادة : « فكان بالبيداء يدخل كل يوم جمعة ..... الحديث » أخرجها أبو داود ، كتاب اللباس حديث (٤١٠٩) من طريق الزهري ، به ، وليست في صحيح مسلم .

[١] - سقط من : ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ ، ت : «حديج الخصى». [٣] - سقط من : ز .

[٤] - سقط من : ز . [٥] - سقط من : ز .

[٦] - في ز : « ليس » . [٧] - في ت : « ذكره » .

[٨] - في ز : « مونثًا » . [٩] - سقط من : ز .

عليكم » . فأخرجه فكان بالبيداء يدخل [كل يوم][١] جمعة يستطعم .

وقال الإمام أحمد(١٠٦) : حَدَّثَنَا أبو معاوية : حَدَّثَنَا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم سلمة [أنها قالت][٢] : دخل [علينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][٣] وعندها مخنث(*) وعندها عبد الله بن أبي أمية [يعني أخاها والمخنث يقول: يا عبد الله بن أبي أمية][٤] ؛ إن فتح الله عليكم الطائف غدًا فعليك بابنة غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان(**) . قال : فسمعه رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال لأم سلمة : **« لا يدخلن هذا عليك »** . أخرجاه في الصحيحين من حديث هشام بن عروة به .

وقال الإمام أحمد (١٠٧) : حَدَّثَنَا عبد الرزاق ، حَدَّثَنَا معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رجل يدخل علىٰ أزواج النبي صلىٰ الله عليه وسلم مخنث ، وكانوا يعدونه من غير أولي الإربة ، فدخل النبي صلىٰ الله عليه وسلم

---

(١٠٦) المسند (٢٩٠/٦) (٢٦٦٠٠) وأخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب : غزوة الطائف . الفتح : (٦٣٩/٧/رقم : ٤٣٢٤) وطرفاه في (٥٢٣٥ ، ٥٨٨٧) . ومسلم في صحيحه في كتاب السلام ، باب : منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب . (١٧١٥/٤/رقم : ٢١٨٠) . وأبو داود في سننه في كتاب الأدب ، باب : في الحكم في المخنثين . (٤٨٤/٤/رقم : ٤٩٢٩) . والنسائي في الكبرى في كتاب عشرة النساء ، باب : دخول المخنث على النساء . (٣٩٥/٥ ، ٣٩٦/رقم : ٩٢٤٥ ، ٩٢٤٩ ، ٩٢٥٠) . وابن ماجة في سننه في كتاب النكاح ، باب : في المخنثين (٦١٣/١/رقم : ١٩٠٢) . وكتاب الحدود ، ، باب : المخنثين (٨٧٢/٢/رقم : ٢٦١٤) . كلهم من طريق هشام بن عروة به .

(*) المخنَّث – بكسر النون وفتحها – : هو الذي يشبه النساء في أخلاقه وكلامه وحركاته ، والفعل : خَنَّث ، بتشديد النون . شرح النووي على صحيح مسلم بتصرف [٢٣٣/١٤] .

(**) تقبل بأربع وتدبر بثمان : قال أبو عبيد وسائر العلماء : معنى قوله : « تقبل بأربع وتدبر بثمان » . أي : أربع عُكَن – والعُكن جمع عُكْنة وهي الطَّيُّ في البطن من السِّمَن – وثمان عُكن . قالوا : ومعناه : أن لها أربع عُكَن تقبل بهن ، من كل ناحية ثنتان ، ولكل واحدة طرفان ، فإذا أدبرت صارت الأطراف ثمانية . قالوا : وإنما ذَكَّر فقال : « بثمان » . وكان أصله أن يقول : « بثمانية » ؛ فإن المراد الأطراف ، وهي مذكرة ؛ لأنه لم يذكر لفظ المذكر ، ومتى لم يذكره جاز حذف الهاء ، كقوله – صلى الله عليه وسلم – : « من صام رمضان وأتبعه بستٍّ من شوال » . شرح النووي على صحيح مسلم [١٤/ ٢٣٣ ، ٢٣٤] ، المصباح المنير [٤٢٤/٢] .

(١٠٧) المسند (١٥٢/٦) (٢٥٢٩٤) ، وأخرجه مسلم في كتاب السلام ، باب : منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب . (١٧١٦/٤ /رقم : ٢١٨١) . وأبو داود في كتاب اللباس ، باب : في قوله «(غير أولي الإربة ») . (٦١/٤ ، ٦٢/رقم : ٤١٠٧ – ٤١١٠) . والنسائي في الكبرى في كتاب عشرة النساء ، باب : دخول المخنث على النساء . (٣٩٥/٥/رقم : ٩٢٤٦ ، ٩٢٤٧) . كلهم من طريق عروة به .

---

[١] – ما بين المعكوفتين في ز : « يوم كل » .
[٢] – ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « قال » .
[٣] – ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « عليها » .
[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

يومًا[١]، وهو عند بعض نسائه، وهو ينعت امرأة فقال: إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان. فقال النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **ألا أرىٰ هذا يعلم ما هٰهنا لا يدخلن عليكم هذا** ». فحجبوه.

ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق عبد الرزاق به.

وقوله: ﴿ **أو الطفل الذين لم يظهروا علىٰ عورات النساء** ﴾ يعني: لصغرهم لا يفهمون أحوال[٢] النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم، وتعطفهن في المشية، وحركاتهن وسكناتهن، فإذا كان الطفل صغيرًا لا يفهم ذلك، فلا بأس بدخوله علىٰ النساء، فأما إن كان مراهقًا أو قريبًا منه بحيث يعرف ذلك ويدريه ويفرق بين الشوهاء والحسناء، فلا يمكن من الدخول علىٰ النساء، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال: « **إياكم والدخول علىٰ النساء** ». قالوا[٣] يا رسول اللَّه؛ أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت** ».

وقوله: ﴿ **ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن** ﴾ كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يسمع صوته، ضربت برجلها الأرض فيعلم الرجال طنينه، فنهىٰ اللَّه المؤمنات عن مثل ذلك. وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستورًا فتحرّكت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ **ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهنّ** ﴾ ومن ذلك أيضًا[٤] أنها تنهىٰ عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها ليشتم الرجال طيبها، فقد قال أبو عيسىٰ الترمذي(١٠٨): حَدَّثَنَا محمد بن بشار، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن سعيد القطان، عن ثابت بن عمارة الحنفي، عن غنيم بن قيس، عن أبي موسىٰ -رضي اللَّه عنه- عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال: « **كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا** ». يعني: زانية، قال: وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حسن صحيح، ورواه أبو داود والنسائي من حديث ثابت بن عمارة به(١٠٩).

وقال أبو داود (١١٠): حَدَّثَنَا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن عاصم بن عبيد اللَّه،

(١٠٨) سنن الترمذي، كتاب الأدب حديث (٢٧٨٦). وثابت بن عمارة: صدوق فيه لين.

(١٠٩) سنن أبي داود حديث، كتاب الترجل (٤١٧٣)، وسنن النسائي (١٥٣/٨).

(١١٠) سنن أبي داود، كتاب الترجل حديث (٤١٧٤)، وسنن ابن ماجة حديث (٤٠٠٢). وعاصم بن عبيد الله: ضعيف.

[١] - سقط من: خ.

[٢] - في خ، ت: « لأحوال ».

[٣] - في خ، ت: « قيل ».

[٤] - سقط من: خ، ز.

عن عبيد مولىٰ أبي رهم ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - قال : لقيته امرأة وجد منها ريح الطيب ولذيلها إعصار فقال: يا أمة الجبار ، جئت من المسجد ؟ قالت : نعم . قال لها : وله[١] تطيبت ؟ قالت نعم. قال : إني سمعت حبي أبا القاسم صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **لا يقبل اللّٰه صلاة امرأة[٢] تطيبت لهذا المسجد حتىٰ ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة** » ورواه ابن ماجة عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان هو ابن عيينة به .

وروىٰ الترمذي أيضًا(١١١) من حديث موسىٰ بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن ميمونة بنت سعد أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال : « **الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها** » . ومن ذلك أيضًا أنهنّ ينهين عن المشي في وسط الطريق لما فيه من التبرج .

قال أبو داود(١١٢) : حَدَّثَنَا القعنبي : حَدَّثَنَا عبد العزيز - يعني ابن محمد - عن أبي اليمان ، عن شداد بن أبي عمرو بن حماس ، عن أبيه ، عن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري ، عن أبيه أنه سمع النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم [ ][٣] وهو خارج من المسجد ، وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم للنساء : « **استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق ، عليكنّ بحافات الطريق** » . فكانت المرأة تلتصق[٤] بالجدار حتىٰ إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به .

وقوله : ﴿ **وتوبوا إلىٰ اللّٰه جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ أي :افعلوا ما آمركم به ، من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة ، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة ، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر اللّٰه به ورسوله وترك ما نهيا عنه ، واللّٰه تعالىٰ هو المستعان .

وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ

(١١١) سنن الترمذي ، كتاب الرضاع حديث (١١٦٧) وقال الترمذي : « وهذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث من قبل حفظه وهو صدوق ، وقد رواه بعضهم عن موسى بن عبيدة ولم يرفعه » .

(١١٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب حديث (٥٢٧٢) .

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « لامرأة » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « يقول » .
[٤] - في ز : « تلصق » .

يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

اشتملت هذه الآيات الكريمات المبينة على جمل من الأحكام المحكمة والأوامر المبرمة، فقوله تعالى: ﴿ **وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم** ﴾ هذا أمر بالتزويج. وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قدر عليه، واحتجوا بظاهر قوله صلى الله عليه وسلم: « **يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** ». أخرجاه [في الصحيحين][١] من حديث ابن مسعود(١١٣)، وقد[٢] جاء في السنن من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **تزوجوا توالدوا تناسلوا فإني مباهٍ[٣] بكم الأمم يوم القيامة** »(١١٤). وفي رواية: « **حتى بالسقط** ». والأيامى جمع أيم، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له، وسواء كان قد تزوج ثم فارق، أو لم يتزوج واحد منهما. حكاه الجوهري عن أهل اللغة، يقال رجل أيم وامرأة أيم أيضًا.

وقوله تعالى: ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم** ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: رغبهم الله في التزويج، وأمر به الأحرار والعبيد، ووعدهم عليه الغني فقال: ﴿ **إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله** ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمود بن خالد الأزرق، حدثنا عمر بن عبد الواحد، عن سعيد - يعني ابن عبد العزيز - قال: بلغني أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز ما وعدكم من الغنى، قال: ﴿ **إن**

---

(١١٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح حديث (٥٠٦٦)، وصحيح مسلم، كتاب النكاح (١٤٠٠).
(١١٤) سنن أبي داود، كتاب النكاح حديث (٢٠٥٠)، وسنن النسائي، كتاب النكاح (٦/٦٥).

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٢] - سقط من: خ، ز.
[٣] - في خ، ت: « مباهي ».

يكونوا فقراء يغنهم اللّه من فضله ﴾ [وعن ابن مسعود : والتمسوا الغنىٰ في النكاح، يقول اللّه تعالىٰ: **﴿ إن يكونوا فقراء يغنهم اللّه من فضله ﴾**][١] . رواه ابن جرير ، وذكر البغوي [عن عمر نحوه][٢] .

وعن الليث ، عن محمد بن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة -رضي اللّه عنه- قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم: « **ثلاثة[٣] حق[٤] علىٰ اللّه عونهم[٥] : الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله** ». رواه الإمام أحمد والترمذي، والنسائي وابن ماجة(١١٥) .

وقد زوج رسول الله صلىٰ اللّه عليه وسلم ذلك الرجل الذي لم يجد عليه[٦] إلا إزاره ، ولم يقدر علىٰ خاتم من حديد(١١٦) ، ومع هذا فزوجه بتلك المرأة، وجعل صداقها عليه أن يعلمها ما يحفظه من القرآن . والمعهود من كرم اللّه تعالىٰ ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله ، وأما ما يورده كثير من الناس علىٰ أنه حديث: « **تزوجوا فقراء يغنكم[٧] الله** » فلا أصل له ، ولم أره[٨] بإسناد قوي ولا ضعيف إلىٰ الآن ، وفي القرآن غنية عنه، وكذا [هذه الأحاديث التي أوردناها][٩]، ولله الحمد والمنة[١٠] .

وقوله: **﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا حتىٰ يغنيهم اللّه من فضله ﴾** هذا أمر من اللّه تعالىٰ لمن[١١] لا يجد تزويجًا بالتعفف[١٢] عن الحرام، كما قال عليه الصلاة والسلام: **« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء »** .

---

(١١٥) المسند (٢/٢٥١) ، وسنن الترمذي ، كتاب فضائل الجهاد ح (١٦٥٥) ، وسنن النسائي (٦/٦١) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب الأحكام حديث (٢٥١٨) .

(١١٦) - رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن حديث (٥٠٣٠) ، مسلم في (١٤٢٥) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين في : خ ، ز « بنحوه » .
[٣] - في ز : « ثلاث » .
[٤] - في خ : « عقد » .
[٥] - في خ ، ت : « عونهن » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ز : « يغنيكم » .
[٨] - في خ ، ت : « أراه » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « هذا الحديث الذي أوردناه » .
[١٠] - سقط من : ز .
[١١] - في ز : « أن » .
[١٢] - سقط من : ز .

وهذه الآية مطلقة والتي في سورة النساء أخص منها ، وهي قوله تعالىٰ : ﴿ **ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم** ﴾ أي : صبركم عن تزوّج[١] الإماء خير لكم[٢] لأن الولد يجيء رقيقًا ﴿ **والله غفور رحيم** ﴾ قال عكرمة في قوله : ﴿ **وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا** ﴾ قال : هو الرجل يرىٰ المرأة فكأنه يشتهي ، فإن كانت له امرأة فليذهب إليها وليقض[٣] حاجته منها ، وإن لم يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السموات والأرض[٤] حتىٰ يغنيه الله .

وقوله : ﴿ **والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا** ﴾ هذا أمر من الله تعالىٰ للسادة إذا طلب منهم عبيدهم الكتابة أن يكاتبوهم ، بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب يؤدي إلىٰ سيده المال الذي شارطه علىٰ أدائه ، وقد ذهب كثير من العلماء إلىٰ أن هذا الأمر أمر إرشاد واستحباب[٥] لا أمر تحتم وإيجاب ، بل السيد مخير إذا طلب منه عبده الكتابة إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه .

قال الثوري ، عن جابر ، عن الشعبي : إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه . وقال ابن وهب ، عن إسماعيل بن عياش ، عن رجل ، عن عطاء بن أبي رباح : إن يشأ كاتبه وإن لم يشأ لم يكاتبه . وكذا قال مقاتل بن حيان والحسن البصري .

وذهب آخرون إلىٰ أنه يجب علىٰ السيد إذا طلب منه عبده ذلك أن يجيبه إلىٰ ما طلب أخذًا بظاهر [هذا][٦] الأمر .

و[٧]قال البخاري (١١٨) : وقال روح ، عن ابن جريج قلت لعطاء : [أواجب عليّ إذا علمت له مالا أن أكاتبه ؟ قال : ما أراه إلا واجبًا . وقال عمرو بن دينار : قلت لعطاء][٨] :

أتأثره[٩] عن أحد ؟ قال : لا . ثم أخبرني أنّ موسىٰ بن أنس أخبره أن سيرين سأل أنسًا المكاتبة وكان كثير المال فأبىٰ فانطلق إلىٰ عمر - رضي الله عنه - فقال كاتبه فأبىٰ فضربه بالدرة ويتلو عمر [بن الخطاب][١٠] - رضي الله عنه - ﴿ **فكاتبوهم إن علمتم فيهم**

(١١٨) صحيح البخاري (٥/١٨٤) « فتح » .

[١] - في ز : « تزويج » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « فليقض » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في خ : « واستجلاب » .
[٦] - سقط من خ ، ت .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - في ز : « أتأثر » .
[١٠] - سقط من : ت .

خيرًا ﴾ فكاتبه . هكذا ذكره البخاري تعليقًا .

ورواه عبد الرزاق(١١٩) : أخبرنا ابن جريج قال : قلت لعطاء : أواجب عليّ إذا علمت له مالا أن أكاتبه ؟ قال : ما أراه إلا واجبا . [وقالها عمرو][١] [بن دينار ، قال : قلت لعطاء : أتأثره عن أحد؟ قال : لا][٢] .

وقال ابن جرير[٣](١٢٠) : حَدَّثَنَا محمد بن بشار ، حَدَّثَنَا محمد بن بكر ، حَدَّثَنَا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك أن سيرين أراد أن يكاتبه فتلكأ عليه ، فقال له عمر : لتكاتبنه . إسناد صحيح .

وقال[٤] سعيد بن منصور ، حَدَّثَنَا هشيم بن جويبر ، عن الضحاك قال : هي عزمة ، وهذا هو القول القديم من قولي الشافعي - رحمه الله - وذهب في الجديد إلىٰ أنه لا يجب لقوله - عليه الصلاة والسلام - : « **لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه** »(١٢١) .

وقال ابن وهب ، قال مالك : الأمر عندنا أنه[٥] ليس علىٰ سيد العبد أن يكاتبه إذا سأله ذلك ، ولم أسمع أحدًا من الأئمة أكره أحدًا علىٰ أن يكاتب عبده . قال مالك : وإنما ذلك أمر من الله وإذن منه للناس وليس بواجب .

وكذا قال الثوري ، وأبو حنيفة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم ، واختار ابن جرير قول الوجوب لظاهر الآية .

وقوله : ﴿ **إن علمتم فيهم خيرًا** ﴾ قال بعضهم : أمانة وقال بعضهم : صدقا ، [وقال بعضهم : مالا][٦] . وقال بعضهم : حيلة وكسبًا .

وروىٰ أبو داود في كتاب المراسيل ، عن يحيىٰ بن أبي كثير قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا** ﴾ قال : « إن علمتم فيهم حرفة ولا ترسلوهم كلابًا[٧] علىٰ الناس » .

---

(١١٩) ورواه الطبري في تفسيره (٩٨/١٨) من طريق عبد الرزاق به .

(١٢٠) تفسير الطبري (٩٨/١٨) .

(١٢١) رواه أحمد في مسنده (٧٢/٥) من حديث عم أبي حرة الرقاشي ، وفي (٤٢٥/٥) من حديث أبي حميد الساعدي ، وفي (٤٢٣/٣) من حديث عمرو بن يثربي .

---

[١] - في ز : « وقال عمر » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٣] - في ز : « جريج » .

[٤] - في ت : « وروى » .

[٥] - في ز : « أن » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ت : « كلا » .

وقوله: ﴿ **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** ﴾ اختلف المفسرون فيه فقال قائلون: معناه اطرحوا لهم من الكتابة بعضها ثم قال بعضهم: مقدار الربع، وقيل: الثلث، وقيل: النصف، وقيل: جزءًا[١] من الكتابة من غير حد، وقال آخرون: بل المراد من قوله: ﴿ **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** ﴾ هو النصيب الذي فرض الله لهم من أموال الزكوات، وهذا قول الحسن وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وأبيه، ومقاتل بن حيان، واختاره ابن جرير.

وقال إبراهيم النخعي في قوله ﴿ **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** ﴾ قال: حث الناس على[٢] مولاه وغيره، وكذا[٣] قال بريدة بن الحصيب الأسلمي وقتادة.

وقال ابن عباس: أمر الله المؤمنين أن يعينوا في الرقاب، وقد تقدم في الحديث عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: « **ثلاثة حق علىٰ الله عونهم** » فذكر منهم « **المكاتب يريد الأداء** » **والقول الأوّل أشهر**.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا محمد بن إسماعيل، حَدَّثَنَا وكيع، عن ابن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن عمر أنه كاتب [عبدًا له][٤] يكنىٰ أبا أمية، فجاء بنجمه حين حلّ فقال: يا أبا أمية، اذهب فاستعن به في مكاتبتك، فقال[٥]: يا أمير المؤمنين، لو تركته حتىٰ يكون من آخر نجم؟ قال: أخاف أن لا أدرك ذلك ثم قرأ ﴿ **فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** ﴾ قال عكرمة: فكان[٦] أوّل نجم أدّى في الإسلام.

وقال ابن جرير(١٢٢): حَدَّثَنَا ابن حميد، حَدَّثَنَا هارون بن المغيرة، عن عنبسة، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جبير قال: كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئًا من أول نجومه مخافة أن يعجز فترجع[٧] إليه صدقته، ولكنه إذا كان في آخر مكاتبته وضع عنه ما أحب.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ **وآتوهم من مال الله الذي آتاكم** ﴾ قال: يعني[٨] ضعوا [ ][٩] عنهم مكاتبتهم. وكذلك[١٠] قال مجاهد وعطاء والقاسم بن أبي بزة

(١٢٢) تفسير الطبري (١٠١/١٨).

[١] - في خ، ت: « جزء ».
[٢] - في ت: « عليه ».
[٣] - في ز: « وكذلك ».
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز: « عبد البر ».
[٥] - في ز: « قال ».
[٦] - في ز: « كان ».
[٧] - في ز: « فرجع ».
[٨] - سقط من: ت.
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز: « من ».
[١٠] - في خ، ت: « كذا ».

وعبد الكريم بن مالك الجزري والسدي .

وقال محمد بن سيرين في قوله: ﴿وآتوهم من مال الله الذى آتاكم﴾ : كان يعجبهم أن يدع الرجل لمكاتبه طائفة من مكاتبته .

وقال ابن أبي حاتم(١٢٣): أخبرنا الفضل بن شاذان المقري، أخبرنا إبراهيم بن موسىٰ، أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، أخبرني عطاء بن السائب أن عبد اللّٰه بن جندب أخبره عن علي -رضي اللّٰه عنه- عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: «ربع الكتابة» وهذا حديث غريب ورفعه منكر، والأشبه أنه موقوف علىٰ عليّ -رضي اللّٰه عنه- كما رواه عنه[١] أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله (١٢٤) .

وقوله تعالىٰ: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء إن أردن تحصنًا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ الآية ، كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت، فلما جاء الإِسلام نهىٰ اللّٰه المسلمين[٢] عن ذلك .

وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة - فيما ذكره غير واحد من المفسرين من السلف والخلف - في شأن عبد اللّٰه بن أبيّ ابن سلول؛ فإنه كان له إماء فكان يكرههن علىٰ البغاء طلبًا لخراجهن ورغبة في أولادهن ورياسة منه فيما يزعم .

(ذكر الآثار الواردة في ذلك)

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار(١٢٥) -رحمه اللّٰه- في مسنده: حَدَّثَنَا أحمد بن داود الواسطي، حَدَّثَنَا أبو عمرو اللخمي -يعني محمد بن الحجاج- حَدَّثَنَا محمد بن إسحاق، عن الزهري قال: كانت جارية لعبد اللّٰه بن أبي ابن سلول يقال لها: معاذة، يكرهها علىٰ الزنا فلما جاء الإِسلام نزلت: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء﴾ إلى قوله: ﴿فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ .

(١٢٣) ورواه عبد الرزاق في المصنف حديث (١٥٥٨٩) من طريق ابن جريج به . وقال: «قال ابن جريج: وأخبرني غير واحد عن عطاء بن السائب أنه كان يحدث بهذا الحديث، لا يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم» .

(١٢٤) ورواه عبد الرزاق في مصنفه حديث (١٥٥٩٠) من طريق معمر، عن عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي، به .

(١٢٥) «كشف الأستار» حديث (٢٢٤٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٨٣/٧): «فيه محمد ابن الحجاج اللخمي وهو كذاب» .

[١] - سقط من: ز . [٢] - في ت: «المؤمنين» .

وقال الأعمش(١٢٦) : عن أبي سفيان ، عن جابر في هذه الآية : ﴿**ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء**﴾ قال : نزلت في أمة لعبد الله بن أبيّ ابن سلول يقال لها : مسيكة ، كان يكرهها على الفجور وكانت لا بأس بها فتأبى ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء**﴾ إلى قوله : ﴿**ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم**﴾ وروى النسائي من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر نحوه(١٢٧) .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حَدَّثَنَا عمرو بن علي ، حَدَّثَنَا علي بن سعيد ، حَدَّثَنَا الأعمش حدثني أبو سفيان عن جابر قال : كان لعبد الله بن أبيّ ابن سلول جارية يقال لها : مسيكة ، وكان يكرهها على البغاء فأنزل الله : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء** ﴾ إلى قوله : ﴿ **ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** ﴾ .

صرح الأعمش بالسماع من أبي سفيان طلحة بن نافع، فدل على بطلان قول من قال : لم يسمع منه إنما هو صحيفة. حكاه البزار.

و[١]قال أبو داود الطيالسي(١٢٨) : عن سليمان بن معاذ ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن جارية لعبد الله بن أبيّ كانت تزني في الجاهلية فولدت أولادًا من الزنا فقال لها : مالك لا تزنين ؟ قالت : والله لا أزني ؛ فضربها ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنًا** ﴾ .

وقال عبد الرزاق(١٢٩) : أخبرنا معمر، عن الزهري : أن رجلًا من قريش أسر يوم بدر وكان عند[٢] عبد الله بن أبيّ أسيرًا ، وكانت لعبد الله بن أبيّ جارية يقال لها : معاذة ، وكان القرشي الأسير يريدها على نفسها ، وكانت مسلمة ، وكانت تمتنع منه لإسلامها ، وكان عبد الله بن أبيّ يكرهها على ذلك ، ويضربها رجاء أن تحمل [من القرشي][٣] فيطلب فداء ولده. فقال تبارك وتعالى : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنًا** ﴾ .

وقال السدي : أنزلت هذه الآية الكريمة في عبد الله بن أبيّ ابن سلول رأس المنافقين،

---

(١٢٦) رواه الطبري في تفسيره (١٠٣/١٨) من طريق الأعمش به .

(١٢٧) النسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٦٥) من طرق عن ابن جريج عن أبي الزبير به .

(١٢٨) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٨٤/١١) من طريق أبي داود الطيالسي ، به .

(١٢٩) تفسير عبد الرزاق (٥٠/٢) .

---

[١] - سقط من خ ، ت .
[٢] - سقط من : ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « للقرشي » .

وكانت له جارية تدعىٰ معاذة، وكان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه ليواقعها إرادة الثواب منه والكرامة له، فأقبلت الجارية إلىٰ أبي بكر -رضي الله عنه- فشكت إليه ذلك، فذكره أبو بكر للنبي صلىٰ الله عليه وسلم، فأمره بقبضها، فصاح عبد الله بن أبيّ : من يعذرني من محمد ؟ يغلبنا علىٰ مملوكتنا ! فأنزل الله فيهم هذا .

وقال مقاتل بن حيان : بلغنا - والله أعلم - أن هذه الآية نزلت في رجلين كانا يكرهان أمتين لهما، إحداهما اسمها مسيكة وكانت للأنصار، وكانت أميمة أم مسيكة لعبد الله بن أبيّ، وكانت معاذة وأروىٰ بتلك المنزلة فأتت مسيكة وأمها النبي[١] صلىٰ الله عليه وسلم فذكرتا ذلك له، فأنزل الله في ذلك : ﴿ **ولا تكرهوا فتياتكم علىٰ البغاء** ﴾ يعني : الزنا، وقوله : ﴿ **إن أردن تحصنًا** ﴾ هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له .

وقوله : ﴿ **لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** ﴾ أي :من خراجهن[٢] ومهورهن وأولادهن وقد **نهىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، عن كسب الحجام [ومهر البغي وحلوان الكاهن**(١٣٠) .

وفي رواية : « **مهر البغىٰ خبيث وكسب الحجام**][٣] **خبيث، وثمن الكلب خبيث** »(١٣١) .

وقوله : ﴿ **ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** ﴾ [أي : لهن. كما تقدم في الحديث عن جابر.

وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : فإن فعلتم فإن الله لهن غفور رحيم][٤] وإثمهن علىٰ من أكرههن، وكذا قال مجاهد وعطاء الخراساني والأعمش وقتادة .

وقال أبو عبيد : حدثني إسحاق الأزرق، عن عوف، عن الحسن في هذه الآية : ﴿ **فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم** ﴾ قال : لهن والله، لهن والله .

---

(١٣٠) رواه البخاري في البيوع حديث (٢٢٣٧)، ومسلم في المساقاة حديث (١٥٦٧) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه : « أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى عن ثمن الكلب ومهر البغى وحلوان الكاهن »، وأما كسب الحجّام، فروى ابن ماجة في السنن حديث (٢١٦٥) من حديث عقبة بن عمرو : « نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن كسب الحجّام » .

(١٣١) رواه أحمد في مسنده (٤٦٤/٣) من حديث رافع بن خديج، رضي الله عنه .

---

[١] - في خ، ت : « للنبيّ » .
[٢] - في ز : « خرجهن » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ، ز .

وعن الزهري قال: غفور لهن ما أكرهن عليه. وعن زيد بن أسلم قال: غفور رحيم للمكرهات. حكاهن ابن المنذر في تفسيره بأسانيده.

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا أبو زرعة، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن عبد الله، حدثني ابن لهيعة، حدثني عطاء عن سعيد بن جبير قال: في قراءة عبد اللَّه بن مسعود: (فإن اللَّه من بعد إكراههن لهن غفور رحيم وإثمهن علىٰ من أكرههن).

وفي الحديث المرفوع عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال: « **رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** »(١٣٢).

ولما فصل تبارك وتعالىٰ هذه الأحكام وبينها قال: ﴿ **ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات** ﴾. يعني: القرآن في آيات واضحات مفسرات ﴿ **ومثلًا من الذين خلوا من قبلكم** ﴾ أي: خبرًا عن الأمم الماضية وما حل بهم في مخالفتهم [ ][١] أوامر اللَّه تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿ **فجعلناهم سلفًا ومثلًا للآخرين وموعظة** ﴾ أي: زاجرًا عن ارتكاب المآثم والمحارم ﴿ **وموعظة للمتقين** ﴾ أي: لمن اتقىٰ اللَّه وخافه. قال علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه في صفة القرآن: فيه حكم ما بينكم، وخبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغىٰ الهدىٰ في[٢] غيره أضله الله.

﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ **اللَّه نور السمٰوات والأرض** ﴾ يقول: هادي أهل السمٰوات والأرض.

قال[٣] ابن جريج: قال مجاهد وابن عباس في قوله: ﴿ **اللَّه نور السمٰوات**

---

(١٣٢) رواه ابن ماجة في السنن حديث (٢٠٤٣) وقد سبق الكلام عليه في سورة الأعراف.

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: « في ». [٢] - في خ، ت: « من ».

[٣] - سقط من خ، ت.

والأرض ﴾ : يدبر الأمر فيهما نجومهما وشمسهما وقمرهما.

وقال ابن جرير : حَدَّثَنَا سليمان بن عمر بن خالد الرقي، حَدَّثَنَا وهب بن راشد، عن فرقد، عن أنس بن مالك قال: إن اللَّه[١] يقول : نوري هداى[٢] .

واختار هذا القول ابن جرير - رحمه الله - ، وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس عن أبي العالية ، عن أبيّ بن كعب في قول الله تعالىٰ : ﴿ **اللَّه نور السمٰوات والأرض مثل نوره** ﴾ قال هو المؤمن الذي [ ][٣] جعل اللَّه[٤] الإيمان والقرآن في صدره ، فضرب اللَّه مثله فقال : ﴿ **اللَّه نور السمٰوات والأرض** ﴾ فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال : مثل نور من آمن به ، قال : فكان أبيّ بن كعب يقرؤها : (مثل نور من آمن به) فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره .

وهكذا قال سعيد بن جبير وقيس بن سعد، عن ابن عباس أنه قرأها كذلك : (**مثل**[٥] **نور من آمن بالله**) وقرأ بعضهم : (**اللَّه نور السمٰوات والأرض**) .

وعن الضحاك : (**اللَّه نوّر السمٰوات والأرض**) . وقال السدي في قوله : ﴿ **اللَّه نور السمٰوات والأرض** ﴾ فبنوره أضاءت السمٰوات والأرض، وفي الحديث الذي رواه محمد بن إسحاق في السيرة عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، أنه قال في دعائه يوم آذاه أهل الطائف « **أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك**[٦]**، لك العتبىٰ حتىٰ ترضىٰ ولا حول ولا قوة إلا بالله** »(١٣٣) .

وفي الصحيحين(١٣٤) عن ابن عباس: كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم إذا قام من الليل يقول : « **اللهم لك الحمد ، أنت قيوم**[٧] **السموات والأرض ومن فيهن [ولك الحمد]**[٨] **أنت نور السموات والأرض ومن فيهن** » . الحديث .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنّه[٩] قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار ، نور

(١٣٣) السيرة النبوية (١/٤٢٠) .

(١٣٤) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ح (١١٢٠) ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ح (٧٦٩) .

[١] - في ز : « إلاهي » .
[٢] - في خ ، ت : « هدى » .
[٣] - سقط من خ ، ت .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « سخط » .
[٧] - في ز : « قيّم » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٩] - سقط من : ت .

العرش من نور وجهه .

وقوله : ﴿ **مثل نوره** ﴾ في هذا الضمير قولان ؛ (أحدهما) أنه عائد إلىٰ اللَّه - عز وجل - أي :مثل هداه في قلب المؤمن قاله[١] ابن عباس - كمشكاة .

(والثاني) أن الضمير عائد إلىٰ المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام ، تقديره : مثل نور المؤمن الذي في قلبه كمشكاة ، فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدىٰ وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أفمن كان علىٰ بينة من ربه ويتلوه شاهد منه** ﴾ فشبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري وما يستهديه[٢] من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل الذي لا كدر فيه ولا انحراف .

فقوله[٣] : ﴿ **كمشكاة** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغير واحد : هو موضع الفتيلة من القنديل . هذا هو المشهور؛ ولهذا قال بعده : ﴿ **فيها مصباح** ﴾ وهو الذبالة[٤] التي تضيء .

وقال العوفي عن ابن عباس في[٥] قوله : ﴿ **اللَّه نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح** ﴾ وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم : كيف يخلص نور اللَّه من دون السماء ؟ فضرب اللَّه [مثلًا][٦] لنوره فقال : ﴿ **اللَّه نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة** ﴾ والمشكاة كوة في البيت ، قال : وهو مثل ضربه اللَّه لطاعته، فسمى الله طاعته نورًا ، ثم سماها أنواعًا شتىٰ .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : الكوة بلغة الحبشة ، وزاد غيره فقال : المشكاة الكوة التي لا منفذ لها . وعن مجاهد : المشكاة الحدائد التي يعلق بها القنديل .

والقول الأول أولىٰ : وهو أن المشكاة هي موضع الفتيلة من القنديل؛ ولهذا قال ﴿ **فيها مصباح** ﴾ وهو النور الذي في الذبالة[٧] .

قال أبيّ بن كعب : المصباح النور وهو القرآن والإيمان الذي في صدره .

وقال السدي : هو السراج .

---

[١] - في خ ، ت : « قال » .

[٢] - في ز : « يستمد به » .

[٣] - في ز : « بقوله » .

[٤] - في خ ، ت : « الزبالة » .

[٥] - سقط من : ت .

[٦] - في خ ، ت : « مثل ذلك » .

[٧] - في خ ، ت : « الزبالة » .

﴿ **المصباح في زجاجة** ﴾ أي :هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية . وقال أبيّ بن كعب وغير واحد : وهي نظير قلب المؤمن .

﴿ **الزجاجة كأنها كوكب درى** ﴾ قرأ بعضهم بضم الدال [بغير همز][١] من الدر، أي :كأنها كوكب من درّ . وقرأ آخرون دِرِّيءٌ ودُرِّيءٌ ، بكسر الدال وضمها مع الهمز[٢] من الدرء وهو الدفع ، وذلك أن النجم إذا رمي به يكون أشد استنارة من سائر الأحوال ، والعرب تسمي ما لا يعرف من الكواكب دراري .

قال أبيّ بن كعب : كوكب مضيء . وقال قتادة : مضيء مبين ضخم ﴿ **يوقد من شجرة مباركة** ﴾ أي :يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة ﴿ **زيتونة** ﴾ بدل أو عطف بيان ﴿ **لا شرقية ولا غربية** ﴾ أي :ليست في شرقيّ بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار، ولا في [غربيها ، فيتقلص][٣] عنها الفيء قبل الغروب ، بل هي في مكان وسط تفرعه الشمس من أول النهار إلى آخره ، فيجيء زيتها صافيًا معتدلًا مشرقًا .

وقال[٤] ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا محمد بن عمار ، قال : حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد ، أخبرنا عمرو بن أبي قيس ، عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال : هي[٥] شجرة بالصحراء لا يظلها شجر ولا جبل ولا كهف ولا يواريها شيء ، و[٦]هو أجود لزيتها .

وقال يحيى بن سعيد القطان ، عن عمران بن حدير ، عن عكرمة في قوله : ﴿ **لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال : هي بصحراء و[٧] ذلك أصفى لزيتها .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا أبو نعيم ، حَدَّثَنَا عمرو بن فروخ ، عن حبيب بن الزبير عن عكرمة وسأله[٨] رجل عن قوله تعالى : ﴿ **زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال : تلك زيتونة[٩] بأرض فلاة إذا أشرقت الشمس أشرقت عليها ، وإذا[١٠] غربت غربت عليها فذاك[١١] أصفى ما يكون من الزيت .

---

[١] – ما بين المعكوفتين في خ ، ت : « من غير همزة » .

[٢] – في خ ، ت : « الهمزة » .

[٣] – ما بين المعكوفتين في ز : « غربها فيقلص» .

[٤] – في ز : « قال » .

[٥] – سقط من : خ .

[٦] – سقط من ز .

[٧] – سقط من خ ، ت .

[٨] – في ز : « سأله » .

[٩] – سقط من : خ ، ز .

[١٠] – في خ ، ت : « فإذا » .

[١١] – في خ ، ت : « فذلك » .

وقال مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿ **زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال: ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا طلعت[١] ولا غربية لا تصيبها الشمس [ ][٢] إذا غربت [ولكنها شرقية وغربية تصيبها إذا طلعت وإذا غربت][٣] .

وقال سعيد بن جبير في قوله : ﴿ **زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء** ﴾ قال : هو أجود الزيت . قال : إذا طلعت الشمس أصابتها من صوب المشرق ، فإذا أخذت في الغروب أصابتها الشمس ، فالشمس تصيبها بالغداة والعشي ، فتلك لا تعد شرقية ولا غربية .

وقال السدّي قوله : ﴿ **زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾ يقول : ليست بشرقية يحوزها المشرق ولا غربية يحوزها المغرب دون المشرق ، ولكنها علىٰ رأس جبل أو في صحراء تصيبها الشمس النهار كله .

وقيل : المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ **زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾ أنها في وسط الشجر و[٤]ليست بادية للمشرق ولا للمغرب .

و[٥]قال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبيّ بن كعب ، في قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال : هي[٦] خضراء ناعمة لا تصيبها الشمس علىٰ أي حال كانت ، لا إذا طلعت ولا إذا غربت . قال : فكذلك هذا المؤمن قد أجير من أن يصله[٧] شيء من الفتن وقد ابتلى[٨] بها فيثبته اللَّه فيها ، فهو بين أربع خلال ؛ إن قال صدق ، وإن حكم عدل ، وإن ابتلي صبر ، وإن أُعطي شكر ، فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات .

قال[٩] ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا علي بن الحسين ، حَدَّثَنَا مسدد قال : حَدَّثَنَا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد[١٠] بن جبير في قوله : ﴿ **زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال : هي وسط الشجر لا تصيبها الشمس شرقًا ولا غربًا .

وقال عطية العوفي : ﴿ **لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال : هي شجرة في موضع من الشجر يرىٰ ظل ثمرها في ورقها وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تغرب .

---

[١] - في ز : « غربت » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « إذا طلعت و » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من خ ، ت .
[٥] - سقط من : ز .
[٦] - في ز : « فهي » .
[٧] - في خ ، ت : « يصيبه » .
[٨] - في خ ، ت : « ابتلي » .
[٩] - في ز : « وقال » .
[١٠] - في خ ، ز : « عبد » .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا محمد بن عمار ، حَدَّثَنَا عبد الرحمن الدشتكي ، حَدَّثَنَا عمرو ابن أبي قيس ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - في قوله تعالىٰ : ﴿ **لا شرقية ولا غربية** ﴾ ليست شرقية ليس فيها غرب ، ولا غربية ليس فيها شرق ولكنها شرقية غربية .

وقال محمد بن كعب القرظي : ﴿ **لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال : هي القبلية .

وقال زيد بن أسلم : ﴿ **لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال : الشام .

وقال الحسن البصري : لو كانت هذه الشجرة في الأرض لكانت شرقية أو غربية ، ولكنه مثل ضربه اللَّه لنوره .

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : ﴿ **توقد من شجرة مباركة** ﴾ قال : رجل صالح ﴿ **زيتونة لا شرقية ولا غربية** ﴾ قال : لا يهودي ولا نصراني .

وأولىٰ هذه الأقوال القول الأول وهو : أنها في مستوىٰ من الأرض في مكان فسيح بارز[١] ظاهر ضاح للشمس ، تقرعه من أول النهار إلىٰ آخره ؛ ليكون ذلك أصفى لزيتها وألطف كما قاله[٢] غير واحد ممن تقدم ؛ ولهذا قال ﴿ **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** ﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يعني كضوء إشراق الزيت .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **نور علىٰ نور** ﴾ قال العوفي ، عن ابن عباس : يعني بذلك إيمان العبد وعمله .

وقال[٣] مجاهد والسدي يعني : نور النار ونور الزيت . وقال أبيّ بن كعب : ﴿ **نور علىٰ نور** ﴾ فهو يتقلب في خمسة من النور ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلىٰ النور يوم القيامة إلىٰ الجنة .

وقال شمر بن عطية : جاء ابن عباس إلىٰ كعب الأحبار ، فقال : حدثني عن قول اللَّه تعالىٰ : ﴿ **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** ﴾ قال : يكاد محمد صلىٰ اللَّه عليه وسلم يبين للناس وإن لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت أن[٤] يضيء .

وقال السدي في قوله : ﴿ **نور علىٰ نور** ﴾ قال : نور النار ونور الزيت حين اجتمعا أضاءا ، ولا يضيء واحد بغير صاحبه [كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه][٥] .

---

[١] - في خ ، ت : « باد » .

[٢] - في خ ، ت : « قال » .

[٣] - بياض في ز .

[٤] - في ز : « أنه » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يهدي اللَّه لنوره من يشاء** ﴾ أي : يرشد[١] اللَّه إلىٰ هدايته من يختاره ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد(١٣٥) :

حَدَّثَنَا معاوية بن عمرو ، حَدَّثَنَا إبراهيم بن محمد الفزاري ، حَدَّثَنَا الأوزاعي ، حدثني ربيعة ابن يزيد[٢] ، عن عبد اللَّه الديلمي[٣] ، عن عبد اللَّه بن عمرو ، سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « إن اللَّه تعالىٰ خلق خلقه في ظلمة ، ثم ألقىٰ عليهم من نوره يومئذ فمن أصابه[٤] من نوره يومئذ ، اهتدىٰ ، ومن أخطأه ضل ؛ فلذلك[٥] أقول : جف القلم علىٰ علم اللَّه عز وجل » .

(طريق أخرىٰ عنه) قال البزار(١٣٦) : حَدَّثَنَا أيوب بن[٦] سويد ، عن يحيىٰ بن أبي عمرو[٧] الشيباني ، عن أبيه ، عن عبد اللَّه بن عمرو سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إن اللَّه خلق خلقه في ظلمة فألقىٰ عليهم نورًا من نوره ، فمن أصابه من ذلك النور اهتدىٰ ومن أخطأه ضل** » . [ورواه البزار ، عن عبد اللَّه بن عمرو من طريق آخر بلفظه وحروفه][٨] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويضرب اللَّه الأمثال للناس واللَّه بكل شيء عليم** ﴾ لما ذكر تعالىٰ هذا مثلًا لنور هداه في قلب المؤمن ختم الآية بقوله : ﴿ **ويضرب اللَّه الأمثال للناس واللَّه بكل شيء عليم** ﴾ أي :هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإِضلال .

قال الإِمام أحمد(١٣٧) : حَدَّثَنَا أبو النضر ، حَدَّثَنَا أبو معاوية - يعني[٩] شيبان - عن ليث ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول اللَّه

---

(١٣٥) المسند (٢/١٧٦) .

(١٣٦) مسند البزار حديث (٢١٤٥) « كشف الأستار » ، ورواه أحمد في مسنده (٢/١٩٧) من طريق محمد بن مهاجر عن عروة بن رويم عن ابن الديلمي عن عبد الله بن عمرو ، به .

(١٣٧) المسند (٣/١٧) (١١١٤٣) . وإسناده ضعف لعلتين : الأولى : الإرسال ؛ فإن أبا البختري لم يسمع من أبي سعيد ، قاله أبو داود ، عقب إخراج حديث له عن أبي سعيد - كتاب الزكاة ، باب : ما تجب فيه الزكاة ، حديث ١٥٥٩ - : « وأبو البختري لم يسمع من أبي سعيد » . ونقله عنه ابن حجر في التهذيب .

---

[١] - في ز : « يرسل » .

[٢] - في خ ، ز : « زيد » .

[٣] - في ز : « الديلي » .

[٤] - في خ : « أصاب » .

[٥] - في ز : « فكذلك » .

[٦] - في ز : « عن » .

[٧] - في ز : « كثير » .

[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٩] - في ز : « ثنا » .

صلى الله عليه وسلم: «**القلوب أربعة: قلب أجرد(*) فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف(**) مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح(***)، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن[١] سراجه فيه نوره. وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق[٢]؛ عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح: فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح. فأي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه**». إسناده[٣] جيد ولم يخرجوه.

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

= وأبو البختري، اسمه سعيد بن فيروز بن أبي عمران الطائي الكوفي.

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه - في المراسيل -: لم يدرك أبا ذر، ولا أبا سعيد. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: سعيد بن فيروز، ويقال: سعيد بن عمران، وقيل غير ذلك، وقال ابن سعد: كان كثير الحديث، يرسل حديثه، ويروي عن الصحابة، ولم يسمع من كثير أحد، فما كان من حديثه سماعاً فهو حسن، وما كان غيره فهو ضعيف. وقال عنه في التقريب: ثقة ثبت، فيه تشيع قليل، كثير الإرسال.

والعلة الثانية: هي أنه من طريق ليث وهو ابن أبي سليم، واسم أبيه أيمن، وقيل: أنس، وقيل غير ذلك، وهو صدوق اختلط جدًّا، ولم يتميز حديثه، فتُرك، قاله ابن حجر. وقال الذهبي: فيه ضعف يسير من سوء حفظه، كان ذا صلاة وصيام، وعلمٍ كثير، وبعضهم احتج به. روى له مسلم مقروناً.

وأما عمرو بن مرة، فهو ثقة.

والحديث أخرجه الطبراني في الصغير (١٠٩/٢ - ١١٠) وأبو نعيم في الحلية (٣٨٥/٤). وقال أبو نعيم: وقد رواه جرير، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن حذيفة مرسلاً.

والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٣/١) وقال: رواه أحمد والطبراني في الصغير، وفي إسناده ليث بن أبي سليم.

(*) أجرد؛ أي: ليس فيه غِلٌّ ولا غشٌّ، فهو على أصل الفطرة، فنور الإيمان فيه يُزهر. نهاية [٢٥٦/١]

(**) أغلف؛ أي: عليه غشاء عن سماع الحق وقبوله. نهاية [٣٧٩/٣]

(***) مُصفح: المُصْفَح: الذي له وجهان يلقى أهل الكفر بوجه وأهلَ الإيمان بوجه. وصَفْحُ كل شيء: وجهه وناحيتُه. نهاية [٣٤/٣]

[١] - بعده في خ، ت: من.

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - في ز: «إسناد».

لما ضرب اللَّه تعالىٰ مثل[١] قلب المؤمن وما فيه من الهدىٰ والعلم بالمصباح في الزجاجة الصافية المتوقد من زيت طيب وذلك كالقنديل؛ ذكر محلها وهي المساجد التي هي أحب البقاع إلىٰ اللَّه تعالىٰ من الأرض، وهي بيوته التي يعبد فيها ويوحد، فقال: ﴿ **في بيوت أذن اللَّه أن ترفع** ﴾ أي :أمر اللَّه تعالىٰ برفعها أي: بتطهيرها من الدنس واللغو والأقوال والأفعال التي لا تليق فيها، كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية الكريمة. ﴿ **في بيوت أذن اللَّه أن ترفع** ﴾ قال: نهىٰ اللَّه سبحانه عن اللغو فيها.

وكذا قال عكرمة وأبو صالح والضحاك ونافع بن جبير وأبو بكر بن سليمان بن أبي حثمة[٢]، وسفيان بن حسين وغيرهم من علماء المفسرين.

وقال قتادة: هي هذه المساجد، أمر اللَّه سبحانه وتعالىٰ ببنائها [ورفعها وأمر بعمارتها][٣] وتطهيرها، وقد ذكر لنا أن كعبًا كان يقول: [إن في التوراة مكتوبًا][٤]: ألا إن بيوتي في الأرض المساجد، وإنه من توضأ فأحسن وضوءه، ثم زارني في بيتي، أكرمته وحقٌّ علىٰ المزور كرامة الزائر. رواه عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره.

وقد وردت أحاديث كثيرة في بناء المساجد واحترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها، وذلك له محل مفرد يذكر فيه، وقد كتبت في ذلك جزءًا علىٰ حدة ولله الحمد والمنة. ونحن بعون اللَّه تعالىٰ نذكر هٰهنا طرفًا من ذلك إن شاء اللَّه تعالىٰ وبه الثقة وعليه التكلان.

فعن أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي اللَّه عنه - قال: سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول: « **من بنىٰ مسجدًا يبتغي به وجه اللَّه بنىٰ اللَّه له مثله في الجنة** » أخرجاه في الصحيحين(١٣٨).

وروىٰ ابن ماجة عن عمر بن الخطاب(١٣٩) - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم: « **من بنىٰ مسجدًا يذكر فيه اسم اللَّه بنىٰ اللَّه له بيتًا في الجنة** »

---

(١٣٨) صحيح البخاري، كتاب الصلاة حديث (٤٥٠)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٥٣٣).

(١٣٩) سنن ابن ماجة، كتاب المساجد والجماعات حديث (٧٣٥) من طريق الوليد بن أبي الوليد عن عثمان ابن عبد الله عن عمر. وقال البوصيري في الزوائد (١/٢٦٠): « هذا إسناد مرسل، عثمان بن عبد الله بن سراقة روى عن عمر وهو جده لأمه، ولم يسمع منه. قاله المزي ». ورواه بان حبان في صحيحه.

---

[١] - سقط من: ز.
[٢] - في خ، ز: « خيثمة ».

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ، ت: « وعمارتها ورفعها ».

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ، ت: « مكتوب في التوراة ».

[وللنسائي(١٤٠) عن عمرو بن عبسة[١] مثله، والأحاديث في هذا كثيرة جدًّا][٢] .

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: أمر[٣] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب . رواه أحمد وأهل السنن إلا النسائي(١٤١) ، ولأحمد وأبي داود عن سمرة بن جندب نحوه(١٤٢) .

وقال البخاري(١٤٣) : قال عمر : ابن للناس ما يكنهم ، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن[٤] الناس . وروىٰ ابن ماجة(١٤٤) [عنه][٥] قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **ما ساء عمل قوم قط[٦] إلا زخرفوا مساجدهم** » . وفي إسناده ضعف .

وروىٰ أبو داود(١٤٥) ، عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **ما أمرت بتشييد المساجد** » قال ابن عباس: لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارىٰ .

وعن أنس(١٤٦) -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **لا تقوم الساعة حتىٰ يتباهىٰ الناس في المساجد** » . رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذي.

وعن بريدة(١٤٧) : أن رجلًا أنشد في المسجد، فقال: من دعا إلىٰ الجمل الأحمر؛ فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم: « **لا وجدت إنما بنيت المساجد لما بنيت له** » . رواه مسلم.

---

(١٤٠) سنن النسائي (٣١/٢) .

(١٤١) المسند (٢٧٩/٦) ، وسنن أبي داود حديث (٤٥٥) ، وسنن الترمذي حديث (٥٩٤) ، وسنن ابن ماجه حديث (٧٥٩) .

(١٤٢) المسند (١٧/٥) ، وسنن أبي داود حديث (٤٥٦) .

(١٤٣) صحيح البخاري (٥٣٩/١) « فتح » .

(١٤٤) سنن ابن ماجة حديث (٧٤١) من طريق جبارة بن المغلس عن عبد الكريم بن عبد الرحمن عن عمرو ابن ميمون عن عمر بن الخطاب ، به . قال البوصيري في الزوائد (٢٦٢/١) : « هذا إسناد فيه جبارة بن المغلس وقد اتهم » .

(١٤٥) سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، باب : بناء المساجد حديث (٤٤٨) .

(١٤٦) المسند (١٣٤/٣) ، وسنن أبي داود حديث (٤٤٩) ، سنن النسائي (٣٢/٢) ، وسنن ابن ماجة حديث (٧٣٩) .

(١٤٧) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٥٦٩) .

---

[١] - في ز : « عنبسة » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ت : « أمرنا » .
[٤] - في ز : « فتعين » .
[٥] - سقط من خ ، ت .
[٦] - سقط من : خ .

وعن عمرو بن شعيب(١٤٨) ، عن أبيه ، عن جده قال : نهىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، عن البيع والابتياع ، وعن تناشد الأشعار في المساجد . رواه أحمد وأهل السنن ، وقال الترمذي : حسن .

وعن أبي هريرة(١٤٩) - رضي اللَّه عنه - أن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : « **إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا : لا أربح اللَّه تجارتك ، وإذا رأيتم من ينشد ضالة**[١] **فقولوا : لا رد اللَّه عليك !** » . رواه الترمذي وقال : حسن غريب .

وقد روىٰ ابن ماجة(١٥٠) وغيره من حديث ابن عمر مرفوعًا قال : « **خصال لا تنبغي**[٢] **في المسجد : لا يتخذ طريقًا ، ولا يشهر فيه سلاح**[٣] **، ولا ينبض فيه بقوس ، ولا ينثر**[٤] **فيه نبل ، ولا يمر فيه بلحم نيء ، ولا يضرب فيه حد ، ولا [يقتص فيه من]**[٥] **أحد ، ولا يتخذ سوقًا** » .

وعن واثلة بن الأسقع(١٥١) ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [أنه][٦] قال : « **جنبوا مساجدكم صبيانكم ، ومجانينكم ، وشراءكم وبيعكم ، وخصوماتكم ، ورفع أصواتكم ، وإقامة حدودكم ، وسل سيوفكم ، واتخذوا علىٰ أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع** » . ورواه ابن ماجة أيضًا وفي إسنادهما ضعف .

أما أنه لا يتخذ طريقًا فقد كره بعض العلماء المرور فيه إلا لحاجة إذا وجد مندوحة عنه ، وفي الأثر : إن الملائكة لتتعجب من الرجل يمر بالمسجد[٧] لا يصلي فيه !

---

(١٤٨) المسند (١٧٩/٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب الصلاة حديث (١٠٧٩) ، وسنن الترمذي ، كتبا الصلاة حديث (٣٢٢) ، وسنن النسائي ، كتاب المساجد (٤٧/٢) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب المساجد والجماعات حديث (٧٤٩) .

(١٤٩) سنن الترمذي ، كتاب البيوع ، باب : النهي عن البيع في المسجد حديث (١٣٢١) .

(١٥٠) سنن ابن ماجة ، كتاب المساجد والجماعات ، باب : ما يكره في المساجد حديث (٧٤٨) ، وقال البوصيري في الزوائد (٢٦٤/١) : « هذا إسناد فيه زيد بن جبيرة . قال ابن عبد البر : أجمعوا على أنه ضعيف » .

(١٥١) سنن ابن ماجه ، كتاب المساجد والجماعات حديث (٧٥٠) ، وقال البوصيري في الزوائد (٢٦٥/١) : « هذا إسناد ضعيف ، أبو سعيد هو محمد بن سعيد المصلوب ، قال أحمد : عمدًا كان يضع الحديث =

---

[١] - بعده في ت : في المسجد .
[٢] - في ز : « تبتغي » .
[٣] - في ز : « بسلاح » .
[٤] - في ز : « ينتشر » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « يقص في » .
[٦] - سقط من خ ، ت .
[٧] - في ز : « في المسجد » .

وأما أنه لا يشهر فيه بسلاح ولا ينبض فيه بقوس ولا ينثر فيه نبل؛ فلما يخشىٰ من إصابة بعض الناس به لكثرة المصلين فيه، ولهذا أمر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: إذا مر أحد[١] بسهام أن يقبض علىٰ نصالها لئلا يؤذي أحدًا. كما ثبت ذلك[٢] في الصحيح(١٥٢)

وأما النهي عن المرور باللحم النيئ فيه، فلما يخشىٰ من تقاطر[٣] الدم منه، كما نهيت الحائض عن المرور فيه إذا خافت التلويث.

وأما أنه لا يضرب فيه حد [أو يقتص][٤] فلما يخشىٰ من إيجاد النجاسة[٥] فيه من المضروب أو المقطوع.

وأما أنه لا يتخذ سوقًا؛ فلما تقدم من النهي عن البيع والشراء فيه، فإنه إنما بني لذكر اللّٰه والصلاة فيه[٦] كما قال النبي[٧] عليه الصلاة والسلام لذلك الأعرابي الذي بال في طائفة المسجد: « **إن المساجد لم تبن لهذا؛ إنما بنيت لذكر اللّٰه والصلاة فيها**[٨] »(١٥٣).

ثم أمر بسجل من ماء فأهريق علىٰ بوله. وفي الحديث الثاني: « **جنبوا مساجدكم صبيانكم** ». وذلك لأنهم يلعبون فيه ولا يناسبهم. وقد كان عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - إذا رأىٰ صبيانًا يلعبون في المسجد ضربهم بالمخفقة - وهي الدرة - وكان يعس المسجد بعد العشاء فلا يترك فيه أحدًا « **ومجانينكم** » يعني لأجل ضعف عقولهم وسخر الناس بهم فيؤدي إلىٰ اللعب فيها ولما يخشىٰ من تقذيرهم [][٩] المسجد ونحو ذلك « **وبيعكم وشراءكم** » كما تقدم.

= ثم قال: والحارث بن نبهان متفق على ضعفه ». وعتبة بن يقظان: ضعيف.

(١٥٢) رواه مسلم في البر والصلة والآداب حديث (٢٦١٥) من حديث أبي موسى الأشعري.

(١٥٣) حديث الأعرابي الذي بال في المسجد أصله عند البخاري (٢٢٠، ٦٠١٠، ٦١٢٨)، ومسلم (٢٨٤)، وابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها حديث (٥٢٩) وليس فيه: «أن المساجد لم تبن لهذا» وإنما هذه اللفظة وردت في حديث من ينشد الضالة في المسجد رواه مسلم في، في المساجد ومواضع الصلاة حديث (٥٦٨).

---

[١] - في ت: « رجل ».

[٢] - سقط من: ز.

[٣] - في خ، ز: « تطاير ».

[٤] - ما بين المعكوفتين في خ، ت: « ولا يقتص منه ».

[٥] - في ز: « نجاسة ».

[٦] - سقط من: خ، ز.

[٧] - سقط من: ز.

[٨] - سقط من: خ، ز.

[٩] - ما بين المعكوفتين في ز: « في ».

« وخصوماتكم » يعني : التحاكم والحكم فيه ، ولهذا نص كثير من العلماء علىٰ أن الحاكم لا ينتصب لفصل الأقضية في المسجد بل يكون في موضع غيره ؛ لما فيه من كثرة الحكومات والتشاجر والعياط الذى لا يناسبه ؛ ولهذا قال بعده : « **ورفع أصواتكم** » .

وقال البخاري(١٥٤) : حَدَّثَنَا علي بن عبد اللَّه ، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن سعيد ، حَدَّثَنَا الجعيد[١] بن عبد الرحمن [قال : حدثني][٢] يزيد بن خصيفة[٣] ، عن السائب بن يزيد الكندي قال : كنت قائمًا في المسجد فحصبني رجل ، فنظرت ، فإذا عمر بن الخطاب ؛ فقال : اذهب فأتني بهذين ، فجئته بهما فقال : من أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف . قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما[٤] في مسجد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم !!

وقال النسائي(١٥٥) : حَدَّثَنَا سويد بن نصر ، عن عبد اللَّه بن المبارك ، عن شعبة ، عن سعد بن إبراهيم ، عن أبيه إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ؛ قال : سمع عمر صوت رجل في المسجد ، فقال : أتدري أين أنت ؟ وهذا أيضًا صحيح .

وقوله : « وإقامة حدودكم وسل سيوفكم » تقدما .

وقوله : « واتخذوا علىٰ أبوابها المطاهر » يعني : المراحيض التي يستعان بها علىٰ الوضوء وقضاء الحاجة . وقد كانت قريبًا من مسجد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم آبار يستقون منها فيشربون ، ويتطهرون ويتوضئون وغير ذلك .

وقوله : « وجمروها في الجمع » يعني : بخروها في أيام الجمع لكثرة اجتماع الناس يومئذ .

وقد قال الحافظ أبو يعلى الموصلي(١٥٦) : حَدَّثَنَا عبيد اللَّه ، حَدَّثَنَا عبد الرحمن بن مهدي ، عن عبد اللَّه بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن عمر كان يجمر مسجد رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كل جمعة . إسناده حسن لا بأس به واللَّه أعلم .

---

(١٥٤) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب : رفع الصوت في المسجد حديث (٤٧٠) .
(١٥٥) ذكره المزي في تحفة الأشراف (٤/٨) وعزاه للنسائي في السنن الكبرى في المواعظ .
(١٥٦) مسند أبي يعلى (١/١٧٠) .

---

[١] - في خ ، ت : « الجعد » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز : « بن » .
[٣] - في ت : « حفصة » .
[٤] - في ز : « أصواتكم » .

وقد ثبت في الصحيحين(١٥٧) : عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، أنه[١] قال: « صلاة الرجل في الجماعة تضعف علىٰ صلاته في بيته وفي سوقه خمسًا وعشرين ضعفًا؛ وذلك أنه إذا[٢] توضأ فأحسن الوضوء[٣]، ثم خرج إلىٰ المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة، إلا رفع له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه[٤] ما دام في مصلاه: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه. ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة ».

وعند الدارقطني مرفوعًا: « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد »(١٥٨)، وفي السنن: « **بشر المشائين إلىٰ المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة** »(١٥٩).

ويستحب لمن دخل المسجد: أن يبدأ برجله اليمنىٰ وأن يقول - كما ثبت في صحيح البخاري، عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: أنه كان إذا دخل المسجد؛ قال -: « **أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم قال: [أقط؟ قال: نعم. قال][٥]: فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حفظ مني سائر اليوم** »(١٦٠).

(١٥٧) صحيح البخاري، كتاب الأذان حديث (٦٤٧)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٤٩) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(١٥٨) سنن الدارقطني (١/ ٤٢٠) من طريق سليمان بن داود اليمامي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا، به.
وقد رواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢٤٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٥٧) من طريق سليمان بن داود، به. وسليمان بن داود مجمع على تضعيفه. ومن حديث جابر، رواه الدارقطني أيضًا في السنن (١/ ٤٢٠) من طريق محمد بن مسكين عن عبد الله بن بكير عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعًا، به. وقال أبو الطيب في التعليق: « فيه محمد بن مسكين، قال الذهبي: لا يعرف وخبره منكر. وقال البخاري: في إسناد حديثه نظر ».

(١٥٩) رواه أبو داود في الصلاة حديث (٥٦١)، والترمذي في الصلاة حديث (٢٢٣) من حديث بريدة بن الخصيب، رضي الله عنه، وقال الترمذي: « هذا حديث غريب من هذا الوجه مرفوع، وهو صحيح مسند وموقوف إلى أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يسند إلى النبي - صلى الله عليه وسلم ».

(١٦٠) لم أجده في صحيح البخاري، وقد ذكره المزي في تحفة الأشراف وابن الأثير في جامع الأصول ولم يعزواه إلا لأبي داود، كتاب الصلاة حديث (٤٦٦).

[١] - سقط من خ، ت.
[٢] - سقط من: خ، ز.
[٣] - في ز: « وضوءه ».
[٤] - سقط من: خ، ز.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

وروىٰ مسلم بسنده عن أبي حميد - أو أبي أسيد - قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك . وإذا خرج فليقل : اللهم [إني أسألك من][١] فضلك »(١٦١) .

ورواه النسائي عنهما عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم .

وعن أبي هريرة(١٦٢) -رضي اللَّه عنه- قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إذا دخل أحدكم المسجد، فليسلم علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج، فليسلم علىٰ النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم وليقل : اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم** » .

ورواه ابن ماجة ، وابن خزيمة ، وابن حبان في صحيحيهما .

وقال الإمام أحمد(١٦٣) : حَدَّثَنا إسماعيل بن إبراهيم ، حَدَّثَنا ليث بن أبي سليم ، عن [عبد اللَّه بن حسن][٢] عن أمه فاطمة بنت حسين ، عن جدتها فاطمة بنت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قالت : كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، إذا دخل المسجد صلىٰ على محمد وسلم ، ثم قال : « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك » وإذا خرج صلىٰ على محمد وسلم ، ثم قال : « اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك » .

ورواه الترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وإسناده ليس بمتصل ؛ لأن فاطمة بنت الحسين الصغرىٰ لم تدرك فاطمة[٣] الكبرىٰ .

فهذا الذي ذكرناه - مع ما تركناه من الأحاديث الواردة في ذلك [حال الطول][٤] -

---

(١٦١) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث (٧١٣) ، وأبو داود كتاب الصلاة (٤٦٥) وسنن النسائي ، كتاب المساجد (٢/٥٣) . وابن ماجه في المساجد (٧٧٢)

(١٦٢) سنن ابن ماجة ، كتاب المساجد حديث (٧٧٣) ، وصحيح ابن خزيمة حديث (٤٥٢) ، وصحيح ابن حبان حديث (٢٠٤٨) « الإحسان » كلهم من طريق أبي بكر الحنفي عن الضحاك بن عثمان عن المقبري عن أبي هريرة ، به . وقال البوصيري في الزوائد (١/٩٧) : « هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات » .

(١٦٣) المسند (٦/٢٨٢) ، وسنن الترمذي حديث (٣١٤) ، وسنن ابن ماجة حديث (٧٧١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « افتح لي أبواب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في خ : « عبد الرحمن بن حسين » ، وفي ز : « عبد الله بن حسين » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « لحال القول » .

كله داخل في قوله تعالىٰ : ﴿ في بيوت أذن اللّه أن ترفع ﴾ .

وقوله : ﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ [أي :اسم اللّه][١] كقوله : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ وقوله : ﴿ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ﴾ وقوله : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ويذكر فيها اسمه ﴾ قال ابن عباس يعني : يتلىٰ فيما[٢] كتابه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ أي :في البكرات والعشيات . والآصال جمع أصيل وهو آخر النهار .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كل تسبيح في القرآن هو الصلاة .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني بالغدوّ: صلاة الغداة ، ويعني بالآصال : صلاة العصر ، وهما أول ما افترض اللّه من الصلاة ؛ فأحب أن يذكرهما ، وأن يُذكِّر بهما عباده .

وكذا قال الحسن والضحاك : ﴿ يسبح له فيها بالغدو والآصال ﴾ يعني : الصلاة ، ومن قرأ من القراء (يُسَبَّحُ له فيها بالغدو والآصال)(*) بفتح الباء من (يسبح) علىٰ أنه مبنى لما لم يسم فاعله ، وقف علىٰ قوله ﴿ والآصال ﴾ وقفًا تامًا ، وابتدأ بقوله : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله ﴾ وكأنه مفسر للفاعل المحذوف كما قال الشاعر :

لِـيُـبْـكَ يـزيـدُ ضـارعٌ لخصـومـة ومختبطٌ[٣] مما تطيح الطوائح(١٦٤)

كأنه قال : من يبكيه؟ قال : هذا يبكيه ، وكأنه قيل : من يسبح له فيها ؟ قال: رجال .

وأما علىٰ قراءة من قرأ ﴿ يسبح ﴾ بكسر الباء(**) ، فجعله فعلًا وفاعله ﴿ رجال ﴾ فلا يحسن الوقف إلا علىٰ الفاعل لأنه تمام الكلام ، فقوله تعالىٰ: ﴿ رجال ﴾ فيه إشعار بهممهم السامية ونياتهم وعزائمهم العالية ، التي بها صاروا عُمّارًا للمساجد التي هي بيوت

(*) وهي قراءة ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر . (السبعة في القراءات ص (٤٥٦) .

(١٦٤) نسبه سيبويه للحارث بن نهيك (١٤٥/١) ، ونسبه الأعلم للبيد . وقال البغدادي في الخزانة (١/ ١٥٠) هذا البيت لنهشل بن حري على ما في شرح أبيات الكتاب لابن خلف .

(**) وهي قراءة ابن كثير ونافع ، وأبي عمرو وحمزة ، والكسائي ، وحفص عن عاصم . السبعة ص (٤٥٦)

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « فيها » . [٣] - في ز : « مخطبط » .

الله في أرضه ، ومواطن عبادته وشكره وتوحيده وتنزيهه ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾ .

وأما النساء ، فصلاتهن في بيوتهن أفضل لهن ؛ لما رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها** »(١٦٥) .

وقال الإمام أحمد(١٦٦) : حَدَّثَنَا يحيىٰ بن غيلان ، حَدَّثَنَا رشدين ، حدثني عمرو ، عن أبي السمح ، عن السائب مولىٰ أم سلمة ، عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « **خير مساجد النساء قعر بيوتهن** » .

وقال الإمام[١] أحمد أيضًا(١٦٧) : حَدَّثَنَا هارون أخبرني عبد الله بن وهب ، حَدَّثَنَا داود ابن قيس ، عن عبد الله بن سويد الأنصاري ، عن عمته أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي : أنها جاءت إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ، إني أحب الصلاة معك ؟ قال : « **قد علمت أنك تحبين الصلاة معي ، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك ، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك ، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك ، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي** » . قال : فأمرت فبني لها مسجد في أقصىٰ بيت من بيوتها وأظلمه فكانت تصلي فيه حتىٰ لقيت الله تعالىٰ[٢] . لم يخرجوا هذا .

ويجوز لها شهود جماعة الرجال بشرط[٣] أن لا تؤذي أحدًا من الرجال بظهور زينة ولا

(١٦٥) سنن أبي داود حديث (٥٨٠) ، ورواه ابن ماجه (١٩٨٣) . وفي إسناده عبد الرحمن بن حرملة ضعفه غير واحد ، وأخرج له مسلم ، وأخرج له البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم ، وإن أخطئوا فلكم وعليهم** » .

(١٦٦) المسند (٢٩٧/٦) (٢٦٦٥١) صحيح - إسناده ضعيف من أجل رشدين بن سعد . إلا أنه توبع من عبد الله بن وهب كما عند البيهقي وغيره . والحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤٥٤/١٢/رقم : ٧٠٢٥) . والطبراني في الكبير (٣١٣/٢٣ ، ٣١٤/رقم : ٧٠٩) . كلاهما من طريق ابن لهيعة به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣/٢) وعزاه لأحمد والطبراني وأبي يعلى ، وقال : « وفيه ابن لهيعة ، وفيه كلام » . وأخرجه أيضًا الحاكم في المستدرك (٢٠٩/١) . والبيهقي في السنن (١٣١/٣) . وابن خزيمة في صحيحه (٩٢/٣/رقم : ١٦٨٣) . كلهم من طريق عمرو بن الحارث به .

(١٦٧) المسند (٣٧١/٦) (٢٧٢٠٢) . ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٣٣، ٣٤) ، وعزاه لأحمد وقال : « ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن سويد الأنصاري ، وثقه ابن حبان» . =

[١] - سقط من : ت . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « بشرطه » .

ريح طيب، كما ثبت في الصحيحين(١٦٨) عن عبد الله بن عمر أنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **لا تمنعوا إماء الله مساجد الله** ». رواه البخاري ومسلم، ولأحمد وأبي داود: « **وبيوتهنّ خير لهنّ** »(١٦٩). وفي رواية: « **وليخرجن وهنّ تفلات** »(١٧٠). أي لا ريح لهن. وقد ثبت في صحيح مسلم(١٧١) عن زينب امرأة [عبد الله][١] بن مسعود قالت: قال لنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **إذا شهدت إحداكنّ المسجد فلا تمس طيبًا** ».

وفي الصحيحين(١٧٢) عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: كان نساء المؤمنات[٢] يشهدن الفجر مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ثم يرجعن متلفعات بمروطهنّ ما يعرفن من الغلس.

وفي الصحيحين(١٧٣) عنها أيضًا أنها قالت: لو أدرك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهنّ من المساجد، كما منعت نساء بني إسرائيل.

وقوله تعالىٰ: ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ كقوله تعالىٰ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾. وقال[٣] تعالىٰ: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلىٰ ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾.

يقول تعالىٰ: لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذّ بيعها وربحها عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم، لأن ما

= والحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٩٥/٣/رقم: ١٦٨٩). من طريق أبي الطاهر عن أبي بكر، عن عيسى بن إبراهيم، عن ابن وهب به.

(١٦٨) صحيح البخاري، كتاب الجمعة حديث (٩٠٠)، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة حديث (٤٤٢).

(١٦٩) المسند (٧٦/٢)، وسنن أبي داود حديث (٥٦٧) من حديث عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما.

(١٧٠) وهي في المسند (٤٣٨/٢) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(١٧١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة حديث (٤٤٣).

(١٧٢) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، حديث (٥٧٨)، وصحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث (٦٤٥).

(١٧٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان حديث (٨٦٩)، وصحيح مسلم، كتاب الصلاة حديث (٤٤٥).

---

[١] - سقط من: ز.

[٢] - في خ، ز: « المؤمنين ».

[٣] - في خ، ت: « قوله ».

عندهم ينفد وما عند اللَّه باق ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللَّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة** ﴾ أي :يقدمون طاعته ومراده ومحبته علىٰ مرادهم ومحبتهم . قال هشيم(١٧٤) : عن سيار قال[١] : حدثت عن ابن مسعود أنه رأىٰ قومًا من أهل السوق حيث نودي للصلاة المكتوبة[٢] تركوا بياعاتهم[٣] ، ونهضوا إلىٰ الصلاة ، فقال[٤] عبد اللَّه [بن مسعود][٥] : هؤلاء من الذين ذكر اللَّه في كتابه : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللَّه** ﴾ .

وهكذا روىٰ عمرو بن دينار القهرماني(١٧٥) ، عن سالم ، عن عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنهما - أنه كان في السوق ، فأقيمت الصلاة ، فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد ؛ فقال ابن عمر : فيهم نزلت : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللَّه** ﴾ . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا محمد بن عبد اللَّه بن بكر الصنعاني ، حَدَّثَنَا أبو سعيد مولىٰ بني[٦] هاشم ، حَدَّثَنَا عبد اللَّه بن بجير ، حَدَّثَنَا أبو عبد ربه[٧] قال : قال أبو الدرداء - رضي اللَّه عنه - إني أقمت علىٰ هذا الدرج أبايع عليه أربح كل يوم ثلاثمائة دينار ، أشهد الصلاة في كل يوم في المسجد ، أما إني لا أقول : إن ذلك ليس بحلال ، ولكني أحب أن أكون من الذين قال اللَّه : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللَّه** ﴾ .

وقال عمرو بن دينار الأعور : كنت مع سالم بن عبد اللَّه ونحن نريد المسجد فمررنا بسوق المدينة وقد قاموا إلىٰ الصلاة وخمروا متاعهم ، فنظر سالم إلىٰ أمتعتهم ليس معها أحد فتلا سالم هذه الآية : ﴿ **رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللَّه** ﴾ ثم قال : هم هؤلاء .

وكذا قال سعيد بن أبي الحسن ، والضحاك : لا تلهيهم التجارة والبيع أن يأتوا الصلاة في وقتها .

وقال مطر الوراق : كانوا يبيعون ويشترون ولكن[٨] كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه

---

(١٧٤) رواه الطبري في تفسيره (١٨/١١٣) .

(١٧٥) تفسير الطبري (١٨/١١٣) .

---

[١] - سقط من : ز .

[٢] - سقط من : خ .

[٣] - في خ ، ت : « بياعتهم » .

[٤] - في ز : « قال » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

[٦] - في ز : « أبي » .

[٧] - في خ ، ز : « رب » .

[٨] - في ز : « لكن » .

في يده خفضه وأقبل إلىٰ الصلاة .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** ﴾ يقول : عن الصلاة المكتوبة . وكذا قال مقاتل بن حيان والربيع بن أنس .

وقال السدي : عن الصلاة في جماعة .

وعن مقاتل بن حيان : لا يلهيهم ذلك عن حضور الصلاة وأن يقيموها كما أمرهم الله ، وأن يحافظوا علىٰ مواقيتها وما استحفظهم الله فيها .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ أي[١] :يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار ، أي : من شدة الفزع وعظمة الأهوال ؛ كما قال تعالى : ﴿ **وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **ويطعمون الطعام علىٰ حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكورًا * إنا نخاف من ربنا يومًا عبوسًا قمطريرًا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورًا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا** ﴾ .

وقال[٢] تعالىٰ هاهنا : ﴿ **ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله** ﴾ أي : هؤلاء من الذين يتقبل [عنهم أحسن ما عملوا من فضله][٣] ويتجاوز عن سيئاتهم ، وقوله : ﴿ **ويزيدهم من فضله** ﴾ أي :يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرّة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾ ، وقوله تعالىٰ : ﴿ **من جاء بالحسنة [ ][٤] فله عشر أمثالها** ﴾ وقال : ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة** ﴾ وقال : ﴿ **والله يضاعف لمن يشاء** ﴾ و[٥]قال هاهنا : ﴿ **والله يرزق من يشاء بغير حساب** ﴾ .

وعن ابن مسعود أنه جيء بلبن فعرضه علىٰ جلسائه واحدًا واحدًا ، فكلهم لم يشربه ؛ لأنه كان صائمًا فتناوله ابن مسعود ، [وكان مفطرًا فشربه][٦] ، ثم تلا قوله : ﴿ **يخافون يومًا تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ . رواه النسائي(١٧٦) وابن أبي حاتم ، من حديث الأعمش ،

(١٧٦) ذكره المزي في تحفة الأشراف حديث (٩٤٣٥) وعزاه للنسائي في المواعظ .

[١] - سقط من : ز . [٢] - في خ ، ت : « قوله » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « حسناتهم » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « فله خير منها » . [٥] - في خ ، ت : « و » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في خ ، ت : « فشربه لأنه كان مفطرًا » .

عن إبراهيم، عن علقمة عنه .

وقال أيضًا(١٧٧) : حَدَّثَنَا أبي، حَدَّثَنَا سويد بن سعيد[١]، حَدَّثَنَا علي بن مسهر، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: « **إذا جمع الله الأوّلين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادىٰ بصوت يسمع الخلائق: سيعلم أهل الجمع من أولىٰ بالكرم؛ ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. فيقومون وهم قليل، ثم يحاسب سائر الخلائق** » .

وروىٰ الطبراني من حديث بقية(١٧٨)، عن إسماعيل بن عبد الله الكندي، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم، في قوله[٢]: ﴿ **ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله** ﴾ قال: « **أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له الشفاعة لمن صنع لهم المعروف في الدنيا** » .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

هذان مثلان ضربهما الله تعالىٰ لنوعي الكفار، كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلين ناريًا ومائيًا، وكما ضرب لما يقرّ في القلوب من الهدىٰ والعلم في سورة الرعد مثلين مائيًا وناريًا، وقد تكلمنا علىٰ كل منهما في موضعه بما أغنىٰ عن إعادته، ولله الحمد والمنة .

فأما الأول من هذين المثلين: فهو للكفار الدعاة إلىٰ كفرهم، الذين يحسبون أنهم علىٰ شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا في نفس الأمر علىٰ شيء، فمثلهم[٣] في ذلك

(١٧٧) ورواه هناد في الزهد حديث (١٧٦) من طريق أبي معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق، به . وعبد الرحمن بن إسحاق ضعيف .

(١٧٨) المعجم الكبير للطبراني (٢٤٨/١٠)، وتقدم قول الحافظ ابن كثير عند تفسير الآية: ١٨٣ من سورة النساء: « هذا إسناد لا يثبت، وإذا روى عن ابن مسعود موقوفًا فهو جيد » .

[١] - في ز: « شعبة » .
[٢] - في ز: « قولهم » .
[٣] - في ز: « فمثالهم » .

كالسراب الذي يرىٰ في القيعان من الأرض عن بعد، كأنه بحر طام، والقيعة: جمع قاع كجار وجيرة، والقاع أيضًا واحد القيعان كما يقال: جار وجيران وهي الأرض المستوية المتسعة المنبسطة، وفيه يكون السراب، وإنما يكون ذلك بعد نصف النهار، وأما الأول فإنما يكون أول النهار يرىٰ كأنه ماء بين السماء والأرض، فإذا رأىٰ السراب من هو محتاج إلىٰ الماء فحسبه[١] ماءً فقصده ليشرب منه، فلما انتهىٰ إليه ﴿ **لم يجده شيئًا** ﴾ فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملًا وأنه قد حصل شيئًا؛ فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها، ونوقش علىٰ أفعاله لم يجد له شيئًا بالكلية قد قُبل، إمّا لعدم الإخلاص، أو لعدم سلوك الشرع؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ **وقدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا** ﴾ وقال هاهنا: ﴿ **ووجد**[٢] **الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب** ﴾ وهكذا روي عن أبي ابن كعب وابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد.

وفي الصحيحين(١٧٩) أنه يقال يوم القيامة لليهود: ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال: كذبتم! ما اتخذ الله من ولد ماذا تبغون؟ فيقولون: أى ربنا عطشنا، فاسقنا. فيقال: ألا ترون؟ فتمثل لهم النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فينطلقون فيتهافتون فيها.

وهذا المثال مثال لذوي الجهل المركب، فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الطماطم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر الصم البكم الذين لا يعقلون فمثلهم[٣] كما قال تعالىٰ: ﴿ **أو كظلمات في بحر لجي** ﴾ قال قتادة: و[٤]: هو العميق ﴿ **يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها** ﴾ أي: لم يقارب رؤيتها من شدّة الظلام، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يعرف أين يذهب ولا هو يعرف حال من يقوده [ولا يدري][٥]، بل كما يقال في المثل للجاهل: أين تذهب؟ قال: معهم. قيل: فإلىٰ أين يذهبون؟ قال: لا أدري.

وقال[٦] العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ **يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب** ﴾ يعني بذلك: الغشاوة التي علىٰ القلب والسمع والبصر، وهي كقوله: ﴿ **ختم الله علىٰ قلوبهم وعلىٰ سمعهم وعلىٰ أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** ﴾، وكقوله:

(١٧٩) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن حديث (٤٥٨١)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان حديث (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه.

[١] - في خ: يحسبه.
[٢] - في ز: « فوجد ».
[٣] - في خ: « مثلهم ».
[٤] - في خ: لجى.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٦] - في ز: « قال ».

﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله علىٰ علم وختم علىٰ سمعه وقلبه وجعل علىٰ بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ .

وقال أبيّ بن كعب في قوله تعالىٰ : ﴿ ظلمات بعضها فوق بعض ﴾ فهو يتقلب في خمسة من الظلم، كلامه[١] ظلمة ، وعمله ظلمة ، ومدخله ظلمة ، ومخرجه ظلمة ، ومصيره يوم القيامة إلىٰ الظلمات إلىٰ النار .

وقال السدي والربيع بن أنس نحو ذلك أيضًا .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور ﴾ أي :من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر ، كما قال تعالىٰ : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ﴾ وهذا في مقابلة ما قال في مثل المؤمنين: ﴿ يهدي الله لنوره من يشاء ﴾ فنسأل الله العظيم أن يجعل في[٢] قلوبنا نورًا ، وعن أيماننا نورًا ، وعن شمائلنا نورًا ، وأن يعظم لنا نورًا .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

يخبر تعالىٰ أنه ﴿ [يسبح له][٣] من في السماوات والأرض ﴾ أي :من الملائكة والأناسي[٤] والجان والحيوان حتىٰ الجماد ، كما قال تعالىٰ: ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ [وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليمًا غفورًا][٥]﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ والطير صافات ﴾ أي في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها ، وأرشدها إليه ، وهو يعلم ما هي فاعلة ؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ كل قد علم صلاته وتسبيحه ﴾ أي :كل قد أرشده إلىٰ طريقته ومسلكه[٦] في عبادته الله عز وجل .

ثم أخبر أنه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ والله عليم بما يفعلون ﴾ .

---

[١] - في خ : « فكلامه » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « ليسبحه » .
[٤] - في ز : « الأناسين » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في خ : « ملكه » .

ثم أخبر تعالىٰ أن له ملك السمٰوات والأرض فهو الحاكم المتصرف لا معقب لحكمه وهو الإلٰه المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له ﴿ وإلى الله المصير ﴾ أي: يوم القيامة، فيحكم فيه بما يشاء ﴿ ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ﴾. فهو الخالق المالك [ ][١] له الحكم في الدنيا والآخرة[٢]، وله الحمد في الأولىٰ والآخرة.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ (٤٣) يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ (٤٤) ﴾

يذكر تعالىٰ أنه بقدرته يسوق السحاب أول ما ينشئها وهي ضعيفة، وهو الإزجاء ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾ أي: يجمعه بعد تفرقه ﴿ ثم يجعله ركامًا ﴾ أي: متراكما، يركب بعضه بعضًا ﴿ فترىٰ الودق ﴾ أي: المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ أي: من خلله. وكذا قرأها ابن عباس والضحاك.

قال عبيد بن عمير الليثي: يبعث الله المثيرة فتُقمُّ الأرض قمًّا، ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله.

وقوله: ﴿ وينزل من السماء من جبال فيها من برد ﴾ قال بعض النحاة: (من) الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض، والثالثة لبيان الجنس. وهذا إنما يجيء علىٰ قول «مِن» ذهب من المفسرين إلىٰ أن قوله: ﴿ من جبال فيها من برد ﴾ معناه أن في السماء جبال برد ينزل الله منها[٣] البرد، وأما من جعل الجبال هاهنا عبارة كناية[٤] عن السحاب، فإن من الثانية عند هذا لابتداء الغاية أيضا لكنها بدل من الأولىٰ والله أعلم.

وقوله تعالىٰ: ﴿ فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء ﴾ يحتمل أن يكون المراد بقوله: [﴿ فيصيب به ﴾][٥] أي: بما ينزل من السماء من نوعى المطر والبرد، فيكون قوله: ﴿ فيصيب به من يشاء ﴾ رحمة بهم[٦] ﴿ ويصرفه عمن يشاء ﴾ أي: يؤخر عنهم

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز: « له ».
[٢] - في ز: « الأخرى ».
[٣] - في ز: « منه ».
[٤] - سقط من: ت.
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٦] - في خ: « لهم ».

الغيث ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله : ﴿ **فيصيب به** ﴾ أي : بالبرد نقمة على من يشاء لما فيه من نثر[١] ثمارهم وإتلاف زروعهم وأشجارهم ، ﴿ ويصرفه عمن يشاء ﴾ أي[٢] : رحمة بهم .

وقوله : ﴿ **يكاد سنابرقه يذهب بالأبصار** ﴾ أي : يكاد ضوء برقه من شدته يخطف الأبصار إذا اتبعته وتراءته[٣] .

وقوله : ﴿ **يقلب الله الليل والنهار** ﴾ أي : يتصرف فيهما فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتدلا ، ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول الذي كان قصيرًا ويقصر الذي كان طويلا ، والله هو المتصرف في ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه ﴿ **إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار** ﴾ أي : لدليلا على عظمته تعالى ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب** ﴾ وما بعدها من الآيات الكريمات .

وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾

يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه أنواع المخلوقات[٤] على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد ﴿ **فمنهم من يمشي على بطنه** ﴾ كالحية وما شاكلها ﴿ **ومنهم من يمشي على رجلين** ﴾ كالإنسان والطير ﴿ **ومنهم من يمشي على أربع** ﴾ كالأنعام وسائر الحيوانات ؛ ولهذا قال : ﴿ **يخلق الله ما يشاء** ﴾ أي بقدرته لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، ولهذا قال : ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ .

لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

يقرر تعالى أنه أنزل في هذا القرآن من الحكم [ ][٥] والأمثال البينة المحكمة كثيرًا جدًّا ، وأنه يرشد إلى تفهمها وتعقلها أولى الألباب والبصائر والنهى ؛ ولهذا قال : ﴿ **والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ .

وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ

---

[١] - في خ : « شر » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز : « أرادته » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « والحكم » .

أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾

يخبر تعالىٰ عن صفات المنافقين الذين يظهرون خلاف ما يبطنون، يقولون قولًا بألسنتهم: ﴿ **آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولىٰ فريق منهم من بعد ذلك** ﴾ أي: يخالفون أقوالهم بأعمالهم، فيقولون ما لا يفعلون؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **وما أولئك بالمؤمنين** ﴾ [وقوله تعالىٰ: ﴿ **وإذا دعوا إلىٰ الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون** ﴾ أي: إذا طلبوا إلىٰ اتباع الهدىٰ فيما أنزل الله علىٰ رسوله أعرضوا عنه، واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه، وهذه كقوله تعالىٰ: ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك** ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ **رأيت المنافقين يصدون عنك صدودًا** ﴾][١].

وفي الطبراني(١٨٠) من حديث روح بن عطاء، عن أبي ميمونة، عن أبيه، عن الحسن، عن سمرة مرفوعًا: « **من دعىٰ إلىٰ سلطان فلم يجب فهو ظالم لا حق له** ».

وقوله: ﴿ **وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين** ﴾ أي: إذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاءوا سامعين مطيعين وهو معنىٰ قوله: ﴿ **مذعنين** ﴾ وإذا كانت الحكومة عليه أعرض ودعا إلىٰ غير الحق وأحب أن يتحاكم إلىٰ غيرالنبي صلىٰ الله عليه وسلم ليروج باطله ثَمَّ، فإذعانه أولًا لم يكن عن اعتقاد منه أن ذلك هو الحق، بل لأنه موافق لهواه، ولهذا لما خالف الحق قصده عدل عنه إلىٰ غيره، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله** ﴾ يعني: لايخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب

(١٨٠) المعجم الكبير للطبراني (٧/٢٢٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/١٩٨): « فيه روح بن عطاء، وثقه ابن عدي وضعفه الأئمة ».

[١] - ما بين المعكوفتين متأخر بعد الفقره التى تليها.

مرض لازم لها أو قد عرض لها شك في الدين، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم، وأيًّا ما كان فهو كفر محض، والله عليم بكل منهم وما هو منطوٍ عليه من هذه الصفات .

وقوله : ﴿ **بل أولئك هم الظالمون** ﴾ أي : بل[١] هم الظالمون الفاجرون، والله ورسوله مبرآن مما يظنون ويتوهمون من الحيف والجور، تعالىٰ الله ورسوله عن ذلك .

قال ابن أبي حاتم (١٨١) : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا موسىٰ بن إسماعيل، حَدَّثَنَا مبارك ، حَدَّثَنَا الحسن قال : كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، [وهو محق أذعن وعلم أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم][٢] سيقضي له بالحق ، وإذا أراد أن يظلم فدعي إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم، أعرض وقال : أنطلق إلىٰ فلان . فأنزل الله هذه الآية. فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من كان بينه وبين أخيه شيء فدعي إلىٰ حكم من حكام[٣] المسلمين فأبىٰ أن يجيب فهو ظالم لا حق له** » .

وهذا حديث غريب وهو مرسل .

ثم أخبر تعالىٰ عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ، الذين لا يبغون دينا سوىٰ كتاب الله وسنة رسوله فقال : ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلىٰ الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا** ﴾ أي : سمعًا وطاعة ، ولهذا وصفهم تعالىٰ بالفلاح وهو نيل المطلوب والسلامة من الرهوب[٤] فقال تعالىٰ : ﴿ **وأولئك هم المفلحون** ﴾ .

وقال قتادة في هذه الآية : ﴿ **أن يقولوا سمعنا وأطعنا** ﴾ ذكر لنا أن عبادة بن الصامت وكان عقبيًّا بدريًّا أحد نقباء الأنصار- أنه لما حضره الموت قال لابن أخيه جنادة بن أبي أمية : ألا أنبئك بماذا عليك وبماذا[٥] لك؟ قال : بلىٰ . قال : فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل، وأن لا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمروك بمعصية الله بُواحًا ، فما أمرت به من شيء يخالف[٦] كتاب الله فاتبع كتاب الله .

و[٧]قال قتادة : وذكر لنا أن أبا الدرداء قال : لا إسلام إلا بطاعة الله ، ولا خير إلا في

(١٨١) ورواه عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن مرسلًا كما في الدر المنثور (٦/٢١٣) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٣] - في ت : « أحكام » .
[٤] - في ز : « المرهوب » .
[٥] - في خ : « بماذا » .
[٦] - في خ : « يخالفّ » .
[٧] - سقط من : ز .

جماعة والنصيحة ة ولرسوله وللخليفة والمؤمنين[١] عامة .

قال : وقد[٢] ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه كان يقول : عروة الإِسلام شهادة أن لا إله إلا اللّٰه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاه اللّٰه أمر المسلمين .

رواه ابن أبي حاتم والأحاديث والآثار في وجوب الطاعة لكتاب اللّٰه [وسنة رسوله وللخلفاء الراشدين والأئمة إذا أمروا بطاعة اللّٰه][٣] كثيرة[٤] جدًّا أكثر من أن تحصر في هذا المكان .

وقوله ﴿ **ومن يطع اللّٰه ورسوله** ﴾ [قال قتادة : يطع اللّٰه ورسوله][٥] فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه ، ويخشى اللّٰه فيما مضىٰ من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل .

وقوله ﴿ **فأولئك هم الفائزون** ﴾ يعني : الذين فازوا بكل خير وأمنوا من كل شر في الدنيا والآخرة .

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرا عن أهل النفاق الذين كانوا يحلفون للرسول صلىٰ اللّٰه عليه وسلم لئن أمرهم بالخروج ليخرجن ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **قل لاتقسموا** ﴾ أىٰ لا تحلفوا ، وقوله : ﴿ **طاعة معروفة** ﴾ قيل معناه : طاعتكم طاعة معروفة ، أي قد علمت[٦] طاعتكم إنما هىٰ قول لا فعل معه ، وكلما حلفتم كذبتم ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كان يعملون** ﴾ ، فهم من سجيتهم الكذب حتىٰ فيما يختارونه كما قال تعالىٰ : ﴿ **ألم تر إلىٰ الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين**

---

[١] - في خ : « المؤمنين » . [٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٤] - في ز : « كثير » .
[٥] - مكانه في ت : « قال قتادة : يطع الله ورسوله » .
[٦] - في ز : « علمتم » .

كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدًا أبدًا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ﴾ .

وقيل : المعنىٰ في قوله : ﴿ **طاعة معروفة** ﴾ أي : ليكن أمركم طاعة معروفة أي : بالمعروف من غير حلف ولا إقسام كما يطيع الله ورسوله المؤمنون بغير حلف [ولا إقسام ، فكونوا][١] أنتم مثلهم ﴿ **إن الله خبير بما تعملون** ﴾ أي : هو خبير بكم ، وبمن[٢] يطيع ممن يعصي ، فالحلف وإظهار الطاعة والباطن بخلافه وإن راج علىٰ المخلوق فالخالق تعالىٰ يعلم السر وأخفى لا يروج عليه شيء من التدليس ، بل هو خبير بضمائر عباده ، وإن أظهروا خلافها . ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾ أي : اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **فإن تولوا** ﴾ أي تتولوا عنه وتتركوا[٣] ما جاءكم به . ﴿ **فإنما عليه ما حُمل** ﴾ أي إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة ﴿ **وعليكم ما حملتم** ﴾ أي : [من قبول][٤] ذلك وتعظيمه والقيام بمقتضاه ﴿ **وإن تطيعوه تهتدوا** ﴾ وذلك لأنه يدعو إلىٰ صراط مستقيم ﴿ **صراط الله الذي له مافي السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وما علىٰ الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ كقوله تعالىٰ : ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ وقوله : ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمصيطر** ﴾ .
و[٥] قال وهب بن منبه : أوحىٰ الله إلىٰ نبي من أنبياء بني إسرائيل - يقال له : شعياء - أن قم في بني إسرائيل فإني سأطلق لسانك بوحي . فقام فقال : يا سماء اسمعي ويا أرض أنصتي ، فإن الله يريد أن يقضي شأنا ويدبر أمرًا هو منفذه ، إنه يريد أن يحول الريف إلىٰ الفلاة ، والآجام في الغيطان ، والأنهار[٦] في الصحارى ، والنعمة[٧] في الفقراء ، والملك في الرعاة ، ويريد أن يبعث أميًا من الأميين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب[٨] في الأسواق ، لو يمر [إلى جنب] [٩] السراج لم يطفئه من سكينته ، ولو يمشي علىٰ القصب واليابس لم يسمع من تحت قدميه ، أبعثه مبشرًا[١٠] ونذيرًا ، لا يقول الخنا ، أفتح به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا ، وأسدده لكل[١١] أمر جميل ، وأهب له كل خلق كريم ، وأجعل السكينة

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « وكونوا » .
[٢] - في ز : « من » .
[٣] - في ز : « تتركون » .
[٤] - في خ : « بقبول » .
[٥] - سقط من خ .
[٦] - في خ ، ز : « والنهار » .
[٧] - في ز : « النقمة » .
[٨] - في خ : « سخاب » .
[٩] - في خ : « على » .
[١٠] - في ت : « بشيرًا » .
[١١] - في خ : « بكل » .

لباسه ، والبر شعاره ، والتقوىٰ ضميره ، والحكمة منطقه ؛ والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والحق شريعته ، والعدل سيرته ، والهدىٰ إمامه ، والإسلام ملته ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به من الجهالة ، وأرفع به بعد الخمالة ، وأعرف به بعد النكرة ، وأكثر به[١] بعد القلة ، وأغنى به[٢] بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين أمم متفرقة ، وقلوب مختلفة ، وأهواء مشتتة[٣] ، وأستنقذ به فئامًا من الناس عظيمًا من الهلكة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، موحدين مؤمنين ، مخلصين مصدقين بما جاءت به رسلي . رواه ابن أبي حاتم(١٨٢) .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

هذا وعد من اللَّه تعالىٰ لرسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أي[٤] أئمة الناس والولاة عليهم ؛ وبهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد . [وليبدلنهم من][٥] بعد خوفهم [من الناس][٦] أمنًا وحكمًا فيهم ، وقد فعل تبارك وتعالىٰ ذلك وله الحمد والمنة : فإنه صلىٰ اللَّه عليه وسلم لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتىٰ فتح اللَّه عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب ، وأرض اليمن بكمالها ، وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام ، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية وهو المقوقس ، وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة ، رحمه اللَّه وأكرمه .

ثم لما مات رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، واختار اللَّه له ما عنده من الكرامة قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق فلمَّ شعث ما وهىٰ عند موته صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وأخذ[٧] جزيرة العرب ومهدها ، وبعث [الجيوش الإسلامية][٨] إلىٰ بلاد فارس[٩] صحبة خالد بن

(١٨٢) وروى عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار كما في الشفاء للقاضي عياض (١٥/١) .

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « متشتتة » .
[٤] - سقط من :خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز : « ليبدلن » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - في ز : « أحد » .
[٨] - في خ : « جيوش الإسلام » .
[٩] - بعده في خ : في .

الوليد -رضي اللَّه عنه- ففتحوا طرفا منها وقتلوا خلقًا من أهلها . وجيشًا آخر صحبة أبي عبيدة رضي اللَّه عنه ومن معه[١] من الأمراء إلىٰ أرض الشام ، وثالثا صحبة عمرو بن العاص رضىٰ اللَّه عنه إلىٰ بلاد مصر ؛ ففتح اللَّه للجيش الشامي في أيامه[٢] بصرىٰ ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها ، وتوفاه اللَّه ، عز وجل ، واختار له ما عنده من الكرامة ومنّ علىٰ[٣] الإسلام [وأهله][٤] بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام بالأمر[٥] بعده قيامًا تامًّا لم يدور الفلك بعد الأنبياء علىٰ مثله في قوة سيرته وكمال عدله . وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها، وديار مصر إلىٰ آخرها، وأكثر إقليم فارس . وكسر كسرىٰ وأهانه غاية الهوان وتقهقر إلىٰ أقصىٰ مملكته ، وقصر قيصر وانتزع يده عن بلاد الشام فانحاز[٦] إلىٰ القسطنطينية ؛ وأنفق أموالها[٧] في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ؛ عليه من ربه أتم سلام وأزكىٰ صلاة .

ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك الإسلامية إلىٰ أقصىٰ مشارق الأرض ومغاربها ؛ ففتحت بلاد المغرب إلىٰ أقصىٰ ما هنالك الأندلس وقبرص ؛ وبلاد القيروان وبلاد سبتة مما يلي البحر المحيط، ومن ناحية المشرق إلىٰ أقصىٰ بلاد الصين ؛ وقتل كسرى وباد[٨] ملكه بالكلية ؛ وفتحت مدائن العراق وخراسان والأهواز ، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدًّا ؛ وخذل اللَّه[٩] ملكهم الأعظم خاقان ، وجُبى الخراج من المشارق والمغارب إلىٰ حضرة أمير المؤمنين عثمان [بن عفان][١٠] رضىٰ اللَّه عنه، وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة علىٰ حفظ القرآن ؛ ولهذا ثبت في الصحيح عن[١١] رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه[١٢] قال : « إن اللَّه زوىٰ لى[١٣] الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها »(١٨٣) ، فها نحن نتقلب فيما وعدنا اللَّه ورسوله وصدق اللَّه ورسوله ، فنسأل[١٤] اللَّه الإيمان به وبرسوله والقيام بشكره علىٰ الوجه الذي يرضيه عنا .

قال الإمام مسلم بن الحجاج [في صحيحه][١٥] : حَدَّثَنَا ابن أبي عمر ، حَدَّثَنَا سفيان ،

(١٨٣) صحيح مسلم حديث (٢٨٨٩) من حديث ثوبان ، رضي الله عنه .

[١] - في ت : « أتبعه » .
[٢] - في ز : « أيام » .
[٣] - بعده في خ ، ت : أهل .
[٤] - سقط من خ ، ت .
[٥] - في ز : « في الأمر » .
[٦] - في ت : « وانحدر » .
[٧] - في خ : « أموالهما » .
[٨] - في ز : « بلاد » .
[٩] - سقط من : ز .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١١] - في خ : « أن » .
[١٢] - سقط من : ت .
[١٣] - سقط من : ز .
[١٤] - في ز : « ونسأل » .
[١٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

عن عبد الملك بن عمير ، عن جابر بن سمرة قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلًا** » ثم[١] تكلم النبي صلىٰ الله عليه وسلم بكلمة خفيت عنىٰ فسألت أبي ماذا قال رسول الله ؟ فقال : قال[٢] ، « **كلهم من قريش** » .

ورواه البخاري من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير به(١٨٤) .

وفي رواية لمسلم أنه قال ذلك عشية رجم ماعز بن مالك ، وذكر معه أحاديث أخر(١٨٥) .

وفي هذا الحديث دلالة علىٰ أنه لابد من وجود اثنى عشر خليفة عادل ، وليسوا هم بأئمة الشيعة الإثني عشر ، فإن كثيرا من أولئك لم يكن إليهم[٣] من الأمر شيء ، فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قريش يلون فيعدلون ، وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة ، ثم لا يشترط أن يكونوا متتابعين، بل يكون وجودهم في الأمة متتابعًا ومتفرقًا ، وقد وُجد منهم أربعة علىٰ الولاء وهم أبو بكر، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم، ثم كانت[٤] بعدهم فترة بينهم[٥] ثم وجد منهم من[٦] شاء الله ، ثم قد يوجد منهم من بقى في [الوقت الذي][٧] يعلمه [الله تعالىٰ][٨] ، ومنهم المهدي الذي [يطابق اسمه] اسم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، وكنيته كنيته ، يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا.

وقد روىٰ الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعيد بن جمهان[٩] عن سفينة مولىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم][١٠] قال : « **الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون[١١] ملكًا عضوضًا** »(١٨٦) .

---

(١٨٤) صحيح مسلم حديث (١٨٢١) ، وصحيح البخاري حديث (٧٢٢٢) .

(١٨٥) صحيح مسلم حديث (١٨٢٢) .

(١٨٦) المسند (٥/٢٢٠) (٢٢٠١٤) ، أخرجه أبو داود : كتاب السنة باب في الخلفاء (٤/ ١٠/ رقم: ٤٦٤٦، ٤٦٤٧). والترمذي : كتاب الفتن باب ما جاء في الخلافة (٤/ ٥٠٣/رقم: ٢٢٢٦). وقال : وهذا حديث حسن، قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان، ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جمهان. والنسائي في الكبرى : كتاب المناقب باب أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم أجمعين=

---

[١] - في ز : « و » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في خ : « لهم » .
[٤] - في ز : « كان » .
[٥] - سقط من : ت .
[٦] - في ز : « ما » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « وقت » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٩] - في ز : « جيهان » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[١١] - في ز : « يكون » .

وقال الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله : ﴿ **وعد اللّٰه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا** ﴾ الآية ، قال : كان النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وأصحابه بمكة نحوًا من عشر سنين يدعون إلىٰ اللّٰه وحده وعبادته وحده لا شريك له سرًّا ، وهم خائفون لا يؤمرون بالقتال حتىٰ أمروا بعد بالهجرة إلىٰ المدينة ، فقدموها[١] فأمرهم اللّٰه بالقتال ، فكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح ، فَغَبَروا بذلك ما شاء اللّٰه ثم إن رجلًا من الصحابة قال : يا رسول اللّٰه ؛ أبد الدهر نحن خائفون هكذا ؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح ؟ فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « لن تَغبروا إلا يسيرًا حتىٰ يجلس الرجل منكم في الملإ العظيم محتبيًا[٢] ليست فيهم حديدة » . وأنزل اللّٰه هذه الآية فأظهر اللّٰه نبيه علىٰ جزيرة العرب فآمنوا ووضعوا السلاح . ثم إن[٣] اللّٰه تعالىٰ قبض نبيه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان ، حتىٰ وقعوا فيما وقعوا فيه[٤] فأدخل عليهم الخوف [فأدخلوا][٥] الحجز والشرط وغيروا فغير بهم .

وقال بعض السلف : خلافة أبي بكر وعمر رضي اللّٰه عنهما حق في كتابه ، ثم تلا هذه الآية .

وقال البراء بن عازب : نزلت هذه الآية ونحن في خوف شديد .

وهذه الآية الكريمة كقوله تعالىٰ : ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **كما استخلف الذين من قبلهم** ﴾ كما قال تعالىٰ عن موسىٰ - عليه السلام - أنه قال لقومه : ﴿ **عسىٰ ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **ونريد أن نمن علىٰ الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم**

= (٥/ ٤٧/رقم : ٨١٥٥) . كلهم من طريق سعيد بن جمهان به .

ولم ترد لفظة : « عضوضًا » في أي من هذه المصادر ، وإنما وردت في حديث آخر عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الله تعالى بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة ، وكائنًا خلافة ورحمة ، وكائنًا عضوضًا ، وكائنًا عنوة وجبرية وفسادًا في الأمة ..... الحديث » أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٥٩/٨) .

[١] - في ز : « فقدموا المدينة » .
[٢] - في خ : « محتسبًا » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ت : « فاتخذوا » .

أئمة ونجعلهم الوارثين [ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون][١] ﴾ .

وقوله : ﴿ **وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم [وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا][٢]**﴾ كما قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، لعدي بن حاتم حين وفد عليه : « **أتعرف الحيرة ؟** » قال : لم أعرفها ولكن قد سمعت بها قال : « **فوالذي نفسي بيده ؛ ليتمن اللَّه هذا الأمر حتىٰ تخرج الظعينة من الحيرة حتىٰ تطوف بالبيت في غير جوار أحد ، ولتفتحن كنوز كسرىٰ بن هرمز** » . قلت : كسرىٰ بن هرمز ؟ قال : « **نعم ، كسرىٰ بن هرمز ، وليبذلن المال حتىٰ لا يقبله أحد** » . قال عدي بن حاتم : فهذه الظعينة تخرج من الحيرة فتطوف بالبيت في غير جوار أحد ، ولقد كنت فيمن افتتح كنوز كسرىٰ بن هرمز ، والذي نفسي بيده لتكونن الثالثة ؛ لأن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم قد قالها (١٨٧) .

وقال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عبد الرزاق ، أخبرنا سفيان ، عن أبي سلمة ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبيّ بن كعب قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **بشر هذه الأمة[٣] بالسناء والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب** » (١٨٨) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **يعبدونني لا يشركون بي شيئا** ﴾ قال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عفان ، حَدَّثَنَا همام ، حَدَّثَنَا قتادة ، عن أنس ، أن معاذ بن جبل حدثه قال : بينا[٤] أنا رديف رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم [علىٰ حمار][٥] ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل ، قال : « يا معاذ » . قلت : لبيك يا رسول اللَّه وسعديك . قال : [ثم سار ساعة ثم قال : « يا معاذ بن جبل » . قلت : لبيك يا رسول اللَّه وسعديك][٦] . ثم سار ساعة ثم قال : « يا معاذ بن جبل » . قلت : لبيك يا رسول اللَّه وسعديك قال : « هل تدري ما حق اللَّه علىٰ

---

(١٨٧) رواه البخاري في صحيحه حديث (٣٥٩٥) .

(١٨٨) المسند (٥/١٣٤) (٢١٣٠٠) . رواه البيهقي في دلائل النبوة (٦/٣١٨) من طريق المغيرة بن مسلم السراج ، عن الربيع به . ورواه الحاكم في المستدرك (٤/٣١١) من طريق زيد بن الحباب ، عن سفيان به وصححه الحاكم ووافقه الذهبي . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢٢٠) وقال : « رواه أحمد وابنه من طرق ، ورجال أحمد رجال الصحيح » .

---

[١] - سقط من ت .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - في ز : « الرفعة » .

[٤] - في ز : « بينما » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

العباد ؟ » . قلت : اللَّه ورسوله أعلم ، قال : « حق اللَّه علىٰ العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا » . قال : ثم سار ساعة ثم قال : « يامعاذ بن جبل ». قلت : لبيك يا رسول اللَّه وسعديك قال : « فهل تدري ما حق العباد علىٰ اللَّه إذا فعلوا ذلك ؟ » . قال : قلت اللَّه ورسوله أعلم . قال : « فإن حق العباد علىٰ اللَّه أن لا يعذبهم » .

أخرجاه في الصحيحين ، من حديث قتادة(١٨٩) .

وقوله تعالىٰ : ﴿ ومن[١] كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ أي :فمن خرج عن طاعتي بعد ذلك فقد فسق[٢] عن أمر ربه وكفي بذلك ذنبًا عظيمًا ، فالصحابة رضي اللَّه عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم بأوامر اللَّه - عز وجل - وأطوعهم لله كان نصرهم بحسبهم أظهروا كلمة اللَّه في المشارق والمغارب ، وأيدهم الله تأييدًا عظيمًا ، وتحكموا في سائر العباد والبلاد ؛ ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم ، ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلىٰ يوم القيامة » وفي رواية - « حتىٰ يأتي أمر اللَّه وهم كذلك » - وفي رواية - « حتىٰ يقاتلون الدجال » - وفي رواية - « حتىٰ ينزل عيسىٰ ابن مريم وهم ظاهرون » . وكل هذه الروايات صحيحة ولا تعارض بينها .

﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ ﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده المؤمنين بإقام الصلاة ، وهي عبادة اللَّه وحده لا شريك له ، وإيتاء الزكاة وهي الإحسان إلىٰ المخلوقين ضعفائهم وفقرائهم ، وأن يكونوا في ذلك مطيعين [للرسول][٣] صلىٰ اللَّه عليه وسلم أي :سالكين وراءه فيما به[٤] أمرهم ، وتاركين[٥] ما عنه زجرهم ، لعل اللَّه يرحمهم بذلك ، ولا شك أن من فعل هذا أن اللَّه سيرحمه كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ أولئك سيرحمهم الله ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ لا تحسبن ﴾ أي : [لا تظن][٦] يا محمد أن[٧] ﴿ الذين كفروا ﴾

(١٨٩) المسند (٥/٢٤٢) ، وصحيح البخاري حديث (٥٩٦٧) ، وصحيح مسلم حديث (٣٠) .

[١] - في ز : « فمن » .
[٢] - في ت : « خرج » .
[٣] - في خ : « لرسول الله » .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في خ : « ترك » .
[٦] - سقط من : خ .
[٧] - بياض في ز .

أي خالفوك وكذبوك ﴿ **معجزين في الأرض** ﴾ أي لا يعجزون الله، بل الله قادر عليهم وسيعذبهم على ذلك أشد العذاب، ولهذا قال تعالى: ﴿ **ومأواهم** ﴾ أي :في الدار الآخرة ﴿ **النار ولبئس[١] المصير** ﴾ أي :بئس المآل مآل الكافرين، وبئس القرار وبئس المهاد!

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

هذه الآيات الكريمة اشتملت على استئذان الأقارب بعضهم على بعض، وما تقدم في أول السورة فهو[٢] استئذان الأجانب بعضهم على بعض، فأمر الله تعالى المؤمنين أن يستأذنهم خدمهم مما ملكت أيمانهم وأطفالهم الذين لم يبلغوا الحلم منهم، في ثلاثة أحوال؛ الأول: من قبل صلاة الغداة؛ لأن الناس إذ ذاك يكونون نيامًا في فرشهم ﴿ **وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة** ﴾ أي : في وقت القيلولة لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله ﴿ **ومن بعد صلاة العشاء** ﴾ لأنه وقت النوم، فيؤمر الخدم والأطفال أن لا يهجموا على أهل البيت في هذه الأحوال؛ لما يخشى أن يكون الرجل على أهله أو نحو ذلك من الأعمال، ولهذا قال: ﴿ **ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن** ﴾ أي :إذا دخلوا في حال غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم إياهم من ذلك، ولا عليهم إن رأوا شيئًا في غير تلك الأحوال؛ لأنه قد أذن لهم في الهجوم، ولأنهم طوافون عليكم أي :في الخدمة وغير ذلك. ويغتفر في الطوافين ما لا يغتفر في غيرهم؛ ولهذا روى

---

[١] - في ز: « بئس ».
[٢] - في ز: « فيها ».

الإمام مالك وأحمد بن حنبل، وأهل السنن أن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال في الهرة: «إنها ليست بنجسة؛ إنها من الطوافين عليكم والطوافات»(١٩٠).

ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء، وكان عمل الناس بها قليلًا جدًّا، أنكر عبد اللَّه بن عباس ذلك علىٰ الناس، كما قال ابن أبي حاتم:

حَدَّثَنَا أبو زرعة، حَدَّثَنَا يحيىٰ بن عبد اللَّه بن بكير، حدثني عبد اللَّه بن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير؛ قال: قال ابن عباس: ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم**﴾ إلىٰ آخر الآية، والآية التي في سورة النساء ﴿ **وإذا حضر القسمة أولو القربىٰ [واليتامىٰ والمساكين فارزقوهم منه][١]** ﴾، والآية التي في الحجرات: ﴿ **إن أكرمكم عند اللَّه أتقاكم** ﴾.

وروى أيضًا من حديث إسماعيل بن مسلم - وهو ضعيف - عن عمرو بن دينار، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: غلب الشيطان الناس علىٰ ثلاث آيات فلم يعملوا بهن ﴿ **يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم** ﴾ إلىٰ آخر الآية.

وروىٰ[٢] أبو داود، حَدَّثَنَا ابن الصباح بن[٣] سفيان وابن عبدة - وهذا حديثه - أخبرنا سفيان، عن[٤] عبيد اللَّه بن أبي يزيد، سمع ابن عباس يقول: لم يؤمن بها أكثر الناس آية الإذن، وإني لآمر جاريتي هذه تستأذن عليّ. قال أبو داود: وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس يأمر به(١٩١).

وقال الثوري، عن موسىٰ بن أبي عائشة، سألت الشعبي: ﴿ **ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم** ﴾؟ قال: لم تنسخ. قلت: فإن الناس لا يعملون بها. فقال: اللَّه المستعان.

---

(١٩٠) الموطأ (١/ ٢٣)، ورواه أحمد في المسند (٥/ ٢٩٦) (٢٢٦٣٠) وأبو داود في كتاب الطهارة، باب: في سؤر الهرة (١/ ٢٠/ رقم: ٧٥). والترمذي في كتاب الطهارة، باب: ما جاء في سؤر الهرة (١/ ١٥٣، ١٥٤/ رقم: ٩٢). وقال: هذا حيث حسن صحيح. والنسائي في كتاب الطهارة، باب: سؤر الهرة (١/ ٥٥/ رقم: ٦٨). وكتاب المياه، باب: سؤر الهرة (١/ ١٧٨/ رقم: ٣٤٠). وابن ماجة في كتاب الطهارة، باب: الوضوء بسؤر الهرة والرخصة في ذلك (١/ ١٣١/ رقم: ٣٦٧). وابن خزيمة في صحيحه (٥٥/ رقم: ١٠٤). كلهم من طريق مالك بن أنس به.

(١٩١) سنن أبي داود، كتاب الأدب حديث (٥١٩١).

---

[١] - سقط من ت.
[٢] - في ز: «قال».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - في خ: «وابن».

وقال ابن أبي حاتم: حَدَّثَنَا الربيع بن سليمان، حَدَّثَنَا ابن وهب، أخبرنا سليمان بن بلال، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر اللَّه بها في القرآن؟ فقال ابن عباس: إن اللَّه ستير يحب الستر، كان الناس ليس لهم ستور علىٰ أبوابهم ولا حجال في بيوتهم، فربما فاجأ[١] الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه[٢] في حجره وهو علىٰ أهله، فأمرهم اللَّه أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمىٰ الله، ثم جاء اللَّه بعد بالستور فبسط اللَّه عليهم [في][٣] الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال، فرأىٰ الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي[٤] أمروا به.

وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس، ورواه أبو داود عن القعنبي عن الدراوردي عن عمرو ابن أبي عمرو به (١٩٢).

وقال السدي: كان أناس من الصحابة رضي اللَّه عنهم يحبون أن يواقعوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلىٰ الصلاة فأمرهم اللَّه أن يأمروا المملوكين والغلمان أن لا يدخلوا عليهم في تلك الساعات إلا بإذن.

وقال مقاتل بن حيان: بلغنا -واللَّه أعلم- أن رجلًا من الأنصار وامرأته أسماء بنت مرثد[٥] صنعا للنبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم طعامًا، فجعل الناس يدخلون بغير إذن. فقالت أسماء: يا رسول اللَّه، ما أقبح هذا! إنه ليدخل علىٰ المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلامهما بغير إذن. فأنزل اللَّه في ذلك: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم [والذي لم يبلغوا الحلم منكم][٦]** ﴾، ومما يدل علىٰ أنها محكمة لم[٧] تنسخ قوله: ﴿ **كذلك يبين اللَّه لكم الآيات واللَّه عليم حكيم** ﴾ ثم قال تعالىٰ: ﴿ **وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم** ﴾ يعني: إذا بلغ الأطفال منكم الحلم الذين إنما كانوا يستأذنون[٨] في العورات الثلاث إذا بلغوا الحلم وجب عليهم أن يستأذنوا علىٰ كل حال، يعني بالنسبة إلىٰ أجانبهم وإلىٰ الأحوال التي يكون الرجل علىٰ امرأته، وإن لم يكن في الأحوال الثلاث.

(١٩٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب: الاستئذان في العورات ثلاث حديث (٥١٩٢).

[١] - في ز: « جاء ».
[٢] - في ز: « قيمه ».
[٣] - سقط من خ.
[٤] - في ز: « اللاى ».
[٥] - في ز: « مرشد ».
[٦] - سقط من خ.
[٧] - في ز: « لن ».
[٨] - في خ: « يستأذنوا ».

قال الأوزاعي: عن يحيىٰ بن أبي كثير: إذا كان الغلام رباعيًا فإنه يستأذن في العورات الثلاث علىٰ أبويه ، فإذا بلغ الحلم فليستأذن علىٰ كل حال . وهكذا قال سعيد بن جبير . وقال في قوله : ﴿ **كما استأذن الذين من قبلهم** ﴾ يعني : كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه .

وقوله : ﴿ **والقواعد من النساء** ﴾ قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان والضحاك وقتادة : هن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد ﴿ **اللاتي لا يرجون نكاحًا** ﴾ أي : لم يبق لهن تشوف[١] إلىٰ التزوج[٢] ﴿ **فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة** ﴾ أي : ليس عليهن[٣] من الحجر في التستر كما علىٰ غيرهنّ[٤] من النساء .

قال أبو داود : حَدَّثَنَا أحمد بن محمد المروزي ، حدثني علي بن الحسين بن واقد ، عن أبيه ، عن يزيد النحوي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن** ﴾ الآية ، فنسخ واستثنىٰ من ذلك ﴿ القواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا﴾ الآية .(١٩٣)

قال ابن مسعود [في قوله][٥] : ﴿ **فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن** ﴾ قال : الجلباب أو الرداء . وكذلك[٦] روي عن ابن عباس وابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي الشعثاء وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والزهري والأوزاعي وغيرهم .

وقال أبو صالح : [تضع الجلباب][٧] وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخمار . وقال سعيد بن جبير وغيره : في قراءة عبد اللَّه بن مسعود (**أن يضعن من ثيابهن**) وهو الجلباب من فوق الخمار ، فلا بأس أن يضعن عند قريب أو غيره بعد أن يكون عليها خمار صفيق .

وقال سعيد بن جبير [في الآية][٨] ﴿ **غير متبرجات بزينة** ﴾ يقول : لا يتبرجن بوضع الجلباب [ليرىٰ ما عليهن][٩] من الزينة .

وقال ابن أبي حاتم : حَدَّثَنَا أبي ، حَدَّثَنَا هشام بن عبد اللَّه ، حَدَّثَنَا ابن المبارك ، حدثني

---

(١٩٣) سنن أبي داود ، كتاب اللباس حديث (٤١١١) . وقال المنذري : في إسناده علي بن الحسين بن واقد وفيه مقال .

---

[١] - في ز : « تشوف » .
[٢] - في ز : « التزويج » .
[٣] - في ز : « عليها » .
[٤] - في ز : « غيرها » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز : « كذا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز : « اتضع الجباب» .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « أن يرى ما عليها » .

سوار بن ميمون ، حَدَّثَنا[١] طلحة بن[٢] عاصم ، عن أم الضياء [ ][٣] أنها قالت : دخلت [على عائشة][٤] رضي الله عنها فقلت : يا أم المؤمنين ، ما تقولين في الخضاب والنفاض والصباغ والقرطين والخلخال وخاتم الذهب وثياب الرقاق ؟ فقالت : يا معشر النساء ، قصتكن[٥] كلها واحدة ، أحل الله لكن الزينة غير متبرجات ، أي : لا يحل لكن أن يروا منكن محرمًا .

وقال السدي : كان شريك لي يقال له : مسلم ، وكان مولى لامرأة حذيفة بن اليمان ، فجاء يومًا إلى السوق وأثر الحناء في يده ، فسألته عن ذلك ؟ فأخبرني أنه خضب رأس مولاته وهي امرأة حذيفة ! فأنكرت ذلك . فقال : إن شئت أدخلتك عليها . فقلت : نعم . فأدخلني عليها فإذا هي[٦] امرأة جليلة . فقلت لها : إن مسلمًا حدثني أنه خضب رأسك . فقالت : نعم يا بني ، إني من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحًا ، وقد قال الله تعالى في ذلك ما سمعت .

وقوله : ﴿ **وأن يستعففن خير لهن** ﴾ أي :وترك وضعهن لثيابهن - وإن كان جائزًا - خير وأفضل لهن والله سميع عليم .

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

اختلف المفسرون - رحمهم الله - في المعنى الذي رفع [من أجله][٧] الحرج عن

[١] - في خ ، ز : « حدثتنا » .
[٢] - في ز : « بنت » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن عائشة » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « عليها » .
[٥] - في ز : « فصلن » .
[٦] - سقط من : ز .
[٧] - في خ : « لأجله » .

الأعمىٰ ، والأعرج والمريض هاهنا ، فقال عطاء الخراساني ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : [يقال إنها][١] نزلت في الجهاد . وجعلوا هذه الآية هاهنا [كالآية التي][٢] في سورة الفتح ، وتلك في الجهاد لا محالة ، أي : أنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد ، لضعفهم وعجزهم ، وكما قال تعالىٰ في سورة براءة : ﴿ **ليس على الضعفاء ولا على المرضىٰ ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا علي الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم [عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا][٣] أن لا يجدوا ما ينفقون** ﴾ .

وقيل : المراد هاهنا[٤] أنهم كانوا يتحرجون من الأكل مع الأعمىٰ ، لأنه لا يرىٰ الطعام وما فيه من الطيبات ، فربما سبقه غيره إلىٰ ذلك ، ولا مع الأعرج؛ لأنه لا يتمكن من الجلوس ، فيفتات عليه جليسُه ، والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره ، فكرهوا أن يؤاكلوهم لئلا يظلموهم ، فأنزل اللّٰه هذه الآية رخصة في ذلك . هذا[٥] قول سعيد بن جبير ، ومقسم .

وقال الضحاك : كانوا قبل المبعث[٦] يتحرجون من الأكل مع هؤلاء تقذرًا وتقززًا ، ولئلا يتفضلوا عليهم ، فأنزل اللّٰه هذه الآية .

وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن ابن[٧] أبي نَجيح ، عن مجاهد في قوله تعالىٰ : ﴿ **ليس علىٰ الأعمىٰ حرج** ﴾ الآية ، قال : كان الرجل يذهب بالأعمىٰ ، أو الأعرج[٨] ، أو المريض[٩] إلىٰ بيت أبيه ، أو بيت[١٠] أخيه ، أو بيت أخته ، أو بيت عمته ، أو بيت خالته . فكان الزّمنىٰ يتحرجون من ذلك ، يقولون : إنما يذهبون بنا إلىٰ بيوت عشيرتهم[١١]. فنزلت هذه الآية رخصةً لهم(١٩٤) .

وقال السدّي : كان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخيه أو ابنه ؛ فتُتْحفه المرأة بالشيء[١٢] من الطعام ؛ فلا يأكل من أجل أن رَبَّ البيت ليس ثَمَّ . فقال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ليس علىٰ الأعمىٰ**

(١٩٤) تفسير عبد الرزاق (٢/٥٣) .

[١] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] – في خ : « كالتي » .
[٣] – سقط من ت .
[٤] – سقط من : ز .
[٥] – في خ : وهذا .
[٦] – في خ : « البعثة » .
[٧] – سقط من : ز .
[٨] – في خ : « بالأعرج » .
[٩] – في خ : « بالمريض » .
[١٠] – سقط من : ت .
[١١] – في خ ، ز : غيرهم » .
[١٢] – في خ : « بشيء »

حرج [ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ﴾ - إلى قوله : ﴿ ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا][1] ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ولا علىٰ أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم** ﴾ إنما ذَكَرَ هذا ، وهو معلوم ، ليعطف عليه غيره في اللفظ[2] ، وليستأديه ما بعده في الحكم ، وتضمن هذا بيوت الأبناء ، لأنه لم ينص عليهم ، ولهذا استدل بهذا من ذهب إلىٰ أن[3] مال الولد بمنزلة مال أبيه ، وقد جاء في المسند والسنن ، من غير وجه ، عن رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أنه قال : « **أنت ومالك لأبيك** »(١٩٥) .

وقوله[4] : ﴿ **أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم** ﴾ - إلىٰ قوله : ﴿ **أو ما ملكتم مفاتحه** ﴾ هذا ظاهر : وقد يستدل به من يوجب نفقة الأقارب ، بعضهم علىٰ بعض ، كما هو مذهب أبي حنيفة والإِمام أحمد بن حنبل ، في المشهور عنهما .

وأما قوله : ﴿ **أو ما ملكتم مفاتحه** ﴾ قال[5] سعيد بن جبير والسدى : هو[6] خادم الرجل ، من عبد وقهرمان ، فلا بأس أن يأكل مما استودعه من الطعام بالمعروف .

وقال الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت : كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فيدفعون مفاتحهم إلىٰ ضُمنائهم ، ويقولون : قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه . فكانوا يقولون : إنه لا يحل لنا أن نأكل ؛ إنهم أذنوا لنا عن غير طيب أنفسهم ، وإنما نحن أمناء ، فأنزل الله : ﴿ **أو ما ملكتم مفاتحه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أو صديقكم** ﴾ . أي : بيوت أصدقائكم وأصحابكم ، فلا جناح عليكم في الأكل منها ، إذا علمتم أن ذلك لا يَشُقّ عليهم ، ولا يكرهون ذلك .

وقال قتادة : إذا دخلت بيت صديقك ، فلا بأس أن تأكل بغير إذنه .

وقوله : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا** ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة ،

---

(١٩٥) المسند (١٧٩/٢) ، وسنن أبي داود ، كتاب البيوع ، حديث (٣٥٣٠) ، وسنن ابن ماجة ، كتاب البيوع حديث (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

---

[١] - سقط من ت .
[٢] - في ز : « اللفظة » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : ز .
[٥] - في ز : « فقال » .
[٦] - في ز : « وهو » .

عن ابن عباس في هذه الآية : وذلك لما أنزل الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل** ﴾ قال المسلمون : إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، والطعام هو أفضل[١] الأموال ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد ، فكفّ الناسُ عن ذلك . فأنزل الله : ﴿ **ليس علىٰ الأعمىٰ حرج** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **أو صديقكم** ﴾ . وكانوا أيضًا يأنفون ويتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده ، حتىٰ يكون معه غيره ، فرخص الله لهم في ذلك ، فقال : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا** ﴾ .

وقال قتادة : وكان هذا الحيّ من بني كنانة ، يرىٰ أحدهم أنّ مخزاةً عليه أن يأكل وحده في الجاهلية ، حتىٰ إن كان الرجل ليَسُوق الذَّودَ الحفَّل وهو جائع ، حتىٰ يجد من يؤاكله ويشاربه ، فأنزل الله : ﴿ **ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعًا أو أشتاتًا** ﴾ .

فهذه رخصة من الله تعالىٰ في أن يأكل الرجل وحده ، ومع الجماعة ، وإن كان الأكل مع الجماعة أفضل وأبرك ؛ كما رواه الإمام أحمد : حَدَّثَنَا يزيد بن عبد ربه ، حَدَّثَنَا الوليد ابن مسلم ، عن وحشي بن حرب ، عن أبيه ، عن جده ؛ أن رجلًا قال للنبي - صلىٰ الله عليه وسلم : إنا نأكل ولا نشبع ؟ ! قال : « **فلعلكم[٢] تأكلون متفرقين ، اجتمعوا علىٰ طعامكم ، واذكروا اسم الله يُبَارِكْ لكم فيه** » .

ورواه أبو داود وابن ماجة من حديث الوليد بن مسلم به(١٩٦) .

وقد رَوَىٰ ابن ماجة أيضًا ، من حديث عمرو بن دينار القهرماني ، عن سالم ، عن أبيه ، عن عمر ، عن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : « **كلوا جميعًا ولا تَفرّقوا ؛ فإن البركة مع الجماعة** »(١٩٧) .

---

(١٩٦) المسند (٥٠١/٣) (١٦١٢٦) وإسناده ضعيف ؛ وحشي بن حرب : قال صالح جزرة : لا يشتغل به ، ولا بأبيه « الميزان » وفي التقريب : مستور . وحرب بن وحشي بن حرب : ذكره ابن حبان في الثقات .وقال البزار : مجهول في الرواية معروف في النسب .روى له د ، ق حديثًا واحدًا .وفي التقريب : مقبول . والحديث رواه أبو داود في كتاب الأطعمة ، باب : الاجتماع على الطعام (٣/ ٣٤٦) حديث (٣٧٦٤) . وابن ماجه في كتاب الأطعمة ، باب : الاجتماع على الطعام (٢/ ١٠٩٣) حديث (٣٢٨٦) . والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣٩) حديث (٣٦٨) . وابن حبان كما في الموارد (١٣٤٥) . والحاكم (٢/ ١٠٣) .شاهداً ، وسكت عنه . وحسنه الشيخ الألباني بشواهده كما في السلسلة الصحيحة (٦٦٤) . وصحيح أبي داود ٣١٩٩ . وصحيح ابن ماجه (٢/ ٢٢٨) حديث (٢٦٥٧) .

(١٩٧) سنن ابن ماجه حديث (٣٢٨٧) ، وقال البوصيري في الزوائد (٧٧/٣) : « هذا إسناد ضعيف » .

---

[١] - بعده في خ : من .
[٢] - في خ : « لعلكم » .

وقوله : ﴿ فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا علىٰ أنفسكم ﴾ . قال سعيد بن جبير والحسن البصري وقتادة والزهري : يعني[١] فليسلم بعضكم علىٰ بعض .

و[٢]قال ابن جريج : حَدَّثَنَا أبو الزبير : سمعتُ جابر بن عبد اللّٰه يقول : إذا دخلت علىٰ أهلك فسلّم عليهم تحية من عند اللّٰه مباركة طيبة . قال : ما رأيته إلا يوجبه . قال ابن جريج : وأخبرني زياد ، عن ابن طاوس أنه كان يقول : إذا دخل أحدكم[٣] بيته فليسلم .

قال ابن جريج : قلت لعطاء : أواجب إذا خرجت ثم دخلت أن أسلم عليهم؟ قال : لا ، [ولا][٤] أثر وجوبه عن أحد ، ولكن هو أحب إليّ ، وما أدعه إلا ناسيًا .

وقال مجاهد : إذا دخلت المسجد فقل : السلام علىٰ رسول الله ، وإذا دخلت علىٰ أهلك فسلم عليهم ، وإذا دخلت بيتًا ليس فيه أحد فقل : السلام علينا وعلىٰ عباد اللّٰه الصالحين .

[وروىٰ الثوري ، عن عبد الكريم الجزَري ، عن مجاهد : إذا دخلت بيتًا ليس فيه أحد فقل : بسم الله ، والحمد لله السلام علينا من ربنا ، السلام علينا وعلىٰ عباد اللّٰه الصالحين][٥].

وقال قتادة : إذا دخلت علىٰ أهلك ، فسلم عليهم ، وإذا دخلت بيتًا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلىٰ عباد اللّٰه الصالحين فإنه كان يؤمر بذلك ، وحُدِّثْنا أن الملائكة ترد عليه .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حَدَّثَنَا محمد بن المثني ، حَدَّثَنَا عَوْبَدُ بن أبي عمران الجوني، عن أبيه ، عن أنس قال : أوصاني النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - بخمس خصال ، قال : « يا أنس ، أسبغ الوضوء يُزَد في عمرك ، وسَلّم علىٰ من لقيك من أمتي تَكْثُر حسناتك ، وإذا دخلت - يعني : بيتك - فسلم علىٰ أهل بيتك ، يكثر خير بيتك ، وصل صلاة الضحىٰ فإنها صلاة الأوابين قبلك ، يا أنس ، ارحم الصغير ، ووقر الكبير ، تَكُنْ من رفقائي يوم القيامة » (١٩٨) .

---

(١٩٨) ورواه ابن عدي في الكامل (٣٨٢/٥) من طريق موسى عن عوبد بن أبي عمران الجواني ، به . ونقل عن البخاري : « عوبد بن أبي عمران ، عن أبيه منكر الحديث » ثم قال ابن عدي : « وعوبد بين على حديثه الضعف » .

---

[١] - سقط من : خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ **تحية من عند الله مباركة طيبة** ﴾ قال محمد بن إسحاق[١] : حدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقول : ما أخذت التشهد إلا من كتاب الله ، سمعت الله يقول : ﴿ **فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا علىٰ أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة** ﴾ ، فالتشهد في الصلاة : التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين . ثم يدعو لنفسه ويسلم .

هكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابن إسحاق .

والذي في صحيح مسلم(١٩٩) ، عن ابن عباس ، عن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يخالف هذا ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون** ﴾ ، لما ذكر تعالىٰ ما في هذه السورة الكريمة من الأحكام المحكمة ، والشرائع المتقنة المبرمة ، نبَّه تعالىٰ علىٰ أنه يُبَيِّنُ لعباده الآيات بيانًا شافيًا ، ليتدبروها ويتعقلوها [لعلهم يعقلون][٢] .

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

وهذا أيضًا أدب أرشد الله عباده المؤمنين إليه ، فكما أمرهم بالاستئذان عند الدخول ، كذلك أمرهم بالاستئذان عند الانصراف ، لا سيما إذا كانوا في أمر جامع مع الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - من صلاة جمعة أو عيد أو جماعة ، أو اجتماع [لمشورة][٣] ونحو

(١٩٩) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة حديث (٤٠٣) ولفظه : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ، فكان يقول : « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله » .

[١] - في خ : « الحسين » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في خ : « في مشورة » .

ذلك ، أمرهم الله تعالىٰ أن لا ينصرفوا[١] عنه والحالة هذه إلا بعد استئذانه ومشاورته ، وإن من يفعل ذلك فهو[٢] من المؤمنين الكاملين .

ثم أمر رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - إذا استأذنه أحد منهم في ذلك أن يأذن له إن شاء ، ولهذا قال : ﴿ **فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله [إن الله غفور رحيم]**[٣] ﴾ .

وقد قال أبو داود(٢٠٠) : حَدَّثَنَا أحمد بن حَنْبَل ومُسَدّد قالا : حَدَّثَنَا بشر - هو ابن المفضل - عن ابن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إذا انتهىٰ أحدكم إلىٰ المجلس فليسلم ، فإذا أراد أن يقوم فليسلم ، فليست[٤] الأولىٰ بأحق من الآخرة » . وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث محمد بن عجلان به ، وقال الترمذي : حسن .

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

قال الضحاك ، عن ابن عباس : كانوا يقولون : « يا محمد » ، « يا أبا القاسم » ، فنهاهم الله - عز وجل - [عن ذلك][٥] ، إعظامًا لنبيه - صلىٰ الله عليه وسلم - قال : فقالوا : يا رسول الله ، يا نبي الله . وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير . وقال قتادة : أمر الله أن يهاب نبيه - صلىٰ الله عليه وسلم - وأن يُبَجّل ، وأن يعظم ، وأن يسود[٦] . وقال مقاتل [ابن حيان][٧] في قوله : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا** ﴾ ، يقول : لا تُسَمُّوه إذا دَعوتموه « يا محمد » ، ولا تقولوا : « يا ابن عبد الله » ، ولكن شَرّفوه فقولوا : « يا نبي الله » ، « يا رسول الله » .

وقال مالك ، عن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء**

(٢٠٠) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب : في السلام إذا قام من المجلس حديث (٥٢٠٨) ، وسنن الترمذي في الاستئذان حديث (٢٧٠٦) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١٠٢٠١) .

[١] - في خ : « يتفرقوا » .
[٢] - في خ : « فإنه » .
[٣] - مكانها في ت : « الآية » .
[٤] - سقط من : خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٦] - في ز : « يود » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

بعضكم بعضًا ﴾ ، قال : أمرهم الله[١] أن يشرفوه . هذا قول ، وهو الظاهر من السياق ، كما قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتىٰ تخرج إليهم لكان خيرًا لهم** ﴾ الآية[٢] وهذا[٣] كله من باب الأدب[٤] [في مخاطبة النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - والكلام معه ، وعنده ، كما أمروا بتقديم الصدقة قبل مناجاته][٥] .

والقول الثاني في ذلك : أن المعنىٰ في : ﴿ **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا** ﴾ ، أي : لا تعتقدوا أن دعاءه علىٰ غيره كدعاء غيره ، فإن دعاءه مستجاب ، فاحذروا أن يدعو عليكم فتهلكوا . حكاه ابن أبي حاتم عن ابن عباس والحسن البصرى وعطية العوفى ، والله[٦] أعلم .

وقوله : ﴿ **قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا** ﴾ ، قال مقاتل بن حَيَّان : هم المنافقون ، كان يثقل عليهم الحديث في يوم الجمعة - ويعني بالحديث : الخطبة - فيلوذون ببعض أصحاب محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - حتىٰ يخرجوا من المسجد ، وكان[٧] لا يصلح[٨] للرجل أن يخرج من المسجد إلا بإذن من النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - في يوم الجمعة ، بعد ما يأخذ في الخطبة ، وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشارَ بأصبعه إلىٰ النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - فيأذن له من غير أن يتكلم الرجل ؛ لأن الرجل منهم[٩] كان إذا تكلم والنبي - صلىٰ الله عليه وسلم - يخطب ، بطلتْ جُمعته .

وقال السدي : كانوا إذا كانوا معه في جماعة لاذ بعضهم ببعض ، حتىٰ يتغيبوا عنه ، فلا يراهم .

وقال قتادة في قوله: ﴿ **قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا** ﴾ [يعني : لوذًا عن نبي الله وعن كتابه .

---

[١] - سقط من : ز .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - في ز : « فهذا » .
[٤] - في ز : « الآداب» .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « فالله » .
[٧] - في ز : « فكان » .
[٨] - في ت : « يصح » .
[٩] - سقط من : ز .

وقال سفيان : ﴿ **قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا** ﴾ ، قال : من الصف . وقال مجاهد في الآية : ﴿ **لواذا** ﴾ :]‏[١] خلافًا .

وقوله : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره** ﴾ ، أي : عن أمر رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - و[٢] سبيله هو ومنهاجه، وطريقته، وسنته[٣]، وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قُبل ، وما خالفه فهو مردود علىٰ قائله وفاعله ، كائنًا من[٤] كان ، كما ثبت في الصحيحين(٢٠١) وغيرهما ، عن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : « من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رَدّ » . أي : فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنًا أو[٥] ظاهرًا ﴿ **أن تصيبهم فتنة** ﴾ ، أي : في قلوبهم ، من كفر أو نفاق أو بدعة ، ﴿ **أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ ، أي : في الدنيا ، بقتل أو حدّ أو حبس، أو نحو ذلك .

قال الإمام أحمد(٢٠٢) : حَدَّثَنَا عبد الرزاق ، حَدَّثَنَا معمر ، عن همام بن مُنَبّه قال : هذا ما حَدَّثَنَا أبو هريرة قال : قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - : « مثلي ومثلكم كمثل رجل استوقد نارًا ، فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهى هذه الدواب اللائي[٦] يقعن [في النار يقعن][٧] فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه ويتقحّمن[٨] فيها ، قال : فذلك مثلي ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار ! فتغلبوني وتقتحمون فيها » . أخرجاه من حديث عبد الرزاق .

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السماوات والأرض، وأنه عالم [غيب السماوات والأرض][٩] ، وهو عالم بما العباد عاملون في سرهم وجهرهم ، فقال : ﴿ **قد يعلم ما أنتم عليه** ﴾ « وقد » للتحقيق ، كما قال قبلها : ﴿ **قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا** ﴾ ، وقال تعالىٰ :

---

(٢٠١) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، حديث (٢٦٩٧) ، وصحيح مسلم ، كتاب الأقضية (١٧١٨) .
(٢٠٢) المسند (٣١٢/٢) ، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٤) وليس عند البخاري من هذا الطريق .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في خ : هو .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز : « ما » .
[٥] - في خ : « و » .
[٦] - في ز : « اللاتي » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٨] - في ز : « يقتحمن » .
[٩] - في خ : « الغيب والشهادة » .

﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم [والقائلين لإخوانهم هلم إلينا][١] ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها [وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير][٢]﴾ وقال : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾... الآية . وقال: ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾ فكل هذه الآيات فيها تحقيق الفعل بـ «قد» ، كما يقول المؤذن تحقيقًا وثبوتًا : (قد قامت الصلاة . قد قامت الصلاة) . فقوله[٣] تعالىٰ : ﴿ قد يعلم ما أنتم عليه ﴾ ، أي : هو عالم به ، مشاهد له ، لا يعزب عنه مثقال ذرة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ وتوكل علىٰ العزيز الرحيم ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ إنه هو السميع العليم ﴾ . وقوله[٤] : ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ أي : هو شهيد علىٰ عباده بما هم فاعلون من خير وشر ، وقال تعالىٰ : ﴿ ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ الآية[٥] ، وقال تعالى : ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ وما من دابة في الأرض إلا علىٰ الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ ، وقال : ﴿ وعنده مَفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدًا .

وقوله : ﴿ ويوم يرجعون إليه ﴾ ، أي : ويوم ترجع الخلائق إلىٰ الله – وهو يوم القيامة – ﴿ فينبئهم بما عملوا ﴾ ، أي : يخبرهم بما فعلوا في الدنيا ، من جليل وحقير ، وصغير وكبير ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر ﴾ ، وقال : ﴿ ووضع الكتاب فترىٰ المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرًا ولا يظلم ربك أحدًا ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم ﴾ ، والحمد لله رب العالمين ، ونسأله التمام .

* * *

---

[١] – مكانها في ت : « الآية ».

[٢] – مكانها في ت : « الآية ».

[٣] – في ز : « وقوله » .

[٤] – في ز : « قال » .

[٥] – سقط من : ز .

تفسير سورة الفرقان

وهي مكية

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ حامدًا نفسه[١] الكريمة علىٰ ما نزّله علىٰ رسوله الكريم من القرآن العظيم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا * قيّمًا لينذر بأسًا شديدًا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات** ﴾... الآية[٢] ، وقال ههنا : ﴿ **تبارك** ﴾ ، وهو تفاعل ، من البركة المستقرة [الدائمة الثابتة][٣] ﴿ **الذي نزل الفرقان** ﴾ ؛ نزّل : فعّل ، من التكرر والتكثر ، كما قال : ﴿ **والكتاب الذي نَزَّل علىٰ رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل** ﴾ ؛ لأن الكتب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة والقرآن [نزل][٤] منجمًا [مفرقًا][٥] مفصلًا آيات بعد آيات ، وأحكامًا بعد أحكام ، وسُورًا بعد سُوَر ، وهذا أشد وأبلغ ، وأشد اعتناءً بمن أنزل عليه ؛ كما قال في أثناء هذه السورة : ﴿ **وقال الذين كفروا لولا نُزِّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا * ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا** ﴾ ، ولهذا سماه هاهنا الفرقان ، لأنه يفرق بين الحق والباطل ، والهدىٰ والضلال ، والغيّ والرشاد ، و[الحرام والحلال] .

وقوله : ﴿ **علىٰ عبده** ﴾ ، هذه صفة مدح وثناء ، لأنه[٦] أضافه إلىٰ عبوديته ، كما وصفه بها في أشرف أحواله ، وهي ليلة الإسراء ، فقال : ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلًا** ﴾ ، وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه : ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا** ﴾ ، وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه ، فقال : ﴿ **تبارك الذي نَزَّل الفرقان علىٰ عبده ليكون للعالمين نذيرًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ليكون للعالمين نذيرًا** ﴾ ، أي : إنما خصه بهذا الكتاب العظيم المبين المفصل المحكم ، الذي ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾ الذي

---

[١] - في ت : « لنفسه » .
[٢] - زيادة من : ت .
[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « الثابتة الدائمة] .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ت .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٦] - في ز : « لا » .

جعله فرقانًا عظيمًا، إنما خصه به ليخصه بالرسالة[١] إلى من يستظل بالخضراء، ويستقل على الغبراء(*)، كما قال صلوٰت الله وسلامه عليه: « **بُعثت إلى الأحمر والأسود** »(١). وقال: « **أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي** »(٢)، فذكر منهن: أنه « **كان النبي يبعث إلىٰ قومه** [**خاصة**][٢]، **وبعثت إلىٰ الناس عامة** ».

وقال الله تعالى: ﴿**قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذى له ملك السموٰت والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت**﴾، أي: الذي أرسلني هو مالك السموات والأرض، الذي يقول للشيء كن فيكون، وهو الذي يحيي ويميت، وهكذا قال ههنا: ﴿ **الذي له ملك السموٰات والأرض ولم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك** ﴾، فنزَّه نفسه عن الولد، وعن الشريك.

ثم أخبر أنه ﴿ **خلق كل شيء فقدره تقديرًا** ﴾ أي: كل شيء مما سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلٰهه، وكل شيء تحت [قدره وتقديره][٣] وتسخيره، وتدبيره [ ][٤].

﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن جهل المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، الخالق لكل شيء، المالك لأزمَّة الأمور، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومع هذا عَبَدُوا معه من الأصنام ما لا يقدر علىٰ خلق جناح بعوضة، بل هم مخلوقون، ولا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، فكيف يملكون لعابديهم؟! ﴿ **ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا** ﴾، أي: ليس إليهم[٥] من ذلك شيء، بل ذلك مرجعه كله إلىٰ الله -عز وجل- فهو[٦] الذي يحيي ويميت، وهو الذي يعيد الخلائق يوم القيامة أولهم وآخرهم، ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** ﴾، ﴿**وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر**﴾ وقوله[٧]: ﴿ **فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة** ﴾، ﴿ **إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون** ﴾، فهو الله

(١) رواه مسلم في صحيحه حديث (٥٢١) هو والذي يليه من حديث جابر، رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في تفسيره (١٨/١٤٠) من طريق سفيان به مرسلًا.

[١] - في ت: « برسالته ».

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت: « خاصة ».

[٣] - في ت: « قهره ».

[٤] - ما بين المعكوفين في ت: « وتقديره ».

[٥] - في ت: « لهم ».

[٦] - سقط من: ت.

[٧] - سقط من: ز، خ.

الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا تنبغي العبادة إلا له، لأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وهو الذي لا ولد له ولا والد، ولا عديل ولا نديد ولا وزير ولا نظير، بل هو الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن سَخَافة عقول الجهلة من الكفار، في قولهم عن القرآن: ﴿ **إن هذا إلا إفك** ﴾، أي: كذب، ﴿ **افتراه** ﴾، يعنون النبي صلىٰ الله عليه وسلم ﴿ **وأعانه عليه قوم آخرون** ﴾، أي: واستعان علىٰ جمعه بقوم آخرين؛ قال[١] الله تعالىٰ: ﴿ **فقد جاءوا ظلمًا وزورًا** ﴾، أي: فقد افتروا هم قولًا باطلًا، هم يعلمون أنه باطل، ويعرفون كذب أنفسهم فيما يزعمون ﴿ **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها** ﴾، يعنون كتب الأوائل، [أي: استحسنها][٢]، ﴿ **فهي تملىٰ عليه** ﴾، أي: تُقرأ عليه ﴿ **بكرة وأصيلًا** ﴾ أي: في أول النهار وآخره وهذا الكلام - لسخافته وكذبه وبَهْته [كل أحد يعلم][٣] منهم بطلانه، [فإنه قد عُلم][٤] بالتواتر وبالضرورة: أن محمدًا رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - لم يكن يعاني شيئًا من الكتابة، لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلىٰ أن بعثه الله نحوًا من أربعين سنة، وهم يعرفون مدخله ومخرجه، وصدقه [وبره وأمانته ونزاهته من][٥] الكذب والفجور، وسائر الأخلاق الرذيلة، حتىٰ إنهم [لم يكونوا][٦] يسمونه في صغره إلىٰ أن بعث إلا[٧] الأمين؛ لما يعلمون من صدقه وبره، فلما أكرمه الله بما أكرمه به، نصبوا له العداوة، ورَمَوْه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها، وحاروا ماذا[٨] يقذفونه به، فتارة من إفكهم يقولون: ساحر، وتارة يقولون: شاعر، وتارة يقولون: مجنون، وتارة يقولون: كذاب، [قال][٩] الله تعالىٰ: ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون**

---

[١] - في ت: «فقال».

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت: «استنسخها».

[٣] - ما بين المعكوفين في ت: «يعلم كل أحد».

[٤] - ما بين المعكوفتين زيادة من: ت.

[٥] - في ت: «ونزاهته وبره وأمانته وبعده عن».

[٦] - في ت: «كانوا».

[٧] - سقط من: ت.

[٨] - في ت: «فيما».

[٩] - في ت: «وقال».

سبيلًا﴾ وقال تعالىٰ في جواب ما عاندوا ههنا وافتروا : ﴿ **قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض** ﴾ الآية[١] ، أي : أنزل القرآن المشتمل علىٰ أخبار الأولين والآخرين إخبارًا حقًّا صدقًا ، مطابقًا للواقع في الخارج ، ماضيًا ومستقبلًا ، ﴿**أنزله الذى يعلم السر**﴾ أي : الله الذي يعلم غيب السموات والأرض ، ويعلم السرائر كعلمه بالظواهر .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **إنه كان غفورًا رحيمًا** ﴾ ، دعاء لهم إلىٰ التوبة والإنابة ، وإخبار لهم[٢] بأن رحمته واسعة ، وأن حلمه[٣] عظيم ، وأن من تاب إليه تاب عليه ، فهؤلاء - مع كذبهم وافترائهم وفجورهم ، وبهتهم وكفرهم وعنادهم ، وقولهم عن الرسول والقرآن ما قالوا - يدعوهم إلىٰ التوبة والإقلاع عما هم فيه إلىٰ الإسلام والهدىٰ ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون إلىٰ الله ويستغفرونه ، والله غفور رحيم** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** ﴾ . قال الحسن البصري : انظروا إلىٰ هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلىٰ التوبة والرحمة !

وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « حكمه » .

يخبر تعالىٰ عن تعنّت الكفار وعنادهم ، وتكذيبهم للحق بلا حجة ولا دليل منهم ، وإنما تعللوا بقولهم[١] : ﴿ **ما لهذا الرسول يأكل الطعام** ﴾ ، يعنون : كما نأكله ، ويحتاج إليه كما نحتاج [إليه][٢] ، ﴿ **ويمشي في الأسواق** ﴾ ، أي : يتردد فيها وإليها طلبًا للاكتساب[٣] والتجارة ، ﴿ **لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا** ﴾ ، يقولون : هلا أنزل إليه ملك[٤] من عند اللّه ، فيكون له شاهدًا علىٰ صدق ما يدعيه ! وهذا كما قال فرعون : ﴿ **فلولا أُلقي عليه أسورة[٥] من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين** ﴾ . وكذلك قال هؤلاء علىٰ السواء ، تشابهت قلوبهم ، ولهذا قالوا : ﴿ **أو يلقىٰ إليه كنز** ﴾ ، أي : علم كنز [يكون][٦] ينفق منه ، ﴿ **أو تكون له جنة يأكل منها** ﴾ ، أي : تسير معه حيث سار . وهذا كله سهل يسير علىٰ اللّه ، ولكن له الحكمة في ترك ذلك ، وله الحجة البالغة . ﴿ **وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلًا مسحورًا** ﴾ . قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا** ﴾ أي : جاءوا بماذا[٧] يقذفونك [ ][٨] ، ويكذبون به عليك ، من قولهم « ساحر ، مسحور ، مجنون ، كذاب ، شاعر » ، وكلها أقوال باطلة ، كل أحد ممن له أدنىٰ فهم وعقل يعرف كذبهم وافترائهم في[٩] ذلك ، ولهذا قال : ﴿ **فضلوا** ﴾ أي[١٠] : عن طريق الهدىٰ ، ﴿ **فلا يستطيعون سبيلًا** ﴾ ، وذلك لأن كل من خرج عن الحق ، فإنه ضال حيثما[١١] توجه ، لأن الحق واحد ومنهج[١٢] متحد ، يصدّق بعضه بعضًا .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا نبيه ، أنه لو[١٣] شاء لآتاه خيرًا مما يقولون في الدنيا ، وأفضل وأحسن ، فقال : ﴿ **تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورًا** ﴾ .

قال مجاهد : يعني في الدنيا ، قال : وقريش يسمون كل بيت من حجارة قصرًا ، سواء كان كبيرًا أو صغيرًا .

وقال سفيان الثوري(٣) ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن خيثمة ، قيل للنبي - صلىٰ اللّه عليه وسلم - : إن شئت أن نعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم يُعْطَ[١٤] نبيّ قبلك ، ولا

(٣) تفسير الطبري (١٨/١٤٠) .

[١] - في ت : « بقوله » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٣] - في ت : « للتكسب » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « أساورة » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - في ت : « بما » .
[٨] - في ت : « به » .
[٩] - في ت : « على » .
[١٠] - سقط من : ت .
[١١] - في خ ، ز : « خبيث ما » .
[١٢] - في ت : « منهجه » .
[١٣] - في ت : « إن » .
[١٤] - في ت : « يعطه » .

يُعطىٰ أحدٌ من بعدك ، ولا ينقص ذلك مما لك عند اللَّه ؟ فقال : اجمعوها لي في الآخرة . فأنزل اللَّه - عز وجل - في ذلك : ﴿ **تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورًا** ﴾ وقوله : ﴿ **بل كذبوا بالساعة** ﴾ ، أي : إنما يقول هؤلاء هكذا تكذيبًا وعنادًا ، لا أنهم يطلبون ذلك تبصرًا واسترشادًا ، بل تكذيبهم بيوم القيامة يحملهم علىٰ قول ما يقولونه من هذه الأقوال . ﴿ **وأعتدنا** ﴾ ، أي : أرصدنا ﴿ **لمن كذب بالساعة سعيرًا** ﴾ ، أي : عذابًا أليمًا حارًا لا يطاق في نار جهنم .

وقال الثورى ، عن سلمة بن كهيل ، عن سعيد بن جبير: السعير: وادٍ من قيح جهنم .

وقوله : ﴿ **إذا رأتهم** ﴾ ، أي : جهنم ﴿ **من مكان بعيد** ﴾ ، يعني : في مقام المحشر - قال السدي : من مسيرة مائة عام - ﴿ **سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا** ﴾ ، أي : حنقًا عليهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقًا وهي تفور * تكاد تميز من الغيظ** ﴾ ، أي : يكاد ينفصل بعضها من بعض ، من شدة غيظها علىٰ من كفر باللَّه .

قال ابن أبي حاتم: حدثنا إدريس بن حاتم بن الأحنف[١] الواسطى- أنه سمع محمد بن الحسن الواسطي، عن أصبغ بن زيد، عن خالد بن كثير ، عن خالد بن دُرَيك[٢]، عن رجل من أصحاب النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال: قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **من يقل عليّ ما لم أقل ، أو ادعي إلىٰ غير والديه ، أو انتمىٰ إلىٰ غير مواليه فليتبوأ بين عيني جهنم مقعدًا** » . قيل : يا رسول اللَّه ، وهل لها من عينين ؟ قال : « **أما سمعتم اللَّه يقول : ﴿ إذا رأتهم من مكان بعيد﴾** الآية » . رواه ابن جرير عن محمود[٣] بن خداش ، عن محمد بن يزيد الواسطي ، به .

وقال أيضًا : حدثنا أبيّ ، حدثنا عليّ بن محمد الطنافسي ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن عيسىٰ بن سُلَيْم ، عن أبي وائل قال : خرجنا مع عبد اللَّه - يعني : ابن مسعود - ومعنا الربيع ابن خُثَيم[٤] فمروا علىٰ حداد ، فقام عبد اللَّه ينظر إلىٰ حديدة في النار ، ونظر الربيع بن خُثَيم[٥] إليها ، فتمايل ليسقط ، فمر عبد اللَّه علىٰ أَتون(*) علىٰ [شاطئ][٦] الفرات ، فلما رآه عبد اللَّه والنار تلتهب في جوفه؛ قرأ هذه الآية : ﴿ **إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا** ﴾ فصعق[٧] - يعني : الربيع [بن خثيم][٨] - فحملوه[٩] إلىٰ [أهله][١٠]، ورابطه(**)

---

[١] - في ت : « الأخيف » .
[٢] - في الطبري : خالد بن كثير عن فديك .
[٣] - في ت : « محمد » .
[٤] - في ت : « خيثم » .
[٥] - في ت : « خيثم » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
(*) الأتون : الموقد الكبير ، كموقد الحمَّام والجصَّاص .
[٧] - في ز ، خ : « صعق » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٩] - في ت : « وحملوه » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ت : « أهل بيته » .

عبد الله إلىٰ الظهر فلم يفق - رضي الله عنه - .

وحدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن رجاء ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي يحييٰ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : إن العبد ليجر إلىٰ النار ، فتشهق إليه شهقة البغلة إلىٰ الشعير ، ثم تزفر زفرة لا يبقىٰ أحد إلا خاف .

هكذا رواه ابن أبي حاتم مختصرًا ، وقد رواه الإمام أبو جعفر بن جرير :

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، حدثنا عُبيد الله بن موسىٰ ، أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيىٰ ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : إن الرجل ليجر إلىٰ النار ، فتنزوي وتنقبض بعضها إلىٰ بعض ، فيقول لها الرحمٰن : ما لك ؟ قالت : إنه يستجير مني . فيقول : أرسلوا عبدي . وإن الرجل ليُجَرّ إلىٰ النار ، فيقول : يا رب ، ما كان هذا الظن بك ، فيقول : فما كان ظنك ؟ فيقول : أن تسعني رحمتك . فيقول : أرسلوا عبدي . وإن الرجل ليُجَرّ إلىٰ النار ، فتشهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعير ، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف . وهذا إسناد صحيح .

وقال عبد الرزاق(٤) : أخبرنا معمر ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عُبَيد بن عُمير في قوله : ﴿ سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا ﴾ ، قال : إن جهنم تزفر زفرة ، لا يبقىٰ ملك [ ][1] ولا نبي إلا خَرّ [ ][2] تَرْعَد فرائصه(***) ، حتىٰ إن إبراهيم - عليه السلام - ليجثو علىٰ ركبتيه ويقول : رب ، لا أسألك اليوم إلا نفسي .

وقوله : ﴿ وإذا ألقوا منها[3] مكانًا ضيقًا مقرنين[4] ﴾ ، قال قتادة ، عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو قال : مثل الزُّج في الرمح أي : من ضيقه .

وقال عبد الله بن وهب(٥) : أخبرني نافع بن يزيد ، عن يحيىٰ بن أبي أسيد - يرفع الحديث إلىٰ رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه سئل عن قول الله : ﴿ وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين ﴾ ، قال : « **والذي نفسي بيده ، إنهم ليستكرهون في النار ، كما يستكره الوتد في الحائط** » .

---

(٤) تفسير عبد الرزاق (٢/٥٦) .

(٥) رواه ابن أبي حاتم ، كما في الدر المنثور (٦/٢٤٠) .

(**) أي : لازمَه .

[١] - في ت : « مقرب » .

[٢] - في ت : « لوجهه » .

(***) الفرائص : جمع فريصة : وهي لحمة بين الكتف والصدر ، ترتعد عند الخوف والفزع ، وهما فريضتان .

[٣] - في ز : « فيها » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

وقوله : ﴿ **مقرنين** ﴾ ، قال أبو صالح : يعني : مكتفين ، ﴿ **دعوا هنالك ثبورًا** ﴾ ، أي : بالويل والحسرة والخيبة ﴿ **لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرا** ﴾ :

[قال][١] الإمام أحمد(٦) : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن يزيد ، عن أنس ابن مالك أن رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - قال : « **أول من يكسىٰ حلة من النار إبليس ، فيضعها علىٰ حاجبيه ويسحبها من خَلْفه** ، وذريته من بعده ، **وهو ينادي : يا ثبوراه . وينادون : يا ثبورهم ! حتىٰ يقفوا علىٰ النار ، فيقول : يا ثبوراه ! ويقولون : يا ثبورهم ! فيقال لهم : ﴿ لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا ﴾** » . لم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، ورواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن سنان ، عن عفان ، به . ورواه ابن جرير ، من حديث حماد[٢] بن سلمة ، به .

وقال العَوفي ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرا** ﴾ ، أي : لا تدعوا اليوم ويلًا واحدًا ، وادعوا ويلًا كثيرًا . وقال الضحاك : الثبور : الهلاك . والأظهر أن الثبور يجمع الهلاك والويل والخَسَار والدّمار ، كما قال موسىٰ لفرعون : ﴿ **وإني لأظنك يا فرعون مثبورًا** ﴾ أي : هالكا ، وقال عبد الله بن الزِّبَعْرَي :

إذْ أجَاري الشَّيطانَ في سَنَن الغـ يّ ، وَمَـنْ مَـالَ مَـيلَـهُ مَـثْبُـورُ

﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا (١٦) ﴾

يقول تعالىٰ : يا محمد ، هذا الذي وصفناه من حال هؤلاء[٣] الأشقياء ، الذين يحشرون علىٰ وجوههم إلىٰ جهنم ، فتتلقاهم بوجه عبوس ، وبغيظ وزفير ، ويُلقون في أماكنها الضيقة مقرَّنين ، لا يستطيعون حراكًا ، ولا انتصارًا ، ولا فكاكًا مما هم فيه ؛ أهذا خير أم جنة الخلد التي وعدها اللَّه للمتقين[٤] من عباده ، التي أعدها لهم ، وجعلها لهم جزاء علىٰ ما أطاعوه في الدنيا ، وجعل مآلهم إليها .

﴿ **لهم فيها ما يشاءون** ﴾ من الملاذ : من مآكل ومشارب ، وملابس ومساكن ، ومراكب ومناظر ، وغير ذلك ، مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خَطَر علىٰ قلب أحد . وهم في

(٦) المسند (٣/١٥٢) ، وتفسير الطبري (١/١٤١) .

[١] - في ت : « وقال » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - في ت : « أولئك » .
[٤] - في ت : « المتقين » .

ذلك خالدون [دائمًا أبدًا][١] سرمدًا بلا انقطاع و[٢]لا زوال ولا انقضاء ، ولا يبغون عنها حوَلا . وهذا من وَعْد الله الذي تفضل به عليهم ، وأحسن به إليهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **كان على ربك وعدًا مسئولًا** ﴾ أي : لابد أن يقع وأن يكون ، كما حكاه أبو جعفر بن جرير عن بعض علماء العربية أن معنى قوله : ﴿ **وعدًا مسئولًا** ﴾ أي : وعدا واجبًا .

وقال ابن جُريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس : ﴿ **كان على ربك وعدًا مسئولًا** ﴾ ، يقول : سلوا الذي واعدتكم - أو قال : واعدناكم - نُنجِز .

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى : ﴿ **كان على ربك وعدًا مسئولًا** ﴾ : إن الملائكة تسأل لهم ذلك ، ﴿ **ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم** ﴾ .

وقال أبو حازم : إذا كان يوم القيامة ؛ قال المؤمنون : ربنا عملنا لك بالذي أمرتنا[٣] ، فأنجز لنا ما وعدتنا . فذلك قوله : ﴿ **وعدًا مسئولًا** ﴾ وهذا المقام في هذه السورة من ذكر النار ، ثم التنبيه على حال أهل الجنة ، كما ذكر تعالى في « **سورة الصافات** » حال أهل الجنة ، [ ][٤] وما فيها من النضرة والحبور ، ثم قال : ﴿ **أذلك خير نزلًا أم شجرة الزقوم * إنا جعلناها فتنة للظالمين * إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رءوس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون * ثم إن لهم عليها لشوبًا من حميم * ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم * إنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يُهرعون** ﴾

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

يقول تعالى مخبرًا عما يَقع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله، من الملائكة وغيرهم، فقال: ﴿ **ويوم يَحشُرهم[٥] وما يعبدون من دون الله** ﴾، قال مجاهد :

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « أبدًا دائمًا » . [٢] - سقط من : ز .

[٣] - في خ ، ز : « وعدتنا » . [٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « ثم » .

[٥] - في ز ، خ : « نحشرهم » وهي قراءة : نافع ، وأبي عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وابن عامر . وقد أثبتنا قراءة حفص بن عاصم .

عيسىٰ ، والعُزَير ، والملائكة . ﴿ **فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل** ﴾ ، أي : فيقول [الرَّبُّ][١] تبارك وتعالىٰ : أأنتم دعوتم هؤلاء إلىٰ عبادتكم من دوني ، أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم ، من غير دعوة منكم لهم ؟ كما قال اللّه تعالىٰ : ﴿ **وإذ قال اللّه يا عيسىٰ ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون اللّه قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم** ﴾ ، إلى آخر الآية ، ولهذا قال تعالىٰ مخبرًا عما يُجيب به المعبودون يوم القيامة : ﴿ **قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء** ﴾ . قرأ الأكثرون بفتح « **النون** » من قوله ﴿ **نَتَّخِذ من دونك أولياء** ﴾ ، أي : ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدًا سواك ، لا نحن ولا هم ، فنحن ما دعوناهم إلىٰ ذلك ، بل هم قالوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا، ونحن برآء منهم ومن عبادتهم ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ويوم يحشرهم[٢] جميعًا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون** ﴾ .

وقرأ آخرون : ﴿ **ما كان ينبغى لنا أن نُتَّخَذَ من دونك من أولياء** ﴾ ، أي : ما ينبغي لأحد أن يعبدنا ، فإنا عبيد لك ، فقراء إليك . وهي قريبة المعنىٰ من الأولىٰ .

﴿ **ولكن متعتهم وآباءهم** ﴾ ، أي : طال عليهم العمر، حتىٰ نسوا الذكر ، أي: نسوا ما أنزلته إليهم علىٰ ألسنة رسلك ، من الدعوة إلىٰ عبادتك وحدك لا شريك لك .

﴿ **وكانوا قومًا بورًا** ﴾ ، قال ابن عباس : أي : هلكىٰ . وقال الحسن البصري - ومالك عن الزهري - : أي : لا خير فيهم . وقال ابن الزبعري حين أسلم :

يا رَسُولَ المَليكِ إنّ لِسانِي رَاتِقٌ[٣] ما فَتَقْتُ إذْ[٤] أنا بُورُ
إذْ أجارِي الشَّيطانَ في سَنَنِ الغَـ يِّ ، وَمَن مالَ مَيْلَه مَثْبُورُ

قال اللّه تعالىٰ :﴿ **فقد كذبوكم بما تقولون** ﴾ ، أي : فقد كذبكم الذين عبدتم فيما زعمتم أنهم لكم أولياء ، وأنكم اتخذتموهم قربانًا يقربونكم إليه زلفىٰ ، كما قال تعالىٰ :﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون اللّه من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ وقوله :﴿ **فما تستطيعون[٥] صرفًا ولا نصرًا** ﴾ ، أي : لا يقدرون علىٰ صرف العذاب عنهم، ولا الانتصار لأنفسهم ،﴿ **ومن**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٢] - في ت : « نحشرهم » وهي قراءة الجمهور . وأثبتنا قراءة حفص بن عاصم .

[٣] - في ز : « رَاتِقٌ » . [٤] - في ز : « إذا » .

[٥] - في ز ، خ : « يستطيعون » وهي قراءة الجمهور . والمثبت قراءة حفص عن عاصم .

يظلم منكم﴾ ، أي : يشرك بالله ﴿ **نذقه عذابًا كبيرًا** ﴾ .

وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن جميع من بعثه من الرسل المتقدمين : إنهم كانوا يأكلون الطعام ، ويحتاجون الىٰ التغذي به و﴿ **يمشون في الأسواق** ﴾ ، أي : للتكسب والتجارة ، وليس ذلك بمناف لحالهم ومنصبهم ؛ فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة ، والصفات الجميلة ، والأقوال الفاضلة ، والأعمال الكاملة ، والخوارق الباهرة ، والأدلة القاهرة، ما يستدل به كل ذي لب سليم وبصيرة مستقيمة؛ علىٰ صدق ما جاءوا به من الله عز وجل . ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالىٰ :﴿ **وما أرسلنا من[١] قبلك إلا رجالًا نوحي إليهم من أهل القرى** ﴾ ، ﴿**وما جعلناهم جسدًا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين**﴾.

وقوله : ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون** ﴾ ، أي : اختبرنا بعضكم ببعض ، وبلونا بعضكم ببعض ، لنعلم من يطيع ممن يعصي ؛ ولهذا قال : ﴿ **أتصبرون وكان ربك بصيرًا** ﴾ ، أي : [بمن يستحق أن يوحىٰ إليه ، كما قال تعالىٰ :﴿ **الله أعلم حيث يجعل رسالته** ﴾][٢] ومن يستحق أن يهديه الله لما أرسلهم به ومن لا يستحق ذلك .

وقال محمد بن إسحاق في قوله : ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون** ﴾ ، قال :يقول الله : لو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي لا[٣] يخالفون ، لفعلت ، ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بهم ، [وأبتليهم بهم][٤] .

وفي صحيح مسلم(٧) عن عياض بن حمار عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **يقول الله : إني مبتليك ومبتل بك** » . وفي المسند عن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **لو شئت لأجرىٰ الله معي جبال الذهب والفضة** » . وفي الصحيح أنه – عليه أفضل الصلاة والسلام – خير بين أن يكون نبيًا ملكًا أو عبدًا رسولًا ، فاختار أن يكون عبدًا رسولًا .

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ

(٧) صحيح مسلم حديث (٢٨٦٥) .

[١] – سقط من : ز ، خ .

[٢] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] – في ت : « فلا » .

[٤] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن تَعَنُّت الكفار في كفرهم ، وعنادهم في قولهم : ﴿ **لولا أنزل علينا الملائكة** ﴾ ، أي : بالرسالة كما نُزّل علىٰ الأنبياء ، كما أخبر عنهم تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **قالوا لن نؤمن حتىٰ نؤتىٰ مثل ما أوتي رسل الله** ﴾ ويحتمل أن يكون مرادهم ههنا : ﴿ **لولا أنزل علينا الملائكة** ﴾ فنراهم عياناً ، فيخبرونا أن محمدًا رسول الله ، كقولهم : ﴿ **أو**[١] **تأتي بالله والملائكة قبيلًا** ﴾ ، وقد تقدم تفسيرها في سورة سبحان ؛ ولهذا قال[٢] : ﴿ **أو نرىٰ ربنا** ﴾ ، ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿ **لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوًا كبيرًا** ﴾ . وقد قال تعالىٰ : ﴿ **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتىٰ وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يوم يرون الملائكة لا بشرىٰ يومئذ للمجرمين ويقولون حجرًا محجورًا** ﴾ ، أي : هم لا يرون الملائكة في يوم خير لهم ، بل يوم يرون الملائكة لا بشرىٰ يومئذ لهم ، وذلك يصدق علىٰ وقت الاحتضار ، حين تبشرهم الملائكة بالنار ، وغضب الجبار ، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه : اخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث ، اخرجي إلىٰ سموم وحميم ، وظل من يحموم . فتأبىٰ الخروج وتتفرق في البدن ، فيضربونه ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولو ترىٰ إذ يتوفىٰ الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم** ﴾ ، وقال : ﴿ **ولو ترىٰ إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم** ﴾ ، أي : بالضرب ، ﴿ **أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون علىٰ الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون** ﴾ ؛ ولهذا قال في هذه الآية الكريمة : ﴿ **يوم يرون الملائكة لا بشرىٰ يومئذ للمجرمين** ﴾ ، وهذا بخلاف حال المؤمنين في وقت احتضارهم ، فإنهم يبشرون بالخيرات ، وحصول المسرات . قال الله تعالىٰ : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلًا من غفور رحيم** ﴾ وفي الحديث الصحيح عن البراء بن عازب : أن الملائكة تقول لروح المؤمن : « **اخرجي أيتها النفس**

---

[١] - في ت : « حتى » . [٢] - في ت : « قالوا » .

الطيبة في الجسد الطيب ، كنت تعمرينه ، اخرجي إلىٰ روح وريحان ورب غير غضبان » .
وقد تقدم الحديث في « سورة إبراهيم » ، عند قوله تعالىٰ : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ وقال آخرون : بل المراد بقوله : ﴿ يوم يرون الملائكة ﴾ ، يعني : يوم القيامة ؛ قاله مجاهد ، والضحاك ، وغيرهما .

ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم ؛ فإن الملائكة في هذين اليومين - يوم الممات ويوم المعاد - تتجلىٰ للمؤمنين وللكافرين ، فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان ، وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران ، فلا بشرىٰ يومئذ للمجرمين .

﴿ ويقولون حجرًا محجورًا ﴾ أى : [وتقول][١] الملائكة للكافرين : حرام محرم عليكم الفلاح اليوم .

وأصل « الحجر » : المنع ، ومنه يقال : حَجَر القاضي علىٰ فلان ، إذا منعه التصرف إما لسفهٍ ، أو فلس ، أو صغر ، أو نحو ذلك ، ومنه سمي « الحِجْر » عند البيت الحرام ؛ لأنه يمنع الطواف أن يطوفوا فيه ، وإنما يطاف من ورائه ، ومنه يقال للعقل « حِجْرًا » ؛ لأنه يمنع صاحبه عن تعاطي ما لا يليق .

والغرض أن الضمير في قوله : ﴿ ويقولون ﴾ عائد علىٰ الملائكة ، هذا قول مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، وعطية العوفي ، وعطاء الخراساني ، وخصيف ، وغير واحد ، واختاره ابن جرير(٨) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو نعيم ، حدثنا موسىٰ - يعني : ابن قيس - عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري : ﴿ ويقولون حجرًا محجورًا ﴾ ، قال : حراماً مُحَرَّمًا أن يُبَشَّر بما يبشر به المتقون .

وقد حكىٰ ابن جَرير ، عن ابن جُريج أنه قال : ذلك من كلام المشركين : ﴿ يوم يرون الملائكة ﴾ ، [أي : يتعوذون من الملائكة ؛ وذلك أن العرب كانوا إذا نزل بأحدهم نازلة أو شدة][٢] يقول[٣] : ﴿ حجرًا محجورًا ﴾ .

وهذا القول - وإن كان له مأخذ ووجه - ولكنه بالنسبة إلىٰ السياق [في الآية][٤] بعيد ، [ولا][٥] سيما قد نص الجمهور علىٰ خلافه ، ولكن قد روىٰ ابن أبي نجيح ، عن مجاهد أنه

(٨) تفسير الطبري (١٩/٢) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « يقولون » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٥] - في ت : « لا » .

قال في قوله : ﴿ **حجرًا محجورًا** ﴾ ، أي : عوذًا معاذًا . فيحتمل أنه أراد ما ذكره ابن جُرَيج ، ولكن في رواية ابن أبي حاتم ، عن ابن أبي نَجيح ، عن مجاهد أنه قال : ﴿ **حجرًا محجورًا** ﴾ ، عوذًا معاذًا ، الملائكة [تقُوله][١] ، فالله أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورًا** ﴾ ، [وهذا][٢] يوم القيامة ، حين يحاسب الله العباد علىٰ ما عملوه من [خير وشر][٣] ، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال - التي ظنوا أنها منجاة لهم - شيء ؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي ؛ إما الإخلاص فيها ، وإما المتابعة لشرع الله ، فكل عمل لا يكون خالصًا وعلىٰ الشريعة المرضية ، [ ][٤] فهو باطل . فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين ، وقد تجمعهما معًا ، فتكون أبعد من القبول حينئذ ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وقَدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا** ﴾ .

قال مجاهد والثورى : ﴿ **وقدمنا** ﴾ ؛ أي : عمدنا . وقال السدى : قدمنا : عمدنا ، وبعضهم يقول : أتينا عليه .

وقوله : ﴿ **فجعلناه هباء منثورًا** ﴾ ، قال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن عليّ - رضي الله عنه - في قوله : ﴿ **هباءً منثورًا** ﴾ ، قال[٥] : شعاع الشمس إذا دخل في الكوة . وكذا روي من غير هذا الوجه عن عليّ . وروي مثله[٦] عن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبير ، والسدي ، والضحاك ، وغيرهم . وكذا قال الحسن البصري : هو الشعاع في كوة أحدهم ، ولو ذهب يقبض عليه لم يستطع .

وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **هباءً منثورًا** ﴾ قال : هو الماء المهراق .

وقال أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن [ ][٧] الحارث ، عن عليّ : ﴿ **هباء منثورًا** ﴾ ، قال : الهباء رَهْج(*) الدواب . وروي مثله عن ابن عباس أيضًا والضحاك ، وقاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال قتادة في قوله : ﴿ **هباءً منثورًا** ﴾ ، قال : ما[٨] رأيت يبيس(**) الشجر إذا أذرته[٩]

---

[١] - ما ت : « تقول ذلك » . [٢] - في ت : « هذا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « الخير والشر » . [٤] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « وإلا » .
[٥] - في خ : « على » . [٦] - سقط من : خ .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « أبي » .
(*) في ز ، خ : « وهج » . ويبدو أن الكلمة حرفت ، وانقلبت الراء واوًا . والرهج : الغبار ، والسحاب الرقيق كأنه غبار .
[٨] - في ت : « أما » .
(**) اليَبِيس : ما يَبِس من العُشْب والبقول التي تتناثر إذا يبست . [٩] - في ت : « ذرته » .

الريح ؟ فهو ذلك الورق .

وقال عبد الله بن وهب : أخبرني عاصم بن حكيم ، عن أبي سريع الطائي ، عن [عَبيد بن تِعْلى][١] قال : وإن الهباء الرماد .

وحاصل هذه الأقوال التنبيه على مضمون الآية ، وذلك أنهم عملوا أعمالًا اعتقدوا أنها شئ ، فلما عرضت علىٰ الملك الحكيم العدل ، الذي لا يجور ، ولا يظلم أحدًا ، إذا إنها لا شئ بالكلية . وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق ، الذي لا يقدر منه صاحبه علىٰ شيء بالكلية ، كما قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا علىٰ شئ ذلك هو الضلال البعيد** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذىٰ كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن باللّٰه واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدًا** ﴾ إلىٰ قوله ﴿ **لا يقدرون علىٰ شئ مما كسبوا** ﴾ . وقال تعالىٰ : ﴿ **والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئًا** ﴾ وتقدم الكلام على تفسير ذلك ، ولله الحمد والمنة[٢] .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ [أي : يوم القيامة لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ، وأصحاب الجنة هم الفائزون][٣] وذلك لأن[٤] أهل الجنة يصيرون إلىٰ الدرجات العاليات ، والغرفات الآمنات ، فهم في مقام أمين ، حسن المنظر ، طيب المقام ﴿ **خالدين فيها حسنت مستقرًا ومقامًا** ﴾ ، وأهل النار يصيرون إلىٰ الدركات السافلات، والحسرات المتتابعات ، وأنواع العذاب والعقوبات ﴿ **إنها ساءت مستقرًا ومقاماً** ﴾ ، أي : بئس المنزل منظرًا ، وبئس المقيل مقامًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ ، أي : بما عملوه من الأعمال المتقبلة ، نالوا ما نالوا ، وصاروا إلىٰ ما صاروا إليه ، بخلاف أهل النار فإنه[٥] ليس لهم عمل واحد يقتضي لهم دخول الجنة والنجاة من النار ، فَنَبَّه [تعالىٰ] بحال السعداء علىٰ حال الأشقياء ، وأنه لا خير عندهم بالكلية ، فقال تعالىٰ : ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا** ﴾ . قال الضحاك ، عن ابن عباس : إنما هي ضحوة ، فيقيل أولياء اللّٰه علىٰ الأسِرَّة مع الحور العين ، ويقيل أعداء اللّٰه مع الشياطين مقرنين .

وقال سعيد بن جبير : يفرغ اللّٰه من الحساب نصف النهار ، فيقيل أهل الجنة في الجنة ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « عبيد بن يعلى » وحرف ، تعلى إلى يعلى . وترجمته في تهذيب الكمال [١٩/١٩٠] ، والجرح والتعديل [٥/٤٠٢] .

[٢] - سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٤] - في ت : « أن » .

[٥] - في ت : « فإنهم » .

وأهل النار في النار، قال الله تعالىٰ: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا﴾. وقال عكرمة: إني لأعرف الساعة التي يدخل فيها أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار؛ [هي][١] الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحىٰ الأكبر، إذا انقلب الناس إلىٰ أهليهم للقيلولة، فينصرف أهل النار إلىٰ النار، وأما أهل الجنة [فينطلق بهم إلىٰ الجنة][٢]، فكانت قيلولتهم [في الجنة][٣]، وأطعموا كبد حوت، فأشبعهم [ذلك][٤] كلهم، وذلك قوله: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا﴾. وقال [سفيان، عن][٥] ميسرة، عن المنهال، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود [أنه][٦] قال: لا ينتصف النهار حتىٰ يقيل هؤلاء وهؤلاء، ثم قرأ: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا﴾. وقرأ: ﴿ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾.

وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا﴾، قال: قالوا في الغرف من الجنة، وكان حسابهم أنْ[٧] عُرضوا على ربهم[٨] عرضة واحدة، وذلك الحساب اليسير، وهو مثل قوله تعالىٰ: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا * وينقلب إلىٰ أهله مسرورًا﴾. وقال قتادة في قوله: ﴿أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقرًا وأحسن مقيلًا﴾ أي: مأوى ومنزلًا.

و[٩]قال قتادة: وحدث صفوان بن محرز أنه قال: يجاء [يوم القيامة برجلين، كان أحدهما][١٠] ملكًا في الدنيا، إلىٰ الحمرة والبياض فيحاسب، فإذا عبدٌ لم يعمل خيرًا [][١١]، فيؤمر به إلىٰ النار. والآخر كان صاحب كساء في الدنيا، فيحاسب. فيقول: يا رب، ما أعطيتني من شيء فتحاسبني به. [فيقول][١٢]: صدق عبدي، فأرسلوه. فيؤمر به إلىٰ الجنة، ثم يتركان ما شاء الله، ثم يدعىٰ صاحب النار، فإذا هو مثل الحُمَمة السوداء، فيقال له: كيف وجدت؟ فيقول: شر مَقيل. فيقال له: عُدْ. ثم يُدعىٰ بصاحب الجنة، فإذا هو مثل القمر ليلة البدر، فيقال له: كيف وجدت؟ فيقول: رب، خير مَقيل. فيقال له[١٣]: عد. رواها ابن أبي حاتم كلها.

وقال ابن جرير(٩): حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، أنبأنا عمرو بن الحارث، أن سعيدًا

(٩) تفسير الطبري (١٩/٥).

[١] - في ت: «وهي».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ: «بن»، وفي ز: «سفيان بن».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٧] - في ز، خ: «إذْ».
[٨] - سقط من: خ، ز.
[٩] - سقط من: ز، خ.
[١٠] - في ت: «برجلين يوم القيامة أحدهما كان».
[١١] - في ت: «قط».
[١٢] - في ت: «فيقول الله».
[١٣] - سقط من: ز.

الصوَّاف حدثه، أنه بلغه: أن يوم القيامة يقصر علىٰ المؤمن حتىٰ يكون كما بين العصر إلىٰ غروب الشمس، وأنهم ليقيلون[١] في رياض الجنة حتىٰ يفرغ من الناس، فذلك[٢] قوله تعالىٰ: ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا** ﴾.

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا (٢٥) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا (٢٦) وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا (٢٩) ﴾

يخبر تعالىٰ عن هول يوم القيامة، ومايكون فيه من الأمور العظيمة، فمنها انشقاق[٣] السماء وتفطرها وانفراجها بالغمام، وهو ظلل النور العظيم الذي يبهر الأبصار، ونزول ملائكة السموات يومئذ، فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر، ثم يجيء الرب تبارك وتعالىٰ لفصل القضاء.

قال مجاهد: وهذا كما قال تعالى: ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور** ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار بن الحارث، حدثنا مؤمل، حدثنا حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد عن[٤] يوسف بن مهران، عن ابن عباس، أنه قرأ هذه الآية: ﴿ **ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا** ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يجمع الله الخلق [في][٥] يوم القيامة في صعيد واحد، الجن والإنس والبهائم والسباع والطير وجميع الخلق[٦]، فتنشق السماء الدنيا، فينزل أهلها - وهم أكثر من الجن والإنس ومن جميع الخلائق[٧] - فيحيطون بالجن والإنس وبجميع الخلق، ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها[فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم وبالجن والإنس وجميع الخلق]، وهم أكثر من أهل السماء الدنيا ومن [الجن والإنس و][٨] جميع الخلق [فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم

---

[١] - في ز، خ: «ليقيلوا».
[٢] - في ت: «وذلك».
[٣] - في ز، خ: «اشتقاق».
[٤] - في ت، خ: «بن».
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٦] - في ت: «الخلائق».
[٧] - في ت: «الخلق».
[٨] - سقط من: ت.

وبالجن والإنس وجميع الخلق](*) ، ثم تنشق السماء الثالثة ، فينزل أهلها ، وهم أكثر من أهل السماء الثانية والسماء الدنيا ومن جميع الخلق ، فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم ، وبالجن والإنس وجميع الخلق ، ثم كذلك كل سماء حتىٰ تنشق السماء السابعة ، [فينزل أهلها][١] وهم أكثر ممن نزل قبلهم من أهل السموات ، ومن الجن والإنس ، ومن جميع الخلق ، فيحيطون بالملائكة الذين نزلوا قبلهم من أهل السموات ، وبالجن والإنسِ وجميع الخلق كلهم[٢] ، [و][٣] ربنا - عز وجل - في ظلل من الغمام ، وحوله الكرُوبيون وهم أكثر من أهل السموات السبع والإنس والجن وجميع الخلق ، لهم قرون كأكعب القنا وهم تحت العرش ، لهم زَجَل بالتسبيح والتهليل والتقديس لله عز وجل ، ما بين إخمص قدم أحدهم إلىٰ كعبه مسيرة خمسمائة عام ، وما بين كعبه إلىٰ ركبته[٤] مسيرة خمسمائة عام ، وما بين ركبته إلىٰ أرنبته[٥] مسيرة خمسمائة عام ، [وما بين حجزته إلى ترقوته مسيرة خمسمائة عام][٦] وما بين ترقوته[٧] إلىٰ [موضع القُرط][٨] مسيرة خمسمائة عام ، [ ][٩] وما فوق ذلك مسيرة خمسمائة عام ، وجهنم مجنبته . هكذا رواه ابن أبي حاتم بهذا السياق .

وقال ابن جرير(١٠) : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثني الحجاج ، عن مبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهْران ، أنه سمع ابن عباس يقول : إن هذه السماء إذا انشقت نزل[١٠] منها من الملائكة أكثر من [الجن والإنس][١١] ، وهو يوم التلاق ، يوم يلتقي أهل السماء وأهل[١٢] الأرض ، فيقول أهل الأرض : جاء ربنا ؟ فيقولون : لم يجئ ، وهو آتٍ ، ثم تنشق السماء الثانية ، ثم سماء سماء ، علىٰ قدر ذلك من التضعيف إلىٰ السماء السابعة ، فينزل منها من الملائكة أكثر [من جميع][١٣] من نزل من السموات ومن الجن والإنس . قال : فتنزل الملائكة الكَرُوبيّون ، ثم يأتي ربنا في حملة العرش الثمانية ، بين كعب كل ملك وركبته مسيرة سبعين سنة ، وبين فخذه ومنكبه مسيرة سبعين سنة . قال : وكل

(١٠) تقدم الحديث عند تفسير الآية : ٧٣ من سورة الأنعام .

(*) سقط من ز ، خ . وأثبتناه من الدر المنثور [١٢٤/٥] ، وهو في ت بعد : ثم تنشق السماء الثانية فينزل أهلها .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - ما بين المعكوفين في ت : « وينزل » .
[٤] - في ت : « ركبتيه » .
[٥] - في ت : « حجزته » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : م .
[٧] - في ز : « أرنبته » .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « ترقوته » .
[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « وما بين ترقوته إلى موضع القُرط مسيرة خمسمائه عام » .
[١٠] - في ت : « ينزل » .
[١١] - ما بين المعكوفتين في ت : « الإنس والجن » .
[١٢] - سقط من : ز ، خ .
[١٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ملك منهم لم يتأمل وجه صاحبه ، وكل ملك منهم واضع رأسه بين ثدييه يقول : سبحان الملك القدوس ! وعلىٰ رءوسهم شيء مبسوط كأنه القَباء ، والعرش فوق ذلك . ثم وقف . فمداره علىٰ عليّ بن زيد بن جُدْعان ، وفيه ضعف ، وفي سياقاته - غالبًا - نكارة شديدة ، وقد ورد في حديث الصور المشهور قريب من هذا ، والله أعلم .

وقد قال الله تعالىٰ : ﴿ **فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية . والملك علىٰ أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية** ﴾ . قال شهر بن حوشب : حملة العرش ثمانية ، أربعة منهم يقولون : سبحانك اللّهم وبحمدك ، لك الحمد علىٰ حلمك بعد علمك ، وأربعة يقولون : سبحانك اللّهم وبحمدك ، لك الحمد علىٰ عفوك بعد قدرتك . رواه ابن جرير عنه .

[وقال][١] أبو بكر بن عبد الله : إذا نظر أهل الأرض إلىٰ العرش يهبط عليهم من فوقهم ، شخصت إليه أبصارهم ، ورجَفَت كُلاهم في أجوافهم ، وطارت قلوبهم من مقرها من صدورهم إلى حناجرهم .

وقال ابن جرير : حدثنا القاسم ، حدثنا الحسين[٢] ، حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن عبد الجليل ، عن أبي حازم ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : يهبط الله - عز وجل - حين يهبط وبينه وبين خلقه سبعون ألف حجاب ، منها النور والظلمة ، فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتًا تنخلع منه القلوب . وهذا موقوف على[٣] عبد الله بن عمرو من كلامه ، ولعلّه من الزاملتين ، والله أعلم .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومًا على الكافرين عسيرًا** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ﴾ . وفي الصحيح(١١) أن الله تعالىٰ يطوي السموات بيمينه ويأخذ الأرضين[٤] بيده الأخرىٰ ثم يقول : أنا الملك ! أنا الديان ! أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟

وقوله : ﴿ **وكان يومًا علىٰ الكافرين عسيرًا** ﴾ . أي : شديدًا صعبًا ؛ لأنه يوم عدل وقضاء فصل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير * علىٰ الكافرين غير يسير** ﴾ . فهذا حال الكافرين في ذلك[٥] اليوم . وأما المؤمنون فكما قال تعالىٰ : ﴿ **لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون** ﴾ .

(١١) صحيح مسلم حديث (٢٧٨٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه وليس فيه : « أنا الديان».

[١] - في ت : « قال » .
[٢] - في ت : « الحسن » .
[٣] - في ز : « عن » .
[٤] - في خ : « الأرض » .
[٥] - في ت : « هذا » .

قال[١] الإمام أحمد(١٢) : حدثنا حسن[٢] بن موسىٰ ، حدثنا ابن لهيعة ، حدثنا دَرّاج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري قال : قيل : يا رسول اللَّه : ﴿ **يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ ما أطول هذا اليوم ! فقال رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلّم - : « **والذي نفسي بيده ، إنه ليخفف علىٰ المؤمن حتىٰ يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا** » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويوم يعض الظالم علىٰ يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلًا** ﴾ يخبر تعالىٰ عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، وما جاء به من عند اللَّه من الحق المبين ، الذي لا مرْية فيه ، وسلك طريقًا أخرىٰ غير سبيل الرسول ، فإذا كان يوم القيامة نَدم حيثُ لا ينفعه النَّدَمُ ، وعضّ علىٰ يديه حسرة وأسفًا .

وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي مُعَيْط أو غيره من الأشقياء ، فإنها عامة في كل ظالم ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا اللَّه وأطعنا الرسولا * وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربّنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنًا كبيرًا**[٣] ﴾ فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ، ويعض على يديه قائلًا : ﴿ **يا ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلًا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا** ﴾ . يعني : لمن[٤] صرفه عن الهدىٰ ، وعدل به إلىٰ طريق [الضلالة][٥] ، وسواء في ذلك أمية بن خلف ، أو أخوه أبيّ[٦] بن خلف ، أو غيرهما .

﴿ **لقد أضلني عن الذكر [ ][٧] بعد إذ جاءني** ﴾ . أي : بعد بلوغه إليَّ ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وكان الشيطان للإنسان خذولا** ﴾ .أي : يخذله عن الحق ، ويصرفه عنه ، ويستعمله في الباطل ويدعوه إليه .

---

(١٢) المسند (٧٥/٣) (١١٧٣٤) ، وإسناده ضعيف . والحديث أخرجه أبو يعلى (١٣٩٠/٢) حدثنا زهير ، حدثنا الحسن بن موسى به . وابن عدي في الكامل (٩٨١/٣) من طريق أسد بن موسى - تحرفت إلى أنس - ثنا ابن لهيعة به . وأخرجه ابن حبان في « صحيحه » (٧٣٣٤/١٦) ، وهو في « الموارد » (٨/ ٢٥٧٧) . والطبري في تفسيره (٧٢/٢٩) . من طريقين عن ابن وهب به ، وتحرف عند الطبري « عن أبي سعيد » إلى « عن سعيد » . وذكره الهيثمي في « المجمع » (٣٤٠/١٠) وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في راويه » . وزاد نسبته السيوطي في « الدر المنثور » (٤١٧/٦) والتبريزي في « مشكاة المصابيح » (٥٥٦٤/٣) إلى « البيهقي في « كتاب البعث والنشور » .

---

[١] - في ز : « وقال » .
[٢] - في ت : « حسين » .
[٣] - في ز : « كثيرًا » .
[٤] - في ت : « من » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « الضلال » من دعاة الضلالة .
[٦] - في ز : « أمية » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « وهو القرآن » .

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ۝٣٠ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ۝٣١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن رسوله ونبيه محمد، صلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، أنه قال : ﴿ **يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا** ﴾ . وذلك أن المشركين كانوا لا يُصغُون للقرآن ولا يسمعونه[١] ، [كما قال تعالىٰ][٢] : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ . وكانوا[٣] إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره ، حتىٰ لا يسمعوه ؛ فهذا من هجرانه ، وتركُ الإيمان به وتصديقِه من هجرانه ، [وتركُ تدبره وتفهمه من هجرانه ، وتركُ العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه][٤] ، والعدولُ عنه إلىٰ غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ، فنسأل الله الكريم المنان القادر علىٰ ما يشاء ، أن يخلّصنا مما يُسْخطه ، ويستعملنا فيما يرضيه ، من حفظ كتابه وفهمه ، والقيام بمقتضاه آناءَ الليل وأطرافَ النهار ، علىٰ الوجه الذي يحبه ويرضاه ، إنه كريم وهاب .

وقوله تعالىٰ: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا من المجرمين**﴾، أي: كما حصل لك يا محمد في قومك من الذين هجروا القرآن، كذلك كان في الأمم الماضين[٥]؛ لأن الله جعل لكل نبي عدوًّا من المجرمين ، يدعون الناس إلىٰ ضلالهم وكفرهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغىٰ إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون** ﴾ ؛ ولهذا قال تعالىٰ هاهنا : ﴿ **وكفىٰ بربك هاديًا ونصيرًا** ﴾ . أي : لمن اتبع رسوله ، وآمن بكتابه وصدقه واتبعه ، فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة ، وإنما قال : ﴿ **هاديًا ونصيرًا** ﴾؛ لأن المشركين كانوا[٦] يصدون الناس عن اتباع القرآن ، لئلا يهتدي أحد به ، ولتغلب طريقتهم طريقةَ القرآن ؛ فلهذا قال : ﴿ **وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوًّا من المجرمين وكفىٰ بربك هاديًا ونصيرًا** ﴾ .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ۝٣٢ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ

[١] - في ت : « يستمعونه » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « وكانوا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز : « الماضين » .
[٦] - سقط من : خ ، ز .

تَفۡسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٣٤﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم ، وكلامهم فيما لا يعنيهم ، حيث قالوا : ﴿ **لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة** ﴾ . أي : هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة ، كما نزلت الكتب قبله [ ][١] ، كالتوراة والإنجيل والزبور ، وغيرها من الكتب الإلهية . فأجابهم اللّٰه تعالىٰ عن ذلك بأنه إنما أنزل[٢] منجمًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث ، وما يحتاج إليه[٣] من الأحكام لتثبيت قلوب المؤمنين به كقوله : ﴿ **وقرآنًا فرقناه لتقرأه علىٰ الناس علىٰ مكث ونزلناه تنزيلًا** ﴾ . ولهذا قال : ﴿ **لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا** ﴾ .

قال قتادة : وبيّناه تبيينًا . وقال عبد الرحمن بن زيد من أسلم : وفسرناه تفسيرًا .

﴿ **ولا يأتونك بمثل** ﴾ . أي : بحجة وشبهة ﴿ **إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا** ﴾ . أي : ولايقولون قولًا يعارضون به الحق إلّا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر ، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم . قال سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس : ﴿ **ولا يأتونك بمثل** ﴾ ، أي : بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول ﴿ **إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا** ﴾ أي : إلا نزل جبريلُ من اللّٰه بجوابهم .

ثم في هذا اعتناء كبير ؛ لشرف الرسول -صلىٰ اللّٰه عليه وسلم- حيث كان يأتيه الوحي من اللّٰه - عز وجل - بالقرآن صباحًا ومساء ، [وليلًا][٤] ونهارًا ، سفرًا وحضرًا ، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن كإنزال كتاب[٥] مما قبله من الكتب المتقدمة ، فهذا المقام أعلىٰ وأجل ، وأعظم مكانة من سائر إخوانه من الأنبياء صلوات اللّٰه وسلامه عليهم أجمعين .

فالقرآن أشرف كتاب أنزله اللّٰه ، ومحمد ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، أعظم نبي أرسله اللّٰه تعالىٰ ، وقد جمع اللّٰه للقرآن الصفتين معًا ، ففي الملأ الأعلىٰ أنزل جملة واحدة[٦] من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة [من سماء][٧] الدنيا ، ثم نزل[٨] بعد ذلك إلىٰ الأرض منجمًا بحسب الوقائع والحوادث .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « جملة واحدة » .
[٢] - في ت : « نزل » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ت : « وليلًا » .
[٥] - في ت : « الكتاب » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - ما بين المعكوفين في ت : « في السماء » .
[٨] - في ت : « أنزل » .

[قال أبو عبد الرحمن النسائي(١٣) : أخبرنا أحمد بن سليمان ، حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا داود ، عن عكرمة][١] عن ابن عباس ؛ قال : أنزل القرآن [جملة][٢] إلىٰ السماء[٣] الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا** ﴾ ، و[قوله][٤] : ﴿ **وقرآنا فرقناه لتقرأه علىٰ الناس علىٰ مكث ونزلناه تنزيلًا** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن سوء حال الكفار في معادهم يوم القيامة وحشرهم إلىٰ جهنم ، في أسوأ الحالات وأقبح الصفات : ﴿ **الذين يحشرون علىٰ وجوههم إلىٰ جهنم أولئك شر مكانًا وأضل سبيلًا** ﴾. وفي الصحيح(١٤) عن أنس أن رجلًا قال : يا رسول اللّٰه ، كيف يحشر الكافر علىٰ وجهه يوم القيامة ؟ فقال : « **إن الذي أمشاه علىٰ رجليه قادر أن يُمشيه علىٰ وجهه يوم القيامة** ». وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من المفسرين .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾

يقول تعالىٰ متوعدًا مَنْ كَذَّبَ رسوله محمدًا -صلىٰ اللّٰه عليه وسلم- من مشركي قومه ومَنْ خالفه ، ومحذرهم من عقابه وأليم عذابه ، مما[٥] أحله بالأمم الماضية المكذبين لرسله ، فبدأ بذكر موسىٰ -عليه السلام- وأنه ابتعثه[٦] وجعل معه أخاه هارون وزيرًا ؛ أي : نبيًا مُوازرًا ومؤيدًا وناصرًا ، فكذبهما فرعون وجنوده ، فـ ﴿ **دمر اللّٰه عليهم وللكافرين أمثالها** ﴾ . وكذلك فعلَ بقوم نوح حين كذّبوا رسوله نوحًا -عليه السلام- ومن كذب برسول فقد كذب

(١٣) النسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٧٢) .

(١٤) صحيح البخاري حديث (٤٧٦٠) ، وصحيح مسلم حديث (٢٨٠٦) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ت : « وروى النسائي بإسناده » .

[٢] - ما بين المعكوفين في ت : « جملة واحدة » . [٣] - في ت : « سماء » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « وقول تعالى » . [٥] - في ز ، خ : « فيما » .

[٦] - في ت : « بعثه » .

بجميع الرسل ؛ إذ لا فرق بين رسول ورسول ، ولو فرض أن الله بعث إليهم كل رسول فإنهم كانوا يكذبونه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وقوم نوح لما كذبوا الرسل** ﴾ . ولم يبعث إليهم إلا نوح فقط ، وقد لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، يدعوهم إلىٰ الله - عز وجل - ويحذرهم نقمته[١] ، فما آمن معه إلا قليل ؛ ولهذا أغرقهم الله جميعًا ، ولم يبق منهم أحد[٢] ، ولم يبق[٣] من بني آدم علىٰ وجه الأرض سوىٰ أصحاب السفينة فقط .

﴿ **وجعلناهم للناس آية** ﴾ . أي : عبرة يعتبرون بها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنا لما طغىٰ الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية** ﴾ . أي : وأبقينا لكم من[٤] السفن ما تركبون في لُجج البحار ، لتذكروا نعمة الله عليكم في إنجائكم من الغرق ، وجَعْلكم من ذرّية من آمن به وصَدّق أمره .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وعادًا وثمود وأصحاب الرس** ﴾ قد تقدم الكلام علىٰ قصتيهما في غير ما سورة ، [منها في سورة][٥] الأعراف بما أغنىٰ عن الإعادة .

وأما أصحاب الرس فقال ابن جريج : قال[٦] ابن عباس : هم أهل قرية من قرىٰ ثمود .

[قال][٧] ابن جريج : [وقال][٨] عكرمة : أصحاب الرس بفَلَج[٩] وهم أصحاب ياسين وقال قتادة : فَلَج : من قرىٰ اليمامة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل[١٠] ، حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم ، حدثنا شبيب بن بشر ، حدثنا عكرمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **وأصحاب الرس** ﴾ ، قال : بئر بأذربيجان .

وقال سفيان الثوري عن أبي بُكَيْر عن عكرمة : الرس : بئر رسوا فيها نبيهم . أي : دفنوه بها[١١] .

وقال محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي[١٢] قال[١٣]: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة العبدُ الأسود ، وذلك أن الله تعالىٰ وتبارك بعث نبيًا إلىٰ أهل قرية ، فلم يؤمن به من أهلها إلا ذلك [العبد الأسود] ، ثم إن**

[١] - في ت : « نقمه » .
[٢] - في ت : « أحدًا » .
[٣] - في ت : « يترك » .
[٤] - في ز ، خ : « في » .
[٥] - ما بين المعكوفين في ت : « كسورة » .
[٦] - في ت : « عن » .
[٧] - في ت : « وقال » .
[٨] - في ت : « قال » .
[٩] - في ز : « بقلح » .
[١٠] - سقط من : ت .
[١١] - في ت : « فيها » .
[١٢] - سقط من : ت .
[١٣] - سقط من : ز ، خ .

إن أهل[١] القرية عَدَوا علىٰ النبي ، فحفروا له بئرًا فألقوه فيها ، ثم أطبقوا عليه بحجر أصم[٢] .

قال : فكان ذلك العبد يذهب فيحتطب[٣] علىٰ ظهره ، ثم يأتي بحطبه فيبيعه ، ويشتري به طعامًا وشرابًا ، ثم يأتي به إلىٰ تلك البئر ، فيرفع تلك الصخرة ، ويعينه اللَّه عليها ، فيدلي إليه طعامه وشرابه ، ثم يردها كما كانت . قال : فكان كذلك ما شاء اللَّه أن يكون ، ثم إنه ذهب يومًا يحتطب كما كان يصنع[٤] ، فجمع حطبه وحزم حُزْمَته وفرغ منها ، فلما أراد أن يحتملها وجد سنة ، فاضطجع فنام . [فضُرِبَ][٥] علىٰ أذنه سبع سنين [نائمًا ، ثم إنه هب فتمطىٰ ، فتحول لشقه الآخر فاضطجع ، فضرب اللَّه علىٰ أذنه سبع سنين][٦] أخرىٰ ، ثم إنه هب واحتمل حُزْمَته ولا يحسبُ إلا أنه نام ساعة من نهار ، فجاء إلىٰ القرية فباع حزمته ، ثم اشترىٰ طعامًا وشرابًا كما كان يصنع ، ثم ذهب إلىٰ الحفيرة في موضعها الذي كانت فيه ، فالتمسه فلم يجده . [وقد كان][٧] بدا لقومه فيه بَداء ، فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه .

قال : فكان نبيهم يسألهم عن ذلك الأسود : ما فعل ؟ فيقولون له : ما ندري . حتىٰ قبض اللَّه النبي ، وأهبَّ الأسود من نومته بعد ذلك . فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن ذلك الأسود لأولُ من يدخل الجنة** » .

[هكذا][٨] رواه ابن جرير(١٥) ، عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن محمد[٩] بن إسحاق ، عن محمد بن كعب مرسلًا وفيه غرابة ونكارة ولعل فيه إدراجًا ، واللَّه أعلم . [وأما ابن جرير فقال][١٠] : لا يجوز أن يحمل هؤلاء على أنهم أصحاب الرس الذين ذكروا في القرآن ؛ لأن اللَّه أخبر عنهم أنه أهلكهم وهؤلاء قد بدا لهم فآمنوا[١١] بنبيهم ، اللَّهم[١٢] أن يكون حدث لهم[١٣] أحداث آمنوا بالنبي بعد هلاك آبائهم ، واللَّه أعلم .

واختار ابن جرير أن المراد بأصحاب الرس هم أصحاب الأخدود الذين ذكروا في سورة البروج ، فاللَّه أعلم .

---

(١٥) تفسير الطبري (١٠/١٩) .

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت : « ضخم » .
[٣] - في ز ، خ : « فيتحطب » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفين في ت : « فضرب اللَّه » .
[٦] - ما بين المعكوفين سقط من : خ .
[٧] - في ت : « كان وقد » .
[٨] - في ت : « وهكذا » .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ت : « وقال ابن جرير » .
[١١] - في ت : « آمنوا » .
[١٢] - في ت : « إلا » .
[١٣] - في ز : « له » .

وقوله تعالى: ﴿ **وقرونًا بين ذلك كثيرًا** ﴾. أي: وأممًا بين أضعاف مَنْ ذُكِرَ أهلكناهم كثيرة؛ ولهذا قال: ﴿ **وكلا ضربنا له الأمثال** ﴾ أي[١] بيّنا لهم الحجج، ووضحنا لهم الأدلة. كما قال قتادة أزحنا الأعذار عنهم ﴿ **وكلا تبرنا تتبيرًا** ﴾ أي: أهلكنا إهلاكًا؛ كقوله تعالى: ﴿ **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح** ﴾ والقرن هو: الأمة من الناس. كقوله: ﴿ **ثم أنشأنا من بعدهم قرنًا آخرين** ﴾ وحده بعضهم بمائة وعشرين سنة، وقيل: بمائة سنة، وقيل: بثمانين سنة[٢]، وقيل: أربعين، وقيل غير ذلك، والأظهر أن القرن هم الأمة المتعاصرون[٣] في الزمن الواحد وإذا ذهبوا وخلفهم جيل فهم[٤] قرن ثانٍ[٥] كما ثبت في الصحيحين [عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه قال][٦] « **خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** ». الحديث.

وقوله: ﴿ **ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء** ﴾. يعني قرية قوم لوط وهي سدوم ومعاملتها، التي [أهلكها][٧] بالقلب وبالمطر [الحجارة من سجيل][٨]. كما قال تعالى: ﴿ **وأمطرنا عليهم مطرًا فساء مطر المنذرين** ﴾ وقال: ﴿ **وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وإنها لبسبيل مقيم** ﴾ وقال: ﴿ **وإنهما لبإمام مبين** ﴾؛ ولهذا قال: ﴿ **أفلم يكونوا يرونها** ﴾ أي فيعتبروا بما حل بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول ومخالفتهم[٩] أوامر الله.

وقوله: ﴿ **بل كانوا لا يرجون نشورًا** ﴾ يعني المارّين بها من الكفار لا يعتبرون؛ لأنهم[١٠] لا يرجون نشورًا؛ أي: معادًا يوم القيامة.

وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ

[١] - سقط من: ز.
[٢] - سقط من: ت.
[٣] - في ت: « المتعاصرة ».
[٤] - في ت: « فهو ».
[٥] - في ت: « آخر ».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٧] - في ت: « أهلكها الله ».
[٨] - ما بين المعكوفين في ت: « من الحجارة التي من سجيل ».
[٩] - في ت: « بمخالفتهم ».
[١٠] - في ت: « أنهم ».

ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

يخبر تعالى عن استهزاء المشركين بالرسول، صلى الله عليه وسلم، إذا رأوه؛ كما قال تعالى: ﴿ **وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوًا [أهذا الذي يذكر آلهتكم]**[١] ﴾. يعنون بالعيب والنقص، وقال هاهنا: ﴿ **وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوًا أهذا الذي بعث الله رسولًا** ﴾ أي: على سبيل التنقص والازدراء قبحهم[٢] الله! كما قال ﴿ **ولقد استهزئ برسل من قبلك [فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب]**[٣] ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ **إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها** ﴾ يعنون أنه كاد يثنيهم[٤] عن عبادة أصنامهم[٥] لولا أن صبروا وتجلدوا واستمروا على عبادتها! قال الله تعالى متوعدًا لهم ومتهددًا: ﴿**وسوف يعلمون حين يرون العذاب [من أضل سبيلًا]**[٦]﴾.

ثم قال تعالى لنبيه منبهًا له أنَّ من كتب الله عليه الشقاوة والإضلال[٧] فإنه لا يهديه أحد إلا الله - عز وجل - ﴿ **أرأيت من اتخذ إلهه هواه** ﴾ أي: مهما استحسن من شيء، ورآه حسنًا في هوى نفسه [كان دينه ومذهبه؛ كما قال تعالى: ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا]**[٨] * **فإنّ الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** ﴾. ولهذا قال ههنا: ﴿ **أفأنت تكون عليه وكيلًا** ﴾. قال ابن عباس: كان الرجل في الجاهلية يعبد الحجر الأبيض زمانًا فإذا رأى غيره أحسن منه عبد الثاني وترك الأول.

ثم قال تعالى: ﴿ **أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** ﴾. أي: هم أسوأ حالا من الأنعام السارحة فإن تلك تفعل[٩] ما خلقت له، وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له [ ][١٠] وهم يعبدون غيره ويشركون به مع قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم.

أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٢] - في ت: « فقبحهم ».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٤] - في ت: « يفتنهم ».
[٥] - في ت: « الأصنام ».
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٧] - في ت: « الضلال ».
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ.
[٩] - في ز: « تعقل ».
[١٠] - ما بين المعكوفتين في ت: « فلم يفعلوا ».

دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾

من ههنا شرع سبحانه وتعالى في بيان الأدلة الدالة على وجوده وقدرته التامة على خلق الأشياء المختلفة والمتضادّة فقال تعالى: ﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مدّ الظل** ﴾. قال ابن عباس، وابن عمر، وأبو العالية، وأبو مالك، ومسروق، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، والضحاك، والحسن البصري، وقتادة، والسّدى وغيرهم: هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿ **ولو شاء لجعله ساكنًا** ﴾ أي: دائمًا لا يزول؛ كما قال تعالى: ﴿ **قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا إلى يوم القيامة** ﴾، ﴿**قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا إلى يوم القيامة**﴾.

وقوله: ﴿**ثم جعلنا الشمس عليه دليلًا**﴾ أي: لولا أن الشمس تطلع عليه لما عرف، فإن الضد لا يعرف إلا بضده.

وقال قتادة، والسّديّ: دليلًا يتلوه ويتبعه حتى يأتي عليه كله.

وقوله: ﴿ **ثم قبضناه إلينا قبضًا يسيرًا** ﴾ أي: الظل. وقيل: الشمس. ﴿ **إلينا قبضًا يسيرًا** ﴾، أي: سهلًا - قال ابن عباس: سريعًا. وقال مجاهد: خفيًّا. وقال السّديّ: قبضًا خفيًّا، حتى لا يبقى في الأرض ظل إلا تحت سقف أو تحت شجرة، وقد أظلت الشمس ما فوقه.

وقال أيوب بن موسى: ﴿**ثم قبضناه إلينا قبضًا يسيرًا**﴾. أي: قليلًا قليلًا.

وقوله: ﴿ **وهو الذي جعل لكم الليل لباسًا** ﴾، أي: يلبس الوجود ويُغشّيه، كما قال: ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾، وقال: ﴿ **والليل إذا يغشاها** ﴾.

﴿ **والنوم سباتًا** ﴾، أي: قَطْعًا للحركة لراحة الأبدان، فإن الأعضاء والجوارح تكل من كثرة الحركة في الانتشار بالنهار في المعايش، فإذا جاء الليل وسكن سكنت الحركات، فاستراحت فحصل النوم الذي فيه راحة البدن والروح معًا.

﴿ **وجعل النهار نشورًا** ﴾، أي: ينتشر[١] الناس فيه لمعايشهم ومكاسبهم وأسبابهم، كما

---

[١] - في ز، خ: «ينشر».

قال تعالىٰ : ﴿ ومن رحمته جعلَ لكم الليلَ والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَـٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾

وهذا أيضًا من قدرته التامة وسلطانه العظيم ، وهو أنه تعالىٰ يرسل الرياح مبشرات . أي : بمجيء السحاب بعدها ، والرياح أنواع ، في صفات كثيرة من التسخير ، فمنها ما يثير السحاب ، ومنها ما تحمله[١] ، ومنها ما تسوقه[٢] ، ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشرًا ، ومنها ما يكون قبل ذلك يقُمّ الأرض ، ومنها ما يلقح السحاب ليمطر ، ولهذا قال : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورًا ﴾ . أي : آلة يتطهر بها ، كالسَّحُور والوقود[٣] وما جرىٰ مجراه . هذا[٤] أصح ما يقال في ذلك .

وأما من قال : إنه فعول بمعنىٰ فاعل ؛ أو : إنه مبني للمبالغة أو التعدي ، فعلىٰ كل منهما إشكالات من حيث اللغة والحكم ، ليس هذا موضعَ بسطها ، والله أعلم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث ، حدثنا أبي ، عن أبي جعفر الرازي ، حدثني حُميد الطويل ، عن ثابت البُناني ؛ قال : دخلت مع أبي العالية في يوم مطير ، وطرق البصرة قَذِرة ، فصلىٰ ؛ فقلت له[٥] ، فقال : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورًا ﴾ . قال : طهره ماء السماء .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا وُهَيب ، عن داود ، عن سعيد بن المسيب في هذه الآية : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورًا ﴾ لا ينجسه شيء .

وعن أبي سعيد قال(١٦) : قيل : يا رسول اللّه ؛ أنتوضأ من بئر بضاعة ؟ - وهي بئر يلقىٰ فيها النَّتن ولحومُ الكلاب - فقال : « **إن الماء طهور لا ينجسه شيء** » . رواه الشافعي ، وأحمد

(١٦) الأم للشافعي (٩/١) ، والمسند (١٥/٣) ، وأخرجه النسائي - كتاب المياه ، باب : « ذكر بئر بضاعة » - (١٧٤/١) . والطحاوي في شرح معاني الآثار - (١٢/١) . وأبو يعلى في مسنده - (١٣٠٤) - (٤٧٦/٢) . والبيهقي في الكبرى - كتاب الطهارة ، باب : الماء الكثير لا ينجس بنجاسة تحدث فيه =

[١] - في ت : « يحمله » .
[٢] - في ت : « يسوقه » .
[٣] - في ز ، خ : « الوجود » .
[٤] - في ت : « فهذا » .
[٥] - بياض في ز ، خ .

وصححه ، وأبو داود ، والترمذي وحسنه ، والنسائي .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الأشعث ، حدثنا معتمر ، سمعت أبي يحدث عن سيار ، عن خالد بن يزيد ؛ قال : كان عند عبد الملك بن مروان ، فذكروا الماء ، فقال خالد بن يزيد : منه من السماء ، ومنه ما يسقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق ، فأما ما كان من البحر فلا يكون له نبات فأما النبات فمما كان من السماء .

وروي عن عكرمة قال : ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة . وقال غيره : في البر برٌّ ، وفي البحر دُرٌّ .

وقوله : ﴿ **لنحيي به بلدة ميتًا** ﴾ أي : أرضًا قد طال انتظارها للغيث ، فهي هامدة لا نبات فيها ولا شيء ، فلما جاءها الحيا عاشت واكتست رباها أنواع الأزاهير والألوان ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج** ﴾ ﴿ **ونسقيه مما خلقنا أنعامًا وأناسي كثيرًا** ﴾ . أي : وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي ، محتاجون[١] إليه غاية الحاجة ، لشربهم وزروعهم وثمارهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الوليّ الحميد** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فانظر إلىٰ آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتىٰ وهو علىٰ كل شيء قدير** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولقد صرفناه بينهم ليذكروا** ﴾ . أي : أمطرنا هذه الأرض دون هذه ، وسقنا السحاب فمر علىٰ الأرض وتعداها وجاوزها [إلىٰ الأرض الأخرىٰ][٢] ، لم ينزل فيها قطرة من

= ما لم يتغير (١/٢٥٧-٢٥٨) . من طرق عن عبد العزيز بن مسلم به - وسقط في شرح معاني الآثار « سليط » ؛ فليستدرك .

وأخرجه أبو داود - كتاب الطهارة ، باب : ما جاء في بئر بضاعة - (٦٦) . والترمذي - كتاب الطهارة ، باب : ما جاء في أن الماء لا ينجسه شيء - (٦٦) . والنسائي - (١/١٧٤) وابن الجارود في « المنتقى » (٤٧) ، والبيهقي (١/٤-٥) ، وأحمد (١١٢٧٣) (٣/٣١) .

من طريق أبي أسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب عن عبيد الله بن عبد الله بن رافع ابن خديج عن الخدري .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقد جود أبو أسامة هذا الحديث ، فلم يرو واحد حديث أبي سعيد في بئر بضاعة أحسن مما روى أبو أسامة ، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي سعيد .

وأخرجه أبو داود - (٦٧) والطحاوي - (١/١١) وأحمد (١١٨٣١) (٣/٨٦) .

من طرق ثلاثة عن محمد بن إسحاق عن سليط بن أيوب عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن رافع عن أبي سعيد به .

والحديث صححه الشيخ الألباني في الإرواء (١٤) .

[١] - في ت : « محتاجين » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

ماء ، وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة .

قال ابن مسعود وابن عباس : ليس عام بأكثر مطرًا من عام ، ولكن اللّه يصرفه كيف يشاء ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبىٰ أكثر الناس إلا كفورًا** ﴾ .

أي : ليذكروا بإحياء اللّه الأرض الميتة أنه قادر علىٰ إحياء الأموات والعظام والرفات[١] . أو : ليذكر من مُنِعَ القَطْر أنما أصابه ذلك بذنب أصابه ، فيقلع عما هو فيه .

وقال عُمَر مولىٰ غُفْرَة : كان جبريل - عليه السلام - في موضع الجنائز ، فقال له النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يا جبريل ، إني أحب أن أعلم أمْرَ السحاب** » قال[٢] فقال جبريل : يا نبي اللّه ، هذا ملك السحاب فسله . فقال : تأتينا صِكَاكٌ مختَّمة : اسق بلاد كذا وكذا ، كذا وكذا قطرة . رواه ابن أبي حاتم ، وهو حديث مرسل .

وقوله : ﴿ **فأبىٰ أكثر الناس إلا كفورًا** ﴾ . قال عكرمة : يعني الذين يقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا .

وهذا الذي قاله عكرمة كما صَحّ في الحديث المخرج في صحيح مسلم(١٧) ، عن رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، أنه[٣] قال لأصحابه يومًا[٤] ، علىٰ أثر سماء أصابتهم من الليل : « **أتدرون ماذا قال ربكم ؟** » قالوا : اللّه ورسوله أعلم . قال : « **قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مُطرنا بفضل اللّه ورحمته فذاك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما[٥] من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي ، مؤمن بالكوكب** » .

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرًا** ﴾ ، يدعوهم إلىٰ اللّه عز وجل ، ولكنا خصصناك ، يا محمد ، بالبعثة إلىٰ جميع أهل الأرض ، وأمرناك أن تبلغ الناس هذا القرآن ،

(١٧) صحيح مسلم حديث (٧١) من حديث زيد بن خالد الجهني .

[١] - في ت : « والرفات » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

﴿ لأنذركم به ومن بلغ ﴾ ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ ﴿ لتنذر أم القرىٰ ومن حولها ﴾ . ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا﴾ .

وفي الصحيحين : « **بعثت إلىٰ الأحمر والأسود** » . وفيهما : « **وكان النبي يبعث إلىٰ قومه [ ][١] وبعثت إلىٰ الناس عامة** »؛ ولهذا قال: **﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به﴾** يعني: القرآن[٢] ؛ قاله ابن عباس **﴿جهادًا كبيرًا﴾** كما قال تعالى: **﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾** .

وقوله : **﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ﴾** ، أي : خلق الماءين : الحلو والملح ، فالحلو كالأنهار والعيون والآبار ، وهذا هو البحر الحلو الفرات العذب الزلال ؛ قاله ابن جريج ، واختاره ابن جرير ، وهذا الذي لا شك فيه ، فإنه ليس في الوجود بحر ساكن وهو عذب فرات . والله سبحانه إنما أخبر [عن الواقع][٣] لينبه العباد علىٰ نعمه عليهم ليشكروه ، فالبحر العذب هو هذا السارح بين الناس ، فرقه تعالىٰ[٤] بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهارًا وعيونًا في كل أرض بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم .

وقوله: **﴿وهذا ملح أجاج﴾** أي: مالحٌ مرٌّ زُعَاق(*) لا يستساغ[٥] ، وذلك كالبحار المعروفة في المشارق والمغارب ، البحر المحيط وما يتصل به من الزقاق وبحر القلزم ، وبحر اليمن ، وبحر البصرة ، وبحر فارس ، وبحر الصين والهند ، وبحر الروم ، وبحر الخزر ، وما شاكلها وشبهها[٦] من البحار الساكنة التي لا تجري، ولكن تتموج وتضطرب وتغتلم[٧] في زمن الشتاء وشدة الرياح ، ومنها ما فيه مد وجَزْر ، ففي أول كل شهر يحصل منها مد وفيض ، فإذا شرع الشهر في النقصان جَزَرت ، حتىٰ ترجع إلىٰ غايتها الأولىٰ ، فإذا استهل الهلال من الشهر الآخر شرعت في المد إلىٰ الليلة الرابعة عشرة ثم تشرع في النقص ، فأجرىٰ الله سبحانه وتعالىٰ - وله القدرة التامة - العادة بذلك .

فكل هذه البحار الساكنة خلقها الله سبحانه وتعالىٰ مالحة الماء ، لئلا يحصل بسببها نتن الهواء ، فيفسد الوجود بذلك ، ولئلا تجوى(**) الأرض بما يموت فيها من الحيوان . ولما كان ماؤها ملحًا كان هواؤها صحيحًا وميتتها طيبة ؛ ولهذا قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وقد سئل عن ماء البحر : أنتوضأ به ؟ فقال : « **هو الطهور ماؤه ، الحل ميتته** » . رواه

---

[١] - ما بين المعكوفين في ت : « حاصة » .

[٢] - في ت : « بالقرآن » .

[٣] - في ت : « بالواقع » .

[٤] - سقط من : ز .

(*) الزعاق من الماء : المُرُّ الغليظ ، لا يُطاق شُرْبُه .

[٥] - في ز ، خ : « يستطاع » .

[٦] - في ت : « شابهها » .

[٧] - في ز : « تقتلم » .

(**) جَوِيَ الشيء : تغيَّر وأنتن .

الأئمة(١٨) : مالك ، والشافعي ، وأحمد ، وأهل السنن ، بإسناد جيد .

وقوله : ﴿ **وجعل بينهما برزخًا وحجرًا** ﴾ ، أي : بين[١] العذب والملح[٢] ﴿ **برزخًا** ﴾ أي: حاجزًا ، وهو اليبس من الأرض ، ﴿ **وحجرًا محجورًا** ﴾ ، أي : مانعًا أن يصل أحدهما إلىٰ الآخر ، كما قال تعالى : ﴿ **مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **أمن جعل الأرض قرارًا وجعل خلالها أنهارًا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزًا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وهو الذي خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا وكان ربك قديرًا** ﴾ أي : خلق الإنسان من نطفة ضعيفة ، فسواه وعدّله ، وجعله كامل الخلقة ، ذكرًا أو أنثىٰ ، كما يشاء ، ﴿ **فجعله نسبًا وصهرًا** ﴾ ، فهو في ابتداء أمره ولد نسيب ، ثم يتزوج فيصير صهرًا ، ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات . وكل ذلك من ماء مهين ؛ ولهذا قال : ﴿ **وكان ربك قديرًا** ﴾ .

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾

يخبر تعالىٰ عن جهل المشركين في عبادتهم غيرَ الله من الأصنام ، التي لا تملك لهم نفعًا ولا ضرًا ، بلا دليل قادهم إلىٰ ذلك ، ولا حجة أدتهم إليه ، بل بمجرد الآراء ، والتشهي والأهواء[٣]، فهم [يوالون لهم][٤] ويقاتلون في سبيلهم ، ويعادون الله ورسوله فيهم ، ولهذا قال : ﴿ **وكان الكافر علىٰ ربه ظهيرًا** ﴾ . أي : عونًا في سبيل الشيطان علىٰ حزب الله ،

(١٨) سبق تخريجه عند تفسير الآية : ٣ من سورة المائدة .

[١] - في ز : « من » .
[٢] - في ت : « المالح » .
[٣] - سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ت : « يوالونهم » .

وحزب الله هم الغالبون ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون** ﴾ . أي : آلهتهم التي اتخذوها من دون الله لا تملك لهم نصرًا ، وهؤلاء الجهلة للأصنام جند محضرون[١] يقاتلون عنهم ، ويَذُبُّون عن حوزتهم ، ولكن العاقبة والنصرة لله ولرسوله في الدنيا والآخرة .

قال مجاهد: ﴿**وكان الكافر على ربه ظهيرًا**﴾ قال: يظاهر الشيطان على معصية الله: يعينه[٢].

وقال سعيد بن جبير: ﴿**وكان الكافر على ربه ظهيرًا**﴾ يقول: عونًا للشيطان على ربه بالعداوة والشرك.

وقال زيد بن أسلم : ﴿ **وكان الكافر علىٰ ربه ظهيرًا** ﴾ ، قال : مواليًا .

ثم قال تعالىٰ لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه - : ﴿ **وما أرسلناك إلا مبشرًا ونذيرًا** ﴾ ، أي : بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين ، مبشرًا بالجنة لمن أطاع الله ، ونذيرًا بين يدي عذاب شديد لمن خالف أمر الله .

﴿ **قل ما أسألكم عليه من أجر** ﴾ . أي : علىٰ هذا البلاغ وهذا الإِنذار من أجرة أطلبها من أموالكم ، وإنما أفعل ذلك ابتغاء وجه الله ، ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾ ﴿ **إلّا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلًا** ﴾ . أي : طريقًا ومسلكًا ومنهجًا يقتدي فيها بما جئت به .

ثم قال : ﴿ **وتوكل علىٰ الحيّ الذي لا يموت** ﴾ . أي : في أمورك كلها كن متوكلًا على الله الحي الذي لا يموت أبدًا ، الذي هو ﴿ **الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** ﴾ الدائم الباقي السرمديّ الأبدي ، الحي القيوم رب كل شيء ومليكه ، اجعله ذُخْرك[٣] وملجأك ، وهو الذي يُتَوكل عليه ويفزع إليه ، فإنه كافيك وناصرك ومؤيدك ومظفرك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ .

و[٤]قال ابن أبي حاتم(١٩) : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عليّ بن نفيل قال : قرأت علىٰ معقل - يعني : ابن عبيد الله - عن عبد الله بن أبي حسين ، عن شهر بن حوشب قال : لقي سلمانُ رسولَ الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، في بعض فجاج المدينة فسجد له

---

(١٩) ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٠٣/٢) من طريق محمد بن أحمد بن سيار ، عن هشام ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين به .

---

[١] - في ز : « محضر » .
[٢] - في ز ، خ : « بعينه » .
[٣] - في ز ، خ : « ذكرك » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

فقال: لا تسجد لي يا سلمان، واسجد للحي الذي لا يموت. وهذا مرسل حسن.

[وقوله تعالىٰ: ﴿ **وسبح بحمده** ﴾، أي: اقرن بين حمده وتسبيحه][١]، ولهذا كان رسول اللّٰه، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم، يقول: « **سبحانك اللّٰهم رَبَّنا وبحمدك!** ». أي: أخلص له العبادة والتوكل، كما قال تعالىٰ: ﴿ **رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلًا** ﴾ وقال: ﴿ **فاعبده وتوكل عليه** ﴾، ﴿ **قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا** ﴾.

وقوله: ﴿ **وكفىٰ به بذنوب عباده خبيرًا** ﴾، أي: لعلمه التام الذي لا يخفىٰ عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة.

وقوله: ﴿ **الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام** ﴾، أي: هو الحي الذي لا يموت، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه، الذي خلق بقدرته وسلطانه السموات السبع، في ارتفاعها واتساعها، والأرضين السبع في سفولها وكثافتها، ﴿ **في ستة أيام ثم استوىٰ علىٰ العرش** ﴾، أي: يدبر الأمر، ويقضي الحق، وهو خير الفاصلين.

وقوله: ﴿ **ثم استوىٰ علىٰ العرش الرحمن فاسأل به خبيرًا** ﴾، أي: استعلم عنه من هو خبير به عالم به فاتبعه واقتد به، وقد عُلم أنه لا أحد أعلم باللّٰه ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد - صلوات اللّٰه وسلامه علىٰ سيد ولد آدم علىٰ الإطلاق، في الدنيا والآخرة، الذي لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحي يوحىٰ، فما قاله فهو حق، وما أخبر به فهو صدق، وهو الإمام المحكم الذي إذا تنازع الناس في شيء وجب رَدّ نزاعهم إليه، فما يوافق أقواله وأفعاله فهو الحق، وما يخالفها فهو مردود علىٰ قائله وفاعله، كائنًا من كان، قال اللّٰه تعالىٰ: ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلىٰ اللّٰه والرسول** ﴾، وقال: ﴿ **وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلىٰ اللّٰه** ﴾ وقال تعالىٰ: ﴿ **وتمت كلمة**[٢] **ربك صدقًا وعدلًا** ﴾ أي: صدقًا في الإخبار وعدلًا في الأوامر والنواهي، ولهذا قال: ﴿ **فاسأل به خبيرًا** ﴾ قال مجاهد في قوله: ﴿ **فاسأل به خبيرًا** ﴾، قال: ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك. وكذا قال ابن جُرَيج.

وقال شمر بن عطية في قوله: ﴿ **فأسأل به خبيرا** ﴾ قال: هذا القرآن خبير به.

ثم قال تعالىٰ منكرًا علىٰ المشركين الذين يسجدون لغير اللّٰه من الأصنام والأنداد: ﴿ **وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن** ﴾ أي: لا نعرف الرحمن. وكانوا ينكرون أن يُسَمّىٰ اللّٰه باسمه الرحمن، كما أنكروا ذلك يوم الحديبية حين قال النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - للكاتب: « **اكتب بسم اللّٰه الرحمن الرحيم** ». فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم، ولكن اكتب كما كنت تكتب: باسمك اللّٰهم. ولهذا أنزل الله ﴿ **قل ادعوا الله أو**

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز. [٢] - في ز، خ: « كلمات ».

ادعوا الرحمن أيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ ، أي : هو اللّه وهو الرحمن . وقال في هذه الآية : ﴿ **وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن** ﴾ أي : لا نعرفه ولا نُقر به ، ﴿ **أنسجد لما تأمرنا ؟** ﴾ أي : لمجرد قولك ؟ ﴿ **وزادهم نفورًا** ﴾ ؛ أما المؤمنون فإنهم يعبدون اللّه الذي هو الرحمن الرحيم ، ويُفْرِدُونه بالإلهية ويسجدون له . وقد اتفق العلماء - رحمهم اللّه - علىٰ أن هذه السجدة التي في الفرقان مشروعٌ السجود عندها لقارئها ومستمعها ، كما هو مقرر في موضعه ، واللّه أعلم .

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا (٦١) وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٢) ﴾

يقول تعالىٰ ، ممجدًا نفسه ، ومعظّمًا علىٰ جميل ما خلق في السماء من البروج - وهي الكواكب العظام[١] ، في قول مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأبي صالح ، والحسن ، وقتادة ، وقيل : هي قصور في السماء للحرس ، يروىٰ هذا عن عليّ ، وابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وإبراهيم النخعي ، وسليمان بن مِهْران الأعمش ، وهو رواية عن أبي صالح أيضًا ، والقول الأول أظهر . اللّهم إلّا أن يكون الكواكب العظام هي قصور[٢] للحرس ، فيجتمع القولان ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **تبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا** ﴾ ، وهي الشمس المنيرة ، التي هي كالسراج في الوجود ، كما قال : [﴿ **وجعلنا سراجًا وهاجًا** ﴾ ﴿ **وقمرًا منيرًا** ﴾ ، أي : مضيئًا مشرقًا بنور آخر ونوع وفن آخر ، غير نور الشمس][٣] ، كما قال : ﴿ **وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورًا** ﴾ ، وقال مخبرًا عن نوح ، عليه السلام ، إنه قال لقومه : ﴿ **ألم تروا كيف خلق اللّه سبع سمٰوات طباقًا . وجعل القمر فيهن نورًا وجعل الشمس سراجًا** ﴾ ثم قال : ﴿ **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة** ﴾ ، أي : يخلف كل واحد منهما الآخر ، يتعاقبان [ ][٤] ، إذا ذهب هذا جاء هذا ، وإذا جاء هذا ذهب ذاك ، كما قال : ﴿ **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار** ﴾ وقال: ﴿ **يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره** ﴾ .

وقال : ﴿ **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا** ﴾ ، أي : جعلهما يتعاقبان ، توقيتًا لعبادة عباده له ، فمن فاته عمل في الليل استدركه في النهار ، ومن فاته عمل في النهار استدركه في

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ت : « قصورًا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ت : « لا يفتران » .

الليل . وقد جاء في الحديث الصحيح(٢٠) : « **إن الله تعالىٰ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل** » .

قال أبو داود الطيالسي(٢١) : حدثنا أبو حُرَّة[١] ، عن الحسن : أن عمر بن الخطاب أطال صلاة الضحىٰ ، فقيل له : صنعت اليوم شيئًا لم تكن تصنعه ؟ فقال : إنه بقي عليَّ من وِرْدي شيء ، فأحببت أن أتمه - أو قال : أقضيه - وتلا هذه الآية : ﴿ **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة** ﴾ .

[وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة** ﴾][٢] يقول : من فاته شيء من الليل [أن يعمله][٣] ، أدركه بالنهار ، أو من النهار أدركه بالليل . وكذا قال عكرمه وسعيد بن جبير والحسن

وقال مجاهد وقتادة : ﴿ **خلفة** ﴾ ، أي : مختلفين ، هذا بسواده ، وهذا بضيائه .

﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾

هذه صفات عباد الله المؤمنين ﴿ **الذين يمشون على الأرض هونًا** ﴾ أي بسكينةٍ ووقار من غير جبرية(*) ولا استكبار، كقوله تعالى: ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحًا إنك لن تخرق الأرض ولن[٤] تبلغ الجبال طولًا** ﴾ فأما هؤلاء فإنهم يمشون من غير استكبارٍ ولا مرحٍ ولا أشر ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى من البضائع(**) وتصنعًا[٥] ورياءً، فقد كان سيد ولد

(٢٠) رواه مسلم في صحيحه حديث (٢٧٥٩) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٢١) - إسناده ضعيف ؛ لانقطاعه بين الحسن ، وعمر .

[١] - في ز ، خ : « أبو حمزة » وهو تحريف . والصواب ما أثبتناه ، كما في تفسير ابن أبي حاتم عن أبي داود الطيالسي .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

(*) الجبرية - بفتح الباء وإسكانها - : التكبُّر . [٤] - في ز : « ولم » .

(**) كذا في : ز ، خ . ولعلها محرفة عن جمع : الأبضع ، وهو الإنسان المهزول .

[٥] - في ت : « تصنعًا » .

آدم ، صلى الله عليه وسلم ، إذا مشى كأنما ينحط من صَبَبٍ ، وكأنما الأرض تطوىٰ له . وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع ، حتىٰ روي عن عمر أنه رأىٰ شابًا يمشي رُوَيدًا ، فقال : ما بالك ؟ أأنت مريض ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين . فعلاه بالدّرة ، وأمره أن يمشي بقوة . وإنما المراد بالهَوْن هاهنا : السكينة والوقار ، كما قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم(٢٢) : « **إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وَأتوها وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا** » .

وقال عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن يحيى[١] بن المختار ، عن الحسن البصري في قوله : ﴿ **وعباد الرحمٰن الذين يمشون علىٰ الأرض هونًا** ﴾ قال : إن المؤمنين قوم ذُلُل[٢] ، ذلت منهم - واللّه - الأسماعُ والأبصار والجوارح ، حتىٰ تحسبهم مرضىٰ وما بالقوم من مرض ، وإنهم لأصحاء[٣] ، ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة ، فقالوا : الحمد للّه الذي أذهب عنا الحزن . أما واللّه ، ما أحزنهم حزن الناس ، ولا تعاظم في نفوسهم شيء طلبوا به الجنة ، أبكاهم الخوف من النار ، إنه[٤] من لم يتعز بعزاء اللّه تَقَطَّعْ نفسهُ علىٰ الدنيا حسرات ، ومن لم ير للّه نعمة إلا في مطعم أو في مشرب ، فقد قل علمه وحَضَر عذابهُ .

وقوله : ﴿ **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا** ﴾ ، أي : إذا سَفه عليهم الجهال بالسيئ ، لم يقابلوهم عليه بمثله ، بل يعفون ويصفحون ، ولا يقولون إلا خيرًا ، كما كان رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، لا تزيده[٥] شدة الجهل عليه إلا حلمًا ، وكما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين** ﴾ .

وقال الإمام أحمد(٢٣) : حدثنا أسود بن عامر ، حدثنا أبو بكر ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالبي ، عن النعمان بن مُقَرّن المُزَني قال : قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم - [وسبَّ رجلٌ رجلًا عنده - قال : فجعل الرجل المسبوب يقول : عليك السلام . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم][٦] : « **أما إن ملكًا بينكما يذب عنك ، كلما شتمك هذا قال له : بل[٧] أنت ، وأنت أحق به . وإذا قال له عليك السلام ، قال : لا ، بل عليك وأنت**

(٢٢) رواه البخاري في صحيحه حديث (٦٣٥) ، ومسلم في صحيحه حديث (٦٠٣) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

(٢٣) المسند (٥/٤٤٥) ، وقال الهيثمي في المجمع (٨/٧٥) : « رجاله رجال الصحيح ، غير أبي خالد الوالبى وهو ثقة » .

[١] - في خ ، ز : « عمر » .
[٢] - في ز ، خ : « ذلك » .
[٣] - في خ : « لأصماء » .
[٤] - في ت : « وإنه » .
[٥] - في ز : « يزيده » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .

أحق به » . إسناد[١] حسن ولم يخرجوه .

وقال مجاهد : ﴿ **قالوا سلامًا** ﴾ ، يعني قالوا : سدادًا .

وقال سعيد بن جبير : ردوا معروفًا من القول .

وقال الحسن البصري : [﴿ **قالوا سلامًا** ﴾ ، قال : حلماء لا يجهلون][٢] ، وإن جُهِلَ عليهم حلموا ، يصاحبون[٣] عباد الله نهارهم [بما تسمعون][٤] . ثم [ذكر أن ليلهم][٥] خير ليل .

وقوله : ﴿ **والذين يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا** ﴾ ، أي : في عبادته وطاعته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كانوا قليلًا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون** ﴾ . وقال : ﴿ **تتجافىٰ جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ وقال : ﴿ **أمن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ الآية ؛ ولهذا قال : ﴿ **والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا** ﴾ ، أي : ملازمًا دائمًا ، كما قال الشاعر

إن يعذب يكن غرامًا وإن يعـ طـ جـزيـلًا فـإنـه لا يـبـالـي

ولهذا قال الحسن في قوله : ﴿ **إن عذابها كان غرامًا** ﴾ : كل شيء يصيب ابن آدم و[٦]يزول عنه فليس بغرام ، وإنما الغرام اللازم ما دامت السموات والأرض . كذا قال سليمان التيمي .

وقال محمد بن كعب : ﴿ **إن عذابها كان غرامًا** ﴾ ، يعني : ما نعموا في الدنيا ؛ إن سأل الله الكفار عن النعمة فلم يردوها إليه ، فأغرمهم فأدخلهم النار .

﴿ **إنها ساءت مستقرًا ومقامًا** ﴾ ، أي : بئس المنزل منظرًا ، وبئس المقيل مقامًا .

قال ابن أبي حاتم عند قوله : ﴿ **إنها ساءت مستقرًا ومقامًا** ﴾ : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن ابن الربيع ، حدثنا أبو الأحوص ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، قال : إذا طُرح الرجل في النار هوىٰ فيها ، فإذا انتهىٰ إلىٰ بعض أبوابها قيل له[٧] : مكانك حتىٰ تتحف ، قال : فيسقىٰ كأسًا من سُمّ الأساود(*) والعقارب ، قال : فيميز الجلد علىٰ حدة ، والشعر علىٰ حدة ،

---

[١] - في ت : « إسناده » .

[٢] - في خ : « قالوا : سلام عليكم » .

[٣] - في ز : « أيضاحيون » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « ليلهم » .

[٥] - في ز : « رد بما يسمعون » .

[٦] - سقط من : ز .

[٧] - سقط من : خ .

(*) الأسادو : جمع أسود ، وهو العظيم من الحيات ، وأخبثها وأنكاها .

[والعصب علىٰ حدة][١] ، والعروق علىٰ حدة .

وقال أيضًا[٢] : حدثنا أبي ، حدثنا الحسن بن الربيع ، حدثنا أبو الأحوص ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن عُبيد بن عمير ؛ قال : إن في النار لجبابًا(*) فيها حيات أمثال البخت(**) ، وعقارب أمثال البغال الدُّلم(***) ، فإذا قذف بهم في النار خرجت إليهم من أوطانها ، فأخذت شفاههم[٣] وأبشارهم وأشعارهم ، فكشطت لحومهم إلىٰ أقدامهم ، فإذا وجدت حر النار رجعت .

وقال الإمام أحمد (٢٤) : حدثنا الحسن بن موسىٰ ، حدثنا سلام - يعني ابن مسكين[٤] - عن أبي ظلال ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **إن عبدًا في جهنم لينادي ألف سنة : يا حنان ! يا منان ! فيقول الله لجبريل : اذهب فأتني[٥] بعبدي هذا . فينطلق جبريل فيجد أهل النار منكبين يبكون ، فيرجع إلىٰ ربه ، عز وجل ، فيخبره ، فيقول الله عز وجل : ائتني به فإنه في مكان كذا وكذا . فيجيء به فيوقفه علىٰ ربه عز وجل ، فيقول له[٦] : يا عبدي ، كيف وجدت مكانك ومقيلك ؟ فيقول : يا رب، شر مكان وشر مقيل ، فيقول : ردوا عبدي . فيقول : يا رب ، ما كنت أرجو إذ[٧] أخرجتني منها أن تردني فيها ! فيقول : دعوا عبدي** » .

وقوله : ﴿ **والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قوامًا** ﴾ ، أي : ليسوا بمبذرين في إنفاقهم فيصرفون فوق الحاجة ، ولا بخلاء علىٰ أهليهم فيقصرون في حقهم فلا يكفونهم ، بل عَدْلًا خيارًا ، وخير الأمور أوسطها ، لا هذا ولا هذا ، ﴿ **وكان بين ذلك قوامًا** ﴾ ، كما قال : ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة إلىٰ عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملومًا محسورًا** ﴾ .

---

(٢٤) المسند (٣/٢٣٠) (١٣٤٣٥) إسناده ضعيف جدًّا . سلام بن مسكين ، قال أحمد : ثقة ، كثير الحديث . وأبو ظلال ، اسمه هلال بن أبي هلال القسملي ، أو ابن أبي مالك ، وهو ابن ميمون ، وقيل غير ذلك في اسم أبيه ، مشهور بكنيته ، قال ابن معين : أبو ظلال ليس بشيء . وقال ابن حبان : كان مغفلاً يروي عن أنس ما ليس من حديثه ، لا يجوز الاحتجاج به بحال . وفي التقريب : ضعيف - روى له البخاري تعليقًا ، وأبو داود . وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٨٤) : « رجاله رجال الصحيح غير أبي ظلال وضعفه الجمهور ، ووثقه ابن حبان » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

(*) الجُبُّ : البئر الواسعة .

(**) البُخت : الإبل الخراسانية ، واحدها بختيّ .

(***) دلم الشيء : اشتداد سواده في ملوسة .

[٢] - سقط من : ز .

[٣] - في ز : « شفاههم » .

[٤] - في خ ، ز : « سكين » .

[٥] - في ز ، خ : « ائتني » .

[٦] - سقط من : ز ، خ .

[٧] - في ز : « إذا » .

[وقال][١] الإمام أحمد(٢٥) : حدثنا عصام بن خالد، حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني، عن ضمرة، عن أبي الدرداء، عن النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - قال : « **من فقه الرجل رفقه في معيشته** ». [لم][٢] يخرجوه.

وقال أحمد أيضًا(٢٦) : حدثنا أبو عبيدة الحداد، حدثنا سكين[٣] بن عبد العزيز العَبْدي، حدثنا إبراهيم الهَجَري، عن أبي الأحوص، عن عبد اللّٰه بن مسعود؛ قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما عال من اقتصد** ». [لم][٤] يخرجوه.

وقال الحافظ أبو بكر البزار(٢٧) : حدثنا أحمد بن يحيىٰ، حدثنا إبراهيم [بن محمد][٥] ابن ميمون، حدثنا سعيد بن حكيم، عن مسلم بن حبيب، عن بلال - يعني العبسي - عن حذيفة؛ قال : قال رسول اللّٰه، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **ما أحسن القصد في الغنىٰ، وأحسن القصد في الفقر، وأحسن القصد في العبادة** ». ثم قال : لا نعرفه يروىٰ إلا من حديث حذيفة رضي اللّٰه عنه.

وقال إياس بن معاوية : ما جاوزت به أمر الله فهو سَرَفٌ.

وقال غيره : السرف : النفقة في معصية الله.

وقال الحسن البصري : ليس في[٦] النفقة في سبيل اللّٰه سرفٌ[٧].

وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ

---

(٢٥) المسند (١٩٤/٥) (٢١٧٨٥) وإسناد ضعيف من أجل أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم. والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٤/٤) وقال : « رواه أحمد، وفيه أبو بكر بن أبي مريم وقد اختلط».

(٢٦) المسند (٤٤٧/١)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٢/١٠) : « في إسناده إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف ».

(٢٧) مسند البزار حديث (٣٦٠٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٢/١٠) : « رواه البزار عن سعيد بن حكيم عن مسلم بن حبيب، ومسلم هذا لم أجد من ذكره إلا ابن حبان في ترجمة سعيد الراوى عنه، وبقية رجاله ثقات ».

---

[١] - في ت : « قال ».
[٢] - في ت : « ولم ».
[٣] - في خ، ز : « مسكين ».
[٤] - في ت : « ولم ».
[٥] - مكررة في ز، خ.
[٦] - سقط من : ت.
[٧] - في ت : « سرفًا ».

ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

قال الإمام أحمد(٢٨) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن شقيق ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : سُئل رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : أي الذنب أكبر ؟ قال : « **أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك** » . قال : ثم أيّ ؟ قال : « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعَم معك** » . قال : ثم أيّ ؟ قال : « **أن تزاني حليلة جارك** » . قال عبد الله : وأنزل الله تصديق ذلك : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثامًا** ﴾ .

وهكذا رواه النسائي عن هناد بن السري عن أبي معاوية ، به .

وقد أخرجه البخاري ومسلم(٢٩) ، من حديث الأعمش ومنصور - زاد البخاري : وواصل - ثلاثتهم عن أبي وائل ، شقيق بن سلمة ، عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل ، عن ابن مسعود ، به ، فالله أعلم ، ولفظهما عن ابن مسعود قال : قلت : يا رسول الله ، أيّ الذنب أعظم ....؟ الحديث ، طريق غريب .

وقال ابن جرير : حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ، حدثنا عامر بن مدرك ، حدثنا السري - يعني ابن إسماعيل - حدثنا الشعبي ، عن مسروق ؛ قال : قال عبد الله : خرج رسول الله ، صلى الله عليه ، وسلم ذات يوم فاتبعته ، فجلس على نَشَز من الأرض ، وقعدت أسفل منه ، ووجهي حيال ركبتيه ، واغتنمت خلوته فقلت[١] : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! أي الذنوب أكبر ؟ قال : « **أن تدعو لله ندًّا وهو خلقك** » . قلت : ثم مه ؟ قال : « **أن تقتل ولدك كراهية أن يطعم معك** » . قلت : ثم مه ؟ قال : « **أن تزاني حليلة جارك** » . ثم قرأ : ﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر** ﴾ الآية .

وقال النسائي(٣٠) : حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا جرير ، عن منصور ، عن هلال بن

---

(٢٨) المسند (١/٣٨٠) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٦٨) .

(٢٩) صحيح البخاري حديث (٦٨١١) ، وصحيح مسلم حديث (٦٨) .

(٣٠) النسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٧٣) .

---

[١] - في ت : « وقلت » .

يساف ، عن سلمة بن قيس ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، في حجة الوداع : « **ألا إنما هي أربع** » فما أنا بأشح عليهن مني[١] منذ سمعتهن من رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **لا تشركوا باللَّه شيئًا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق ، ولا تزنوا ، ولا تسرقوا** » .

وقال الإمام أحمد(٣١) : حدثنا عليّ بن المديني - رحمه اللَّه - حدثنا محمد بن فضيل بن غَزْوان ، حدثنا محمد بن سعد[٢] الأنصاري ، سمعت أبا طيبة الكلاعي ، سمعت المقداد بن الأسود - رضي اللَّه عنه - يقول : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لأصحابه : « **ما تقولون في الزنا ؟** » قالوا : حَرّمه اللَّه ورسوله ، فهو حَرَام إلىٰ يوم القيامة ، فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لأصحابه : « **لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسرُ عليه من أن يزني بامرأة جاره** » . قال: « **ما تقولون في السرقة ؟** » . قالوا : حرمها اللَّه ورسوله ، فهي حرام . قال : « **لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر له[٣] من أن يسرق من جاره** » .

وقال أبو بكر بن أبي الدنيا(٣٢) : حدثنا عمار بن نصر ، حدثنا بقية ، عن أبي بكر بن أبي مريم ، عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : قال : « **ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند اللَّه من نُطفة وضعها رجل في رَحِم لا يحل له** » .

وقال ابن جُرَيج : أخبرني يعلىٰ ، عن سعيد بن جبير : أنه سمعه يحدث عن ابن عباس : أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا ، وزَنَوا فأكثروا ، ثم أتوا محمدًا - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزلت : ﴿ **والذين لا يدعون مع اللَّه إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم اللَّه إلا بالحق ولا يزنون** ﴾ ، ونزلت : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه إن اللَّه يغفر الذنوب جميعًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٣٣) : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن أبي فاختة ؛ قال : قال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لرجل : « **إن اللَّه ينهاك أن تعبد المخلوق وتدع الخالق ، وينهاك أن تقتل ولدك وتغذو كَلْبك ، وينهاك أن تزني بحليلة**

---

(٣١) المسند (٨/٦) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٦٨/٨) : « رجاله ثقات » .

(٣٢) الورع لابن أبي الدنيا حديث (١٣٧) : « وهو مرسل ، وفي إسناده بقية وهو مدلس وابن أبي مريم ضعيف » ا.هـ .

(٣٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٧٧/٦) وعزاه لابن أبي حاتم . ووقع فيه : « عن أبي قتادة » .

---

[١] - في ز ، خ : « شيء » . [٢] - في ز ، خ : « سعيد » .

[٣] - في ت : « عليه » .

جارك ». قال سفيان: وهو قوله: ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾.

وقوله: ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثامًا﴾ روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال: ﴿أثامًا﴾ وادٍ في جهنم. وقال عكرمة: ﴿ يلق أثامًا ﴾، أودية في جهنم يعذب فيها الزناة. وكذا روي عن سعيد بن جبير ومجاهد. وقال قتادة: ﴿يلق أثامًا﴾ نكالًا، كنا نحدث أنه وادٍ في جهنم.

وقد ذُكر لنا أن لقمان كان يقول: يا بني، إياك والزنا! فإن أوله مخافة، وآخره ندامة.

وقد ورد[١] في الحديث الذي رواه ابن جرير وغيره(٣٤)، عن أبي أمامة الباهلي - موقوفًا ومرفوعًا -: أن « غيًا » و « أثامًا » بئران في قعر جهنم. أجارنا الله منها بمنه وكرمه!

وقال السدي ﴿يلق أثامًا﴾ جزاء[٢]. وهذا أشبه بظاهر الآية، ولهذا فسره بما بعده مبدلًا منه، وهو قوله: ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾ أي: يكرر عليه ويغلظ ﴿ويخلد فيه مهانًا﴾. أي: حقيرًا ذليلًا.

وقوله: ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا ﴾، أي: جزاؤه على ما فعل من هذه الصفات القبيحة ما ذكر ﴿ إلا من تاب ﴾ في الدنيا إلى الله من جميع ذلك، فإن الله يتوب عليه.

وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل، ولا تعارض بين هذه وبين آية النساء: ﴿ ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم خالدًا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا ﴾ فإن هذه وإن كانت مدنية إلا أنها مطلقة، فتحمل على من لم يتب؛ لأن هذه مقيدة بالتوبة، ثم قد قال تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ وقد ثبتت السنة الصحيحة، عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بصحة توبة القاتل، كما ذكر مقررًا من قصة الذي قتل مائة رجل ثم تاب، وقبل منه، وغير ذلك من الأحاديث.

وقوله: ﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورًا رحيمًا ﴾. في معنى قوله: ﴿ يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ قولان: أحدهما: إنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات، قال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ قال: هم المؤمنون، كانوا من قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن [ذلك][٣] فحولهم إلى الحسنات، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات.

---

(٣٤) تفسير الطبري (١٩/٢٩).

---

[١] - في خ: « روى ». [٢] - في ت: « بجزاء ».

[٣] - مكانها بياض في: ز، وسقط من: خ.

وروىٰ مجاهد عن ابن عباس أنه كان ينشد عند هذه الآية :

بُـدِّلْـنَ بَـعْـدَ [حَـرِّهِ خَـريـفًـا][١] وَبَـعْـدَ طُـول الـنَّـفَـس الـوَجـيـفَـا

يعني : تغيرت تلك الأحوال إلى غيرها .

وقال عطاء بن أبي رباح : هذا في الدنيا ، يكون الرجل علىٰ هيئة قبيحة ، ثم يبدله الله بها خيرًا .

وقال سعيد بن جبير: أبدلهم بعبادة الأوثان عبادة الله ، وأبدلهم بقتال المسلمين قتالًا مع المسلمين للمشركين[٢] ، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات .

وقال الحسن البصري : أبدلهم الله[٣] بالعمل السيئ العمل الصالح ، وأبدلهم بالشرك إخلاصًا ، وأبدلهم بالفجور إحصانًا ، و بالكفر[٤] إسلامًا .

وهذا قول أبي[٥] العالية وقتادة وجماعة آخرين.

والقول الثاني : إن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح حسنات ، وما ذاك إلا أنه كلما [تذكَّر ما مضىٰ][٦] ندم واسترجع واستغفر ، فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار . فيوم القيامة وإن وجده مكتوبًا عليه لكنه لا يضره وينقلب حسنة في صحيفته ، كما ثبتت السنة بذلك ، وصحت به الآثار المروية[٧] عن السلف -رحمهم الله تعالىٰ- وهذا سياق الحديث : قال الإمام أحمد(٣٥) :

حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن المعرور بن سويد ، عن أبي ذر ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إني لأعرف آخر أهل النار خروجًا من النار ، وآخر أهل الجنة دخولًا إلىٰ الجنة ، يؤتىٰ برجل فيقول : نَحُّوا كبار ذنوبه وسلوه عن صغارها ، قال : فيقال له : عملت يوم كذا وكذا كذا ، وعملت يوم كذا وكذا كذا ؟ فيقول : نعم - لا يستطيع أن ينكر من ذلك شيئًا - فيقال : فإن لك بكل سيئة حسنة . فيقول : يا رب ؛ عملت أشياء لا أراها هاهنا** » . قال : فضحك رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حتىٰ بدت نواجذه . انفرد به مسلم .

(٣٥) المسند (١٧٠/٥) ، وصحيح مسلم حديث (١٩٠) .

[١] - في ز ، خ : « جَرْيِهِ صَريفًا » .
[٢] - في ز ، خ : « المشركين » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز ، خ : « أبو » .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « مضى ذكر ما »
[٧] - في ز ، خ : « النبوية » .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني(٣٦) : حدثنا هاشم بن يزيد ، حدثنا محمد بن إسماعيل ، حدثني أبي ، حدثني ضمضم بن زرعة ، عن شُرَيح بن عبيد ، عن أبي مالك الأشعري ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إذا نام ابن آدم قال الملك للشيطان : أعطني صحيفتك . فيعطيه إياها ، فما وجد في صحيفته من حسنة محا بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان ، وكتبهن حسنات ، فإذا أراد أن ينام أحدكم فليكبر ثلاثًا وثلاثين تكبيرة ، ويحمد أربعًا وثلاثين تحميدة ، ويسبح ثلاثًا وثلاثين تسبيحة ، فتلك مائة** » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة وعارم ؛ قالا : حدثنا ثابت - يعني ابن يزيد - أبو زيد ، حدثنا عاصم ، عن أبي عثمان ، عن سلمان قال : يعطىٰ رجل يوم القيامة صحيفته فيقرأ[١] أعلاها ، فإذا سيئاته[٢] ، فإذا كاد يسوء ظنه ينظر[٣] في أسفلها فإذا حسناته ، ثم ينظر في أعلاها فإذا هي قد بدلت حسنات .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا سليمان بن موسىٰ الزهري أبو داود ، حدثنا أبو العنبس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ؛ قال : ليأتين الله - عز وجل - بأناس[٤] يوم القيامة رأوا أنهم قد[٥] استكثروا من السيئات ، قيل : من هم يا أبا هريرة ؟ قال : الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن أبي زياد ، حدثنا سَيَّار ، حدثنا جعفر ، حدثنا أبو حمزة ، عن أبي الضيف - وكان من أصحاب معاذ بن جبل - قال : يدخل أهل الجنة الجنة علىٰ أربعة أصناف : المتقين ، ثم الشاكرين ، ثم الخائفين ، ثم أصحاب اليمين . قلت : لم سموا أصحاب اليمين ؟ قال : لأنهم عملوا الحسنات والسيئات ، فأعطوا كتبهم بأيمانهم ، فقرءوا سيئاتهم حرفًا حرفًا - قالوا : يا ربنا ، هذه سيئاتنا ، فأين حسناتنا ؟ فعند ذلك محا الله السيئات وجعلها حسنات ، فعند ذلك قالوا : ﴿ **هاؤم اقرءوا كتابيه** ﴾ ، فهم أكثر أهل الجنة !

وقال علي بن الحسين[٦] زين العابدين : ﴿ **يبدل الله سيئاتهم حسنات** ﴾ قال : في الآخرة .

وقال مكحول : يغفرها لهم فيجعلها حسنات . [رواهما ابن أبي حاتم . وروىٰ ابن جرير ، عن سعيد بن المسيب مثله][٧].

(٣٦) المعجم الكبير للطبراني (٢٩٦/٣) ، قال الهيثمي في المجمع (١٢١/١٠) : « فيه محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف » ، ولم يثبت سماعه عن أبيه أيضًا .

[١] - في خ ، ز : « فسوى » .
[٢] - في ز ، خ : « إساءته » .
[٣] - في ت : « نظر » .
[٤] - في ز ، خ : « أناس » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ت : « الحسن » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[وقال][١] ابن أبي حاتم(٣٧) : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو جابر : أنه سمع مكحولًا يحدث قال : جاء شيخ كبير هرم ، قد سقط[٢] حاجباه على عينيه ، فقال : يا رسول الله ؛ رجل غدر وفجر ، لم يدع حاجة ولا داجة إلا اقتطعها بيمينه ، لو قسمت خطيئته بين أهل الأرض لأوبقتهم ، فهل له من توبة ؟ فقال له رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **أسلمت ؟** » قال : أما أنا فأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله . فقال النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **فإن الله غافر لك ما كنت كذلك ، ومبدل سيئاتك حسنات** » . فقال : يا رسول الله ؛ وغَدَرَاتي وفَجَراتي ؟ فقال : « **وغَدرَاتك وفَجَراتك** » . فَوَلَّىٰ الرجل يهلل ويكبر .

وروى الطبراني (٣٨) من حديث أبي المغيرة عن صفوان بن عمر عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي فروة - شطب - أنه أتى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : أرأيت رجلًا عمل الذنوب كلها ، ولم يترك حاجة ولا داجة ، فهل له من توبة ؟ فقال : « **أسلمت ؟** » فقال : نعم . قال : « **فافعل الخيرات ، واترك السيئات ، فيجعلها[٣] الله لك خيرات كلها** » . قال : وغَدرَاتي وفَجَراتي ؟ قال : « **نعم** » قال : فما زال يكبر حتىٰ توارىٰ .

ورواه الطبراني(٣٩) من طريق أبي فَروة الرهاوي ، عن ياسين الزيات ، عن أبي سلمة الحمصي ، عن يحيىٰ بن جابر ، عن سلمة بن نفيل مرفوعًا .

وقال أيضًا : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا عيسىٰ بن شعيب بن ثوبان ، [عن فليح الشماس ، عن عبيد بن أبي عبيد][٤] ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : جاءتني امرأة فقالت : هل لي من توبة ؟ إني زنيت وولدت وقتلته . فقلت : لا ، ولا نَعمت

(٣٧) وقد وصله الإمام أحمد في مسنده (٣٨٤/٤) من طريق نوح بن قيس ، عن أشعث بن جابر الحداني ، عن مكحول ، عن عمرو بن عبسة به مرفوعًا ، باختصار في أوله وآخره ، وقال الهيثمي في المجمع (٣٢/١) : « رجاله موثقون إلا أنه من رواية مكحول عن عمرو بن عبسة ، فلا أدرى أسمع منه أم لا » .

(٣٨) المعجم الكبير للطبراني (٣١٤/٧) ورواه الخطيب في تاريخ بغداد (٣٥٢/٣) من طريق أبي القاسم البغوي عن محمد بن هارون الحربي ، عن أبي المغيرة به . وقال أبو القاسم البغوي : « روى هذا الحديث غير محمد بن هارون ، عن أبي المغيرة ، عن صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير : أن رجلًا أتى النبي ﷺ طويلًا شطب الممدود ، وأحسب أن محمدًا بن هارون صحف فيه ، والصواب ما قال غيره » .

(٣٩) المعجم الكبير للطبراني (٥٣/٧) ، وقال الهيثمي في المجمع (٣١/١) : « في إسناده ياسين الزيات يروى الموضوعات » .

[١] - في ت : « قال » . [٢] - في ز : « سقطت » .

[٣] - في ز ، خ : « فيجعلهم » .

[٤] - في خ ، ز : « عن فليح بن عبيد بن أبي عبيد الشماس ، عن أبيه » .

العينُ ولا كرامة. فقامت وهي تدعو بالحسرة. ثم صليت مع النبي ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، الصبح، فقصصت عليه ما قالت المرأة وما قلت لها . فقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « بئسما قلت ! أما كنت تقرأ هذه الآية : ﴿ والذين لا يدعون مع اللَّه إلهًا آخر ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملًا صالحًا فأولئك يبدل اللَّه سيئاتهم حسنات وكان اللَّه غفورًا رحيمًا ﴾ » . فقرأتها عليها ، فخرت ساجدة وقالت : الحمد للَّه الذي جعل لي مخرجًا .

هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وفي رجاله من لا يُعرف ، واللَّه أعلم . وقد رواه ابن جرير(٤٠) من حديث إبراهيم بن المنذر الحزامي بسنده بنحوه ، وعنده : فخرجَتْ تدعو بالحسرة وتقول : يا حسرتا ! أخُلق هذا الحسن للنار ؟! وعنده أنه لما رجع من عند رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، تَطَلَّبها في جميع دور المدينة فلم يجدها ، فلما كان من الليلة المقبلة جاءته ، فأخبرها بما قال له رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فخرت ساجدة وقالت : الحمد للَّه الذي جعل لي مخرجًا وتوبة مما عملت . وأعتقت جارية كانت معها وابنتها، وتابت إلىٰ اللَّه عز وجل .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن عموم رحمته لعباده[١] ، وأنه من تاب إليه منهم تاب عليه من أي ذنب كان ، جليل أو حقير ، كبير أو صغير ، فقال : ﴿ ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلىٰ اللَّه متابًا ﴾ ، أي : فإن اللَّه يقبل توبته ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر اللَّه يجد اللَّه غفورًا رحيمًا ﴾ ، وقال : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم ﴾ وقال : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللَّه إن اللَّه يغفر الذنوب جميعًا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ أي لمن تاب إليه .

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

وهذه أيضًا من صفات عباد الرحمن ، أنهم : ﴿ لا يشهدون الزور ﴾ ، قيل : هو الشرك

(٤٠) تفسير الطبري (٢٧/١٩) ورواه ابن مردويه كما في الدر المنثور (٢٧٩/٦) وقال السيوطي : « إسناده ضعيف » .

[١] - في ت : « بعباده » .

وعبادة الأصنام . وقيل : الكذب ، والفسق ، واللغو ، والباطل .

وقال محمد بن الحنفية : اللّهو والغناء .

وقال أبو العالية ، وطاوس ، ومحمد بن سيرين ، والضحاك ، والربيع بن أنس ، وغيرهم : هي أعياد المشركين .

وقال عمرو بن قيس : هي مجالس السوء والخنا .

وقال مالك (٤١) ، عن الزهري : [شرب الخمر][١] لا يحضرونه ولا يرغبون فيه ، كما جاء في الحديث : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس علىٰ مائدة يدار عليها الخمر** » .

وقيل : المراد بقوله تعالىٰ : ﴿ **لا يشهدون الزور** ﴾ ، أي : شهادة الزور ، وهي الكذب متعمدًا علىٰ غيره، كما ثبت[٢] في الصحيحين (٤٢) عن أبي بكرة ؛ قال: قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟** » . ثلاثًا ، قلنا : بلىٰ ، يا رسول اللّه . قال : « **الشرك بالله وعقوق الوالدين** » . وكان متكئًا فجلس ، فقال : « **ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور** » . فما زال يكررها ، حتىٰ قلنا : ليته سكت !

والأظهر من السياق أن المراد : لا يشهدون الزور ، أي : لا يحضرونه ، ولهذا قال : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كرامًا** ﴾ ، أي : لا يحضرون الزور ، وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا فيه[٣] بشيء ؛ ولهذا قال : ﴿ **مروا كرامًا** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٤٣) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو الحسين العُكْلي(*) ، عن محمد بن مسلم ، أخبرني إبراهيم بن ميسرة ، أن ابن مسعود مر بلهو معرضًا[٤] فقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « **لقد أصبح ابن مسعود أو أمسى كريمًا[٥]** » .

---

(٤١) رواه الترمذي في السنن حديث (٢٨٠١) من طريق ليث بن أبي سليم ، عن طاوس ، عن جابر به مرفوعًا . وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب لانعرفه من حديث طاوس عن جابر إلا من هذا الوجه » ثم نقل كلام العلماء في تضعيف ليث بن أبي سليم .

(٤٢) صحيح البخاري حديث (٢٦٥٤) ، وصحيح مسلم حديث (٨٧) .

(٤٣) ورواه ابن عساكر في المختصر لابن منظور (١٤/٥٥) من طريق إبراهيم بن ميسرة به .

---

[١] - في ت : « المعاصي » . [٢] - سقط من : ت .

[٣] - في ت : « منه » .

(*) في ز ، خ : العجلي . وهو تحريف . والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم . وانظر ترجمته في تهذيب الكمال [١٠/٤٠] .

[٤] - في ز ، خ : « معرضة » . [٥] - في ز ، خ : « لكريمًا » .

[وحدثنا الحسن بن محمد بن سلمة النحوي ، حدثنا حبان، أنا عبد الله، أنا محمد بن مسلم ، أخبرني [إبراهيم بن ميسرة](**) قال : بلغني أن ابن مسعود مر بلهو معرضًا فلم يقف ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لقد أصبح ابن مسعود أو أمسىٰ كريمًا** »][١] . ثم تلا إبراهيم بن ميسرة : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كرامًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا** ﴾ - هذه من[٢] صفات المؤمنين - ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلىٰ ربهم يتوكلون** ﴾ بخلاف الكافر فإنه إذا سمع كلام الله لا يؤثر فيه ولا يقصر عما كان عليه ، بل يبقىٰ مستمرًا علىٰ كفره وطغيانه وجهله وضلاله ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلىٰ رجسهم** ﴾ فقوله : ﴿ **لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا** ﴾ أي : بخلاف الكافر ؛ أي[٣]: الذي ذكر بآيات ربه ، فاستمر علىٰ حاله ، كأن لم يسمعها أصم أعمىٰ .

قال مجاهد: قوله : ﴿ **لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا** ﴾ لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يفقهوا شيئًا. وقال الحسن البصري : كم من رجل يقرؤها ويخر عليها أصم أعمىٰ !

وقال قتادة : قوله تعالىٰ : ﴿ **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا** ﴾، يقول : لم يصموا عن الحق ولم يعموا فيه ، فهم - والله - قوم عقلوا عن الله فانتفعوا[٤] بما سمعوا من كتابه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أسيد بن عاصم ، حدثنا عبد الله بن حُمْران ، حدثنا ابن عون قال : سألت الشعبي قلت : الرجل يرىٰ القوم سجودًا ولم يسمع ما سجدوا ، أيسجد معهم ؟ قال : فتلا هذه الآية : ﴿ **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمًّا وعميانًا** ﴾ ، يعني : أنه لا يسجد معهم لأنه لم يتدبر آية السجدة فلا ينبغي للمؤمن أن يكون إمعة ، بل يكون علىٰ بصيرة في[٥] أمره ، ويقين واضح بَيِّن .

وقوله : ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين** ﴾ ، يعني : الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم وذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له .

قال ابن عباس: يعنون من يعمل بالطاعة فتقر به أعينهم في الدنيا والآخرة .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ت ، والمثبت من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « وانتفعوا » .
[٥] - في ت : « من » .

وقال عكرمة : لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالًا ، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين .

وقال الحسن البصري - وسئل عن هذه الآية - قال[١] : أن يُريَ اللَّه العبدَ المسلم من زوجته ، و[٢]من أخيه ، و[٣]من حميمه ، طاعة اللَّه . لا واللَّه ما شيء أقر لعين المسلم من[٤] أن يرىٰ ولدًا ، أو ولد ولد ، أو أخًا ، أو حميمًا ، مطيعًا للَّه عز وجل .

وقال ابن جريج في قوله : ﴿ **هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين** ﴾ ، قال : يعبدونك ويحسنون عبادتك ولا يجرون علينا الجرائر .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني : يسألون اللَّه لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام .

وقال الإمام أحمد (٤٤) : حدثنا يعمر[٥] بن بشر ، حدثنا عبد اللَّه بن المبارك ، أخبرنا صفوان ابن عمرو ، حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه ؛ قال : جلسنا إلىٰ المقداد بن الأسود يومًا[٦] ، فمر به رجل فقال : طوبىٰ لهاتين العينين اللتين رأتا رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ! لوددنا أنّا رأينا ما رأيت ، وشهدنا ما شهدتَ ! فاستغضب ، فجعلت أعجبُ ، ما قال إلا خيرًا ! ثم أقبل إليه فقال : ما يحمل الرجل علىٰ أن يتمنىٰ مَحْضَرًا غَيّبه اللَّه عنه ، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه؟ واللَّه ، لقد حضر رسولَ اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، أقوام أكبَّهم اللَّه علىٰ مناخرهم[٧] في جهنم لم يجيبوه ولم [يصدقوه][٨] ، أوَ لا تحمدون اللَّه إذ أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين لما جاء به نبيكم ، قد كُفيتم البلاء بغيركم ، لقد بعث اللَّه النبيَّ - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - علىٰ أشد حال بعث عليها نبيًا من الأنبياء في فترة من جاهلية ، ما يرون أن دينًا أفضل من عبادة الأوثان . فجاء بفُرقان فَرَّقَ به بين الحق والباطل ، وفَرَّقَ بين الوالد وولده ، [حتىٰ][٩] إن كان الرجل ليرىٰ[١٠] والده وولده ، أو أخاه كافرًا ، وقد فتح اللَّه قُفْل[١١] قلبه للإيمان ، يعلم أنه إن هلك دخل النار ، فلا تقر عينه وهو يعلم أن

(٤٤) المسند (٦/٢) . وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/٢٥٣،٢٥٤/رقم : ٦٠٠) . وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٧٥،١٧٦) . كلاهما من طريق ابن المبارك ، عن صفوان بن عمرو به . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/١٧) وعزاه للطبراني فقط وقال : « رواه الطبراني بأسانيد في أحدها يحيى بن صالح ؛ وثقه الذهبي ، =

[١] - في ت : « فقال » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز ، خ : « معمر » والمثبت من المسند .
[٦] - سقط من : ز خ .
[٧] - في ت : « مناخيرهم » .
[٨] - سقط من : خ ، ز والمثبت من المسند .
[٩] - سقط من : ز ، خ .
[١٠] - في ز ، خ : « يرى » .
[١١] - سقط من : ز ، خ .

حبيبه في النار ، وأنها التي قال الله تعالىٰ : ﴿ **والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرة أعين** ﴾ . وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه .

وقوله : ﴿ **واجعلنا للمتقين إمامًا** ﴾ ، قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، والربيع ابن أنس : أئمة يقتدىٰ بنا في الخير .

وقال غيرهم : هداةً مهتدين ، [دعاةً][١] إلىٰ الخير ، فأحبوا أن تكون عبادتهم متصلة بعبادة أولادهم وذرياتهم ، وأن يكون هداهم متعديًا إلىٰ غيرهم بالنفع وذلك أكثر ثوابًا ، وأحسن مآبًا ، ولهذا ورد في صحيح مسلم(٤٥) ، [عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم][٢] : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : من ولد صالح يدعو له ، و[٣] علم ينتفع به من[٤] بعده ، و[٥] صدقة جارية** » .

أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

لما ذكر تعالىٰ من أوصاف عباده المؤمنين ما ذكر من[٦] الصفات الجميلة ، والأفعال والأقوال الجميلة - قال بعد ذلك كله : ﴿ **أولئك** ﴾ ، أي : المتصفون بهذه ﴿ **يجزون** ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ **الغُرْفة** ﴾ ، وهي الجنة .

قال أبو جعفر الباقر ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، والسدي : سميت بذلك لارتفاعها .

﴿ **بما صبروا** ﴾ ، أي : علىٰ القيام بذلك ، ﴿ **ويُلَقَّون فيها** ﴾ ، أي : في الجنة ﴿ **تحية وسلامًا** ﴾ ، أي : يُبْتَدَءُونَ[٧] فيها بالتحية والإكرام ، ويُلقَّون التوقير[٨] والاحترام ، فلهم السلام وعليهم السلام ، فإن الملائكة يدخلون عليهم من كل باب ، سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبىٰ الدار .

=وقد تكلموا فيه ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٤٥) صحيح مسلم حديث (١٦٣١) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ت : « أو » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ت : « أو » .
[٦] - في ز ، خ : « هذه » .
[٧] - في ت : « يبتدرون » .
[٨] - في ز ، خ : « فيها التوفيق » .

وقوله : ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي : مقيمين لا يظعنون ولا يحولون [ولا يموتون][١] ولا يزولون عنها ولا يبغون عنها حولًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **حسنت مستقرًا ومقامًا** ﴾ . أي : حسنت منظرًا وطابت مقيلًا ومنزلًا .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل ما يعبأ بكم ربي** ﴾ . أي : لا يبالي [بكم][٢] ولا يكترث بكم إذا لم تعبدوه ، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلًا .

وقال مجاهد ، وعمرو بن شعيب : ﴿ **ما يعبأ بكم ربي** ﴾ يقول : ما يفعل بكم ربي .

وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم** ﴾ يقول : لولا إيمانكم ، فأخبر اللَّه الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين ، ولو كان [له][٣] بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حببه إلىٰ المؤمنين .

وقوله : ﴿ **فقد كذبتم** ﴾ ، أي : أيها الكافرون ، ﴿ **فسوف يكون لزامًا** ﴾ ، أي : فسوف يكون تكذيبكم[٤] لزامًا لكم ، يعني : مقتضيًا [لهلاككم وعذابكم ودماركم][٥] في الدنيا والآخرة ، ويدخل في ذلك يوم بدر ، كما فسره بذلك عبد اللَّه بن مسعود ، وأُبيّ بن كعب ، ومحمد بن كعب القرظي ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم .

وقال الحسن البصري : ﴿ **فسوف يكون لزامًا** ﴾ يعني : يوم القيامة . ولا منافاة بينهما ، واللَّه أعلم .

☆ ☆ ☆

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٤] - في ز ، خ : « تكذيبهم » .

[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « لهلاكهم وعذابهم ودمارهم » .

تفسير سورة الشعراء

وهي مكية

(ووقع في تفسير مالك المروي عنه تسميتها سورة الجامعة)

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور، فقد تكلمنا عليه في أول تفسير سورة البقرة.

وقوله: ﴿ **تلك آيات الكتاب المبين** ﴾، أي: هذه آيات القرآن المبين، أي: البين الواضح، الذي يفصل[١] بين الحق والباطل، والغيّ والرشاد.

وقوله: ﴿ **لعلك باخع نفسك** ﴾، أي: مهلك ﴿ **نفسك** ﴾، أي: مما تحرص [عليهم][٢] وتحزن عليهم، ﴿ **ألّا يكونوا مؤمنين** ﴾. وهذه تسلية من اللّه لرسوله - صلوات اللّه وسلامه عليه - في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار، كما قال تعالىٰ: ﴿ **فلا تذهب نفسك عليهم حسرات** ﴾ وقال: ﴿ **فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا** ﴾ قال مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، وعطية، والضحاك: ﴿ **لعلك باخع نفسك** ﴾، أي: قاتل نفسك، قال الشاعر:

ألا أيّهذا الباخعُ الحزنُ نفسَه لشيءٍ[٣] نحتْه عن يديه المقادرُ

ثم قال اللّه تعالىٰ: ﴿ **إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين** ﴾ أي: لو شئنا لأنزلنا آية تضطرهم إلىٰ الإيمان قهرًا، ولكنّا لا نفعل ذلك، لأنا لا نريد من أحد

[١] - في ز، خ: «يفعل».

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.

[٣] - في ز، خ: «بشيء».

إلا الإيمان الاختياري ، وقال تعالىٰ : ﴿ و[١]لو شاء ربك لآمن مَنْ في الأرض كلهم جميعًا أفأنت تكره الناس حتىٰ يكونوا مؤمنين ﴾ وقال : ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ ، فَنَفَذ قَدَرُه ، ومضت[٢] حكمته ؛ وقامت حجته البالغة علىٰ خلقه بإرسال الرسل إليهم ، وإنزالِ الكتب عليهم .

ثم قال : ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين ﴾ ، أي : كلما جاءهم كتاب من السماء أعرض عنه أكثر الناس ؛ كما قال : ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ وقال: ﴿يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ ، وقال : ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترىٰ كلما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدًا لقوم لا يؤمنون ﴾؛ ولهذا قال تعالىٰ هاهنا : ﴿ فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون ﴾ ، أي : فقد كذبوا بما جاءهم من الحق ، فسيعلمون نبأ هذا التكذيب بعد حين ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون ﴾ .

ثم نبه تعالىٰ علىٰ عظمته في سلطانه وجلالة قدره وشأنه ، الذين اجترءوا علىٰ مخالفة رسوله وتكذيب كتابه ، وهو القاهر العظيم القادر ، الذي خلق الأرض وأنبت فيها من كل زوج كريم ، [من][٣] زروع وثمار وحيوان .

قال سفيان الثوري ، عن رجل ، عن الشعبي : الناس من نبات الأرض ، فمن دخل الجنة فهو كريم ، ومن دخل النار فهو لئيم .

﴿ إن في ذلك لآية ﴾ ، أي : دلالة علىٰ قدرة الخالق[٤] للأشياء ، الذي بسط الأرض ورفع بناء السماء ، ومع هذا ما آمن أكثر الناس ، بل كذبوا به وبرسله وكتبه ، وخالفوا أمره وارتكبوا زواجره .

وقوله : ﴿ وإن ربك لهو العزيز ﴾ ، أي : الذي عزّ كلَّ شيء وقهره وغلبه ، ﴿ الرحيم ﴾ ، أي : بخلقه ، فلا يعجل علىٰ من عصاه بل ينظره ويؤجله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر .

قال أبو العالية ، وقتادة ، والربيع بن أنس ، وابن[٥] إسحاق : العزيز في نقمته وانتصاره ممن خالف أمره وعبد غيره . وقال سعيد بن جبير : الرحيم بمن تاب إليه وأناب .

﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١) ﴾

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في خ ، ز : « وقضت » .
[٣] - ما بين المعكوفين في ت : « ومن » .
[٤] - في ز ، خ : « الخالد » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ
إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا
بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ
عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ
فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا
وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عما أمر به عبده ورسوله وكليمه موسىٰ بن عمران - صلوات الله وسلامه عليه - حيث[١] ناداه من جانب الطور الأيمن ، وكلمه وناجاه ، وأرسله واصطفاه ، وأمره بالذهاب إلىٰ فرعون وملئه ؛ ولهذا قال : ﴿ **أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون * قال رب إني أخاف أن يكذبون * ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلىٰ هارون * ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون** ﴾ هذه أعذار سأل من الله إزاحتها عنه ، كما قال في سورة طه : ﴿ **قال رب اشرح لي صدري * ويسر لي أمري * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي * واجعل لي وزيرًا من أهلي * هارون أخي * اشدد به أزري * وأشركه في أمري * كي نسبحك كثيرًا * ونذكرك كثيرًا إنك كنت بنا بصيرًا * قال قد أوتيت سؤلك يا موسىٰ** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولهم عليّ ذنب فأخاف أن يقتلون** ﴾ ، أي : بسبب ما كان قتل ذلك القبطي الذي كان سبب خروجه من بلاد مصر ﴿ **قال كلا** ﴾ ، أي : قال الله له : لا تخف من شيء من ذلك ؛ كما قال : ﴿ **سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانًا** ﴾ ، أي : برهانًا ﴿ **فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون** ﴾ .

﴿ **فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنني معكما أسمع وأرىٰ** ﴾ أي : [ ][٢] معكما بحفظي وكلاءتي ونصري وتأييدي .

﴿ **فائتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين** ﴾ وقال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **إنا رسولا ربك** ﴾ ، أي : كل منا رسول الله إليك ﴿ **أن أرسل معنا بني إسرائيل** ﴾ ، أي : أطلقهم من

---

[١] - في ت : « حين » .

[٢] - ما بين المعكوفين في ت : « إنني » .

إسارك وقبضتك وقهرك وتعذيبك ، فإنهم عباد الله المؤمنون ، وحزبه المخلصون ، وهم معك في العذاب المهين . فلما قال له موسىٰ ذلك أعرض فرعون عما هنالك بالكلية ، ونظر بعين الازدراء والغمص فقال : ﴿ ألم نربِّك فينا وليدًا ولبثت فينا من عمرك سنين ﴾ . [أي : أما أنت الذي ربيناه][١] فينا ، وفي بيتنا ، وعلىٰ فراشنا [ ][*] ، وأنعمنا عليه مدة من السنين، ثم بعد هذا قابلت ذاك[٢] الإحسان بتلك الفعلة أن قتلت منا رجلًا ، وجحدت نعمتنا عليك . ولهذا قال : ﴿ وأنت من الكافرين ﴾ ، أي : الجاحدين . قاله ابن عباس ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره ابن جرير ﴿ قال فعلتها إذًا ﴾ ، أي : في تلك الحال ، ﴿ وأنا من الضالين ﴾ أي : قبل أن يُوحىٰ إليّ ويُنعم الله عليّ بالرسالة والنبوة .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك وغيرهم : ﴿ وأنا من الضالين ﴾ أي : الجاهلين .

قال[٣] ابن جريج : وهي كذلك في قراءة عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه .

﴿ ففررتُ منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكمًا وجعلني من المرسلين ﴾ أي : الحال الأول انفصل وجاء أمر آخر ، فقد[٤] أرسلني الله إليك ، فإن أطعته سَلمت ، وإن خالفته عَطبت .

ثم قال موسىٰ : ﴿ وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل ﴾ ، أي : وما أحسنت إليَّ وربَّيتني مقابل ما أسأت إلىٰ بني إسرائيل ، فجعلتهم عبيدًا وخدمًا ، تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك ، أفيفي إحسانك إلىٰ رجل واحد منهم بما أسأتَ إلىٰ مجموعهم ؟ أي : ليس ما ذكرته شيئًا بالنسبة إلىٰ ما فعلت بهم .

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كفر فرعون وتمرده وطغيانه وجحوده ، في قوله : ﴿ وما رب

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

(*) ما بين المعكوفين في ز : وهو ما . وفي خ : حدثنا . [٢] - في ت : « هذا » .

[٣] - في ز ، خ : « وقال » . [٤] - في ز ، خ : « قد » .

العالمين ﴾ وذلك أنه كان يقول لقومه : ﴿ **ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ ، ﴿ **فاستخف**[١] **قومه فأطاعوه**﴾ وكانوا يجحدون الصانع - تعالىٰ - ويعتقدون أنه لا رب لهم سوىٰ فرعون . فلما قال له[٢] موسىٰ : ﴿ **إني رسول رب العالمين** ﴾ ، قال له : ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين غيري ؟ هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف ، حتىٰ قال السدي : هذه الآية كقوله تعالىٰ : ﴿ **قال**[٣] **فمن ربكما يا موسىٰ قال ربنا الذي أعطىٰ كل شيء خلقه ثم هدىٰ** ﴾ .

ومن زعم من أهل المنطق وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية ، فقد غلط ؛ فإنه لم يكن مقرًا[٤] بالصانع حتىٰ يسأل عن الماهية ، بل كان جاحدًا له بالكلية فيما يظهر ، وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه ، فعند ذلك [][٥] قال موسىٰ لما سأله عن رب العالمين : ﴿ **قال رب السموات والأرض وما بينهما** ﴾ ، أي : خالق جميع ذلك ومالكه ، والمتصرف فيه وإلهه ، لا شريك له ، هو الله الذي خلق الأشياء كلها ، العالم العلويّ وما فيه من الكواكب الثوابت والسيارات النيرات ، والعالم السفليّ وما فيه من بحار وقفار ، وجبال وأشجار ، وحيوان ونبات وثمار ، وما بين ذلك من الهواء والطيور ، وما يحتوي عليه الجو ، الجميع عبيد له خاضعون ذليلون .

﴿ **إن كنتم موقنين** ﴾ . أي : إن كانت لكم قلوب موقنة ، وأبصار نافذة . فعند ذلك التفت فرعون إلىٰ من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلًا لهم ، علىٰ سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسىٰ فيما قاله : ﴿ **ألا تستمعون** ﴾ ؟! أي : ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه أن لكم إلهًا غيري ؟ فقال لهم موسىٰ : ﴿ **ربكم ورب آبائكم الأولين** ﴾ . أي : خالقكم وخالق آبائكم الأوائل ، الذين كانوا قبل فرعون وزمانه . ﴿ **قال** ﴾ أي : فرعون لقومه : ﴿ **إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون** ﴾ . أي : ليس له عقل في دعواه أنّ ثَمّ ربًا غيري . ﴿ **قال** ﴾ أي : موسىٰ لأولئك الذين أوعز[٦] إليهم فرعون ما أوعز[٧] من الشبهة ، فأجاب موسىٰ بقوله : ﴿ **رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون** ﴾ . أي : هو الذي جعل المشرق مشرقًا تطلع منه الكواكب ، والمغرب مغربًا تغرب فيه[٨] الكواكب ثوابتها وسياراتها ، مع هذا النظام الذي سَخّرها فيه وقدرها ، فإن كان هذا الذي يزعم[٩] أنه ربكم وإلهكم صادقًا فليعكس الأمر ، وليجعل المشرق مغربًا ، والمغرب مشرقًا ، كما أخبر تعالىٰ عن : ﴿ **الذي حاجّ إبراهيم في ربه [أن آتاه الله الملك]**[١٠] **إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي**

---

[١] - في ز ، خ : « واستخف » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « مقر » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « قد » .
[٦] - في ز ، خ : « أوغر » .
[٧] - في ز ، خ : « أوغر » .
[٨] - في ز ، خ : « منه » .
[٩] - في ز ، خ : « تزعم » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾؛ ولهذا لما غُلب فرعون وانقطعت حجته ، عدل إلىٰ استعمال جاهه وقوته وسلطانه ، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسىٰ - عليه السلام - فقال ما أخبر الله تعالىٰ عنه :

قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

لما قامت علىٰ فرعون الحجة بالبيان والعقل عدل إلى[١] أن يقهر موسىٰ بيده وسلطانه ، وظن أنه ليس وراء هذا المقام مقال[٢] ، فقال : ﴿ **لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين** ﴾ فعند ذلك قال موسىٰ : ﴿ **أولو جئتك بشيء مبين** ﴾ . أي : برهان[٣] قاطع واضح ، ﴿ **قال فأتِ به إن كنت من الصادقين * فألقىٰ عصاه فإذا هي ثعبان مبين** ﴾ ، أي : ظاهر واضح في غاية الجلاء والوضوح والعظمة ، ذات قوائم وفم كبير ، وشكل هائل مزعج . ﴿ **ونزع يده** ﴾ أي : من جيبه ، ﴿ **فإذا هي بيضاء للناظرين** ﴾ . أي : تتلألأ كقطعة من القمر . فبادر فرعون لشقائه[٤] إلىٰ التكذيب والعناد ، فقال للملأ حوله : ﴿ **إن هذا لساحر عليم** ﴾ . أي : فاضل بارع في السحر . فَرَوَّج عليهم فرعون أن هذا من قبيل السحر لا من قبيل المعجزة ، ثم هيجهم وحرضهم علىٰ مخالفته ، والكفر به ، فقال : ﴿ **يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون** ﴾ . أي : [أراد أن][٥] يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا ، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم علىٰ دولتكم ، فيأخذ البلاد منكم ، فأشيروا عليّ فيه ماذا أصنع به ؟ ﴿ **قالوا أرجِهْ وأخاه وابعث في المدائن حاشرين * يأتوك بكلّ سحّار عليم** ﴾ ، [أي : أخره وأخاه حتىٰ تجمع له من مدائن مملكتك وأقاليم دولتك كل سحار

---

[١] - في ت : « عن » .
[٢] - في خ ، ز : « مقام » .
[٣] - في ت : « ببرهان » .
[٤] - في ت: « بشقائه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

عليم][١] يقابلونه[٢] ، ويأتون بنظير ما جاء به ، فتغلبه أنت وتكون لك النصرة والتأييد . فأجابهم إلىٰ ذلك وكان هذا من تسخير اللّٰه تعالىٰ لهم في ذلك ، ليجتمع الناس في صعيد واحد ، ولتظهر آيات اللّٰه وحججه وبراهينه علىٰ الناس في النهار جهرة .

فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾

ذكر تعالى هذه المناظره العقلية[٣] بين موسىٰ والقبط في « سورة الأعراف » وفي « سورة طه » ، وفي هذه السورة ، وذلك أن القبط أرادوا أن يطفئوا نور اللّٰه بأفواههم فأبىٰ اللّٰه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . وهذا شأن الكفر والإيمان ، ما تواجها وتقابلا إلا غلبه الإيمان ، ﴿ **بل نقذف بالحق علىٰ الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون** ﴾ . ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا** ﴾ ولهذا لما جاء السحرة ، و[٤]قد جمعوهم من أقاليم بلاد مصر ، وكانوا إذ ذاك أسحر الناس وأصنعهم وأشدهم تخيلًا[٥] في ذلك ، وكان السحرة جمعًا كثيرًا ، وجمًّا غفيرًا ، قيل : كانوا اثني عشر ألفًا ، وقيل : خمسة عشر ألفًا ، وقيل : سبعة عشر ألفًا ، [وقيل : تسعة عشر ألفًا ، وقيل : بضعة وثلاثين ألفًا][٦] ، وقيل : ثمانين ألفًا ، وقيل غير ذلك ، واللّٰه أعلم بعدتهم .

قال ابن إسحاق : وكان أمرهم راجعًا[٧] إلى أربعة منهم وهم رؤساؤهم ، وهم : ساتور ، وعازور ، وحطحط ، ويصفى .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « يقاتلونه » .

[٣] - في ت : « الفعلية » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « تخييلًا » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ز ، خ : « راجع » .

واجتهد[١] الناس في الاجتماع ذلك اليوم ، وقال قائلهم : ﴿ **لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين** ﴾ . ولم يقولوا : نتبع الحق سواء كان من السحرة أو من موسىٰ ، بل الرعية علىٰ دين ملكهم . ﴿ **فلما جاء السحرة** ﴾ . أي : إلىٰ مجلس فرعون وقد ضرب له وطاقًا(*) وجمع حشمه وخدمه وأمراءه[٢] ووزراءه ورؤساء دولته وجنود مملكته . فقام السحرة بين يدي فرعون ، يطلبون منه الإحسان إليهم والتقرب إليه إن غلبوا . أي : هذا الذي جمعتنا من أجله فقالوا : ﴿ **أإنَّ لنا لأجرًا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذًا لمن المقربين** ﴾ . أي : وأخص مما تطلبون أجعلكم من المقربين عندي وجلسائي . فعادوا إلىٰ مقام المناظرة ، ﴿ **قالوا يا موسىٰ إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقىٰ * قال بل ألقوا** ﴾ . وقد اختصر هذا هاهنا . فقال : ﴿ **قال[٣] لهم موسىٰ ألقوا ما أنتم ملقون * فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون** ﴾ . وهذا كما يقوله الجهلة من العوام إذا فعلوا شيئًا : هذا بثواب فلان . وقد ذكر اللّه في « سورة الأعراف » : أنهم ﴿ **سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم** ﴾ . وقال في « سورة طه » : ﴿ **فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعىٰ فأوجس في نفسه خيفة موسىٰ قلنا لاتخف إنك أنت الأعلىٰ * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ** ﴾ .

وقال هاهنا : ﴿ **فألقىٰ موسىٰ عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون** ﴾ . أي : تخطفه [وتجمعه][٤] من كل بقعة وتبتلعه فلم تدع منه شيئًا ، قال تعالىٰ : ﴿ **فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون . فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين * وألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * ربِّ موسىٰ وهارون** ﴾ .

وكان هذا أمرًا عظيمًا جدًّا ، وبرهانًا قاطعًا للعذر وحجة دامغة ، وذلك أن الذين[٥] استنصر بهم وطلب منهم أن يَغلبوا قد[٦] غُلبوا وخضعوا وآمنوا بموسىٰ في الساعة الراهنة ، وسجدوا للّه رب العالمين ، الذي أرسل موسىٰ وهارون بالحق والمعجزة الباهرة ، فَغُلِب فرعون غَلبًا لم يشاهد العالم مثله ، وكان وقحًا جريئًا عليه لعنة الله ! فعدل إلىٰ المكابرة والعناد ودعوىٰ الباطل ، فشرع يتهددهم ويتوعدهم ، ويقول : ﴿ **إنه لكبيركم الذي علمكم السحر** ﴾ ، وقال : ﴿ **إنّ هذا لمكرٌ مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون** ﴾ .

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ

---

[١] - في ز ، خ : « وحشر » .

(*) كذا ، ولا أدري ما معناها .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - سقط من : ت .

[٤] - ما بين المعكوفتين مكرر في ز .

[٥] - في ز ، خ : « الذي » .

[٦] - في خ : « منهم » ، وفي ز : « منه » .

تَعۡلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥١﴾

تهددهم فلم يقطع ذلك فيهم ، وتوعدهم فما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا ، وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر ، وظهر لهم الحق بعلمهم ما جهل قومهم ، من أن هذا الذي جاء به موسىٰ لا يصدر عن بشر ، إلا أن يكون اللَّه قد أيده به ، وجعله له حجة ودلالة علىٰ صدق ما جاء به من ربه ؛ ولهذا لما قال لهم فرعون : ﴿ **آمنتم له قبل أن آذن لكم** ﴾ أي : كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم ، ولا تفتاتوا عليَّ في ذلك ، فإن أذنت لكم فعلتم ، وإن منعتكم امتنعتم ، فإني أنا الحاكم المطاع ، ﴿ **إنه لكبيركم الذي علمكم السحر** ﴾ . وهذه مكابرة يعلم كل أحد بُطلانها ، فإنهم لم يجتمعوا بموسىٰ قبل ذلك اليوم ، فكيف يكون كبيرَهم الذي أفادهم صناعة السحر ؟ ! هذا لا يقوله عاقل .

ثم توعدهم فرعون بقطع [الأيدي و][١]الأرجل والصلب ، فقالوا : ﴿ **لا ضير** ﴾ . أي : لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به ﴿ **إنا إلىٰ ربنا منقلبون** ﴾ . أي : المرجع[٢] إلىٰ الله ، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملًا ، ولا يخفىٰ عليه ما فعلت بنا[٣] ، وسيجزينا علىٰ ذلك أتم الجزاء ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا** ﴾ . أي : ما قارفناه من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر ، ﴿ **أن كنَّا أول المؤمنين** ﴾ أي : بسبب أنَّا بادرنا قومنا من القبط إلىٰ الإيمان . فقتلهم[٤] كلهم .

۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٥٨﴾

لما طال مُقام موسىٰ - عليه السلام - ببلاد مصر ، وأقام بها حُجج اللَّه وبراهينه علىٰ فرعون وملئه ، وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون ، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال ، فأمر اللَّه موسىٰ

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز : « المرجوع » وفي خ : « الرجوع » .

[٣] - سقط من : ز ، خ . [٤] - في ز ، خ : « فتلهم » .

عليه السلام - أن يخرج ببني إسرائيل ليلًا من مصر ، وأن يمضي بهم حيث يُؤمر ، ففعل موسىٰ - عليه السلام - ما أمره به ربه عز وجل ، خرج بهم بعد ما استعاروا من قوم فرعون حُليًا كثيرًا ، وكان خروجه بهم - فيما ذكر غير واحد من المفسرين - وقت طلوع القمر . وذكر مجاهد - رحمه الله - أنه كُسف القمر تلك الليلة ، فالله أعلم . وأن موسىٰ - عليه السلام - سأل عن قبر يوسف - عليه السلام - فدلته امرأة عجوز من بني إسرائيل عليه ، فاحتمل تابوته معهم ، ويقال : إنه هو الذي حمله بنفسه عليهما السلام ، وكان يوسف قد وصىٰ[١] بذلك إذا خرج بنو إسرائيل أن يحملوه معهم . وقد ورد في ذلك حديث رواه ابن أبي حاتم رحمه الله فقال :

حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا عبد الله بن عمر [بن محمد][٢] بن أبان بن صالح ، حدثنا [ابن فُضَيْلَ][٣] ، عن عبد الله بن أبي إسحاق ، عن ابن أبي بردة ، [عن أبيه][٤] ، عن أبي موسىٰ ؛ قال : نزل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بأعرابيّ فأكرمه ، فقال له رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **تعاهدنا** » . فأتاه الأعرابي فقال له رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « [**حاجتك**][٥] ؟ » قال : ناقة برحلها وأعنق[٦] يحتلبها أهلي ، فقال : « **أعجزت أن تكون مثل عجوز بني إسرائيل ؟** » فقال له أصحابه : وما عجوز بني إسرائيل يا رسول الله ؟ قال : « **إن موسىٰ لما أراد أن يسير ببني إسرائيل أضل الطريق ، فقال لبني إسرائيل : ما هذا ؟ فقال له علماء بني إسرائيل : نحن نحدثك : إن يوسف - عليه السلام - لما حضره الموت أخذ علينا موثقًا من الله أن لا نخرج من مصر حتىٰ ننقل تابوته معنا ، فقال لهم موسىٰ : فأيكم يدري أين قبر يوسف ؟ قالوا : ما يعلمه إلا عجوز لبني إسرائيل . فأرسل إليها فقال لها : دليني علىٰ قبر يوسف . قالت**[٧] : **والله لا أفعل حتىٰ تعطيني حكمي . فقال لها : وما حكمك ؟ قالت : حكمي أن أكون معك في الجنة . فكأنه ثقل عليه ذلك فقيل له : أعطها حكمها . قال : فانطلقت معهم إلىٰ بحيرة - مستنقع ماء - فقالت لهم**[٨] : **أنضبوا هذا الماء . فلما أنضبوه ، قالت : احتفروا . فلما احتفروا استخرجوا قبر يوسف ، فلما احتملوه إذا الطريق مثل ضوء النهار** »(١) .

---

(١) ورواه أبو يعلى في مسنده (١٣/٢٣٦) ، وابن حبان في صحيحه (٢٤٣٥) « موارد » ، والحاكم =

---

[١] - في ت : « أوصى » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٣] - في ز ، خ : ابن فضل . وهو تحريف . والصواب : ابن فضيل . وهو محمد بن فضيل . من رجال التهذيب.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفين في ت : « ما حاجتك » .
[٦] - في ت : « وأعنز » .
[٧] - في ت : « فقالت » .
[٨] - سقط من : ز ، خ .

هذا حديث غريب جدًا والأقرب أنه موقوف، والله أعلم.

فلما أصبحوا وليس في ناديهم[١] داع ولا مجيب، غاظ ذلك فرعون واشتد غضبه على بني إسرائيل، لما يريد الله به من الدمار، فأرسل سريعًا في بلاده حاشرين. أي: من يحشرُ الجندَ ويجمعه، كالنُّقَباء والحُجَّاب، ونادىٰ فيهم: ﴿ **إن هؤلاء** ﴾ - يعني: بني إسرائيل - ﴿ **لشرذمة قليلون** ﴾. أي: لطائفة قليلة، ﴿ **وإنهم لنا لغائظون** ﴾، أي: كل وقت يصل لنا منهم ما يغيظنا، ﴿ **وإنا لجميع حاذرون** ﴾. أي: نحن كل وقت نحذر من غائلتهم، وإني أريد أن أستأصل شأفتهم، وأبيد خضراءهم. فجوزي في نفسه وجنده بما أراد لهم، قال الله تعالىٰ: ﴿ **فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم** ﴾. أي: فخرجوا من هذا النعيم إلىٰ الجحيم، و[٢]تركوا تلك المنازل العالية، والبساتين والأنهار، والأموال، والأرزاق، والملك، والجاه الوافر في الدنيا. ﴿ **كذلك وأورثناها بني إسرائيل** ﴾، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنىٰ علىٰ بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** ﴾. وقال تعالىٰ: ﴿ **ونريد أن نمن علىٰ الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** ﴾.

كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ
قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾
فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

ذكر ذلك غير واحد من المفسرين: أن فرعون خرج في جحفل عظيم وجمع كبير، هو عبارة عن مملكة الديار المصرية في زمانه، أولي الحل والعقد والدول، من الأمراء والوزراء

= في المستدرك (٢/٥٧١) من طريق محمد بن فضيل، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن أبي موسى به. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/١٧٠): «رجال أبي يعلى رجال الصحيح».

[١] - في خ: «ناهيهم». [٢] - سقط من: ز، خ.

والكبراء والرؤساء والجنود ، فأما ما ذكره غير واحد من الإسرائيليات ، من أنه خرج في ألف ألف وستمائة ألف فارس ، منها مائة ألف على خيل دُهْم ، وقال كعب الأحبار : فيهم ثمانمائة ألف حصان أدهم - ففي ذلك نظر . والظاهر أنه من مجازفات بني إسرائيل ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم ، والذي أخبر به هو النافع ، ولم يعين عدتهم إذ لا فائدة تحته ، إلا أنهم خرجوا بأجمعهم .

﴿ **فأتبعوهم مشرقين** ﴾ . أي : وصلوا إليهم عند شروق الشمس ، وهو طلوعها ﴿ **فلما تراءىٰ الجمعان** ﴾ أي : رأىٰ كل من الفريقين صاحبه ، فعند ذلك ﴿ **قال أصحاب موسىٰ إنا لمدركون** ﴾ ، وذلك أنه انتهىٰ بهم السير إلىٰ سيف(*) البحر ، وهو بحر القلزم ، فصار أمامهم البحر ، وفرعون قد أدركهم بجنوده ؛ فلهذا قالوا : ﴿ **إنا لمدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين** ﴾ . أي : لا يصل إليكم شيء مما تحذرون ، فإن الله سبحانه هو الذي أمرني أن أسير هاهنا بكم ، وهو لا يخلف الميعاد .

وكان هارون - عليه السلام - في المقدمة ، ومعه يوشع بن نُون ، [ومؤمن آل فرعون ، وموسىٰ - عليه السلام - في الساقة ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين : أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون ، وجعل يوشع بن نون][١] ، أو مؤمن آل فرعون يقول لموسىٰ عليه السلام: يا نبي الله ، هاهنا أمرك الله أن تسير ؟ فيقول : نعم ، واقترب فرعون وجنوده ، ولم يبق إلا القليل . فعند ذلك أمر الله نبيه موسىٰ أن يضرب البحر بعصاه ، فضربه وقال : انفلق بإذن الله .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان بن صالح ، حدثنا الوليد ، حدثنا محمد ابن حمزة بن محمد بن يوسف بن[٢] عبد الله بن سلام : أن موسىٰ - عليه السلام - لما انتهىٰ إلىٰ البحر قال : يامن كان قبل كل شيء ، والمكوّن لكل شيء ، والكائن بعد كل شيء ، اجعل لنا مخرجًا ، فأوحىٰ الله إليه : ﴿ **أن اضرب بعصاك البحر** ﴾ .

وقال قتادة : أوحىٰ الله تلك الليلة إلىٰ البحر : أن إذا ضربك موسىٰ بعصاه فاسمع له وأطع ، فبات البحر تلك الليلة [وله اضطراب][٣] ، ولا يدري من أي جانب[٤] يضربه موسىٰ ، فلما انتهىٰ إليه موسىٰ قال له فتاه يوشع بن نون : يا نبي الله ؛ أين أمرك ربك ؟ قال : أمرني أن أضرب البحر . قال : فاضربه[٥] .

وقال محمد بن إسحاق : أوحىٰ الله - فيما ذكر لي - إلىٰ البحر : أن إذا ضربك موسىٰ بعصاه فانفلق له . قال : فبات البحر يضرب[٦] بعضه بعضًا ، فرقًا من الله تعالىٰ ، وانتظارًا لما أمره

(*) أي : ساحله .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز ، خ : « عن » .

[٣] - ما بين المعكوفتين بياض في ز .

[٤] - في خ ، ز : « باب » .

[٥] - في خ : « فاضرب به » .

[٦] - في ز ، خ : « يضطرب » .

الله ، وأوحىٰ اللَّه إلىٰ موسىٰ : ﴿ **أن اضرب بعصاك البحر** ﴾ . فضربه بها ، وفيها سلطان اللَّه الذي أعطاه ، فانفلق .

وذكر غير واحد أنه كنّاه فقال : انفلق عليّ [أبا خالد][١] ؛ بحول الله . قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم** ﴾ . أي : كالجبل الكبير . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومحمد بن كعب ، والضحاك ، وقتادة ، وغيرهم .

وقال عطاء الخراساني : هو الفج بين الجبلين .

وقال ابن عباس : صار البحر اثني عشر طريقًا ، لكل سبط طريق - وزاد السدي : وصار فيه طاقات ينظر بعضهم إلىٰ بعض ، وقام الماء علىٰ حيله كالحيطان ، وبعث اللَّه الريح علىٰ قعر البحر فلفحته ، فسارِ يَبَسا كوجه الأرض ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا لا تخافُ دركًا ولا تخشىٰ** ﴾ . وقال في هذه القصة : ﴿ **وأزلفنا ثم** ﴾ أي : هنالك ﴿ **الآخرين** ﴾ قال ابن عباس ، وعطاء الخراساني ، وقتادة ، والسدي : ﴿ **وأزلفنا** ﴾ ، أي : قربنا فرعون وجنوده من البحر ، وأدنيناهم إليه . ﴿ **وأنجينا موسىٰ ومن معه أجمعين * ثم أغرقنا الآخرين** ﴾ ، أي : أنجينا موسىٰ وبني إسرائيل ومن معهم علىٰ دينهم فلم يهلك منهم أحد ، وأغرق فرعون وجنوده فلم يبق منهم رجل إلا هلك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا شبابة ، حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - أن موسىٰ - عليه السلام - حين أسرىٰ ببني إسرائيل بلغ فرعون ذلك[٢] ، فأمر بشاة فذبحت ، ثم قال : لا ، واللَّه لا يُفرَغ من سلخها حتىٰ يجتمع إليَّ ستمائة ألف من القبط .

فانطلق موسىٰ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ البحر ، فقال له : انفرق[٣] . فقال البحر : لقد استكبرت يا موسىٰ ؛ وهل فرقت[٤] لأحد من ولد آدم فأفرق[٥] لك ؟ قال : ومع موسىٰ رجل علىٰ حصان له ، فقال له ذلك الرجل : أين أمرتَ يا نبي الله ؟ قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه - [يعني البحر - فأقحم فرسه فَسَبَح به فخرج . فقال : أين أمرت يا نبي الله ؟ قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه][٦] . قال : واللَّه ما كَذبت ولا كُذبت . ثم اقتحم الثانية فسبح ، ثم خرج فقال : أين أمرت يا نبي الله ؟ قال : ما أمرت إلا بهذا الوجه . قال : واللَّه ما كَذَبت ولا كُذبت . قال : فأوحىٰ اللَّه إلىٰ موسىٰ أن اضرب بعصاك البحر فضربه موسىٰ بعصاه ، فانفلق[٧] ، فكان فيه اثنا

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « أنه » .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في خ : « انفلق » .

[٤] - في ت : « انفرقت » .

[٥] - في ت : « فأنفرق » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] - في ت : « فانفرق » .

عشر طريقًا[١] لكل سبط طريق يتراءون ، فلما خرج أصحاب موسىٰ وتَتَام أصحاب فرعون ، التقىٰ البحر عليهم فأغرقهم .

وفي رواية إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ،عن عبد اللَّه قال : فلما خَرَج آخر أصحاب موسىٰ ، وتكامل أصحاب فرعون ، اضطمّ عليهم البحر ، فما رُئي سواد أكثر من يومئذ ، وغرق فرعون لعنه الله .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن في ذلك لآية** ﴾ . أي : في[٢] هذه القصة وما فيها من العجائب والنصر والتأييد لعباد اللَّه المؤمنين ، لدلالة وحجة قاطعة وحكمة بالغة ، ﴿ **وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ . تقدم تفسيره .

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾

هذا إخبار من اللَّه تعالىٰ عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء ، أمر اللَّه رسوله محمدًا - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أن يتلوه علىٰ أمته ، ليقتدوا به في الإخلاص والتوكل ، وعبادة اللَّه وحده لا شريك له ، والتبري من الشرك وأهله ، فإن اللَّه تعالىٰ آتىٰ إبراهيم رشده من قبل . أي : من صغره إلىٰ كبره ، فإنه من وقت نشأ وشَبّ ، أنكر علىٰ قومه عبادة الأصنام مع اللَّه - عز وجل - فقال ﴿ **لأبيه وقومه ماذا تعبدون** ﴾ أي : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ ﴿ **قالوا نعبد أصنامًا فنظل لها عاكفين** ﴾ . أي : مقيمين علىٰ عبادتها ودعائها ، ﴿ **قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرون * قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون** ﴾ . يعني : اعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئًا من ذلك ، وإنما رأوا آباءهم كذلك يفعلون ، فهم علىٰ آثارهم يُهرعون .

فعند ذلك قال لهم إبراهيم : ﴿ **أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين** ﴾ . أي : إن كانت هذه الأصنام شيئًا ولها تأثير ، فَلْتَخْلُص إليَّ بالمساءة ، فإني عدو لها لا أباليها ولا أفكر فيها ، وهذا كما قال تعالىٰ مخبرًا عن نوح عليه

---

[١] - في ز ، خ : « سبطًا » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

السلام : ﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليَّ ولا تنظرون ﴾ . وقال هود -عليه السلام-: ﴿ إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها * إن ربي على صراط مستقيم ﴾ . وهكذا تبرأ إبراهيم من آلهتهم وقال : ﴿ وكيف أخاف ما أشركتم * ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله * كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون * إلا الذي فطرني فإنه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴾ يعني : لا إله إلا الله .

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾

يعني : لا أعبد إلا الذي يفعل هذه الأشياء : ﴿ الذي خلقني فهو يهدين ﴾ . أي : هو الخالق الذي قدر قدرًا ، وهدى الخلائق إليه ، فكل يجري على قَدَر ، وهو الذي يهدي من يشاء ويُضل من يشاء ، ﴿ والذي هو يطعمني ويسقين ﴾ . أي : هو خالقي ورازقي ، بما سخر ويَسَّر من الأسباب السماوية والأرضية ، فساق المُزْنَ ، وأنزل الماء ، وأحيا به الأرض ، وأخرج به من كل الثمرات رزقًا للعباد ، وأنزل الماء عذبًا زلالًا ﴿نسقيه مما خلقنا أنعامًا وأناسي كثيرًا﴾ .

وقوله : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ أسند المرض إلى نفسه ، وإن كان عن قدر الله وقضائه وخَلْقه ، ولكن أضافه إلى نفسه أدبًا ؛ كما قال تعالى آمرًا للمصلي أن يقول : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ . فأسند الإنعام إلى الله سبحانه وتعالى ، والغضب حُذف فاعله أدبًا ، وأسند الضلال إلى العبيد ، كما قالت الجن : ﴿ وأنَّا لا ندري أشَرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا ﴾ . ولهذا قال إبراهيم : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ . أي : إذا وقعت في مرض فإنه لا يقدر على شفائي أحد غيره ، بما يقدر من الأسباب الموصولة إليه .

﴿ والذي يميتني ثم يحيين ﴾ . أي : هو الذي يحيي ويميت ، لا يقدر على ذلك أحد سواه ، فإنه هو الذي يبدئ ويعيد ، ﴿ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾ . أي : هو الذي لا يقدر على غَفْر الذنوب في الدنيا والآخرة إلا هو ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، وهو الفعال لما يشاء .

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾

وهذا سؤال من إبراهيم -عليه السلام- أن يؤتيه ربه[١] حكمًا.

قال ابن عباس: وهو العلم. وقال عكرمة: هو اللب. وقال مجاهد: هو القرآن. وقال السدي: هو النبوة.

وقوله: ﴿ **وألحقني بالصالحين** ﴾. أي: اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- عند الاحتضار: [« **اللهم، في الرفيق الأعلى** »(٢). قالها ثلاثًا. وفي الحديث في الدعاء][٢]: « **اللهم، أحينا مسلمين، وأمتنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مبدلين** »(٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه حديث (٦٥٠٩)، ومسلم في صحيحه حديث (٢١٩١) من حديث عائشة، رضي الله عنها، وليس عندهما أنه قالها ثلاثًا، وإنما فيهما ما يفيد أنها مرتين، والله أعلم.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/٤٢٤) (١٥٥٣٤) ثنا مروان بن معاوية الفزاري، ثنا عبد الواحد بن أيمن المكي، عن عبيد الله بن عبد الله الزرقي، عن أبيه؛ قال - وقال الفزاري مرة: عن ابن رفاعة الزرقي، عن أبيه، قال: - قال أبي: وقال غير الفزاري: عبيد بن رفاعة الزرقي - قال: لما كان يوم أحد، وانكفأ المشركون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: .... فذكره في حديث طويل، والنسائي في « الكبرى » في كتاب « عمل اليوم والليلة »: باب: الاستنصار عند اللقاء حديث (٦/١٠٤٤٥) (٦/١٥٦). قال: أخبرنا زياد بن أيوب، حدثنا مروان ابن معاوية. والحاكم في المستدرك (١/٥٠٦ - ٥٠٧). قال: أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب، ثنا ابن أبي مسرة، ثنا خلاد بن يحيى. والطبراني في الكبير (٥/ ٤٧) حديث (٤٥٤٩). قال: حدثنا عبد الرحمن بن مسلم الرازي، ثنا سهل بن عثمان؛ قال: ثنا مروان ابن معاوية. وأبو نعيم في « الحلية » (١٠/١٢٧). قال: حدثنا محمد بن علي بن سهل: ثنا محمد بن الفضل بن جابر، ثنا السرى بن مغلس وداود بن عمرو؛ قالا: ثنا مروان بن معاوية بن قرة. كلهم من طريق عبد الواحد بن أيمن المكي، عن عبيد بن رفاعة بن رافع الرقى - عند أبي نعيم: « رفيعة » بدلا من « رفاعة » ولعله تصحيف - عن أبيه ... فذكره. قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي: لم يخرجا لعبيد وهو ثقة، والحديث مع نظافة إسناده منكر، أخاف أن لا يكون موضوعًا، رواه عن خلاد بن أبي سبرة. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ١٢٤، ١٢٥) وقال: رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح. اهـ. من حديث الزرقي، وعنده: « غير خزايا ولا مفتونين ».

[١] - سقط من: خ، ز. [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

وقوله: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾. أي: واجعل لي[١] ذكرًا جميلًا بعدي أذكر به، ويقتدىٰ بي في الخير، كما قال تعالىٰ: ﴿ وتركنا عليه في الآخرين * سلام علىٰ إبراهيم كذلك نجزي المحسنين ﴾.

قال مجاهد وقتادة: ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾، يعني: الثناء الحسن. قال مجاهد: وهو كقوله تعالىٰ: ﴿ وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾.

وكقوله: ﴿وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾.

قال ليث بن أبي سليم: كل ملة تحبه وتتولاه. وكذا قال عكرمة.

وقوله: ﴿ واجعلني من ورثة جنة النعيم ﴾. أي: أنعم عليّ في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي، وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم.

وقوله: ﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ كقوله: ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ وهذا مما رَجَع عنه إبراهيم -عليه السلام- كما قال تعالىٰ: ﴿ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو للّٰه تبرأ منه إن إبراهيم لأوّاه حليم ﴾. وقد قطع تعالىٰ الإلحاق في استغفاره لأبيه، فقال: ﴿ قد كانت[٢] لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون اللّٰه كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتىٰ تؤمنوا باللّٰه وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من اللّٰه من شيء ﴾.

وقوله: ﴿ ولا تخزني يوم يبعثون ﴾. أي: أجرني من الخزي يوم القيامة، ويوم[٣] يبعث الخلائق أولهم وآخرهم.

قال البخاري في قوله: ﴿ ولا تخزني يوم يبعثون ﴾ وقال إبراهيم بن طهمان، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، [عن أبيه][٤]، عن أبي هريرة -رضي اللّٰه عنه- عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: «إن إبراهيم رأىٰ أباه يوم القيامة عليه الغَبَرَةُ والقَتَرَةُ»(٤).

حدثنا إسماعيل، حدثنا أخي، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - قال: «يلقىٰ إبراهيم أباه، فيقول: يارب، إنك وعدتني

(٤) صحيح البخاري حديث (٤٧٦٨).

[١] - سقط من: ز، خ.
[٢] - في ز: «كان».
[٣] - سقط من: ز.
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

أنك لا تخزيني يوم يبعثون، فيقول ا: إني حرمت الجنة [على الكافرين][١] **»**. هكذا رواه عند هذه الآية(٥).

وفي أحاديث الأنبياء بهذا الإسناد بعينه منفردًا به، ولفظه: « **يلقىٰ إبراهيمُ أباه آزر يوم القيامة، وعلىٰ وجه آزر قَتَرَة وغَبَرَة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يارب، إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزىٰ من أبي**[٢] **الأبعد؟ فيقول الله تعالىٰ: إني حرمت الجنة علىٰ الكافرين. ثم يُقَال: يا إبراهيم؛ ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بِذِيخ متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقىٰ في النار** »(٦).

وقال أبو عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه الكبير(٧) قوله: ﴿ **ولا تخزني يوم يبعثون** ﴾: أخبرنا أحمد بن حفص بن عبد الله، حدثني أبي، حدثني إبراهيم بن طهمان، عن محمد بن عبد الرحمن، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: « **إن إبراهيم رأىٰ أباه يوم القيامة عليه الغَبَرَة والقَتَرَة، وقال له: قد نهيتك عن هذا فعصيتني. قال: لكني اليوم لا أعصيك واحدة. قال: يارب، وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فإن أخزيت أباه فقد أخزيت الأبعد. قال: يا إبراهيم، إني حرمتها علىٰ الكافرين. فأخذ منه، قال: يا إبراهيم، أين أبوك؟ قال: أنت أخذته مني. قال: انظر أسفل منك. فنظر فإذا ذِيخ يتمرغ في نَتنِهِ، فأخذ بقوائمه فألقيَ في النار** ». هذا إسناد غريب، وفيه نكارة.

والذيخ: هو الذكر من الضباع، كأنه حول آزر إلىٰ صورة ذيخ متلطخ بعذرَته، فيلقىٰ في النار كذلك.

وقد رواه البزار من حديث حماد بن سلمة، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هُرَيرة، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم. وفيه غرابة.

ورواه أيضًا من حديث قتادة، عن جعفر ابن عبد الغافر، عن أبي سعيد، عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - بنحوه.

وقوله: ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون** ﴾. أي: لا يقي المرءَ من عذاب الله مالُه، ولو

(٥) صحيح البخاري حديث (٤٧٦٩) ولفظه: « وعدتنى أن لا تخزنى يوم يبعثون ».
(٦) صحيح البخاري حديث (٣٣٥٠).
(٧) النسائي في الكبرى حديث (١١٣٧٥).

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ. [٢] - في ز: « أب ».

افتدى بملء الأرض ذهبًا ، ﴿ ولا بنون ﴾ ولو افتدى بمن في الأرض جميعًا ، ولا ينفعُ يومئذ إلا الإيمان بالله ، وإخلاص[١] الدين له ، والتبري من الشرك؛ ولهذا قال : ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ . أي : سالم من الدنس والشرك .

قال محمد بن سيرين : القلب السليم أن يعلم أن الله حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور .

وقال ابن عباس : ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ : حيي يشهد أن لا إله إلا الله .

وقال مجاهد ، والحسن ، وغيرهما : ﴿ بقلب سليم ﴾ ، يعني : من الشرك .

وقال سعيد بن المسيب : القلب السليم : هو القلب الصحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب المنافق مريض ، قال الله : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ .

وقال أبو عثمان النيسابوري[٢] : هو القلب الخالي من البدعة المطمئن على السُّنة .

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

﴿ وأزلفت الجنة ﴾ أي : قربت الجنة وأدنيت من أهلها يوم القيامة مزخرفة مزينة لناظريها ، وهم المتقون الذين رغبوا فيها ، وعملوا لها في الدنيا ، ﴿ وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ أي : أظهرت وكُشف عنها ، وبدت منها عُنُق ، فزفرت زفرة بلغت منها القلوب إلى الحناجر ، وقيل لأهلها تقريعًا وتوبيخًا : ﴿ أين ما كنتم تعبدون * من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون ﴾ أي : ليست الآلهة التي عبدتموها من دون الله ، من تلك الأصنام والأنداد تغني[٣] عنكم اليوم

[١] - في ز ، خ : « وخلاص » .
[٢] - في ز ، خ : « السابوري » .
[٣] - في ز ، خ : « لتغني » .

شيئًا ولا تدفع عن أنفسها ، فإنكم وإياها اليوم حَصَبُ جهنم أنتم لها واردون .

وقوله : ﴿ **فكبكبوا فيها هم والغاوون** ﴾ . قال مجاهد : يعني : فَدُهْوِرُوا فيها .

وقال غيره : كببوا فيها ، والكاف مكررة ؛ كما يقال : صرصر . والمراد : أنه أُلقي بعضهم علىٰ بعض من الكفار وقادتهم الذين دعوهم إلىٰ الشرك ، ﴿ **وجنود إبليس أجمعون** ﴾ ، أي : ألقوا فيها عن آخرهم . ﴿ **قالوا وهم فيها يختصمون تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نُسويكم برب العالمين** ﴾ . أي : يقول الضعفاء للذين استكبروا : ﴿ **إنا كنا لكم تبعًا فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار** ﴾ .

ويقولون وقد عادوا علىٰ أنفسهم بالملامة : ﴿ **تالله إن كنا لفي ضلال مبين * إذ نسويكم برب العالمين** ﴾ ، أي : نجعل أمركم مطاعًا كما يطاع أمر رب العالمين ، وعبدناكم مع رب العالمين ﴿ **وما أضلنا إلا المجرمون** ﴾ أي : ما دعانا إلىٰ ذلك إلا المجرمون ، ﴿ **فما لنا من شافعين** ﴾ . قال بعضهم : يعني : من الملائكة ، كما يقولون : ﴿ **فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل** ﴾ . وكذا قالوا : ﴿ **فما لنا من شافعين ولا صديق حميم** ﴾ . أي : قريب . قال قتادة : يعلمون - والله - أن الصديق إذا كان صالحًا نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحًا شفع ﴿ **فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين** ﴾ . وذلك أنهم يتمنون أنهم يردون إلىٰ الدار الدنيا ، ليعملوا بطاعة ربهم فيما يزعمون ، وهو سبحانه وتعالىٰ يعلم أنه لو ردهم إلىٰ الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون .

وقد أخبر تعالىٰ عن تخاصم أهل النار في سورة « ص » ، ثم قال : ﴿ **إن ذلك لحق تخاصم أهل النار** ﴾ .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين** ﴾ . أي : إن في محاجّة إبراهيم لقومه وإقامته الحجة[١] عليهم في التوحيد لآية ودلالة واضحة جلية علىٰ أنه لا إله إلا الله . ﴿ **وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ .

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ﴾

هذا إخبار من الله - عز وجل - عن عبده ورسوله نوح - عليه السلام - وهو أول رسول بُعث إلىٰ الأرض بعد ما عبدت الأصنام والأنداد بعثه الله ناهيًا عن ذلك ، ومحذرًا من وبيل

[١] - في ت : « الحجج » .

عقابه ، فكذبه قومه واستمروا على ما هم عليه من الفعال الخبيثة في عبادتهم أصنامهم ، ويتنزل تكذيبهم له بمنزلة تكذيب جميع الرسل ؛ ولهذا قال : ﴿ **كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون** ﴾ . أي : ألا تخافون الله في عبادتكم غيره ؟ ﴿ **إني لكم رسول أمين** ﴾ . أي : إني رسول من الله إليكم ، أمين فيما بعثني به ، أبلغكم رسالة الله لا أزيد فيها ولا أنقص منها ، ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون * وما أسألكم عليه من أجر** ﴾ . أي : لا أطلب منكم جزاء على نصحي لكم ، بل أدخر ثواب ذلك عند الله ، ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون** ﴾ . فقد وضح لكم وبان صدقي ونصحي وأمانتي فيما بعثني به وائتمنني عليه .

۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلۡمِي بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٤﴾

يقولون : أنؤمن لك ونتبعك ونتساوى في ذلك بهؤلاء الأراذل الذين اتبعوك وصدقوك ، وهم أراذلنا ؟ ولهذا﴿ **قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون * قال وما علمي بما كانوا يعملون** ﴾ أي : وأي شيء يلزمني من اتباع هؤلاء لي ، ولو كانوا على أي شيء كانوا عليه لا يلزمني التنقيب[١] عنه والفحص والبحث ، إنما عليّ أن أقبل منهم تصديقهم[٢] إيّاي ، [وأَكِلُ][٣] سرائرهم إلى الله عز وجل ، ﴿ **إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون * وما أنا بطارد المؤمنين** ﴾ . كأنهم سألوا منه أن يبعدهم عنه ليتابعوه ، فأبى عليهم ذلك ، وقال : ﴿ **وما أنا بطارد المؤمنين * إن أنا إلا نذير مبين** ﴾ . أي : إنما[٤] بعثت نذيرًا ؛ فمن أطاعني واتبعني وصدقني كان مني وكنت منه ، سواء كان شريفًا أو وضيعًا ، أو جليلًا أو حقيرًا .

إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوۡمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفۡتَحۡ بَيۡنِي وَبَيۡنَهُمۡ فَتۡحٗا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا بَعۡدُ ٱلۡبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

لما طال مقام نبي الله بين أظهرهم يدعوهم إلى الله ليلًا ونهارًا ، وجهرًا وإسرارًا ، وكلما كرر

---

[١] - في ز ، خ : « التنقب » .
[٢] - في ز ، خ : « بصدقهم » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز ، خ : « أنا » .

عليهم الدعوة صمموا علىٰ الكفر الغليظ ، والامتناع الشديد ، وقالوا في الآخر : ﴿ **لئن لم تنته** ﴾ . أي : عن دعوتك إيانا إلىٰ دينك يا نوح ﴿ **لتكونن من المرجومين** ﴾ . أي : لنرجمنك . فعند ذلك دعا عليهم دعوة استجاب اللَّه منه ، فقال : ﴿ **رب إنّ قومي كذبون * فافتح بيني وبينهم فتحًا ونجني ومن معي من المؤمنين** ﴾ . كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **فدعا ربه أني مغلوب فانتصر * ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر * وفجرنا الأرض عيونًا فالتقىٰ الماء علىٰ أمر قد قدر * وحملناه علىٰ ذات ألواح ودسر * تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر** ﴾ .

وقال هاهنا : ﴿ **فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون * ثم أغرقنا بعد الباقين** ﴾ . والمشحون : هو المملوء بالأمتعة والأزواج التي حمل فيه[١] من كل زوجين اثنين ، أي : نجيناه ومن معه كلهم وأغرقنا من كذبه وخالف أمره كلهم . ﴿ **إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ .

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَـٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

وهذا إخبار من [اللَّه تعالىٰ عن][٢] عبده ورسوله هود - عليه السلام - : أنه دعا قومه عادًا وكانوا قومًا يسكنون الأحقاف ، وهي جبال الرمل قريبًا من بلاد حضرموت بلاد[٣] متاخمة لبلاد اليمن ، وكان زمانهم بعد قوم نوح ، [كما قال في « سورة الأعراف » : ﴿ **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح**][٤] **وزادكم في الخلق بسطة** ﴾ . وذلك أنهم كانوا في غاية من قوة التركيب والقوة والبطش الشديد ، والطول المديد ، والأرزاق الدارة ، والأموال ، والجنات والعيون ، والأبناء والزروع والثمار ، وكانوا مع ذلك يعبدون غير اللَّه معه ، فبعث اللَّه إليهم رجلًا منهم رسولًا وبشيرًا ونذيرًا ، فدعاهم إلىٰ اللَّه [وحده[٥]] ، وحذرهم نقمته وعذابه في مخالفته ، فقال لهم كما قال نوح لقومه ، إلىٰ أن قال : ﴿ **أتبنون بكل ريع آية تعبثون** ﴾ .

---

[١] - في ت : « فيها » .
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٣] - سقط من : ت .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

اختلف المفسرون في الريع بما حاصله : أنه المكان المرتفع عند جواد الطرق المشهورة ، تبنون هناك بناء محكمًا باهرًا هائلًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **أتبنون بكل ريع آية** ﴾ . أي : معلمًا بناء مشهورًا ، ﴿ **تعبثون** ﴾ ، وإنما تفعلون ذلك عبثًا لا للاحتياج إليه بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة ؛ ولهذا أنكر عليهم نبيهم - عليه السلام - ذلك ، لأنه تضييع للزمان وإتعاب للأبدان في غير فائدة ، واشتغال بما لا يجدي في الدنيا ولا في الآخرة .

ثم قال : ﴿ **وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون** ﴾ . قال مجاهد : المصانع : البروج المشيدة ، والبنيان المخلد . وفي رواية عنه : بروج الحمام .

وقال قتادة : هي مآخذ الماء . قال قتادة : وقرأ بعض القراء : (**وتتخذون مصانع كأنكم خالدون**) وفي القراءة المشهورة : ﴿ **لعلكم تخلدون** ﴾ . أي : لكي تقيموا فيها أبدًا[١] ، وليس ذلك بحاصل لكم ، بل زائل عنكم ، كما زال عمن كان قبلكم .

و[٢]قال ابن أبي حاتم - رحمه الله - : حدثنا أبي ، حدثنا الحكم بن موسىٰ ، حدثنا الوليد ، حدثنا ابن عجلان ، حدثني عون بن عبد الله بن عتبة ، أن أبا الدرداء - رضي الله عنه - لما رأىٰ ما أحدث المسلمون في الغُوطة من البنيان ونصب الشجر ، قام في مسجدهم فنادىٰ : يا أهل دمشق ، فاجتمعوا إليه ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، ثم قال : ألا تستحيون ! ألا تستحيون ! تجمعون ما لا تأكلون ، وتبنون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تدركون ، إنه كانت قبلكم قرون ، يجمعون فيوعُون ويبنون فيوثقون ، ويأملون فيطيلون ، فأصبح أملهم غرورًا ، وأصبح جمعهم بورًا ، وأصبحت مساكنهم قبورًا ، ألا إنّ عادًا ملكت ما بين عدن وعمان خيلًا وركابًا ، فمن[٣] يشتري مني ميراث عاد بدرهمين ؟ .

وقوله : ﴿ **وإذا بطشتم بطشتم جبارين** ﴾ . وصفهم بالقوة والغلظة والجبروت ، ﴿ **فاتقوا الله وأطيعون** ﴾ . أي : اعبدوا ربكم ، وأطيعوا رسولكم .

ثم شرع يذكرهم نعم الله عليهم فقال : ﴿ **واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين * وجنات وعيون * إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم** ﴾ . أي : إن كذبتم وخالفتم ، فدعاهم إلىٰ الله بالترغيب والترهيب ، فما نفع فيهم[٤] .

قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - في ز ، خ : « من » .

[٤] - سقط من : ز .

أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن جواب قوم هود له ، بعد ما حذرهم وأنذرهم ، ورغبهم ورهبهم ، وبين لهم الحق ووضحه ﴿ **قالوا سواءٌ علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين** ﴾ أي : لا نرجع عما نحن فيه ، ﴿ **وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين** ﴾ وهكذا الأمر فإن الله تعالى قال : ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ .

وقولهم : ﴿ **إنْ هذا إلا خلق الأولين** ﴾ . قرأ بعضهم : (**إن هذا إلا خَلْق**) - بفتح الخاء وتسكين اللام(*) .

قال ابن مسعود ، والعوفي عن عبد الله بن عباس ، وعلقمة ، ومجاهد : يعنون ماهذا الذي جئتنا به إلا أخلاق الأولين؛ كما قال المشركون من قريش : ﴿ **وقالوا أساطير الأولين [اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون * فقد جاءوا ظلمًا وزورًا * وقالوا أساطير الأولين** ﴾ .

وقال : ﴿ **وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين** ﴾][١].

وقرأ آخرون(*) : (**إن هذا إلا خُلُق الأولين**) - بضم الخاء واللام - يعنون : دينهم وما هم عليه من الأمر هو دين الأوائل من الآباء والأجداد ، ونحن تابعون لهم ، سالكون وراءهم ، نعيش كما عاشوا ، ونموت كما ماتوا ، ولا بعث ولا معاد ؛ ولهذا قالوا : ﴿ **وما نحن بمعذبين** ﴾ .

قال[٢] عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿ **إن هذا إلا خُلُق الأولين** ﴾ يقول : دين الأولين . وقاله عكرمة ، وعطاء الخراساني ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، واختاره ابن جرير(٨) .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **فكذبوه فأهلكناهم** ﴾ . أي : فاستمروا علىٰ تكذيب نبي الله هود ومخالفته وعناده ، فأهلكهم الله . وقد بين سبب إهلاكه إياهم في غير موضع من القرآن بأنه

(٨) تفسير الطبري (١٩/٦٠) .

(*) وهي قراءة عبد الله بن كثير ، وأبي عمرو ، والكسائي .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

(*) وهم : نافع ، وعاصم ، وابن عامر . وحمزة .

[٢] - بياض في : ز ، وفي خ : « حدثنا » .

أرسل عليهم ريحًا صرصرًا عاتية ، أي : ريحًا شديدة الهبوب ، ذات برد شديد جدًا ، فكان إهلاكهم من جنسهم ، فإنهم كانوا أعتىٰ شيء وأجبره ، فسلط اللّٰه عليهم ما هو أعتىٰ منهم وأشد قوة كما قال : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم** ﴾ . وهم عاد الأولىٰ ؛ كما قال : ﴿ **وأنه أهلك عادًا الأولى** ﴾ وهم من [نسل][١] إرم بن سام بن نوح ﴿ **ذات العماد** ﴾ أي : الذين كانوا يسكنون العَمَد . ومن زعم أن « **إرم** » مدينةٌ ، فإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب ، وليس لذلك[٢] أصل أصيل ؛ ولهذا قال : ﴿ **التي لم يخلق مثلها في البلاد** ﴾ أي : لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم ، ولو كان المراد بذلك مدينة لقال : التي لم يبن مثلها في البلاد . وقال : ﴿ **فأما[٣] عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن اللّٰه الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون** ﴾ .

وقد قدمنا أن اللّٰه تعالىٰ لم يرسل عليهم من الريح إلا بمقدار أنف الثور ، عتت علىٰ الخزنة بأذن[٤] اللّٰه لها في ذلك ، وسلكت وحصبت بلادهم ، فحصبت كل شيء لهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرىٰ إلا مساكنهم** ﴾ الآية[٥] . وقال تعالىٰ : ﴿ **وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا** ﴾ أي : كاملة ، ﴿ **فترىٰ القوم فيها صرعىٰ كأنهم أعجاز نخل خاوية** ﴾ . أي: بقوا أبدانًا بلا رءوس ؛ وذلك أن الريح كانت تأتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهواء ، ثم تنكسه علىٰ أم رأسه فتشدخ دماغه وتكسر رأسه وتلقيه ، كأنهم أعجاز نخل منقعر .

وقد كانوا تحصنوا في الجبال والكهوف والمغارات ، وحفروا لهم في الأرض إلىٰ أنصافهم ، فلم يغن [ذلك عن][٦] أمر اللّٰه شيئًا ، ﴿ **إن أجل اللّٰه إذا جاء لا يؤخر** ﴾ . ولهذا قال : ﴿ **فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « كذلك » .
[٣] - في خ : « وأما » .
[٤] - في ت : « فأذن » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - ما بين المعكوفتين في ت : «عنهم ذلك من» .

وهذا إخبار من الله - عز وجل - عن عبده ورسوله صالح - عليه السلام- : أنه بعثه إلىٰ قومه ثمود - وكانوا عربًا يسكنون مدينة الحجْر ، التي بين وادي القُرىٰ وبلاد الشام ، ومساكنهم معروفة مشهورة . [وقد][١] قدمنا في سورة «**الأعراف**» الأحاديث المروية في مُرور رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم - بهم حين أراد غَزْو الشام ، فوصل إلىٰ تَبُوك ، ثم عاد إلىٰ المدينة ليتأهب لذلك .

وقد كانوا بعد عاد وقبل الخليل - عليه السلام - فدعاهم نبيهم صالح إلىٰ الله عز وجل أن يعبدوه وحده لا شريك له، وأن يطيعوه فيما بلغهم من الرسالة ، فأبوا عليه وكذبوه وخالفوه ، فأخبرهم أنه لا يبتغي بدعوتهم أجرًا منهم ، [وإنـما][٢] يطلب ثواب ذلك من الله - عز وجل - ثم ذكرهم آلاء الله عليهم فقال :

﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

يقول لهم واعظًا لهم ومحذرًا إياهم نقم الله أن تحل بهم ، ومذكرًا بأنعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة ، وجعلهم في أمن من المحذورات ، وأنبت لهم من الجنات ، وأنبع لهم من العيون الجاريات ، وأخرج لهم من الزروع والثمرات ؛ ولهذا قال : و﴿ **ونخل طلعها هضيم** ﴾ قال العوفي عن ابن عباس : أينع وبَلَغ فهو هضيم .

وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **ونخل طلعها هضيم** ﴾ ، يقول : مُعْشبة .

[وقال][٣] إسماعيل بن أبي خالد ، عن عمرو بن أبي عمرو - وقد أدرك الصحابة - عن ابن عباس ، في قوله ﴿ **ونخل طلعها هضيم** ﴾ قال : إذا رطُب واسترخىٰ . رواه ابن أبي حاتم . قال : ورُوي عن أبي صالح نحو هذا .

وقال أبو إسحاق ، عن أبي العلاء : ﴿ **ونخل طلعها هضيم** ﴾ قال : هو المذنب من الرطب .

وقال مجاهد : هو الذي إذا كُبس تهشم وتفتت وتناثر .

وقال ابن جريج : سمعت عبد الكريم أبا أمية ، سمعت مجاهدًا يقول :﴿ **ونخل طلعها**

---

[١] - في ت : « قد » .
[٢] - في ت : « إنما » .
[٣] - في ت : « قال » .

هضيم ﴾ . قال : حين يطلع تقبض عليه فتهضمه ، فهو من الرطب الهضيم ، ومن اليابس الهشيم ، تقبض عليه فتهشمه .

وقال عكرمة وقتادة : الهضيم : الرطب اللين .

وقال الضحاك : إذا كثر حمل الثمرة ، [وركب][١] بعضه بعضًا ، فهو هضيم .

وقال مرة : هو الطلع حين يتفرق ويخضر .

وقال الحسن البصري : هو الذي لا نوىٰ له .

وقال أبو صخر : ما رأيت الطلع حين يشق عنه الكم ؛ فترىٰ الطلع قد لصق بعضه ببعض ، فهو الهضيم .

وقوله : ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين ﴾ . قال ابن عباس ، وغير واحد : يعني حاذقين . وفي رواية عنه :شرهين أشرين . وهو اختيار مجاهد وجماعة ، ولا منافاة بينهما ، فإنهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة في الجبال أشرًا وبطرًا وعبثًا ، من غير حاجة إلىٰ سكناها ، وكانوا حاذقين متقنين لنحتها ونقشها ، كما هو المشاهد من حالهم لمن رأىٰ منازلهم ؛ ولهذا قال : ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ أي : أقبلوا علىٰ عَمَل ما يعود نفعه عليكم في الدنيا والآخرة ، من عبادة ربكم الذي خلقكم ورزقكم لتوحدوه وتعبدوه وتسبحوه بكرة وأصيلًا ، ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين * الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ يعني : رؤساءهم وكبراءهم ، الدعاة لهم إلىٰ الشرك والكفر ، ومخالفة الحق .

قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن ثمود في جوابهم لنبيهم صالح - عليه السلام - حين دعاهم إلىٰ عبادة ربهم ، ﴿ قالوا إنما أنت من المسحَّرين ﴾ ، قال مجاهد وقتادة : يعنون من المسحورين .

---

[١] - في ت : « ركب » .

وروى أبو صالح ، عن ابن عباس : ﴿ من المسحّرين ﴾ يعني : من[١] المخلوقين . واستشهد بعضهم على هذا القول بما قال الشاعر :

فإن تسألينا فيمَ[٢] نحن فإننا عصافيرُ من هذا الأنام المُسَحَّر

يعني : الذين لهم سُحور . والسَّحر هو الرئة ، والأظهر في هذا قول مجاهد وقتادة أنهم يقولون : إنما أنت في قولك هذا مسحورًا لا عقل لك .

ثم قالوا : ﴿ ما أنت إلا بشر مثلنا ﴾ . يعني : فكيف أوحي إليك دوننا ؟ كما قالوا في الآية الأخرى : ﴿ أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر ﴾ . ثم إنهم اقترحوا عليه آية يأتيهم بها ، ليعلموا صدقه بما جاءهم به من ربهم فطلبوا منه - وقد اجتمع ملؤهم - أن يخرج لهم الآن من هذه الصخرة - وأشاروا إلى صخرة عندهم - ناقةً عُشَراء من صفتها كذا وكذا . فعند ذلك أخذ عليهم نبي اللَّه صالح العهود والمواثيق ، لئن أجابهم إلى ما سألوا ليُؤمنُنّ به وليتبعنه ، فأنعموا بذلك(*) . فقام [نبي اللَّه][٣] صالح - عليه السلام - فصلى ، ثم دعا اللَّه - عز وجل - أن يجيبهم إلى سؤالهم ، فانفطرت تلك الصخرة التي أشاروا إليها عن ناقة عُشَراء ، على الصفة التي وصفوها ، فآمن بعضهم وكفر أكثرهم ، ﴿ قال هذه ناقة لها شربٌ ولكم شرب يوم معلوم ﴾ يعني : ترد ماءكم يومًا ، ويوما تردونه أنتم ، ﴿ ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ﴾ فحذرهم نقمة اللَّه إن أصابوها بسوء ، فمكثت الناقة بين أظهرهم حينًا من الدهر ترد الماء ، وتأكل الورق والمرعى ، وينتفعون بلبنها ، يحتلبون منها ما يكفيهم شربًا وريًّا ، فلما طال عليهم الأمد وحضر شقاؤهم ، تمالئوا على قتلها وعقرها ، ﴿ فعقروها فأصبحوا نادمين * فأخذهم العذاب ﴾ . وهو أن أرضهم زُلزلت زلزالًا شديدًا ، وجاءتهم صيحة عظيمة اقتلعت القلوب عن محالها ، وأتاهم من الأمر مالم يكونوا يحتسبون ، فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، ﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ .

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾

يقول تعالى مخبرًا عن عبده ورسوله لوط - عليه السلام - وهو : لوط بن هاران بن آزر ،

---

[١] - سقط من : ز .

(*) أنعم له : قال لله : نعم .

[٢] - في خ : « فيهم » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .

وهو ابن أخي إبراهيم الخليل ، وكان اللّٰه تعالىٰ قد بعثه إلىٰ أمة عظيمة في حياة إبراهيم ، وكانوا يسكنون « سَدُوم » وأعمالها التي أهلكها [اللّٰه بها][١] ، وجعل مكانها بحيرة منتنة خبيثة ، وهي مشهورة ببلاد الغور ، متاخمة لجبال البيت المقدس ، بينها وبين بلاد الكرَك والشُّوبَك . فدعاهم إلىٰ اللّٰه -عز وجل - أن يعبدوه وحده لا شريك له ؛ وأن يطيعوا رسولهم الذي بعثه اللّٰه إليهم ، ونهاهم عن معصية الله ، وارتكاب ما كانوا قد ابتدعوه في العالم ، مما لم يسبقهم الخلائق إلىٰ فعله ، من إتيان الذكران دون الإناث ؛ ولهذا قال تعالىٰ :

أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

لما نهاهم نبي اللّٰه عن إتيانهم الفواحش ، وغشيانهم الذكور ، وأرشدهم إلىٰ إتيان نسائهم اللاتي خلقهن اللّٰه لهم ، ما كان جواب قومه له إلا أن قالوا : ﴿ **لئن لم تنته يا لوط** ﴾ ، يعنون عما جئتنا به ، ﴿ **لتكونن من المخرجين** ﴾ ، أي : ننفيك من بين أظهرنا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون** ﴾ فلما رأىٰ أنَّهم لا يرتدعون عما هم فيه ، وأنهم مستمرون علىٰ ضلالهم[٢] ، تبرأ منهم فقال : ﴿ **إني لعملكم من القالين** ﴾ . أي : المُبغضين[٣] ، لا أحبه ولا أرضىٰ به ، وأنا[٤] بريء منكم . ثم دعا اللّٰه عليهم ؛ قال : ﴿ **رب نجني وأهلي مما يعملون** ﴾ .

قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فنجيناه وأهله أجمعين** ﴾ . أي : كلهم ، ﴿ **إلا عجوزًا في الغابرين** ﴾ ، وهي امرأته ، وكانت عجوز سوء ، بقيت فهلكت مع من بقي من قومها ،وذلك كما أخبر اللّٰه تعالىٰ عنهم في « **سورة الأعراف** » و« **هود** » ، وكذا في « **الحجر** » حين أمره اللّٰه أن يسري بأهله إلا امرأته ، وأنهم لا يلتفتون إذا سمعوا الصيحة حين تنزل علىٰ قومه ،

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « ضلالتهم » .

[٣] - في خ ، ز : « البغيضين » .

[٤] - في ت : « فأنا » .

فصبروا لأمر الله واستمروا ، وأنزل الله على أولئك العذابَ الذي عمَّ جميعهم ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ، ولهذا قال : ﴿ **ثم دمرنا الآخرين * وأمطرنا عليهم مطرًا فساء مطر المنذرين . إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم** ﴾ .

كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾

هؤلاء - أعني : أصحاب الأيكة - هم أهل مدين علىٰ الصحيح . وكان نبي الله شعيب من أنفسهم ، وإنما لم يقل هاهنا : أخوهم [شعيب][١] ، لأنهم نسبوا إلىٰ عبادة الأيكة ، وهي شجرة ، وقيل : شجر ملتف كالغَيضة[٢] ، كانوا يعبدونها ، فلهذا لما قال : ﴿ **كذب أصحاب الأيكة المرسلين** ﴾ ، لم يقل : « **إذ قال لهم أخوهم شعيب** » . وإنما قال : ﴿ **إذ قال لهم شعيب** ﴾ . فقطع نسبة الأخوة بينهم ؛ للمعنىٰ الذي نسبوا إليه ، وإن كان أخاهم نسبًا . ومن الناس من لم يتفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين ، فزعم أن شعيبًا - عليه السلام - بعثه الله إلىٰ أمتين ، ومنهم من قال : ثلاث أمم .

وقد روىٰ إسحاق بن بشر الكاهلي - وهو ضعيف - حدثني ابن السدي ، عن أبيه وزكريا بن عمر[٣] ، عن خصيف ، عن عكرمة ، قال[٤] : ما بعث الله نبيًا مرتين إلا شعيبًا ، مرة إلىٰ مدين فأخذهم الله بالصيحة ، ومرة إلىٰ أصحاب الأيكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة .

وروىٰ أبو القاسم البغوي ، عن هُدْبة ، عن هَمام ، عن قتادة في قوله تعالىٰ : ﴿ **وأصحاب الرس** ﴾ : قوم شعيب ، وقوله : ﴿ **وأصحاب الأيكة** ﴾ : قوم شعيب .

قال إسحاق بن بشر. وقال غير جويبر: أصحاب الأيكة ومدين هما واحد. والله أعلم.

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر(٩) في ترجمة « **شعيب** » من طريق محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، عن أبيه ، عن معاوية بن هشام ، عن هشام بن سعد[٥] ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن

---

(٩) انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٣٠٩/١٠) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز : « كالغيظة » . والغيضة : الأكمة ، أو الموضع يكثر فيه الشجر ويلتفّ .
[٣] - في ز : « عمرو » . [٤] - في ت : « قالا » .
[٥] - في ز : « سعيد » .

ربيعة ابن سيف ، عن عبد الله بن عمرو ؛ قال : قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن قوم مدين وأصحاب الأيكة أمتان ، فبعث[١] الله إليهم[٢] شعيبًا النبي عليه السلام** » .

وهذا غريب ، وفي رفعه نظر ، والأشبه أن يكون موقوفًا[٣] . والصحيح أنهم أمة واحدة ، وصفوا في كل مقام بشيء . ولهذا وعظ لهؤلاء[٤] وأمرهم بوفاء المكيال والميزان ، كما في قصة مدين سواء بسواء ، فدل ذلك علىٰ أنهم أمة واحدة .

۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾

يأمرهم تعالىٰ بإيفاء المكيال والميزان ، وينهاهم عن التطفيف فيهما ، فقال : ﴿ **أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين** ﴾ أي : إذا دفعتم إلىٰ الناس فكملوا الكيل لهم ، ولا تخسروا الكيل فتعطوه ناقصًا ، وتأخذوه - إذا كان لكم - تامًّا وافيًا ، ولكن خذوا كما تعطون ، وأعطوا كما تأخذون .

﴿ **وزنوا بالقسطاس المستقيم** ﴾ والقسطاس هو : الميزان ، وقيل : القبان . قال بعضهم : هو معرب من الرومية. وقال مجاهد : القسطاس : المستقيم العدل بالرومية . وقال قتادة : القسطاس: العدل .

وقوله : ﴿ **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** ﴾ ، أي : لا تَنْقُصُوهُمْ أموالهم ، ﴿ **ولا تعثوا في الأرض مفسدين** ﴾ ، يعني : قطع الطريق ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين** ﴾ ، يخوفهم بأس الله الذي خلقهم وخلق آباءهم الأوائل ، كما قال موسىٰ عليه السلام : ﴿ **ربكم ورب آبائكم الأولين** ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ﴿ **والجبلة الأولين** ﴾ ، يقول : خلق الأولين . وقرأ ابن زيد : ﴿ **ولقد أضل منكم جبلًا كثيرًا** ﴾ .

قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ

---

[١] - في ت : « بعث » .
[٢] - في ت : « إليهما » .
[٣] - في خ ، ز : « مرفوعًا » .
[٤] - في ز : « لهولاء » .

ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾
قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ
عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

يخبر تعالىٰ عن جواب قومه له بمثل ما أجابت به ثمود لرسولها - تشابهت قلوبهم - حيث قالوا : ﴿ **إنما أنت من المسحرين** ﴾ ، يعنون : من المسحورين ، كما تقدم . ﴿ **وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين** ﴾ ، أي : تتعمد الكذب فيما تقوله ، لا أن اللَّه أرسلك إلينا ، ﴿ **فأسقط علينا كسفًا من السماء** ﴾ ، قال الضحاك : جانبًا من السماء . وقال قتادة : قطعًا من السماء ، وقال السدي : عذابًا من السماء . وهذا شبيه بما قالت قريش فيما أخبر اللَّه عنهم في قوله تعالىٰ : ﴿ **وقالوا لن نؤمن لك حتىٰ تفجر لنا من الأرض ينبوعًا** ﴾ ، إلىٰ أن قالوا :﴿ **أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفًا أو تأتي باللَّه والملائكة قبيلًا** ﴾ ، وقوله : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ وهكذا قال هؤلاء الكفرة الجهلة : ﴿ **فأسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين** ﴾ . ﴿ **قال ربي أعلم بما تعملون** ﴾ . يقول : اللَّه أعلم بكم ، فإن كنتم تستحقون ذلك جازاكم به غير ظالم لكم . وكذلك وقع بهم كما سألوا جزاء وفاقًا ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾ . وهذا من جنس ما سألوا من إسقاط الكسَف عليهم ؛ فإن اللَّه سبحانه وتعالىٰ جعل عقوبتهم أن أصابهم حر شديد جدًّا مدة سبعة أيام لا يَكُنّهم(*) منه شيء ، ثم أقبلت إليهم سحابة أظلتهم فجعلوا ينطلقون إليها يستظلون بظلها من الحر ، فلما اجتمعوا تحتها أرسل اللَّه تعالىٰ عليهم منها شررًا من نار ولهبًا ووهجًا عظيمًا ، ورَجفت بهم الأرض ، وجاءتهم صيحة عظيمة أزهقت أرواحهم ، ولهذا قال : ﴿ **إنه كان عذاب يوم عظيم** ﴾ .

وقد ذكر اللَّه تعالىٰ صفة إهلاكهم في ثلاثة مواطن ، كل موطن بصفة تناسب ذلك السياق ، ففي الأعراف ذكر أنه[١] أخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ، وذلك لأنهم قالوا : ﴿ **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا** ﴾ فأرجفوا بنبي اللَّه ومن اتبعه ، فأخذتهم الرجفة . وفي سورة هود قال : ﴿ **وأخذت[٢] الذين ظلموا الصيحة** ﴾ وذلك لأنهم استهزءوا بنبي اللَّه في قولهم : ﴿ **أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد**

(*) كنَّ الشيءَ : ستره .

[١] - في ت : « أنهم » .

[٢] - في ز ، خ : « فأخذت » .

آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد ﴾ . قالوا ذلك علىٰ سبيل التهكم والازدراء ، فناسب أن تأتيهم صيحة تسكتهم ، فقال : ﴿ [وأخذت الذين ظلموا][١] الصيحة ﴾ . وهاهنا قالوا : ﴿ فأسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين ﴾ . علىٰ وجه التعنت والعناد ، فناسب أن يحق[٢] عليهم ما استبعدوا وقوعه : ﴿ فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴾ .

قال قتادة : قال عبد اللّٰه بن [عمرو][٣] - رضي اللّٰه عنه - : إن اللّٰه سلط عليهم الحر سبعة أيام حتىٰ ما يظلهم منه شيء ، ثم إن اللّٰه أنشأ لهم سحابة ، فانطلق إليها أحدهم واستظل بها ، فأصاب تحتها بردًا وراحة ، فأعلم بذلك قومه ، فأتوها جميعًا فاستظلوا تحتها ، فأجّجَتْ عليهم نارًا .

وهكذا روي عن عكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : بعث اللّٰه إليهم الظلة ، حتىٰ إذا اجتمعوا كلّهم كشف اللّٰه عنهم الظلة ، وأحمىٰ عليهم الشمس فاحترقوا كما يحترق الجراد في المَقْلَىٰ .

وقال محمد بن كعب القُرظي : إن أهل مدين عذبوا بثلاثة أصناف من العذاب : أخذتهم الرجفة في دارهم حتىٰ خرجوا منها ، فلما خرجوا منها أصابهم فزع شديد ، فَفَرَقُوا أن يدخلوا إلىٰ البيوت فتسقط عليهم ، فأرسل اللّٰه عليهم الظلة ، فدخل تحتها رجل فقال : ما رأيت كاليوم ظلًّا[٤] أطيب ولا أبرد [من هذا][٥] ، هلموا أيُّها الناس . فدخلوا جميعًا تحت الظلة ، فصاح فيهم[٦] صيحة واحدة ، فماتوا جميعًا . ثم تلا محمد بن كعب : ﴿ فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴾ .

وقال ابن جرير(١٠) : حدثني الحارث ، حدثني الحسن ، حدثني سعيد بن زيد - أخو حماد بن زيد - حدثني حاتم بن أبي صغيرة ، حدثني يزيد الباهلي : سألت ابن عباس عن هذه الآية : ﴿ فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم ﴾ قال : بعث اللّٰه عليهم رعدا وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرابًا إلىٰ البرية؛ فبعث اللّٰه سحابة فأظلتهم من الشمس ، فوجدوا لها بردًا ولذة ، فنادىٰ بعضهم بعضًا ، حتىٰ إذا اجتمعوا تحتها أرسلها اللّٰه[٧] عليهم نارًا . قال ابن عباس : فذاك[٨] عذاب يوم الظلة ، ﴿ إنه كان عذاب يوم عظيم ﴾ .

---

(١٠) تفسير الطبري (١٩/٦٧) .

---

[١] - في ز ، خ : « فأخذتهم » .

[٢] - في ز ، خ : « يحقق » .

[٣] - في ت : « عمر » .

[٤] - في ز ، خ : « ظلة » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ت : « بهم » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - في ت : « فذلك » .

﴿ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ أي : العزيز في انتقامه من الكافرين ، الرحيم بعباده المؤمنين .

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الكتاب الذي أنزله علىٰ عبده ورسوله محمد - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - : ﴿ وإنه ﴾ ، أي : القرآن الذي تقدم ذكره في أول السورة في قوله : ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن[١] محدث ﴾ ، ﴿ لتنزيل رب العالمين ﴾ أي : أنزله اللّٰه عليك وأوحاه إليك ، ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ ، وهو جبريل عليه السلام ، قاله غير واحد من السلف : ابن عباس ، ومحمد بن كعب ، وقتادة ، وعطية العوفي ، والسدي ، والضحاك ، والزهري ، وابن جريج ، وهذا ما لا نزاع فيه .

قال الزهري : وهذه كقوله : ﴿قل من كان عدوًّا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله﴾ الآية .

وقال مجاهد : من كلمه الروح الأمين لا تأكله الأرض .

[﴿ علىٰ قلبك لتكون من المنذرين ﴾، أي : نزل به ملك كريم أمين، ذو مكانة عند الله ، مطاع في الملأ الأعلىٰ ، ﴿ علىٰ قلبك ﴾ يا محمد ، سالمًا من الدنس والزيادة والنقص][٢] ؛ ﴿ لتكون من المنذرين ﴾ ، أي : لتنذر به بأس اللّٰه ونقمته علىٰ من خالفه وكذبه ، وتبشر به المؤمنين المتبعين له .

وقوله : ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ ، أي : هذا القرآن الذي أنزلناه إليك [أنزلناه][٣] بلسانك العربي الفصيح الكامل الشامل ، ليكون بيّنًا واضحًا ظاهرًا ، قاطعًا للعذر ، مقيمًا للحجة ، دليلًا إلى المحجة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عبد اللّٰه بن أبي بكر العَتَكِيّ ، حدثنا عباد بن عباد المُهَلَّبي ، عن موسىٰ بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ؛ قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في يوم دجن(*) إذ قال لهم : « كيف ترون بواسقها(**) ؟ » . قالوا : ما

---

[١] - في ز ، خ : « ربهم » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

(*) الدجن : إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء . ويقال : يومُ دجنٍ ، ويومٌ دجنٌ .

(**) قال ابن الأثير : أي : ما استطال من فروعها .

أحسنها وأشد تراكمها ! قال: « **فكيف ترون قواعدها**(*) ؟ » . قالوا : ما أحسنها وأشد تمكنها قال : « **فكيف ترون جَوْنَهَا**(**) ؟ »[١] ؟ قالوا : ما أحسنه وأشد سواده ! قال : « **فكيف ترون رحاها استدارت** ؟ » قالوا : ما أحسنها وأشد استدارتها ! قال : « **فكيف ترون برقها ؟ أوميض ، أم خَفْو**[٢] **، أم يَشُقّ شَقًّا** ؟ » . قالوا : بل يشق شقًّا . قال : « **الحياء الحياء إن شاء الله** » . قال : فقال رجل : يا رسول الله ، بأبي وأمي ما أفصحك[٣] ! ما رأيت الذي هو أعرب منك . قال : فقال : « **حُقَّ لي ، وإنما نزل**[٤] **القرآن بلساني ، والله يقول : ﴿ بلسان عربيّ مبين ﴾** »(١١) .

وقال سفيان الثوري : لم ينزل وحي إلا بالعربية ، ثم تَرْجم كل نبي لقومه ، واللسان يوم القيامة بالسريانية ، فمن دخل الجنة تكلم بالعربية . رواه ابن أبي حاتم .

وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾

يقول تعالىٰ : وإن ذكر هذا القرآن والتنويه به لَموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه ، كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك حتىٰ قام آخرهم خطيبًا في ملئه بالبشارة بأحمد : ﴿ **وإذ قال عيسىٰ ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ والزُبُر هاهنا هي الكتب وهي جمع زبُور[٥] ، وكذلك الزبور ، وهو كتاب داود ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وكل شيء فعلوه في الزبر** ﴾ ، أي : مكتوب عليهم في صحف الملائكة .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل** ﴾ ، أي : أَوَ ليس يكفيهم[٦] من الشاهد الصادق علىٰ ذلك : أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها ؟ والمراد العدول منهم ، الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - ومبعثه وأمته ، كما أخبر بذلك مَنْ آمن منهم كعبد الله بن

(١١) ورواه الرامهرمزي في أمثال الحديث ص (١٥٥) من طريق عبد الله بن محمد الأموي ، عن عباد بن عباد المهلبي به .

(*) الضمير يعود على سحابة ، والمراد بقواعدها : ما اعترض منها وسَفَل .

(**) الجون : الأسود ، أو الأسود تخالطه حمره .

[١] - في خ : « حربها » ، في ز : « حرها » .
[٢] - في خ ، ز : « خفق » .
[٣] - في ز : « أفحك » .
[٤] - في ز : « نزل » .
[٥] - في خ ، ز : « زبرة » .
[٦] - في ز : « يكفيكم » .

سلام ، وسلمان الفارسي ، عمن أدركه منهم ومن شاكلهم . وقال الله تعالىٰ : ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأميّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل** ﴾ الآية .

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن إنه لو أنزله علىٰ رجل من الأعاجم ، ممن لا يدري من العربية كلمة ، وأنزل عليه هذا الكتاب ببيانه وفصاحته ، لا يؤمنون به ، ولهذا قال : ﴿ **ولو نزّلناه علىٰ بعض الأعجمين * فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين** ﴾ ، كما أخبر عنهم في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون** ﴾ وقال تعالى : ﴿**ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله** ﴾ . وقال : ﴿ **إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ .

كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأۡتِيَهُم بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلۡ نَحۡنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكۡرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾

يقول تعالىٰ : كذلك سلكنا التكذيب والكفر والعناد والجحود ، أي : أدخلناه في قلوب المجرمين ، ﴿ **لا يؤمنون به** ﴾ أي : بالحق ، ﴿ **حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ ، أي : حيث لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار . ﴿ **فيأتيهم بغتة** ﴾ أي : عذاب الله بغتة ، ﴿ **وهم لا يشعرون * فيقولوا هل نحن منظرون** ﴾ أي : يتمنون حين يشاهدون العذاب أن لو أنظروا قليلًا ليعملوا[١] بطاعة الله ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلىٰ أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال** ﴾ فكل ظالم وفاجر وكافر إذا شاهد[٢] عقوبته ندم ندمًا شديدًا ؛ هذا فرعون لما دعا عليه الكليم بقوله : ﴿ **ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالًا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس علىٰ أموالهم واشدد علىٰ قلوبهم فلا يؤمنوا حتىٰ يروا العذاب الأليم * قال قد أجيبت دعوتكما** ﴾ ، فأثرت هذه الدعوة في فرعون ، فما آمن حتىٰ رأىٰ العذاب الأليم ، ﴿ **حتىٰ إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا**

---

[١] - في ت : « لعملوا » .
[٢] - في ز ، خ : « شاهدوا » .

الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ﴾ . وقال : ﴿ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ الآية ، وقوله تعالىٰ : ﴿ أفبعذابنا يستعجلون ﴾ ، إنكار عليهم ، وتهديد لهم ، فإنهم كانوا يقولون للرسول تكذيبًا واستبعادًا : ﴿ ائتنا بعذاب الله ﴾ كما قال تعالى : ﴿ ويستعجلونك بالعذاب[ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين][١] ﴾ ، ثم قال : ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون * ما أغنىٰ عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ ، أي : [ولو][٢] أخرناهم وأنظرناهم وأملينا لهم برهة من الزمان وحينًا من الدهر وإن طال ، ثم جاءهم أمر الله ، أيّ شيء يجدي عنهم ما كانوا فيه من النعيم ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما يغني عنه ماله إذا تردى ﴾ .

ولهذا قال : ﴿ ما أغنىٰ عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ .

وفي الحديث الصحيح(١٢) : « يؤتىٰ بالكافر فيغمس في النار غمسة ، ثم يقال له : هل رأيت خيرًا قط ؟ هل رأيت نعيمًا قط ؟ فيقول : لا [والله يارب][٣] . ويؤتىٰ بأشد الناس بؤسًا - كان في الدنيا - فيصبغ في الجنة صبغة ، ثم يقال له : هل رأيت بؤسًا قط ؟ فيقول : لا [والله يا رب][٤] ، » أي : ما كأن شيئًا[٥] كان ؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يتمثل بهذا البيت :

كأنك لَمْ تُوتِرْ مِنَ الدهر ليلةً إذا أنت أدركتَ الذي كنتَ تطلب

ثم قال تعالىٰ مخبرًا عن عدله في خلقه : إنّه ما أهلك أمة من الأمم إلا بعد الإعذار إليهم والإنذار لهم وبعثة الرسل إليهم[٦] وقيام الحجج عليهم . ولهذا قال : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرىٰ وما كنا ظالمين ﴾ كما قال تعالىٰ : ﴿ وما كنا معذّبين حتىٰ نبعث رسولًا ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ وما كان ربك مهلك القرىٰ حتىٰ يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرىٰ إلا وأهلها ظالمون ﴾ .

---

(١٢) رواه مسلم حديث ٥٥ - (٢٨٠٧) . والنسائي (٣٦/٦) . وأحمد في مسنده (٢٠٣/٣) (١٣١٣٥) من حديث أنس بن مالك ، رضي الله عنه .

---

[١] - سقط من : ت .
[٢] - في ت : « لو » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « شيء » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كتابه العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد: إنه نزل به الروح الأمين المؤيد من الله، ﴿ **وما تنزلت به الشياطين** ﴾. ثم ذكر أنه يمتنع عليهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أنه لا[١] ينبغي لهم[٢]، أي: ليس هو[٣] من بُغْيتهم ولا من طَلِبتهم؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونور وهدىٰ وبرهان عظيم، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **وما ينبغي لهم** ﴾.

وقوله: ﴿ **وما يستطيعون** ﴾، أي: ولو انبغىٰ لهم لما استطاعوا ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله** ﴾ ثم بين أنه لو انبغىٰ لهم واستطاعوا حمله وتأديته، لما وصلوا إلىٰ ذلك؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله، لأن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشُهُبًا في مُدّة إنزال القرآن علىٰ رسوله فلم يخلص أحد من الشياطين إلىٰ استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر. وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله، ولهذا قال: ﴿ **إنهم عن السمع لمعزولون** ﴾، كما قال تعالىٰ مخبرًا عن الجن: ﴿ **وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا * وأنّا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابًا رصدًا * و أنّا لا ندري أشرّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدًا** ﴾.

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾

يقول تعالى آمرًا بعبادته وحده لا شريك له ومخبرًا أن من أشرك به عذبه.

ثم قال تعالىٰ آمرًا لرسوله - صلىٰ الله عليه وسلم - أن ينذر عشيرته الأقربين، أي: الأدنين

---

[١] - في ت: «لا».
[٢] - سقط من: خ، ز.
[٣] - سقط من: ز، خ.

إليه ، وأنه لا يُخلّص أحدًا منهم إلا إيمانه بربه عز وجل . وأمَرَه به[١] أن يُلين جانبه لمن اتبعه من عباد الله المؤمنين ، ومن عصاه من خلق الله كائنًا من كان فليتبرأ منه ، ولهذا قال : ﴿ **فإن عصوك فقل إني بريءٌ مما تعملون** ﴾ . وهذه النّذارة الخاصة لا تنافي العامة ، بل هي فرد من أجزائها ، كما قال : ﴿ **لتُنذر قومًا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون** ﴾ وقال : ﴿ **لتنذر أم القرى ومن حولها** ﴾ ، وقال : ﴿ **وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلىٰ ربهم** ﴾ وقال : ﴿ **لتبشر به المتقين وتنذر به قومًا لدًّا** ﴾ وقال : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ كما قال : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ .

وفي صحيح مسلم :« **والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهُودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار** » .

وقد وردت أحاديث كثيرة في نزول هذه الآية الكريمة ، فلنذكرها :

الحديث الأول : قال الإمام أحمد(١٣) - رحمه الله - : حدثنا عبد الله بن نمير ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرة ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس ؛ قال : لما أنزل الله عز وجل : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، أتىٰ النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - الصفا فصعد عليه ، ثم نادىٰ :« **يا صباحاه** » . فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه ، وبين رجل يبعث رسوله ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **يا بني عبد المطلب ، يا بني فهر ، يا بني لؤي**[٢] ، **أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ، صدقتموني ؟** » . قالوا : نعم . قال :« **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد** » . فقال أبو لهب : تبًا لك سائر اليوم ! أما دعوتنا إلا لهذا ؟ وأنزل الله : ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب** ﴾ .

ورواه البخاري ومسلم والنسائي والترمذي ، من طرق ، عن الأعمش ، به .

الحديث الثاني : قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قالت : لما نزلت : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، قام رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : « **يا فاطمة بنة محمد ، يا صفية بنة عبد المطلب ، يا بني عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئًا سلوني من مالي ما شئتم** » . انفرد بإخراجه مسلم(١٤) .

---

(١٣) المسند ، وصحيح البخاري حديث (٤٨٠١) ، وصحيح مسلم حديث (٢٠٨) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١١٧١٤) ، وسنن الترمذي حديث (٣٣٦٣) .

(١٤) المسند (٦/١٣٦ ، ١٨٧) (٢٥١٥٦، ٢٥٦٤٣) ، أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : قوله

---

[١] - سقط من : ت .

[٢] - بياض في : ز .

الحديث الثالث : قال أحمد(١٥) : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثنا عبد الملك بن عُمير ، عن موسىٰ بن طلحة ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ، دعا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قريشًا[١] ، فعم وخص ، فقال : « **يا معشر قريش ، أنقذوا أنفسكم من النار . يا معشر بني كعب ، أنقذوا أنفسكم ، من النار ، [يا معشر بني عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار][٢] .، يا معشر بني هاشم ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا معشر بني عبد المطلب ، أنقذوا أنفسكم من النار ، [يا فاطمة بنت محمد ، أنقذي نفسك من النار][٣] فإني والله - ما أملك لكم من الله شيئًا إلا أن لكم رحمًا سأبُلُّها[٤] ببلالها(*)** » . ورواه مسلم والترمذي ، من حديث عبد الملك بن عمير ، به ، وقال الترمذي : غَريب من هذا الوجه .

ورواه النسائي(١٦) من حديث موسى بن طلحة مرسلًا ، لم يذكر فيه[٥] أبا هريرة . والموصول هو الصحيح .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري ، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة(١٧) .

وقال الإمام أحمد(١٨) : حدثنا يزيد، حدثنا محمد - يعني ابن إسحاق - عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - قال : قال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا بني عبد المطلب، اشتروا أنفسكم من الله، يا صفية عمة رسول الله، ويا فاطمة بنت رسول الله ، اشتريا أنفسكما من الله ، لا أُغني عنكما [من اللّٰه][٦] شيئًا ، سلاني من مالي**

تعالى: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ . (١٩٢/١/رقم : ٢٠٥) . والترمذي في كتاب الزهد ، باب : ما جاء في إنذار النبي صلى الله عليه وسلم قومه . (٥٥٤/٤ ، ٥٥٥/رقم : ٢٣١٠) . وكتاب تفسير القرآن ، باب : ومن سورة الشعراء (٣٣٨/٥/رقم: ٣١٨٤) . والنسائي في كتاب الوصايا ، باب : إذا أوصى لعشيرته الأقربين . (٢٥٠/٦/رقم : ٣٦٤٨) . كلهم من طريق هشام بن عروة به .

(١٥) المسند (٣٦٠/٢) ، وصحيح مسلم حديث (٢٠٤) ، وسنن الترمذي حديث (٣١٨٥) .

(١٦) سنن النسائي (٢٤٨/٦) .

(١٧) صحيح البخاري حديث (٤٧٧١) ، وصحيح مسلم حديث (٢٠٦) .

(١٨) المسند (٤٤٨/٢) .

[١] - بياض في : ز ، خ .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٤] - في م : « سأبلوها » .

(*) أي : أصلكم في الدنيا ، ولا أغنى عنكم من اللّٰه شيئًا . والبلال جمع بَلَل . وقيل : هو كُلُّ ما بلَّ الحلق من ماء ، أو لبن ، أو غيره .

[٥] - في ت : « به » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

ما شئتما » . تفرد به من هذا الوجه ،

وتفرد به أيضًا ، عن معاوية ، عن زائدة ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - بنحوه(١٩) .

ورواه أيضًا عن حسن، ثنا ابن لهيعة، عن الأعرج: سمعت[١] أبا هريرة ... مرفوعًا(٢٠) .

وقال أبو يعلىٰ : حدثنا سُويد بن سَعيد ، حدثنا ضمام بن إسماعيل ، عن موسىٰ بن وَرْدَان ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - : **« يا بني قصيّ ، يا بني هَاشم ، يا بني عبد مناف ، أنا النذير والموت المغير ، والساعة الموعد »**(٢١) .

الحديث الرابع : قال أحمد(٢٢) : حدثنا يحيىٰ بن سعيد ، حدثنا التيمي ، عن أبي عثمان ، عن قَبيصة بن مُخَارق وزهير بن عمرو ؛ قالا : لما نزلت : **﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾** ، صَعد رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم رَضْمَة(*) من جبل علا أعلاها حجرًا ، فجعل ينادي[٢] : **« يا بني عبد مناف ، إنما أنا نذير ، إنما مثلي ومثلكم كرجل رأىٰ العدو ، فذهب يربأ(**)[٣] أهله - يخشىٰ أن يسبقوه - فجعل ينادي ويهتف : يا صباحاه »** .

ورواه مسلم والنسائي ، من حديث سليمان بن طرخان التيمي ، عن أبي عثمان عبد الرحمن بن مُلّ النَّهْدي[٤] ، عن قَبيصة وزُهير بن عَمْرو الهلالي ، به .

الحديث الخامس : قال الإمام أحمد (٢٣) : حدثنا أسود بن عامر[٥] ، حدثنا شريك ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن عباد بن عبد اللَّه الأسدي ، عن عليّ - رضي اللَّه عنه - قال : لما

---

(١٩) المسند (٢/٣٩٨) .

(٢٠) المسند (٢/٣٥٠) .

(٢١) مسند أبي يعلى (١١/١٠) وسويد بن سعيد متكلم فيه .

(٢٢) المسند (٥/٦٠) ، وصحيح مسلم حديث (٢٠٧) ، والنسائي في السنن الكبرى حديث (١١٣٧٩) .

(٢٣) المسند (١/١١١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٨/٣٠٢) : « رجال أحمد رجال الصحيح ، غير شريك وهو ثقة » .

---

[١] - سقط من : ز ، وفي خ : « عن » .

(*) الرضمة : ما دون الهضاب . وقيل صخور بعضُها على بعضٍ .

[٢] - بياض في : ز ، خ .

(**) أي : يحفظهم من عدوهم .

[٣] - في خ ، ز : « يربو » .

[٤] - في ز : « الفهدي » .

[٥] - في ز : « حامد » .

نزلت هذه الآية : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، جمع النبي - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - من أهل بيته ، فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا ، قال : وقال لهم : « **من يَضْمَنْ عني ديني ومواعيدي ، ويكون معي في الجنة ، ويكون خليفتي في أهلي ؟** » . فقال رجل - لم يسمه شريك - : يا رسول الله ، [أنت كنت بحرًا][١] من يقوم بهذا؟ قال: ثم قال لآخر(***) قال : فعرض ذلك على أهل بيته . فقال عليّ : أنا .

طريق أخرىٰ بأبسط من هذا السياق ، قال أحمد(٢٤) : حدثنا عفان ، حدثنا أبو عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجذ ، عن عليّ - رضي اللَّه عنه - قال[٢] : جمع رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم - أو دعا رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم - بني عبد المطلب ، وهم رهطٌ كلهم يأكل الجَذَعَة ويشرب الفَرَق . قال: وصنع لهم مُدًّا من طعام فأكلوا حتىٰ شبعوا. قال: وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس، ثم دعا بغمر فشربوا حتىٰ رَوُوا ، وبقي الشراب كأنه لم يمس - أو لم يشرب - وقال : « **يا بني عبد المطلب ، إني بعثت إليكم خاصة وإلىٰ الناس عامة ، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم ، فأيكم يبايعني علىٰ أن يكون أخي وصاحبي؟** » قال : فلم يقم إليه أحد . قال : فقمتُ إليه - وكنت أصغر القوم - قال : فقال : « **اجلس** » . ثم قال ثلاث مرات ، كل ذلك أقوم إليه فيقول لي : « **اجلس** » . حتىٰ كان في الثالثة ضرب بيده علىٰ يدي .

طريق أخرىٰ أغرب وأبسط من هذا السياق بزيادات أخر ، قال الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة (٢٥) : أخبرنا محمد بن عبد اللَّه الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، حدثنا يُونس[٣] بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ؛ قال : فحدثني من سمع عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل - واستكتمني اسمه - عن ابن عباس ، عن عليّ بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - قال : لما نزلت هذه الآية علىٰ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾. قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **عرفت أني إن بادأتُ بها قومي ، رأيت منهم ما أكره فَصَمَتُّ ، فجاءني جبريل - عليه السلام - فقال : يا محمد ، إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك ربك** » . قال عليّ -رضي اللَّه عنه- : فدعاني فقال : « **يا عليّ ، إن اللَّه قد أمرني: أن أنذر عشيرتي الأقربين ، فعرفت أني إن بادأتهم بذلك رأيت منهم ما أكره . فَصَمَتُّ عن ذلك ، ثم جاءني جبريل فقال : يا محمد ؛ إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك ربك . فاصنع لنا يا عليّ شاة**

(٢٤) المسند (١٥٩/١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٣٠٢/٨) : « رجاله ثقات » .

(٢٥) دلائل النبوة (١٧٨/٢) .

[١] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « إن كنت تجري » . والمثبت عن المسند .

[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « يوسف » .

على صاع من طعام ، وأعدّ لنا عُسّ لبنٍ ، ثم اجمع لي بني عبد المطلب » ففعلت . فاجتمعوا له وهم يومئذٍ أربعون رجلًا ، يزيدون رجلًا أو ينقصون رجلًا[١] ، فيهم أعمامه : أبو طالب ، وحمزة ، والعباس ، وأبو لهب الكافر الخبيث ، فقدّمت إليهم تلك الجَفْنَة ، فأخذ رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، منها حِذْيَة(*) فشقها بأسنانه ثم رمىٰ بها في نواحيها ، وقال : « **كلوا باسم الله** » . فأكل القوم حتىٰ نهلوا عنه ما يرىٰ إلا آثار أصابعهم ، واللّه إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها .

ثم قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **اسقهم يا عليّ** » . فجئت بذلك القَعْب(**) فشربوا منه حتىٰ نَهلُوا جميعًا ، وايم اللّه ، إن كان الرجل منهم ليشرب مثله . فلما أراد[٢] رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أن يكلمهم ، بَدَره أبو لهب إلىٰ الكلام فقال : لَهَدّما(*) سحركم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلمهم رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم ، فلما كان الغدُ قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يا عليّ ، عُدْ لنا بمثل[٣] الذي كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بَدَرني إلىٰ ما سمعت قبل أن أكلم القوم** » . ففعلت ، ثم جمعتهم له ، فصنع رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم كما صنع بالأمس ، فأكلوا حتىٰ نَهلُوا عنه ، وايم اللّه إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها .

ثم قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **اسقهم يا عليّ** » . فجئت بذلك القَعب فشربوا منه[٤] حتىٰ نهلوا جميعًا . وايم اللّه إن كان الرجل منهم ليشرب مثله . فلما أراد رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم أن يكلمهم بَدَرَه أبو لهب بالكلام فقال : لَهَدّما سحركم صاحبكم ! فتفرقوا ولم يكلمهم رسول اللّه .

فلما كان الغد قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يا عليّ ، عد لنا بمثل الذي كنت صنعتَ لنا بالأمس من الطعام والشراب ، فإن هذا الرجل قد بَدَرني إلىٰ ما سمعت قبل أن أكلم القوم** » . ففعلت ، ثم جمعتهم له فصنع رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم [كما صنع][٥] بالأمس ، فأكلوا [حتىٰ نهلوا][٦] عنه ثم سقيتهم من ذلك القعب حتىٰ نهلوا عنه ، وايم اللّه إن كان الرجل منهم ليأكل مثلها ويشرب مثلها ، ثم قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **يا بني عبد المطلب ، إني – والله – ما أعلم شابًّا من العرب جاء قومه بأفضل مما[٧] جئتكم به ،**

---

[١] – سقط من : ز ، خ .

(*) الحِذية : قطعة من اللحم تقطع بالطول .

(**) القعب : قدح ضخم غليظ .

[٢] – في خ ، ز : « رأى » .

(*) لَهَدَّ : كلمة يُتَعَجَّب بها . يُقال : لَهَدَّ الرجُل : أي ما أجلدَه ! ويقال : إنه لهَدَّ الرجل : أي : لنعم الرجُل ، وذلك إذا أُثني عليه بجَلَد وشدةٍ . واللام للتأكيد .

[٣] – في ز ، خ : « مثل » .

[٤] – سقط من : خ ، ز .

[٥] – ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٦] – ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٧] – في ز ، خ : « ما » .

إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة » .

قال أحمد بن عبد الجبار : بلغني أن ابن إسحاق إنما سمعه من عبد الغفار بن القاسم[١] أبي مريم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث . وقد رواه أبو جعفر بن جرير ، عن ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، عن عليّ بن أبي طالب - فذكر مثله .

وزاد بعد قوله : « **إني جئتكم بخير الدنيا والآخرة** » - : « **وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأيكم يؤازرني[٢] علىٰ هذا الأمر علىٰ أن يكون أخي ، وكذا وكذا ؟** » قال : فأحجم القوم عنها جميعًا ، وقلت - وإني[٣] لأحدثهم سنًا وأرمصهم(*) عينًا ، وأعظمهم بطنًا[٤] ، وأحمشهم(*)[٥] ساقًا - : أنا يا نبيّ الله ، أكون وزيرك عليه . فأخذ بِرَقَبَتي ، ثم قال : « **إن هذا أخي وكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا** » . قال : فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ! (٢٦)

تفرد بهذا السياق عبد الغفار بن القاسم [أبو][٦] مريم ، وهو متروك كذاب شيعي ، اتهمه عليّ بن المديني وغيره بوضع الحديث ، وضعفه الأئمة رحمهم الله .

(طريق أخرىٰ) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا الحسين بن عيسىٰ بن ميسرة الحارثي ، حدثنا عبد الله بن عبد القدوس ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث قال : قال عليّ -رضي الله عنه- : لما نزلت هذه الآية : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، قال لي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **اصنع لي رجل شاة بصاع من طعام وإناء لبنًا** » . قال : ففعلت ، ثم قال : « **ادع بني هاشم** » . قال : فدعوتهم وإنهم يومئذ لأربعون غير رجل - أو : أربعون ورجل - قال : وفيهم عشرة كلهم يأكل الجذَعَة بإدامها . قال : فلما أتوا بالقصعة أخذ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم من ذرْوَتها ثم قال : « **كلوا** » . فأكلوا حتىٰ شبعوا ، وهي علىٰ هيئتها لم يرزءوا منها إلا يسيرًا ، قال : ثم أتيتهم بالإناء فشربوا حتىٰ رَوُوا . قال : وفَضَل فضْلٌ ، فلما فرغوا أراد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أن يتكلم

---

(٢٦) تفسير الطبري (١٩/٤٠) .

---

[١] - بعده في خ ، ز : « بن » وهو خطأ .

[٢] - في ز ، خ : « وازرني » .

[٣] - سقط من : ز .

(*) رَمِصَت العينُ تَرْمَص رَمَصًا : اجتمع في موقِها وَسَخٌ أسود .

[٤] - في خ ، ز : « نطقًا » .

(*) حَمِش الرجل : كان دقيق الساقين .

[٥] - في ز : « أخمشهم » .

[٦] - ما بين المعكوفين في ز ، خ : « ابن أبي » . وهو خطأ .

فبدرُوه الكلام ، فقالوا : ما رأينا كاليوم في السحر . فسكت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . ثم قال [لي][١] : « **اصنع رجل شاة بصاع من طعام** » . [فصنعت ، قال][٢] : فدعاهم، فلما أكلوا وشربوا [قال : فبدروه فقالوا مثل مقالتهم الأولىٰ، فسكت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ثم قال لي : « **اصنع رجل شاة بصاع من طعام** » . فصنعت ، قال : فجمعتهم ، فلما أكلوا وشربوا][٣] بَدَرهم رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم الكلام فقال : « **أيكم يقضي عني ديني ويكون خليفتي في أهلي ؟** » . قال : فسكتوا وسكت العباس خشية أن يحيط ذلك بماله ، قال : وسكتّ أنا لسنّ العباس . ثم قالها مرة أخرىٰ فسكت العباس ، فلما رأيت ذلك قلت : أنا يا رسول الله . قال : وإني يومئذ لأسوأهم هيئة وإني لأعمش العينين ، ضخم البطن ، حَمش الساقين .

فهذه طرق متعددة لهذا الحديث عن عليّ رضي اللّٰه عنه . ومعنىٰ سؤاله - عليه الصلاة والسلام - لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ، ويخلفوه في أهله ، يعني : إن قتل في سبيل الله ، كأنه خشي إذا قام بأعباء الإنذار أن يقتل ، ولما أنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته واللّٰه يعصمك من الناس** ﴾ . فعند ذلك أمِن ، وكان أولًا يحرس حتىٰ نزلت هذه الآية : ﴿ **واللّٰه يعصمك من الناس** ﴾ ، ولم يكن في بني هاشم إذ ذاك أشدّ إيمانًا وإيقانًا وتصديقًا لرسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، من عليّ رضي اللّٰه عنه ، ولهذا بدرهم إلىٰ التزام ما طلب منهم رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، ثم كان بعد هذا - واللّٰه أعلم - دعاؤه الناس جَهرة علىٰ الصفا ، وإنذاره لبطون قريش عمومًا وخصوصًا ، حتىٰ سمَّىٰ من سمَّىٰ من أعمامه وعماته وبناته؛ لينبه بالأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ ، أي : إنما أنا نذير ، واللّٰه يهدي من يشاء إلىٰ صراط مستقيم .

وقد روىٰ الحافظ ابن عساكر(٢٧) في ترجمة عبد الواحد الدمشقي - غير منسوب - من طريق عمرو بن سمُرة . عن محمد بن سوقة ، عن عبد الواحد الدمشقي ؛ قال : رأيت أبا الدرداء - رضي اللّٰه عنه - يحدث الناس ويفتيهم ، وولده إلىٰ جنبه ، وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون ، فقيل له : ما بَال الناس يرغبون فيما عندك من العلم ، وأهل بيتك جلوس لاهين ؟ فقال : لأني سمعت رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **أزهد الناس في الدنيا الأنبياء ، وأشدهم عليهم[٤] الأقربون** » . وذلك فيما أنزل اللّٰه -عز وجل- : [﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ الآية ، ثم قال : إن أزهد الناس في العالم أهله حتىٰ يفارقهم ؛ ولهذا قال][٥] : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن**

(٢٧) تاريخ دمشق (١٠/٥٨٧ المخطوط) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

[٤] - في ز ، خ : « عليه » .

[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ .

عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴾ .

وقوله : ﴿ **وتوكل على العزيز الرحيم** ﴾ . أي : في جميع أمورك ، فإنه مؤيدك وناصرك وحافظك ومظفرك ومُعْلٍ كلمتك .

وقوله : ﴿ **الذي يراك حين تقوم** ﴾ . أي : هو مُعْتَنٍ بك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ قال ابن عباس : ﴿ **الذي يراك حين تقوم** ﴾ . يعني : إلى الصلاة .

وقال عكرمة : يرىٰ قيامه وركوعه وسجوده .

وقال الحسن : ﴿ **الذي يراك حين تقوم** ﴾ إذا صليت وحدك .

وقال الضحاك : ﴿ **الذي يراك حين تقوم** ﴾ . أي : من فراشك أو مجلسك .

وقال قتادة : ﴿ **الذى يراك** ﴾ قائمًا وجالسًا وعلى حالاتك .

وقوله : ﴿ **وتقلبك في الساجدين** ﴾ - قال قتادة : ﴿ **الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين** ﴾ . قال : في الصلاة ، يراك وحدك ويراك في الجميع[١] . وهذا قول عكرمة ، وعطاء الخراساني ، والحسن البصري .

وقال مجاهد : كان رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، يرىٰ من خلفه كما يرىٰ من أمامه ، ويشهد لهذا ما صح في الحديث : « **سَوّوا صفوفكم ، فإني أراكم من وراء ظهري** »(٢٨) .

وروىٰ البزار وابن أبي حاتم ، من طريقين ، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : يعني تقلبه من صلب نبي إلىٰ صلب نبي ، حتىٰ أخرجه نبيًا .

وقوله : ﴿ **إنه هو السميع العليم** ﴾ . أي : السميع لأقوال عباده ، العليم بحركاتهم وسكناتهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنّا عليكم شهودًا إذ تُفيضون فيه** ﴾ الآية .

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(٢٨) رواه البخاري في صحيحه حديث (١٧٢٣) .

[١] - في ت : « الجمع » .

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

يقول تعالىٰ مخاطبًا لمن زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ليس حقًّا ، وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه ، أو أنه أتاه به رَئِيّ من الجن فنزه الله - سبحانه - جناب رسوله عن قولهم وافترائهم ، ونبه أن ما جاء به إنما هو من عند الله ، وأنه تنزيله ووحيه ، نزل به ملك كريم أمين عظيم ، وأنه ليس من قبيل الشياطين ، فإنهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم ، وإنما ينزلون علىٰ من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة ؛ ولهذا قال : ﴿ **هل أنبئكم** ﴾ أي : أخبركم ﴿ **علىٰ من تنزل الشياطين * تنزل علىٰ كل أفاك أثيم** ﴾ أي : كذوب في قوله ، وهو الأفاك الأثيم ، أي : الفاجر في أفعاله . فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين كالكهان وما جرىٰ مجراهم من الكذبة الفسقة ، فإن الشياطين أيضًا كذبة فسقة .

﴿ **يلقون السمع** ﴾ . أي : يسترقون السمع من السماء ، فيسمعون الكلمة من علم الغيب ، فيزيدون معها مائة كذبة ، ثم يلقونها إلىٰ أوليائهم من الإنس فيتحدثون بها ، فيصدقهم الناس في كل ما قالوه ، بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سمعت من السماء ، كما صح بذلك الحديث ؛ كما رواه البخاري ، من حديث الزهري ، أخبرني يحيىٰ بن عُروة بن الزبير ، أنه سمع عُروة بن الزبير يقول : قالت عائشة - رضي الله عنها - : سأل ناسٌ النبيَّ - صلىٰ الله عليه وسلم - عن الكهان ، فقال : « **إنهم ليسوا بشيء** » . قالوا : يا رسول الله ، فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقًّا ؟ فقال النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني ، فيُقَرْقِرُها في أذن وليّه كقرقرة الدجاجة ، فيخلطون معها أكثر من**[١] **مائة كذبة** »(٢٩) .

وقال البخاري أيضًا (٣٠) : حدثنا الحميدي[٢] ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو قال[٣] : سمعت عكرمة يقول : سمعت أبا هريرة يقول : إن [نبي الله][٤] - صلىٰ الله عليه وسلم - قال[٥] : « **إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه**[٦]

(٢٩) صحيح البخاري حديث (٧٥٦١) .

(٣٠) صحيح البخاري حديث (٤٨٠٠) .

[١] - في ت : « في » .

[٢] - في خ : « الجهدي » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - في ت : « النبي » .

[٥] - في خ ، ز : « يقول » .

[٦] - في ت : « كأنهم » .

سلسلة على صَفْوان ، حتىٰ إذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ [قالوا للذي][١] قال : الحق وهو العليّ الكبير . فيسمعها مسترقو السمع ، ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ، ووصف سفيان بيده فحرَفها ، وبَدّدَ بين أصابعه - فيسمع الكلمة ، فيلقيها إلىٰ من تحته ، ثم يلقيها الآخرُ إلىٰ من تحته ، حتىٰ يلقيها علىٰ لسان الساحر - أو : الكاهن - فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة . فيقال : أليس قد[٢] قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » . انفرد به البخاري .

ورویٰ مسلم من حديث الزهري ، عن عليّ بن الحسين ، عن ابن عباس ، عن رجال من الأنصار قريبًا من هذا ، وسيأتي عند قوله تعالىٰ في سبأ : ﴿ حتىٰ إذا فزع عن قلوبهم ﴾ الآية .

وقال البخاري(٣١) : وقال الليث : حدثني خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، أن أبا الأسود أخبره ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : « إن الملائكة تحدث في العنان - والعنان : الغَمَام - بالأمر يكون[٣] في الأرض ، فتسمع الشياطين الكلمة ، فَتَقرّها في أذُن الكاهن كما تُقَرّ القارورة ، فيزيدون معها مائة كذبة » .

وروى[٤] البخاري في موضع آخر من كتاب « بدء الخلق » عن سعيد بن أبي مريم ، عن الليث ، عن عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن ، عن عروة ، عن عائشة ، بنحوه(٣٢) .

وقوله : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعني الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن . وكذا قال مجاهد - رحمه الله - وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهما .

وقال عكرمة : كان الشاعران يتهاجيان فينتصر لهذا فِئام من الناس ، ولهذا فِئام من الناس ، فأنزل الله : ﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾ .

[وقال][٥] الإمام أحمد(٣٣) : حدثنا قتيبة ، حدثنا ليث ، عن ابن الهاد ، عن يُحنَّس -

---

(٣١) صحيح البخاري حديث (٣٢٨٨) وقد وصله أبو نعيم في المستخرج من طريق أبي حاتم الرازي عن أبي صالح كاتب الليث عنه ، كما في الفتح (٦/٤٣٢) .

(٣٢) صحيح البخاري رقم (٢٢١٠) .

(٣٣) المسند (٣/٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « قال الذي » . [٢] - سقط من : ز ، خ .

[٣] - سقط من : خ ، ز . [٤] - في ت : « قال » .

[٥] - في ت : « قال » .

مولىٰ مصعب بن الزبير - عن أبي سعيد ؛ قال : بينما نحن نسير مع رسول الله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - بالعَرْج ، إذ عَرَض شاعر يُنشد ، فقال النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **خذوا الشيطان - أو : أمسكوا الشيطان - لأنْ يمتلىء جوف أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلىء شعرًا** » .

وقوله : ﴿ **ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون** ﴾ - قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : في[١] كل لغو يخوضون .

وقال الضحاك عن ابن عباس: في كل فنٍّ من الكلام . وكذا قال مجاهد وغيره .

وقال الحسن البصري : قد - والله - رأينا أوديتهم التي يهيمون فيها ، مرة في شتمة فلان ، ومرة في مدحة فلان .

وقال قتادة: الشاعر يمدح قومًا بباطل، ويذم قومًا بباطل .

وقوله : ﴿ **وأنهم يقولون مالا يفعلون** ﴾ - قال العوفي ، عن ابن عباس : كان رجلان علىٰ عهد رسول الله ، أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين ، وإنهما تهاجيا ، فكان مع كل واحد منهما غُواةٌ من قومه - هم السفهاء - فقال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالا يفعلون** ﴾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس: أكثر قولهم يكذبون فيه . وهذا الذي قاله ابن عباس - رضي اللّٰه عنه - هو الواقع في نفس الأمر ؛ فإن الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ؛ ولا عنهم ، فيتكثرون بما ليس لهم[٢] .

ولهذا اختلف العلماء - رحمهم الله - فيما إذا اعترف الشاعر في شعره بما يوجب حَدًّا : هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا - لأنهم يقولون ما لا يفعلون - علىٰ قولين .

وقد ذكر محمد بن إسحاق ، ومحمد بن سعد في « **الطبقات** » ، والزبير بن بكار في « **كتاب الفكاهة** » : أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي اللّٰه عنه - استعمل النعمان بن عديّ بن نضلة علىٰ « **مَيْسَان** » - من أرض البصرة - وكان يقول الشعر ، فقال :

ألاَهلْ أتى الحسناءَ أن حليلَها[٣] بمَيْسَانَ ، يُسقَىٰ في[٤] زُجاج وحَنْتَم
إذا شئتُ غنَّتْني دهاقينُ قريةٍ ورقّاصةٌ تحدو علي كلِ مَنْسم
فإنْ كنتَ ندماني فبالأكبر اسقني ولا تَسْقِني بالأصْغَر المُتَثَلّم

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز : « حليها » .
[٤] - في ز : « من » .

لَعَلّ أميرَ المؤمنينَ يَسُوؤُه[١] تَنَادُمُنا بالجَوْسَقِ المُتَهَدِّمِ

فلما بلغ أمير المؤمنين قال : إي والله ، إنه ليسوؤني ذلك ، ومن لقيه فليخبره أني قد عزلته وكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ **حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير** ﴾ . أما بعد ، فقد بلغني قولك :

لعلّ أمير المؤمنين يسوؤه تنادُمُنا بالجوسَقِ المتهدِّمِ

وايمُ الله ، إنه ليسوؤني وقد عزلتك . فلما قدم علىٰ عمر بكَّتَهُ(*) بهذا الشعر فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما شربتُها قط ، وما ذاك الشعر إلا شيء طَفَح علىٰ لساني . فقال عمر : أظنّ ذلك ، ولكن - والله - لا تعمل لي على عملٍ أبدًا وقد قلت ما قلت .

فلم يُذكر أنه حدَّهُ علىٰ الشراب ، وقد ضمنه شعره ، لأنهم يقولون ما لا يفعلون ، ولكنه ذمه عمر - رضي الله عنه - ولامه علىٰ ذلك وعزله به ؛ ولهذا جاء في الحديث : « **لأن يمتليء جوف أحدكم قيحًا ، يَرِيه خيرٌ له من أن يمتليء شِعرًا** »(٣٤) ، والمراد من هذا أن الرسول - صلىٰ الله عليه وسلم - الذي أنزل عليه [هذا][٢] القرآن ليس بكاهن ولا بشاعر ؛ لأن حاله مناف لحالهم من وجوه ظاهرة ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين** ﴾ . وهكذا قال هاهنا : ﴿ **وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * علىٰ قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربيّ مبين** ﴾ ... إلىٰ أن قال : ﴿ **وما تنزلت به الشياطين * وما ينبغي لهم وما يستطيعون * إنهم عن السمع لمعزولون** ﴾ . إلىٰ أن قال : ﴿ **هل أنبئكم علىٰ مَنْ تنزل الشياطين * تنزل علىٰ كل أفاك أثيم * يُلْقُون السمع وأكثرهم كاذبون * والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ . قال محمد بن إسحاق ، عن يَزيد[٣] ابن عبد الله بن قُسَيط ، عن أبي الحسن سالم البَرّاد مولىٰ تميم الداريّ ؛ قال : لمّا نزلتْ ﴿ **والشعراء يتبعهم الغاوون** ﴾ ، جاء حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رَوَاحة ، وكعب بن مالك ، إلىٰ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، وهم يبكون فقالوا : قد علم الله حين أنزل هذه الآية أنا شعراء . فتلا النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ ، قال : « **أنتم** » ، ﴿ **وذكروا الله كثيرًا** ﴾ ، قال : « **أنتم** » ، ﴿ **وانتصروا**

(٣٤) رواه مسلم في صحيحه حديث (٢٢٥٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[١] - في خ : « بسؤة » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت . [٣] - في ز ، خ : « زيد » .

من بعد ما ظلموا ﴾ ، قال : « أنتم » .

رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم من رواية ابن إسحاق (٣٥) .

وقد روىٰ ابن أبي حاتم أيضًا ، عن أبي سعيد الأشجّ ، عن أبي أسامة ، عن الوليد بن كثير ، عن يزيد بن عبد الله، عن أبي الحسن مولىٰ بني[١] نوفل: أن حسان بن ثابت ، وعبد اللّٰه بن رواحة أتيا رسول الله ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، حين نزلت **﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾** يبكيان ، فقال رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وهو يقرؤها عليهما : « **﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾** ، حتىٰ بلغ : **﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾** ، قال : **أنتم** »(٣٦) .

وقال أيضًا : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن هشام بن عروة ، عن عروة قال : لما نزلت : **﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾** إلىٰ قوله : **﴿ يقولون مالا يفعلون ﴾** ، قال عبد اللّٰه بن رواحة : يا رسول الله ؛ قد علم اللّٰه أني منهم . فأنزل اللّٰه **﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾** إلىٰ قوله : **﴿ ينقلبون ﴾** .

وهكذا قال ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، وزيد بن أسلم ، وغير واحد : إن هذا استثناء مما تقدم . ولا شك أنه استثناء ، ولكن هذه السورة مكية ، فكيف يكون سبب نزول هذه الآية في شعراء الأنصار ؟ في ذلك نظر ، ولم يتقدم إلا مرسلات لا يعتمد عليها ، واللّٰه أعلم .

ولكن هذا الاستثناء يدخل فيه شعراء الأنصار وغيرهم ، حتىٰ يدخل فيه من كان متلبسًا من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله، ثم تاب وأناب ، ورجع وأقلع ، وعمل صالحًا ، وذكر اللّٰه كثيرًا في مقابلة ما تقدم من الكلام السّيىء ، فإن الحسنات يذهبن السيئات ، وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما كذب بذمه ، كما قال عبد اللّٰه بن الزِّبَعْرَىٰ حين أسلم .

يَا رَسُولَ المَلِيكِ ، إنّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ
إِذْ أُجَارِي الشيطانَ في سَنَنِ الغَـ ـيِّ وَمَن مَالَ مَيْلَه مَثْبُورُ

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، كان من أشد الناس عداوة للنبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وهو ابن عمه ، وأكثرهم له هجوًا ، فلما أسلم لم يكن أحد أحبّ إليه من رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، وكان يمدح رسول الله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - بعد ما كان يهجوه ، ويتولاه بعد ما كان قد عاداه .

(٣٥) تفسير الطبري (٧٩/١٩) .

(٣٦) ورواه الحاكم في المستدرك (٤٨٨/٣) من طريق أبي أسامة به .

[١] - سقط من : خ ، ز .

وهكذا روىٰ مسلم في صحيحه (٣٧) ، عن ابن عباس : أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال : يا رسول الله ؛ ثلاث أعْطِنِيهِنَّ[١] . قال : « نعم » . قال[٢] : معاوية تجعله كاتبًا بين يديك . قال : « نعم » . قال : وتؤمرني حتىٰ أقاتل الكفار ، كما كنت أقاتل المسلمين . قال: « نعم »، وذكر الثالثة ؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرًا** ﴾ قيل : معناه ذكروا الله كثيرًا في كلامهم . وقيل : في شعرهم ، وكلاهما صحيح مُكفِّر لما سبق .

وقوله : ﴿ **وانتصروا من بعد ما ظلموا** ﴾ قال ابن عباس: يردون[٣] على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين. وكذا قال مجاهد ، وقتادة ، وغير واحد . وهذا كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال لحسان : « **اهجهم – أو قال : هاجهم – وجبريل معك** »(٣٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه ، أنه قال للنبي – صلىٰ الله عليه وسلم – : إن الله عزَّ جلَّ قد أنزل في الشعر ما أنزل ، فقال : « **إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده[٤] ، لكأن ما ترمونهم به نَضح النبْل** »(٣٩) .

وقوله : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم لا ينفع الظالمين معذرتُهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ . وفي الصحيح أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إياكم والظلم ،فإن الظلم ظلمات يوم القيامة** »(٤٠) .

وقال قتادة بن دِعَامَة في قوله : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي مُنقَلب ينقلبون** ﴾ يعني من الشعراء وغيرهم .

وقال أبو داود الطيالسي : حدثنا إياس بن أبي تَميمة ، قال : حضرت الحسن ومُرَّ عليه بجنازة نصراني ، فقال الحسن : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون** ﴾ .

---

(٣٧) صحيح مسلم حديث (٢٥٠١) .

(٣٨) صحيح البخاري حديث (٦١٥٣) ، وصحيح مسلم حديث (٢٤٨٦) من حديث البراء بن عازب ، رضي الله عنه .

(٣٩) المسند (٣٨٧/٦) .

(٤٠) صحيح مسلم حديث (٢٥٧٨) من حديث جابر، رضي الله عنه، ولفظه : « اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » .

---

[١] – في ز : « أعطيتهن » .

[٢] – سقط من : ز ، خ .

[٣] – في خ ، ز : « يريدون » .

[٤] – في خ ، ز : « به » .

وقال عبد اللّٰه بن رَبَاح ، عن صفوان بن مُحرِز : أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكىٰ حتىٰ أقول : قد اندق قَضِيب زَوره : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** ﴾ .

وقال ابن وهب : أخبرني ابن سُرَيج الإسكندراني ، عن بعض المشيخة : أنهم كانوا بأرض الروم ، فبينما هم ليلة علىٰ نار يشتوون عليها - أو يصطلون - إذا بركاب قد أقبلوا ، فقاموا إليهم ، فإذا فضالة بن عُبيد فيهم ، فأنزلوه فجلس معهم - قال : وصاحب لنا قائم يصلي - قال : حتىٰ مرّ بهذه الآية : ﴿ **وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون** ﴾ . قال فضالة بن عبيد : هؤلاء الذين يخربون البيت .

وقيل : المراد بهم أهل مكة . وقيل : الذين ظلموا من المشركين .

والصحيح أن هذه الآية[١] عامة في كل ظالم ، كما قال ابن أبي حاتم : ذُكر عن زكريا بن يحيىٰ الواسطي ، حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المجبر ، حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة - رضي اللّٰه عنها - قالت : كتب أبي وصيته سطرين : « **بسم اللّٰه الرحمن الرحيم ، هذا ما أوصىٰ به أبو بكر بن أبي قُحافة ، عند خروجه من الدنيا ، حين يؤمن الكافر ، وينتهي الفاجر ، ويَصدُق الكاذب : إني استخلفت عليكم عُمر بن الخطاب ، فإن يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه ، وإن يجر ويُبدل فلا أعلم الغيب ، ﴿ وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون ﴾** » .

آخر تفسير سورة الشعراء ، و[٢]الحمد للّٰه ربِّ العالمين

☆ ☆ ☆

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - سقط من : ز ، خ .

تفسير سورة النمل

وهي مكية

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

قد تقدم الكلام في « **سورة البقرة** » على الحروف المتقطعة في أوائل السور .

وقوله : ﴿ **تلك آيات** ﴾ أي : هذه آيات ﴿ **القرآن وكتاب مبين** ﴾ أي : بيّن واضح ، ﴿ **هدى وبشرىٰ للمؤمنين** ﴾ أي : إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقه ، وعمل بما فيه ، وأقام الصلاة المكتوبة ، وآتىٰ الزكاة المفروضة ، وآمن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت ، والجزاء علىٰ الأعمال ، خيرها وشرها ، والجنة والنار ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمىٰ أولئك ينادون من مكان بعيد** ﴾ وقال : ﴿ **لتبشر به المتقين وتنذر به قومًا لدًّا** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة** ﴾ أي : يكذبون بها ، ويستبعدون وقوعها ﴿ **زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون** ﴾ . أي : حسّنّا لهم ما هم فيه ، ومددنا لهم في غيهم فهم يتيهون في ضلالهم . وكان هذا جزاء علىٰ ما كذبوا به من الدار الآخرة ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ .

﴿ **أولئك الذين لهم سوء العذاب** ﴾ أي : في الدنيا والآخرة ، ﴿ **وهم في الآخرة هم الأخسرون** ﴾ . أي : ليس يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل المحشر .

وقوله : ﴿ **وإنك لتلقىٰ القرآن من لدن حكيم عليم** ﴾ أي : ﴿ **وإنك** ﴾ - يا محمد - قال قتادة : ﴿ **لتلقىٰ** ﴾ أي : لتأخذ ﴿ **القرآن من لدن حكيم عليم** ﴾ أي : من عند حكيم عليم ، أي : حكيم في أوامره ونواهيه ، عليم بالأمور جليلها وحقيرها ، فخبره هو الصدق المحض ، وحكمه هو العدل التام ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقًا وعدلًا** ﴾

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

يقول تعالىٰ لرسوله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - مذكرًا له ما كان من أمر موسىٰ ، كيف اصطفاه اللّٰه ، وكلمه وناجاه ، وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة ، والأدلة القاهرة ، وابتعثه إلىٰ فرعون وملئه ، فجحدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له ، فقال تعالىٰ : ﴿ **إذ قال موسىٰ لأهله** ﴾ أي : اذْكُرْ حين سار موسىٰ بأهله ، فأضل الطريق ، وذلك في ليل وظلام ، فآنس من جانب الطور نارًا ، أي : رأىٰ نارًا تتأجّج وتضطرم ، فقال ﴿ **لأهله إني آنست نارًا سآتيكم منها بخبر** ﴾ أي : عن الطريق ، ﴿ **أو آتيكم [بشهاب قبس]**[١] **لعلكم تصطلون** ﴾، أي: تتدفئون به . وكان كما قال ، فإنه رجع منها بخبر عظيم ، واقتبس [منها][٢] نورًا عظيمًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها** ﴾ أي : فلما أتاها رأىٰ منظرًا هائلا عظيمًا ، حيث انتهىٰ إليها ، والنار تضطرم في شجرة خضراء ، لا تزداد النار إلا توقدًا ، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة ، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء .

قال ابن عباس وغيره: ولم تكن نارًا ، إنما كانت نورًا يتوهج .

وفي رواية عن ابن عباس : نور رب العالمين . فوقف موسىٰ متعجبًا مما رأىٰ ، فنودي ﴿ **أن بورك من في النار** ﴾ . قال ابن عباس : أي[٣] قُدّس ﴿ **ومن حولها** ﴾ أي : من الملائكة .

---

[١] - ما بين المعكوفين في ز : خ : « بقبس » . [٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

[٣] - سقاطه من : ت .

قاله ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جُبير ، والحسن ، وقتادة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن حبيب ، حدثنا أبو داود - هو الطيالسي - حدثنا شعبة والمسعودي ، عن عمرو بن مرة ، سمع أبا عُبَيدة يحدث عن أبي موسىٰ - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل** » . زاد المسعودي : « **وحجابه** [**النور أو**][١] **النار - لو كشفها لأحرقت سُبُحاتُ وجهه كل شيء أدركه بصره** » . ثم قرأ أبو عُبَيدة : ﴿ **أن بُورِكَ من في النار ومن حولها** ﴾ . وأصل هذا الحديث مخرج في الصحيح لمسلم ، من حديث عمرو بن مرة ، به(١) .

وقوله : ﴿ **وسبحان الله رب العالمين** ﴾ . أي : الذي يفعل ما يشاء ، ولا يشبه شيئًا من مخلوقاته ، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته ، وهو العليّ العظيم ، المباين لجميع المخلوقات ، ولا يكتنفه الأرض والسماوات ، بل هو الأحد الصمد ، المنزه عن مماثلة المحدثات .

وقوله : ﴿ **يا موسىٰ إنه أنا الله العزيز الحكيم** ﴾ أَعْلَمَهُ أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الحكيم[٢] ، الذي عزّ كل شيء وقهره وغلبه ، الحكيم في أفعاله وأقواله .

ثم أمره أن يلقي عصاه من يده ؛ ليظهر له دليلًا واضحًا علىٰ أنه الفاعل المختار ، القادر علىٰ كل شيء ، فلما ألقىٰ موسىٰ تلك العصا من يده انقلبت في الحال حَيَّةً عظيمة هائلة في غاية الكبر ، وسرعة الحركة مع ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ **فلما رآها تهتز كأنها جان** ﴾ ، والجان : ضرب من الحيات ، [أسرعه حركةً][٣] ، وأكثره اضطرابًا - وفي الحديث نَهْيٌ عن قتل جِنان البيوت(٢) . فلما عاين موسى ذلك ﴿ **ولى مدبرًا ولم يعقب** ﴾ أي : ولم يلتفت من شدة فرقه . ﴿ **يا موسىٰ لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون** ﴾ ، أي : لا تخف مما ترىٰ ، فإني أريد أن أصطفيك رسولًا وأجعلك نبيًّا وجيهًا .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب : في قوله عليه السلام : « **إن الله لا ينام** » وفي قوله : « **حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** » حديث ٢٩٤، ٢٩٥ - (١٧٩) (١٨/٣) . وأخرجه حديث ٢٩٣ - (١٧٩) . وابن ماجه في المقدمة ، باب : فيما أنكرت الجهمية ، حديث (١٩٥) (٧٠/١) ولكنهما قالا : بخمس كلمات . وزادا : « **حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** » وكذلك زاد مسلم في الموضع الأول . وأخرجه ابن ماجة مختصرًا حديث (١٩٦) في المقدمة ، باب : ما أنكرت الجهمية (٧١/١) . كلاهما من طريق عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى رضي الله عنه فذكره . ورواه أحمد حديث (١٩٥٨٧ ، ١٩٦٤١ ، ١٩٦٨٨) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - سقط من : ت .

[٣] - في خ ، ز : « لسرعة حركته » .

وقوله : ﴿ **إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم** ﴾ هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر وذلك أن من كان علىٰ شيء ثم أقلع عنه ، ورجع وتاب وأناب ، فإن الله يتوب عليه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدىٰ** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا** ﴾ والآيات في هذا كثيرة جدًا .

وقوله : ﴿ **وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء** ﴾ ، هذه آية أخرىٰ ، ودليل باهر علىٰ قدرة الله الفاعل المختار ، وصدّق من[١] جعل له معجزة ، وذلك أن الله تعالىٰ أمره أن يُدخل يده في جيب دِرْعه ، فإذا أدخلها وأخرجها خَرَجت بيضاء ساطعة ، كأنها قطعة قمر ، لها لمعان يتلألأ كالبرق الخاطف .

وقوله : ﴿ **في تسع آيات** ﴾ أي : هاتان ثنتان من تسع آيات أُوَيدك بهن ، وأجعلهن برهانًا لك إلىٰ فرعون وقومه ، ﴿ **إنهم كانوا قوما فاسقين** ﴾ . وهذه هي الآيات التسع التي قال الله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات** ﴾ كما تقدم تقرير ذلك هنالك .

وقوله ﴿ **فلما جاءتهم آياتنا مبصرة** ﴾ أي : بينة واضحة ظاهرة ﴿ **قالوا هذا سحر مبين** ﴾ ، وأرادوا معارضته بسحرهم ، فغلبوا وانقلبوا صاغرين ﴿ **وجحدوا بها** ﴾ أي في ظاهر أمرهم ﴿ **واستيقنتها أنفسهم** ﴾ أي : علموا في أنفسهم أنها حَقٌّ من عند الله ، ولكن جَحَدُوها وعاندوها وكابروها ﴿ **ظلمًا وعلوًا** ﴾ ، أي : ظلما من أنفسهم ، سَجِيَّة ملعونة ، ﴿ **وعلوًا** ﴾ أي : استكبارًا عن اتباع الحق ؛ ولهذا قال : ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾ أي : انظر يا محمد كيف كان عاقبة كُفرهم ، في إهلاك الله إياهم ، وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة .

وفحوىٰ الخطاب يقول : احذروا أيها المكذبون بمحمد ، الجاحدون لما جاء به من ربه ، أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ، فإن محمدًا - صلوات الله وسلامه عليه - أشرف وأعظم من موسىٰ ، وبرهانه أدل وأقوىٰ من برهان موسىٰ ، بما آتاه الله تعالى من الدلائل المقترنة بوجوده في نفسه وشمائله ، وما سبقه من البشارات من الأنبياء به ، وأخذ المواثيق له ، عليه من ربه أفضلُ الصلاة والسلام .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا

[١] - في خ : « و » .

مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾

يخبر تعالىٰ عما أنعم به علىٰ عبديه ونبييه داود وابنه سليمان - عليهما من الله السلام - من النعم الجزيلة ، والمواهب الجليلة ، والصفات الجميلة ، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة ، والملك والتمكين التام في الدنيا ، والنبوة والرسالة في الدين ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولقد آتينا داود وسليمان علمًا وقالا الحمد لله الذي فضلنا علىٰ كثير من عباده المؤمنين** ﴾ .

قال ابن أبي حاتم : ذكر عن إبراهيم بن يحيى بن تمام : أخبرني أبي ، عن جدي ؛ قال : كتب عمر بن عبد العزيز : إن الله لم ينعم علىٰ عبد نعمة فحمد الله عليها ، إلا كان حمْدهُ أفضلَ من نعمه[١] ، لو كنت لا تعرف ذلك إلا من[٢] كتاب الله المنزل ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **ولقد آتينا داود وسليمان علمًا وقالا الحمد لله الذي فضلنا علىٰ كثير من عباده المؤمنين** ﴾ وأي نعمة أفضلُ مما أوتي داود وسليمان عليهما السلام ؟

وقوله : ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾ أي : في الملك والنبوة ، وليس المراد وِرَاثَةَ المال ؛ إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود ، فإنه قد كان لداود مائةُ امرأة . ولكن المراد بذلك وراثةُ الملك والنبوة ، فإن الأنبياء لا تورث أموالهم ، كما أخبر بذلك رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **نحن معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا[٣] صدقة** »(٣) .

وقوله : ﴿ **يا أيها الناس عُلمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء** ﴾ أي : أخبر سليمان

(٢) صحيح البخاري حديث (٣٢٩٨) من حديث ابن عمر ، رضي الله عنهما .

(٣) رواه البخاري حديث (٦٧٢٧) من حديث عائشة بلفظ : « لا نورث ما تركناه صدقة » . قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٨/١٢) : وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ : « نحن معاشر الأنبياء لانورث » فقد أنكره جماعة من الأئمة ، وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ : « نحن » ، وانظر الفتح .

[١] - في ت : « نعمته » .

[٢] - في ت : « في » .

[٣] - في ت : « تركناه » .

بنعم الله عليه ، فيما وهبه له من الملك التام ، والتمكين العظيم ، حتىٰ إنه سَخَّر له الإِنس والجن والطير ، وكان يعرف لغة الطير والحيوان أيضًا ، وهذا شيء لم يُعطَه أحد من البشر - فيما علمناه - مما أخبر الله به ورسوله . ومن زعم من الجهلة والرِّعاع أنّ الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود - كما يتفوه به كثير من الناس - فهو قولٌ بلا علم ، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة ، إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهائم ، ويعرف ما تقول ، فليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا ، بل لم تزل البهائم والطيور وسائر المخلوقات من وقت خُلقت إلىٰ زماننا هذا علىٰ هذا الشكل والمنوال ، ولكن الله - سبحانه وتعالىٰ - كان قد أفهم سليمان - عليه السلام - ما يتخاطب به الطيور في الهواء ، وما تنطق به الحيوانات علىٰ اختلاف أصنافها ، ولهذا قال : ﴿ **علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء** ﴾ [أي : مما يحتاج إليه المُلك][١] ، ﴿ **إن هذا لهو الفضل المبين** ﴾ ، أي : الظاهر البيّن لِله علينا .

قال الإِمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، قال : « **كان داود - عليه السلام - فيه غيرة شديدة ، فكان إذا خرج أغلقت الأبواب ، فلم يدخل علىٰ أهله أحد حتىٰ يرجع ، قال : فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب ، فأقبلت امرأته[٢] تطلع إلىٰ الدار ، فإذا رجل قائم وسط الدار ، فقالت لمن في البيت : منْ أين دخل هذا الرجل ، والدار مغلقة ؟ والله لنفتضحن بداود ، فجاء داود - عليه السلام - فإذا الرجل قائم وسط الدار ، فقال له داود : من أنت ؟ قال : الذي لا يهاب الملوك ، ولا يمتنع من الحجاب ، فقال داود : أنت والله إذن ملك الموت ، مرحبًا بأمر الله ، فتزمل(*)[٣] داود - عليه السلام - مكانه حتىٰ قبضت نفسه ، حتىٰ فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس ، فقال سليمان - عليه السلام - للطير : أظلي علىٰ داود . فأظلت[٤] عليه الطير حتىٰ أظلمت عليهما[٥] الأرض ، فقال لها سليمان : اقبضي جناحًا جناحًا** » . قال أبو هريرة : يا رسول الله ، كيف فعلت الطير ؟ فقبض رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يده ، وغلبت عليه يومئذ المضرَحيّة (٤) .

قال أبو الفرج بن الجوزي : المضرحية : النسور الحمر .

---

(٤) المسند (٢/٤١٩) ، وقال الهيثمي في المجمع (٨/٢٠٦) : « فيه المطلب بن عبد الله بن حنطب وثقه أبو زرعة وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « امرأة » .
(*) تزمّل فلان : التفّ بثوبه .
[٣] - في خ . ز : « فزمل » .
[٤] - في خ : « فظلت » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون** ﴾ أي : وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير ، يعني : ركب فيهم في أبهة وعظمة كبيرة في الإنس ، وكانوا هم الذين يلونه ، والجن وهم بعدهم في المنزلة ، والطير ومنزلتها فوق رأسه ، فإن كان حرٌّ أظلته منه بأجنحتها .

وقوله : ﴿ **فهم يوزعون** ﴾ أي : يكف[١] أولهم على آخرهم لئلا يتقدم أحد عن منزلته التي هي مرتبة له . قال مجاهد : جعل على كل صنف وَزَعَة ، يردّون أولاها على أخراها ، لئلا يتقدموا في المسير ، كما يفعل الملوك اليوم .

وقوله : ﴿ **حتىٰ إذا أتوا علىٰ وادي النمل** ﴾ أي : حتىٰ إذا مر سليمان - عليه السلام - بمن معه من الجيوش والجنود علىٰ وادي النمل ، ﴿ **قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** ﴾ .

أورد[٢] ابن عساكر من طريق إسحاق بن بشر ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن : أن اسم هذه النملة : حرس ، وأنها من قبيلة يقال لهم : بنو الشيصان ، وأنها كانت عرجاء ، وكانت بقدر الذئب .

أي : خافت علىٰ النمل أن تحطمها الخيول بحوافرها ، فأمرتهم بالدخول إلىٰ مساكنها ، ففهم ذلك سليمان - عليه السلام - عنها[٣] ، ﴿ **فتبسم ضاحكًا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلىٰ والديّ وأن أعمل صالحًا ترضاه** ﴾ ، أي : ألهمني أن أشكر نعمتك التي مننت بها عليّ، من تعليمي منطق الطير والحيوان ، وعلىٰ والديّ بالإسلام لك[٤]، والإيمان بك ، ﴿ **وأن أعمل صالحًا ترضاه** ﴾ ، أي : عملًا تحبه وترضاه ، ﴿ **وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين** ﴾ . أي : إذا توفيتني فألحقني بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأعلىٰ من أوليائك .

ومن قال من المفسرين : إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره ، وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب ، أو غير ذلك من الأقاويل ، فلا حاصل لها .

وعن نوف البكالي أنه قال : كان نمل سليمان أمثال الذياب . هكذا رأيته مضبوطًا بالياء المثناة من[٥] تحت وإنما هو بالباء الموحدة ، وذاك[٦] تصحيف ، والله أعلم .

والغرض أن سليمان - عليه السلام - فهم قولها ، وتبسم ضاحكا من ذلك ، وهذا أمر عظيم جدًّا .

---

[١] - في ت : « يكفوا » .
[٢] - في ز ، خ : « فأورد » .
[٣] - في ت : « منها » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ت : « ذلك » .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا مسْعَر ، عن زيد العَميّ ، عن أبي الصدّيق الناجي قال : خرج سليمان - عليه السلام - يستسقي ، فإذا هو بنملة مستلقية علىٰ ظهرها ، رافعة قوائمها إلىٰ السماء ، وهي تقول : اللهم ، إنّا خلق من خلقك ، ولا غنىٰ بنا عن سقياك ، وإلا تسقنا تهلكنا . فقال سليمان - عليه السلام - : « **ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم** » .

وقد ثبت في الصحيح - عند مسلم - من طريق عبد الرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - : « **قَرَصتْ نبيًا من الأنبياء نملةٌ فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح؟ فهلا نملة واحدة** »(٥) .

﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٢١ ﴾

قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وغيرهما عن ابن عباس وغيره : كان الهدهد مهندسًا ، يدل سليمان - عليه السلام - علىٰ الماء ، إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء في تخوم الأرض ، كما يرىٰ الإنسان الشيء الظاهر علىٰ وجه الأرض ، ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض ، فإذا دلهم عليه أمر سليمان - عليه السلام - الجان فحفروا له ذلك المكان ، حتىٰ يستنبطوا[١] الماء من قراره ، فنزل سليمان - عليه السلام - بفلاة من الأرض ، فتفقد الطير ليرىٰ الهدهد ، فلم يره ، ﴿ **فقال ما لي لا أرىٰ الهدهد أم كان من الغائبين** ﴾ .

حدث يومًا عبد الله بن عباس بنحو هذا ، وفي القوم رجل من الخوارج ، يقال له : « **نافع بن الأزرق** » ، وكان كثير الاعتراض علىٰ ابن عباس ، فقال له : قف يا ابا[٢] عباس ، غُلبت اليوم ! قال : ولم ؟ قال : إنك تخبر عن الهدهد أنه يرىٰ الماء في تخوم الأرض ، وإن الصبيّ ليضع له الحبة في الفخ ويحثو علىٰ الفخ ترابًا ، فيجيء الهدهد فيأخذها[٣] فيقع في الفخ ، فيصيده الصبيّ . فقال ابن عباس : لولا أن يذهب هذا فيقول : رددت علىٰ ابن عباس ، لما أجبته . فقال له : ويحك ! إنه إذا نزل القَدَر عَمِيَ البصر ، وذهب الحَذَر . فقال له نافع : والله لا أجادلك في شيء من القرآن أبدًا(٦) .

---

(٥) صحيح مسلم حديث (٢٢٤١) .

(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٢/٤٠٥) من طريق المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير بنحوه .

---

[١] - في م : « يستنبط » .

[٢] - في ت : « ابن » .

[٣] - في ت : « ليأخذها » .

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر(٧) في ترجمة [أبي عبد الله البَرْزيّ][١] - من أهل « بَرْزَة » من غوطة[٢] دمشق ، وكان من الصالحين يصوم الإثنين والخميس ، وكان أعور قد بلغ الثمانين - فروىٰ ابن عساكر بسنده إلىٰ أبي سليمان بن يزيد[٣] : [أنه سأله][٤] عن سبب عَوَره ، فامتنع عليه ، فألح عليه شهورًا ، فأخبره أن رجلين من أهل خراسان نزلا عنده جمعة في قرية برزة ، وسألاه عن [واديها][٥] ، فأريتهما إياه ، فأخرجا مجامرَ وأوقدا فيها بخورًا كثيرًا ، حتىٰ عجعج الوادي بالدخان ، فأخذا يُعْزمان والحيات تقبل من كل مكان إليهما ، فلا يلتفتان إلىٰ شيء منها[٦] ، حتىٰ أقبلت حية نحو الذراع ، وعيناها توقدان مثل الدينار ، فاستبشرا بها عظيمًا ، وقالا : الحمد للّٰه الذي لم يُخَيب سفرنا من سنة ، وكسرا المجامر ، وأخذا الحية فأدخلا في عينها ميلًا فاكتحلا به ، فسألتهما أن يكحلاني ، فأبيا ، فألححت عليهما وقلت : لابد من ذلك ، وتوعدتهما بالدّولة ، فكحلا عيني الواحدة اليمنىٰ ، فحين وقع في عيني نظرت إلىٰ الأرض تحتي مثل المرآة ، أنظر ما تحتها كما تُوري[٧] المرآة ، ثم قالا لي : سر معنا قليلًا ، فسرت معهما وهما[٨] يحدثاني ، حتىٰ إذا[٩] بعدت عن القرية ، أخذاني فكتفاني ، وأدخل أحدهما يده في عيني ففقأها ، ورمىٰ بها ومضيا ، فلم أزل كذلك ملقى مكتوفًا، حتىٰ مر بي نفر فَفَكّ وَثَاقي . فهذا ما كان من خبر عيني .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة بن عمرو الغساني ، حدثنا عَباد بن ميسرة المنقري ، عن الحسن قال : اسم هدهد سليمان عليه السلام : عنبر .

وقال محمد بن إسحاق : كان سليمان - عليه السلام - إذا غدا إلىٰ مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد[١٠] الطير ، وكان فيما يزعمون يأتيه نُوبٌ من كل صنف من الطير ، كلّ يوم طائر ، فنظر فرأىٰ من أصناف الطير كلّها من حَضَره إلا الهدهد ، ﴿ **فقال ما لي لا أرىٰ الهدهد أم كان من الغائبين** ﴾ ، أخطأه بصري من الطير ، أم غاب فلم يحضر ؟

وقوله : ﴿ **لأعذبنه عذابًا شديدًا** ﴾ قال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد ، عن

(٧) تاريخ دمشق (١٩/١٣٠ « المخطوط ») .

[١] - في خ : « عبد الله أبي البزي » وهو خطأ من الناسخ .
[٢] - في خ ، ز : « حولط » .
[٣] - في خ ، ز : « زيد » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « وادِ بها » .
[٦] - في ز : « منهما » .
[٧] - في ت : « ترى » .
[٨] - في ز : « هم » .
[٩] - سقط من : خ ، ز .
[١٠] - في ز : « فتفقد » .

ابن عباس[١] : يعني نتف ريشه .

وقال عبد الله بن شداد : نتفُ ريشه وتشميسه . وكذا قال غير واحد من السلف : إنه نتفُ ريشه ، وتركه مُلقىً يأكله الذر والنمل .

وقوله : ﴿ **أو لأذبحنه** ﴾ يعني : قتله ﴿ **أو ليأتيني بسلطان مبين** ﴾ أي : بعذر واضح بين .

[قال][٢] سفيان بن عيينة ، وعبد الله بن شداد : لما قدم الهدهد قال له الطير : ما خلفك ، فقد نذر سليمان دمك ! فقال : هل استثنى ؟ فقالوا : نعم . قال : ﴿ **لأعذبنه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين** ﴾ ، فقال : نجوت إذًا .

قال مجاهد : إنما دفع عنه بيره بأمه .

فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ
﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ
﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى
يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى : ﴿ **فمكث** ﴾ الهدهد ﴿ **غير بعيد** ﴾ أي : غاب زمانًا يسيرًا ، ثم جاء فقال لسليمان : ﴿ **أحطتُ بما لم تحط به** ﴾ ، أي : اطلعت على ما لم تطلع عليه أنت ولا جنودك ، ﴿ **وجئتك من سبأ بنبأ يقين** ﴾ ، أي : بخبر صدق حقّ يقين ، وسبأ : هم حمير ، وهم ملوك اليمن .

ثم قال : ﴿ **إني وجدت امرأة تملكهم** ﴾ ، قال الحسن البصري : وهي بلقيس بنت شَرَاحيل ملكة سبأ .

وقال قتادة : كانت أمها جنية ، وكان مؤخر قدميها مثل حافر الدابة ، من بيت مملكة . وقال زهير بن محمد : هي بلقيس بنت شَرَاحيل بن مالك بن الريان ، وأمها فارعة الجنية .

---

[١] - في ت : « عياش » . [٢] - في ت : « وقال » .

وقال ابن جريج : بلقيس بنت ذي شرخ ، وأمها بلتقة .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا مسدد ، حدثنا سفيان - يعني ابن عيينة - عن عطاء بن السائب ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ قال : [كان مع][١] صاحبة سليمان ألفُ قَيْل ، تحت كل قيل مائة ألف .

وقال الأعمش ، عن مجاهد : كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل ، تحت كل قَيْل : مائة ألف مقاتل .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ **إني وجدت امرأة تملكهم** ﴾ ، كانت من بيت مملكة ، وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني[٢] عشر رجلًا ، كل رجل منهم علىٰ عشرة آلاف رجل . وكانت بأرض يقال لها : مأرب ، علىٰ ثلاثة أميال من صنعاء . وهذا القول هو أقرب على أنه كثير على مملكة[٣] اليمن ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وأوتيت من كل شيء** ﴾ ، أي : من متاع الدنيا ما يحتاج إليه الملك المتمكن ، ﴿ **ولها عرش عظيم** ﴾ ، يعني : سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب ، وأنواع الجواهر واللآلئ .

قال زهير بن محمد : كان من ذهب صفحتاه مرمولة[٤] بالياقوت والزبرجد [طوله ثمانون ذراعًا ، وعرضه أربعون ذراعًا .

وقال محمد بن إسحاق : كان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد][٥] واللؤلؤ ، وكان إنما يخدمها[٦] النساء ، لها ستمائة امرأة [تليها للخدمة][٧] .

قال علماء التاريخ : وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم ، كان فيه ثلاثمائة وستون طاقة من شرقه ومثلها من غربه ، قد وضع بناؤه علىٰ أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة ، وتغرب من مقابلتها ، فيسجدون لها صباحًا ومساء ، ولهذا قال : ﴿ **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل** ﴾ أي : عن طريق الحق ، ﴿ **فهم لا يهتدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ألّا يسجدوا لله** ﴾ . [معناه : ﴿ **وزين لهم الشيطان أعمالهم ، فصدهم عن**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « اثنا » .
[٣] - في ت : « مملكته » .
[٤] - في ت : « مرمرل » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في خ ، ز : « يحدثها » .
[٧] - في ت : « تلي الخدمة » .

السبيل ، فهم لا يهتدون * ألاّ يسجدوا لله ﴾[١] أي : لا يعرفون سبيل الحق التي هي إخلاص السجود للّه وحده دون ما خلق من شيء من الكواكب وغيرها ، كما قال تعالىٰ : **﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا للّه الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾** ، وقرأ بعض القراء (ألا يا اسجدوا لله)(*) جعلها : « **ألا** » الاستفتاحية ، و « **يا** » النداء[٢] ، وحذف المنادىٰ ، تقديره عنده : « **ألا يا قوم ، اسجدوا لله** » .

وقوله : **﴿ الذي يخرج الخبء في السمٰوات والأرض ﴾** ، قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : يعلم كل خبيئة في السماء والأرض . وكذا قال عكرمة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وغير واحد .

وقال سعيد بن المسيب : الخَبْء : الماء . وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : خبء السمٰوات والأرض : ما جعل فيها من الأرزاق ؛ المطر من السماء ، والنبات من الأرض . وهذا مناسب من كلام الهدهد ، الذي جعل اللّه فيه من الخاصية ما ذكره ابن عباس وغيره ، من[٣] أنه يرىٰ الماء يجري في تخوم الأرض ودواخلها .

وقوله : **﴿ ويعلم [ما تخفون وما تعلنون[٤] ﴾** أي : يعلم ما يخفيه العباد ، وما يعلنونه من الأقوال والأفعال ؛ وهذا كقوله تعالىٰ : **﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾** .

وقوله : **﴿ اللّه لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾** أي : هو المدعو الله ، وهو الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم ، الذي ليس في المخلوقات أعظم منه .

ولما كان الهدهد داعيًا إلىٰ الخير ، وعبادة اللّه وحده والسجود له ، نهي عن قتله ، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة ، عن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال : نهىٰ النبي - صلىٰ اللّه عليه وسلم - عن قتل أربع من الدواب : النملة ، والنحلة ، والهدهد ، والصُّرَد . وإسناده صحيح(٨) .

---

(٨) لم يروه من حديث أبي هريرة إلا ابن ماجة حديث (٣٢٢٣) بلفظ : « نهى رسول الله - صلى =

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

(*) قال ابن مجاهد : كُلُّهم شدد اللام في : ﴿ ألّا يسجدوا ﴾ غيرَ الكسائي فإنه خففَّها ولم يجعل فيها « أنْ » ، ووقف : ﴿ ألا يا ﴾ ثم ابتدأ ﴿ اسجدوا ﴾ كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٤٨٠) .

[٢] - في ت : « للنداء » . [٣] - في ز ، خ : « ما » .

[٤] - في ز ، خ : « ما يخفون وما يعلنون » . وهي قراءة الجمهور . وأثبتنا قراءة حفص عن عاصم ، وهي قراءة الكسائي أيضًا . انظر السبعة (ص٤٨٠) .

۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

يخبر تعالىٰ عن قيل سليمان - عليه السلام - للهدهد حين أخبره عن أهل[١] سبإ وملكتهم : ﴿ **قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين** ﴾ ، أي : أصدقت في إخبارك هذا ، ﴿ **أم كنت من الكاذبين** ﴾ في مقالتك ، فتتخلص من الوعيد الذي أوعدتك ﴿ **اذهب بكتابي هذا فألْقِهْ إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون** ﴾ ، وذلك أن سليمان - عليه السلام - كتب كتابًا إلىٰ بلقيس وقومها ، وأعطاه لذلك الهدهد فحمله - قيل : في جناحه كما هو عادة الطير ، وقيل : بمنقاره - وذهب إلىٰ بلادهم فجاء إلىٰ قصر بلقيس ، إلىٰ الخلوة التي كانت تختلي فيها بنفسها ، فألقاه إليها من كُوَّةٍ هنالك بين يديها ، ثم تولىٰ ناحية أدبًا ورياسة ، فتحيرتْ مما رأتْ ، وهالها ذلك ، ثم عمدت إلىٰ الكتاب فأخذته ، ففتحت ختمه وقرأته ، فإذا فيه : ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألّا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين** ﴾ فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها ، ثم قالت لهم : ﴿ **يا أيها الملأ إني[٢] ألقي إليّ كتاب كريم** ﴾ ، تعني بكرمه ما رأته من عجيب أمره ، كون طائر أتىٰ به فألقاه إليها ، ثم تولىٰ عنها أدبًا . وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ، ولا سبيل لهم إلىٰ ذلك ، ثم قرأته عليهم ، ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألّا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين** ﴾ ؛ فعرفوا أنه من نبي الله سليمان ، وأنه لا قِبَل لهم به ، وهذا الكتاب في غاية البلاغة والوَجَازة والفصاحة ، فإنه حَصّل المعنىٰ بأيسر عبارة وأحسنها ، قال العلماء : ولم يكتب أحد ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ قبل سليمان عليه السلام.

وقد روىٰ ابن أبي حاتم في ذلك حديثًا في تفسيره ، حيث قال : حدثنا أبي ، حدثنا هارون ابن الفضل أبو يعلىٰ الحناط[٣]، حدثنا أبو يوسف، عن سلمة بن صالح ، [عن عبد الكريم][٤] أبي أمية عن ابن[٥] بُرَيْدَة ، عن أبيه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم

= الله عليه وسلم - عن قتل الصرد والضفدع والنملة والهدهد » . وهو بهذا اللفظ من حديث ابن عباس في مسند الإمام أحمد (١/٣٣٢) وسنن أبي داود حديث (٥٢٦٧) وسنن ابن ماجة حديث (٣٢٢٤) .

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « إنه » .

[٣] - في ز ، خ : « الخياط » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٥] - سقط من : ز .

فقال : « **إني أعلم آية**[١] **لم تنزل**[٢] **على نبيّ قبلي بعد سليمان بن داود** » . قال : قلت : يا رسول الله ، أيّ آية ؟ قال : « **سأعلمكها**[٣] **قبل أن أخرج من المسجد** » . قال : فانتهى إلى الباب ، فأخرج إحدى قدميه ، فقلت : نسيَ ، ثم التفت إليّ فقال[٤] :« ﴿ **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ »(٩) . هذا حديث غريب وإسناده ضعيف .

وقال ميمون بن مهران : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب : باسمك اللهم ، حتى نزلت هذه الآية ، فكتب : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ألا تعلوا علي** ﴾ ، يقول قتادة : لا تجبروا علي[٥] ، وأتوني مسلمين.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : لا تمتنعوا ولا تتكبروا عليّ ﴿ **وأتوني مسلمين** ﴾ قال ابن عباس: موحدين. وقال غيره: مخلصين. وقال سفيان بن عيينة: طائعين .

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ (٣٥)

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها ، وما قد نزل بها ؛ ولهذا قالت : ﴿ **يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون** ﴾ أي : حتى تحضرون وتشيرون . ﴿ **قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد** ﴾ أي : مَتُّوا[٦] إليها بعَدَدهم وعُدَدهم وقوتهم ، ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا : ﴿ **والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين** ﴾ أي : نحن ليس لنا عاقة، [ولا بنا بأس . إن شئت أن تقصديه وتحاربيه ، فما لنا عاقة][٧] عنه ، وبعد هذا فالأمر إليك ، مري فينا برأيك نمتثله ونطعه[٨] .

قال الحسن البصري -رحمه الله- : فوضوا أمرهم إلى عِلْجَة(*) يضطرب ثدياها ، فلما قالوا لها ما قالوا ، كانت هي أحزمَ رأيًا منهم ، وأعلم بأمر سليمان ، وأنه لا قبل لها بجنوده

(٩) ورواه أبو نعيم في تاريخ أصفهان (١٨٧/٢) من طريق الحسين بن حفص عن أبي يوسف به .

[١] - في خ ، ز : « أنه » .
[٢] - في ز ، خ : « ينزل » .
[٣] - في ز : « ما علمكها » .
[٤] - في ت : « وقال » .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ت : « منُّوا » .
[٧] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٨] - في ز ، خ : « نطيعه » .

(*) العِلْج : الرجل من كُفَّار العجم .

وجيوشه ، وما سُخِّر له من الجن والإنس والطير ، وقد شاهَدَت من قضية الكتاب مع الهدهد أمرًا عجيبًا بديعًا ، فقالت لهم : إني أخشىٰ أن نحاربه ونمتنع عليه ، فيقصدنا بجنوده ، ويهلكنا بمن معه ، ويخلص إليّ وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا ؛ ولهذا قالت : ﴿ **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها** ﴾ .

قال ابن عباس : أي : إذا دخلوا بلدًا عنوة أفسدوه ، أي : خرَّبوه ، ﴿ **وجعلوا أعزة أهلها**[١] **أذلة** ﴾ ، أي : وقصدوا من فيها من الولاة والجنود ، فأهانوهم غاية الهوان ، إما بالقتل أو بالأسر .

قال ابن عباس : قالت بلقيس : ﴿ **إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة** ﴾ ، قال الرب عز وجل : ﴿ **وكذلك يفعلون** ﴾ .

ثم عدلت إلىٰ المهادنة والمصالحة والمسالمة والمخادعة والمصانعة ، فقالت : ﴿ **وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون** ﴾ أي : سأبعث إليه بهدية تليق به ، وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك ، فلعله يقبل ذلك ويكف عنا ، أو يضرب علينا خَرَاجًا نحمله إليه في كل عام ، ونلتزم له بذلك ويترك[٢] قتالنا ومحاربتنا . قال قتادة : رحمها الله ورضي عنها ، ما كان أعقَلَهَا في إسلامها وفي شركِهَا ! ! علمت أن الهدية تقع موقعًا من الناس .

[وقال][٣] ابن عباس وغير واحد : قالت لقومها : إن قَبِلَ الهدية فهو ملك فقاتلوه ، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه .

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾

ذكر غير واحد من المفسرين ، من السلف وغيرهم : أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآليء وغير ذلك . وقال بعضهم : أرسلت إليه بلَبِنَة من ذهب ، والصحيح أنها أرسلت إليه[٤] بآنية من ذهب . قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وغيرهما : وأرسلت جواري في زيّ الغلمان ، وغلمان في زيّ الجواري ، وقالت : إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبيّ . قالوا : فأمرهم - عليه السلام - أن يتوضئوا ، فجعلت الجارية تُفرغ علىٰ يدها من الماء ، وجعل الغلام يغترف ، فميزهم بذلك .

---

[١] - في ز : « أهله » .
[٢] - في ز ، خ : « نترك » .
[٣] - في ت : « قال » .
[٤] - سقط من : ت .

وقيل : بل جعلت الجارية تغسل باطن زندها قبل ظاهره ، والغلام بالعكس .

وقيل : بل جعلت الجواري يغتسلن من أكفهن إلىٰ مرافقهن ، والغلمان من مرافقهم إلىٰ أكفهم . ولا منافاة بين ذلك كله ، والله أعلم .

وذكر بعضهم : أنها أرسلت إليه بقدح ليملأه ماء رواء[١] ، لا من السماء ولا من الأرض ، فأجرىٰ الخيل حتىٰ عرقت ، ثم ملأه من ذلك . وبخرزة وسلك فيجعله[٢] فيها ، ففعل ذلك . والله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات ، والظاهر أن سليمان - عليه السلام - لم ينظر إلىٰ ما جاءوا به بالكلية ، ولا اعتنىٰ به ، بل أعرض عنه ، وقال منكرًا عليهم ؛ ﴿ **أتمدونن بمال** ﴾ أي : أتصانعونني بمال لأتركّكم علىٰ شرككم وملككم ؟ ! ﴿ **فما آتاني الله خير مما آتاكم** ﴾ أي : الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود - خيرٌ مما أنتم فيه ، ﴿ **بل أنتم بهديتكم تفرحون** ﴾ ، أي : أنتم الذين تنقادون للهدايا والتحف ، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف .

قال الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، -رضي الله عنه - : أمر سليمانُ الشياطينَ فموّهوا له ألف قصر من ذهب وفضة . فلما رأت رسلُها ذلك قالوا : ما يصنع هذا بهديتنا وفي هذا دلالة علىٰ [جواز تهيؤ][٣] الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصاد .

﴿ **ارجع إليهم** ﴾ أي : بهديتهم ، ﴿ **فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُم بِهَا** ﴾ ، أي : لا طاقة لهم بقتالهم ، ﴿ **ولنخرجنهم منها** ﴾ ، أي : من بلدهم ﴿ **أذلة وهم صاغرون** ﴾ ، أي : مهانون مدحورون .

فلما رجعت إليها رسلُها بهديتها ، وبما قال سليمان ، سمعت وأطاعت هي وقومها ، وأقبلت تسير إليه في جنودها خاضعة ذليلة ، معظمة لسليمان ، ناوية متابعته في الإسلام ، ولما تحقق سليمان - عليه السلام - قدومهم عليه ، ووفودهم إليه ، فرح بذلك وسَرَّه .

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ
ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى
عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا

---

[١] - في ز ، خ : « دواء » . [٢] - في ت : « ليجعله » .

[٣] - في ز ، خ : « نهي جواز » .

﴿عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠﴾

قال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومان ، قال : فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت : قد ، والله ، عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة ، وما نصنع بمكابرته[١] شيئًا . وبعثت إليه : إني قادمة عليك [ ][٢] بملوك قومي ، لأنظر ما أمرُك وما تدعونا إليه من دينك . ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه - وكان من ذهب مُفَصَّص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ - فجعل[٣] في سبعة أبيات ، بعضها في بعض ، ثم أقفلت عليه الأبواب ، ثم قالت لمن خَلفت[٤] علىٰ سلطانها ، احتفظ بما قبلك وسرير ملكي ، فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ، وَلايَرَينَّه أحد[٥] حتىٰ آتيك . ثم شَخَصَت إلىٰ سليمان في اثني عشر ألفًا[٦] قَيْلٍ من ملوك اليمن ، تحت يدي كل قَيل منهم ألوف كثيرة . فجعل سليمان يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة ، حتىٰ إذا دَنت جمع مَنْ عنده مِنَ الجن والإِنس ، ممن تحت يديه ، فقال : ﴿ **يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين** ﴾ .

وقال قتادة : لما[٧] بلغ سليمان أنها جائية ، وكان قد ذُكر له عرشها فأعجبه ، وكان من ذهب ، وقوائمه لؤلؤ وجوهر ، وكان مسترًا بالديباج والحرير ، وكانت عليه تسعة مغاليق ، فكره أن يأخذه بعد إسلامهم . وقد علم نبيّ الله أنهم متىٰ أسلموا تحرم أموالهم مع دمائهم فقال : ﴿ **يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين** ﴾ .

وهكذا قال عطاء الخراساني، والسدّي، وزُهير بن محمد : ﴿ **قبل أن يأتوني مسلمين** ﴾ ، فتحرم عليَّ أموالهم بإسلامهم .

﴿ **قال عفريت من الجن** ﴾ ، قال مجاهد : أي مارد من الجن. قال شعيب الجبائي : وكان اسمه كوزن. وكذا قال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، وكذا قال أيضًا وهب بن منبه . قال أبو صالح : وكان كأنّه جبل .

﴿ **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** ﴾ ، قال ابن عباس : يعني قبل أن تقوم من مجلسك . وقال مجاهد : متعدك . وقال السدي وغيره : كان يجلس للناس للقضاء

---

[١] - في ت : « بمكاثرته » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « قادمة » .

[٣] - في ز ، خ : « يجعل » .

[٤] - في خ : « خالفت » .

[٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - سقط من : خ ، ز .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

والحكومات ، وللطعام من أول النهار إلىٰ أن تزول الشمس .

﴿ وإني عليه لقوي أمين ﴾ قال ابن عباس : أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجوهر .

فقال سليمان عليه السلام : أريد أعجل من ذلك . ومن هاهنا يظهر أن النبي سليمان أراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهبه الله تعالى له[١] من الملك ، وسَخَّر له من الجنود ، الذي لم يُعْطَه أحد من[٢] قبله ، ولا يكون لأحد من بعده ، وليتخذ ذلك حجة علىٰ نبوته عند بلقيس وقومها ؛ لأن هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يَقْدَموا عليه . هذا وقد حجبته بالأغلاق والأقفال والحفظة[٣] . فلما قال سليمان[٤] : أريد أعجل من ذلك ، ﴿ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴾ ، قال ابن عباس : وهو آصف كاتب سليمان . وكذا رَوَىٰ محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان : أنه آصف بن برخياء ، وكان صدّيقًا يعلم الاسم الأعظم .

وقال قتادة : كان مؤمنًا من الإِنس ، واسمه آصف . وكذا قال أبو صالح ، والضحاك ، وقتادة : إنه كان من الإِنس . زاد قتادة : من بني إسرائيل .

وقال مجاهد : كان اسمه أسطوم . وقال قتادة - في رواية عنه : كان اسمه بليخا .

وقال زهير بن محمد : هو رجل من الإنس يقال له : ذو النور .

وزعم عبد الله بن لهيعة أنه الخضر ، وهو غريب جدًّا .

وقوله : ﴿ أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ﴾ أي : ارفع بصرك وانظر مَدّ بصرك مما تقدر عليه ، فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك .

وقال وهب بن منبه : امدد بصرك فلا يبلغ مداه حتى آتيك به .

فذكروا أنه أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب، ثم قام فتوضأ ، ودعا الله - عز وجل .

قال مجاهد : قال[٥] : يا ذا الجلال والإِكرام . وقال الزهري : قال[٦] : يا إلهنا وإله كل شيء ، إلهًا واحدًا ، لا إله إلا أنت ، ائتني بعرشها . قال : فتمثل[٧] له بين يديه .

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ ، ز : « والحفظ » .
[٤] - سقط من : خ ، ز .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - سقط من : ز ، خ .
[٧] - في ز ، خ : « تمثل » .

قال مجاهد ، وسعيد بن جبير ، ومحمد بن إسحاق ، وزهير بن محمد ، وغيرهم : لما دعا الله عز وجل ، وسأله أن يأتيه بعرش بلقيس - وكان في اليمن ، وسليمان عليه السلام ببيت المقدس - غاب السرير ، وغاص في الأرض ، ثم نبع من بين يديّ سليمان عليه السلام .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، لم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه . قال : وكان هذا الذي جاء به من عُبّاد البحر ، فلما عاين سليمان ومَلَؤه ذلك ، ورآه مستقرًا عنده ، ﴿ **قال هذا من فضل ربي** ﴾ ، أي : هذا من نعم الله عليّ ، ﴿ **ليبلوني** ﴾ ، أي : ليختبرني ﴿ **أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه** ﴾ ، كقوله : ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها** ﴾ وقوله : ﴿ **ومن عمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن كفر فإن ربي غنيّ كريم** ﴾ ، أي : هو غنيّ عن العباد وعبادتهم ، ﴿ **كريم** ﴾ ، أي : كريم في نفسه ، وإن لم يعبده أحد ، فإن عظمته ليست مفتقرة إلىٰ أحد ، وهذا كما قال موسىٰ : ﴿ **إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعًا فإن الله لغنيّ حميد** ﴾ .

وفي صحيح مسلم : « **يقول الله تعالىٰ : يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنّكم ، كانوا على أتقىٰ قلب رجل منكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا علىٰ أفجر قلب رجل منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا ، يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، [ثم أوفيكم إياها]**[1] ، **فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه** »(١٠) .

قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

لما جيء سليمان - عليه السلام - بعرش بلقيس قبل قدومها ، أمر به أن يغير بعض صفاته ، ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته ، هل تقدم علىٰ أنه عرشها أو أنه ليس به ، فقال :

(١٠) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب حديث (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

﴿ نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون ﴾ .

[قال][١] ابن عباس : نزع عنه فصوصه ومرافقه . وقال مجاهد : أمر به فغُيّر ، ما كان أحمر جُعل أصفر ، وما كان أصفر جُعل أحمر ، وما كان أخضر جُعل أحمر ، غيّرَ كلَّ شيءٍ عن حاله . وقال عكرمة : [زادوا][٢] فيه ونقصوا .

[وقال قتادة : جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره ، وزادوا فيه ونقصوا][٣] .

﴿ فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ﴾ أي : عرض عليها عرشها[٤] ، وقد غُيّر ونُكّر ، وزيد فيه ونقص منه[٥] ، فكان فيها ثبات وعقل ، ولها لُبّ ودهاء وحزم ، فلم تقدم علىٰ أنه هو لبعد مسافته عنها ، ولا أنه غيره ، لما رأت من آثاره وصفاته ، وإن غير وبدل ونكر ، فقالت : ﴿ كأنه هو ﴾ أي[٦] : يشبهه ويقاربه . وهذا غاية في الذكاء والحزم .

وقوله : ﴿ وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ قال مجاهد : سليمان يقوله .

وقوله : ﴿ وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ﴾ هذا من تمام كلام سليمان - عليه السلام - في قول مجاهد ، وسعيد بن جبير - رحمهمَا الله - أي : قال سليمان : ﴿ و[٧]أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ﴾ ، وهي كانت قد صدها ، أي : منعها من عبادة الله وحده ﴿ ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ﴾ . وهذا الذي قاله مجاهد وسعيد - حَسَنٌ ، وقاله ابن جرير أيضًا .

ثم قال ابن جرير : ويحتمل أن يكون في قوله : ﴿ وصدها ﴾ ، ضمير يعود إلىٰ سليمان ، أو إلىٰ الله عز وجل ، تقديره : ومنعها ﴿ ما كانت تعبد من دون الله ﴾ . أي : صدها عن عبادة [غير الله][٨] ، ﴿ إنها كانت من قوم كافرين ﴾ .

قلت : ويؤيد قول مجاهد : أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح كما سيأتي .

وقوله : ﴿ قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ﴾ ، وذلك أن سليمان - عليه السلام - أمر الشياطين فبنوا له قصرًا عظيمًا من قوارير ، أي : من زجاج ، وأجرىٰ تحته الماء ، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه ، واختلفوا في السبب الذي دعا سليمان - عليه السلام - إلىٰ اتخاذه ، فقيل : إنه لما عزم علىٰ تَزْويجِها واصطفائها لنفسه ، ذكر له جمالها وحسنها ، ولكن في ساقيها هُلْبٌ(*) عظيم ،

[١] - في ت : « وقال » .
[٢] - في ت : « وزادوا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - سقط من : خ ، ز .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - سقط من : ز ، خ .
[٨] - ما بين المعكوفتين في ز : « الله غير » .
(*) الهُلْبُ : ما غَلُظَ وصُلب من الشَّعر .

ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابّة ، فساءه ذلك ، فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا ؛ هذا قول محمد بن كعب القُرَظي وغيره . فلما دخلت وكشفت عن ساقيها ، رأىٰ أحسن الناس وأحسنه قدمًا ، ولكن رأىٰ[١] علىٰ رجليها شعرًا[٢] ، لأنها ملكة ليس لها بعل ، فأحب أن يذهب ذلك عنها ، فقيل لها : الموسىٰ ؟ فقالت : لا أستطيع ذلك . وكره سليمان ذلك ، وقال للجن : اصنعوا شيئًا غير الموسىٰ يذهب به هذا الشعر ، فصنعوا له النورَةَ . وكان أول من اتخذت له النّوْرَة . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب القرظي ، والسدي ، وابن جريج ، وغيرهم .

و[٣]قال محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رُومَان : ثم قال لها : ادخلي الصرح ، ليريها مُلْكًا هو أعزّ من ملكها ، وسلطانًا هو أعظم من سلطانها . فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها ، لا تشك إلا أنه ماء تخوضه ، فقيل لها : إنه صرح مُمَرّد من قوارير ، فلما وقفت علىٰ سليمان دعاها إلىٰ عبادة الله ، وعاتبها في عبادتها [الشمس من][٤] دون الله .

وقال الحسن البصري : لما رأت العِلْجَة الصرح عرفت - والله - أن قد رأت[٥] ملكًا أعظم من ملكها .

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه قال : أمر سليمان بالصرح ، وقد عملته له الشياطين من زجاج ، كأنه الماء بياضًا . ثم أرسل الماء تحته ، ثم وضع له فيه سريره ، فجلس عليه ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، ثم قال : ادخلي الصرح ، ليريها ملكا هو أعز من ملكها ، وسلطانًا هو أعظم من سلطانها ، ﴿ **فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها** ﴾ ، لا تشك أنه ماء تخوضه ، قيل لها : ﴿ **إنه صرح مُمَرّد من قوارير** ﴾ ، فلما وقفت علىٰ سليمان ، دعاها إلىٰ عبادة الله عز وجل ، وعاتبها في عبادتها الشمس من دون الله ، فقالت بقول الزنادقة ، فوقع سليمان ساجدًا إعظامًا لما قالت ، وسجد معه الناس ، فسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع ، فلما رفع [سليمان][٦] رأسه قال : ويحكِ ! ماذا قلت ؟ - قال : وأنسيت ما قالت - فقالت[٧] : ﴿ **رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين** ﴾ ، فأسلمت وحسن إسلامها .

وقد روى الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا أثرًا غريبًا عن ابن عباس قال :

حدثنا الحسين بن عليّ ، عن زائدة ، حدثني عطاء بن السائب ، حدثنا مجاهد - ونحن في الأزد - قال : حدثنا ابن عباس ، قال : كان سليمان - عليه السلام - يجلس علىٰ سريره ، ثم

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « شعر » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - ما بين المعكوفتين في خ، ز: «الشيطان» .
[٥] - في خ ، ز : « أوبت » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٧] - سقط من : ز .

تُوضَعُ كراسيّ حوله ، فيجلس عليها الإنس ، ثم يجلس الجن ، ثم الشياطين ، ثم تأتي الريح فترفعهم ، ثم تظلهم الطير ، ثم يغدون[١] قدر ما يشتهي الراكب ، أن ينزل[٢] شهرًا ورواحها شهرًا ، قال : فبينما هو ذات يوم في مسير له ، إذ تفقد الطير ففقد[٣] الهدهد فقال[٤] : ﴿ **ما لي لا أرىٰ الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذابًا شديدًا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين** ﴾ ، قال : فكان عذابه إياه أن ينتفه ، ثم يلقيه [بالأرض][٥] ، فلا يمتنع من نملة ، ولا من شيء من هوام الأرض .

قال عطاء : وذكر سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس مثل حديث مجاهد . ﴿ **فمكث غير بعيد** ﴾ فقرأ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قوله : ﴿ **سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * اذهب بكتابي هذا** ﴾ وكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلىٰ بلقيس ، ﴿ **ألّا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين** ﴾ ، [فلما ألقىٰ الهدهد الكتابَ إليها ، ألقى في رُوعها : إنه كتاب كريم ، وإنه من سليمان ، وأن لا تعلوا عليّ وائتوني مسلمين . قالوا : نحن أولو قوة][٦] . قالت : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وإني مرسلة إليهم بهدية . فلما جاءت الهدية سليمان قال : أتمدونني بمال ، ارجع إليهم . فلما نظر إلىٰ الغبار - أخبرنا ابن عباس قال : وكان بين سليمان وبين ملكة سبإ ومن معها حين نظر إلىٰ الغبار كما بيننا وبين الحيرة[٧] ، قال عطاء : ومجاهد حينئذ في الأزد - قال سليمان : أيكم يأتيني بعرشها ؟ قال : وبين عرشها وبين سليمان حين نظر إلىٰ الغبار مسيرة شهرين ، ﴿ **قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** ﴾ ، قال : وكان لسليمان مجلس يجلس فيه للناس ، كما يجلس الأمراء ثم يقوم . قال : ﴿ **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** ﴾ ، قال سليمان : أريد أعجل من ذلك . فقال الذي عنده علم من الكتاب : أنا أنظر في كتاب ربي ، ثم آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك . [قال : فنظر إليه سليمان فلما قطع كلامه رد سليمان بصره][٨] ، فنبع عرشها من تحت قدم سليمان ، من تحت كرسيّ كان لسليمان[٩] ، يضع عليه رجله ، ثم يصعد إلىٰ السرير . قال : فلما رأىٰ سليمان عرشها قال : ﴿ **هذا من فضل ربي** ﴾ ، ﴿ **قال نكروا لها عرشها** ﴾ ، فلما جاءت قيل لها : أهكذا عرشك ؟ قالت : كأنه هو .

قال : فسألَتْهُ [حين جاءته][١٠] عن أمرين : قالت لسليمان : أريد[١١] ماء ليس من أرض ولا سماء - وكان سليمان إذا سئل عن شيء ، سأل الإنس ثم الجن ثم الشياطين - فقالت

---

[١] - في ز ، خ : « يغدوا » .
[٢] - في خ ، ز : « يترك » .
[٣] - في ز ، خ : « فتفقد » .
[٤] - في ز ، خ : « قال » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « في الأرض » .
[٦] - ما بين المعكوفتين ضبب عليه في ز .
[٧] - في خ ، ز : « الحرة » .
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٩] - في ت : « سليمان » .
[١٠] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[١١] - سقط من : خ ، ز .

الشياطين : هذا هَين ، أجْر الخيلَ ثم خذ عرقها ، ثم املأ منه الآنية . قال : فأمر بالخيل فأجريَت ، ثم أخذ عرقها فملأ منه الآنية .

قال : وسألت عن لون اللَّه - عز وجل - قال : فوثب سليمان عن سريره ، فخرَّ ساجدًا ، فقال : يا رب ، لقد سَألتني عن أمر[١] إنه يتكايد [ ][٢] في قلبي أن أذكره لك . قال : ارجع فقد كَفَيتكهم . قال : فرجع إلىٰ سريره فقال : ما سألت عنه ؟ قالت : ما سألتك إلا عن الماء . فقال لجنوده : ما سألت عنه ؟ فقالوا : ما سألتك إلا عن الماء . قال : ونَسُوه كلّهم .

قال : وقالت الشياطين لسُلَيمان : تُريدُ أن تتخذها لنفسك ؟ فإن اتخذها لنفسه ثم ولد بينهما ولد ، لم ننفك من عبوديته . قال : فجعلوا صرحًا ممردًا من قوارير ، فيه السمك . قال : فقيل لها : ادخلي الصرح . فلما رأته حسبته لجة ، وكشفت عن ساقيها ، فإذا هي شَعْرَاء . فقال سليمان : هذا قبيح ، ما يذهبه ؟ فقالوا : تذهبه المواسى . فقال : أثر المواسي[٣] قبيح ! قال : فجعلت الشياطين النّورَة . قال : فهو أول من جُعلت له النّورة .

ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة : ما أحسنه من حديث !

قلت : بل[٤] هو منكر غريب جدًّا ، ولعله من أوهام عطاء بن السائب علىٰ ابن عباس ، واللَّه أعلم . والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب ، مما يوجد في صحفهم ، كروايات كعب ووهب - سامحهما اللَّه تعالىٰ - فيما نقلا إلىٰ هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل ، من الأوابد والغرائب والعجائب ، مما كان وما لم يكن ، ومما حرف وبدل ونسخ . وقد أغنىٰ[٥] الله - سبحانه - عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ ، ولله الحمد والمنة .

أصل الصرح في كلام العرب : هو القصر ، وكل بناء مرتفع ، قال اللَّه سبحانه وتعالىٰ إخبارًا عن فرعون - لعنه الله - أنه قال لوزيره هامان : ﴿ **ابن لي صرحًا لعلّي أبلغ الأسباب أسباب السمٰوات فأطّلع إلىٰ إله موسىٰ** ﴾ الآية . والصرح : قصر في اليمن عالي البناء : والممرد أي : المبنيّ بناء محكمًا أملس ﴿ **من قوارير** ﴾ أي : زجاج . وتمريد البناء : تمليسه . ومارد : حصن بدومة الجندل .

والغرض أن سليمان - عليه السلام - اتخذ قصرًا عظيمًا منيفًا من زجاج لهذه الملكة ، ليريها

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « أي يتعاظم » . وليست هذه العبارة من صلب الكتاب ، وإنما نقلت من هامش المخطوط .

[٣] - فيْ : « الموسى » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « أغنانا » .

عظمة سلطانه وتمكنه، فلما رأت ما آتاه الله - تعالىٰ - وجلالة ما هو فيه، وتبصرت في أمره - انقادت لأمر الله، وعَرَفت أنه نبيّ كريم، وملك عظيم، فأسلمت لله عز وجل؛ وقالت: ﴿ **رب؛ إني ظلمت نفسي** ﴾ أي: بما[١] سلف من كفرها، وشركها، وعبادتها وقومها الشمس من دون الله، ﴿ **وأسلمتُ مع سليمان لله رب العالمين** ﴾، أي: متابعة لدين سليمان في عبادته لله وحده، لا شريك له، الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾

يخبر تعالىٰ عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح - عليه السلام - حين بعثه الله إليهم، فدعاهم إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿ **فإذا هم فريقان يختصمون** ﴾، قال مجاهد: مؤمن وكافر، كقوله تعالىٰ: ﴿ **قال الملأ[٢] الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنّا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنّا بالذي آمنتم به كافرون** ﴾.

﴿ **قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة** ﴾، أي: لم تدعون بحضور[٣] العذاب، ولا تطلبون من الله رحمته؟! ولهذا قال: ﴿ **لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون * قالوا اطيرنا بك وبمن معك** ﴾، أي: ما رأينا علىٰ وجهك ووجوه من اتبعك خيرًا. وذلك أنهم - لشقائهم - كان لا يصيب أحدًا منهم سوء إلا قال: هذا من قِبَلِ صالح وأصحابه.

قال مجاهد: تشاءموا بهم. وهذا كما قال تعالىٰ إخبارًا عن قوم فرعون: ﴿ **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطّيّروا بموسىٰ ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله** ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله** ﴾، أي: بقدر الله وقضائه. وقال مخبرًا عن أهل القرية إذ جاءها المرسلون: ﴿ **قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم** ﴾. وقال هؤلاء: ﴿**اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله**﴾، أي: الله[٤] يجازيكم علىٰ ذلك ﴿ **بل أنتم قوم تفتنون** ﴾، قال قتادة: تبتلون بالطاعة والمعصية.

---

[١] - في خ، ز: «مما».
[٢] - سقط من: ز، خ.
[٣] - في خ، ز: «بحضون».
[٤] - سقط من: خ، ز.

والظاهر أن المراد بقوله : ﴿ **تفتنون**﴾ أي : تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال .

﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن طغاة ثمود ورؤوسهم ، الذين كانوا دعاة قومهم إلىٰ الضلالة والكفر وتكذيب صالح ، وآل بهم الحالُ إلىٰ أنهم عقروا الناقة ، وهموا بقتل صالح أيضًا ، بأن يبيتوه[١] في أهله ليلًا فيقتلوه غيلة ، ثم يقولوا[٢] لأوليائه من أقربيه : إنهم ما علموا بشيء من أمره ، وإنهم لصادقون فيما أخبروهم به ، من أنهم لم يشاهدوا ذلك . فقال تعالىٰ : ﴿ **وكان في المدينة** ﴾ ، أي : مدينة ثمود ﴿ **تسعة رهط** ﴾ ، أي : تسعة نفر ، ﴿ **يفسدون في الأرض ولا يصلحون** ﴾ ، وإنما غلب هؤلاء علىٰ أمر ثمود ؛ لأنهم كانوا كبراء فيهم ورؤساءهم .

قال العوفي عن ابن عباس : هؤلاء هم الذين عقروا الناقة ، أي : الذين صدر ذلك عن آرائهم ومشورتهم ، قبحهم الله ولعنهم ! وقد فعل ذلك .

وقال السدي ، عن أبي مالك ، عن ابن عباس : كان أسماء هؤلاء التسعة : [دعمىٰ ، ودعيم][٣] ، وهرما[٤] ، وهريم ، وداب ، وصواب ، ورياب[٥] ، ومسطع ، وقدار[٦] ابن سالف - عاقر الناقة - أي : الذي باشر ذلك بيده . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فنادوا صاحبهم فتعاطىٰ فعقر** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ .

وقال عبد الرزاق : أنبأنا يحيىٰ بن ربيعة الصنعاني ، سمعت عطاء - هو ابن أبي رباح - يقول : ﴿ **وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون** ﴾ ، قال : كانوا

---

[١] - في ز ، خ : « بيتوه » . [٢] - في ز ، خ : « يقولون » .

[٣] - ما بين المعكوفتين في خ : « رعمى ، ورعيم » ، وفي ز : « ودعمى ووعيم » .

[٤] - في خ ، ز : « هرم » . [٥] - سقط من : ز ، خ .

[٦] - في ز : « قداد » .

يقرضون الدراهم(١١) .

يعني أنهم كانوا يأخذون منها[١] ، وكأنهم كانوا يتعاملون بها عددًا ، كما كان العرب يتعاملون .

و[٢]قال الإمام مالك : عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض(١٢) .

وفي الحديث الذى رواه أبو داود وغيره أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، نهى عن كسر سِكةِ المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس(١٣) .

والغرض أن هؤلاء الكفرة الفسقة ، كان من صفاتهم الإفساد في الأرض بكل طريق يقدرون عليها ، فمنها ما ذكره هؤلاء الأئمة ، وغير ذلك .

وقوله : ﴿ **قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله** ﴾ أي : تحالفوا وتبايعوا على قتل نبيّ الله صالح - عليه السلام - من لقيه ليلًا غيلة ، فكادهم الله ، وجعل الدائرة عليهم .

قال مجاهد : ﴿ **تقاسموا** ﴾ [تحالفوا][٣] على هلاكه ، فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين .

وقال قتادة : توافقوا على أن يأخذوه ليلًا فيقتلوه ، وذكر لنا أنهم بينما هم مَعَانيق إلى صالح ليفتكوا به ، إذ بعث الله عليهم صخرة فأهمدتهم .

وقال العوفي : عن ابن عباس : هم الذين عقروا الناقة قالوا حين عقروها : نُبَيِّت صالحًا وقومه فنقتلهم ، ثم نقول لأولياء صالح : ما شهدنا من هذا شيئًا ، وما لنا به علم ؛ فدمرهم الله أجمعين .

وقال محمد بن إسحاق : قال هؤلاء التسعة بعد ما عقروا الناقة : هَلُمَّ فلنقتل صالحًا ، فإن كان صادقًا عجلناه قبلنا ، وإن كان كاذبًا كنا قد ألحقناه بناقته ! فأتوه ليلًا ليبيّتوه في أهله ، فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطئوا على أصحابهم ، أتوا مَنْزل صالح ، فوجدوهم منشدخين قد رضخوا بالحجارة ، فقالوا لصالح : أنت قتلتهم ؟ ثم هموا به ، فقامت عشيرته دونه ،

(١١) تفسير عبد الرزاق (٧٠/٢) .
(١٢) الموطأ (٦٣٥/٢) (١٣٢٢) .
(١٣) سنن أبي داود ، كتاب البيوع ، باب : كسر الدراهم حديث (٣٤٤٩) . وابن ماجه في التجارات (٢٢٦٣) .

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ت : « وتحالفوا » .

ولبسوا السلاح ، وقالوا لهم : والله لا تقتلونهم[١] أبدًا ، وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث ، فإن كان صادقًا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبًا ، وإن كان كاذبًا فأنتم[٢] من وراء ما تريدون . فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : لما عقروا الناقة وقال لهم صالح : ﴿ **تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب** ﴾ ، قالوا : زعم صالح أنه يفرغ منا إلىٰ ثلاثة أيام ، فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث . وكان لصالح مسجد في الحِجْر عند شعب هناك يصلي فيه ، فخرجوا إلىٰ كهف - أي : غار - هناك ليْلا ، فقالوا : إذا جاء يصلي قتلناه ، ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلىٰ أهله ، ففرغنا منهم ، فبعث الله صخرة من الهضَب حيالهم ، فخشوا أن تشدخهم فتبادروا[٣] ، فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار ، فلا يدري قومهم أين هم ، ولا يدرون ما فعل بقومهم ، فعذب الله[٤] هؤلاء هاهنا ، وهؤلاء هاهنا ، وأنجىٰ الله صالحًا ومن معه ، ثم قرأ : ﴿ **ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية** ﴾ ، أي : فارغة ليس فيها أحد ﴿ **بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون * وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ .

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده لوط - عليه السلام - : أنه أنذر قومه نقمة الله بهم ، في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم ، وهي إتيان الذكور دون الإناث ، وذلك فاحشة عظيمة : استغنىٰ[٥] الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء . قال : ﴿ **أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون** ﴾ ، أي : يرىٰ بعضكم بعضًا ، وتأتون في ناديكم المنكر ؟ ﴿ **أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون** ﴾ أي : لا تعرفون شيئًا لا طبعًا ولا شرعًا ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **أتأتون الذكران من العالمين * وتذرون ما خلق لكم ربكم من**

---

[١] - في ت : « تقتلوه » .

[٢] - في ز ، خ : « فإنهم » .

[٣] - في ز ، خ : « فبادروا » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ: « استغلا » . كذا .

أزواجكم بل أنتم قوم عادون ﴾ .

﴿ **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون** ﴾ ، أي : يتحرجون[١] من فعل ما تفعلونه[٢] ، ومن إقراركم علىٰ صنيعكم ، فأخرجوهم من بين أظهركم ، فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم ، فعزموا علىٰ ذلك ، فدمر اللّٰه عليهم وللكافرين أمثالها ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين** ﴾ ، أي : من الهالكين مع قومها ، لأنها كانت ردءًا لهم علىٰ دينهم ، وعلىٰ طريقتهم في رضاها بأفعالهم القبيحة ، فكانت تدل قومها علىٰ ضيفان لوط ، ليأتوا إليهم ، لا أنها كانت تفعل الفواحش تكرمة لنبي الله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - لا كرامة لها[٣] .

وقوله : ﴿ **وأمطرنا عليهم مطرًا** ﴾ ، أي : حجارة من سجيل منضود [مسومة عند ربك][٤] ، وما هي من الظالمين ببعيد ؛ ولهذا قال : ﴿ **فساء مطر المنذرين** ﴾ أي : الذين قامت عليهم الحجة ، ووصل إليهم الإنذار ، فخالفوا الرسول وكذبوه ، وهموا بإخراجه من بينهم .

قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾
أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ
حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ
هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أن يقول : ﴿ **الحمد لله** ﴾ ، أي : علىٰ نعمه علىٰ عباده ، من النعم التي لا تعد ولا تحصىٰ ، وعلىٰ ما اتصف به من الصفات العُلىٰ والأسماء الحسنىٰ ، وأن يُسلّم علىٰ عباد اللّٰه الذين اصطفاهم واختارهم ، وهم رسله وأنبياؤه الكرام - عليهم من اللّٰه الصلاة والسلام - هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيره : إن المراد بعباده الذين اصطفىٰ : هم الأنبياء ، قال : وهو كقوله تعالىٰ : ﴿ **سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام علىٰ المرسلين * والحمد للّٰه رب العالمين** ﴾ وقال الثوري والسدي : هم أصحاب محمد - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - ورضي عنهم أجمعين : وروي نحوه عن ابن عباس .

---

[١] - في ز ، خ : « يخرجون » .
[٢] - في ز ، خ : « يفعلونه » .
[٣] - في ز : « بها » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

ولا منافاة ، فإنهم إذا كانوا من [عباده][١] الذين اصطفىٰ ، فالأنبياء بطريق الأولىٰ والأحرىٰ ، والقصد أن اللّٰه تعالىٰ أمر رسوله ومن اتبعه بعد ما ذكر لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد ، وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر - أن يحمدوه علىٰ جميل[٢] أفعاله ، وأن يسلموا علىٰ عباده المصطفين الأخيار .

وقد قال أبو بكر البزار(١٤) : حدثنا محمد بن عمارة بن صبيح ، حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي - إن شاء الله - عن أبي مالك ، عن ابن عباس : ﴿ **وسلام علىٰ عباده الذين اصطفىٰ** ﴾ ، قال : هم أصحاب محمد صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، اصطفاهم اللّٰه لنبيه رضي اللّٰه عنهم .

قوله : ﴿ **آللّٰه خير أمّا يشركون** ﴾ استفهامُ إنكارٍ علىٰ المشركين في عبادتهم مع اللّٰه آلهة أخرىٰ ، ثم شرع [تعالىٰ يبينُ أنه المتفرد][٣] بالخلق والرزق والتدبير دون غيره ، فقال : ﴿ **أمن خلق السمٰوات والأرض** ﴾ أي : تلك السمٰوات[٤] بارتفاعها وصفائها ، وما جعل فيها من الكواكب النيّرة ، والنجوم الزاهرة ، والأفلاك الدائرة ، والأرض باستفالها وكثافتها ، وما جعل فيها من الجبال والأوعار والسهول ، والفيافي والقفار ، والأشجار والزروع ، والثمار والبحور ، والحيوان علىٰ اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك .

وقوله : ﴿ **وأنزل لكم من السماء ماء** ﴾ أي : جعله رزقًا للعباد ، ﴿ **فأنبتنا به حدائق** ﴾ ، أي : بساتين ﴿ **ذات بهجة** ﴾ ، أي : منظر حسن وشكل بهيّ[٥] ، ﴿ **ما كان لكم أن تنبتوا شجرها** ﴾ ، أي : لم تكونوا تقدرون علىٰ إنبات شجرها ، وإنما يقدر علىٰ ذلك الخالق الرازق ، المستقل بذلك المنفرد به دون ما سواه من الأصنام والأنداد ، كما يعترف به هؤلاء المشركون ، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله** ﴾ ﴿ **ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءًا فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله** ﴾ أي: هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له، ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق، وإنما يستحق أن يُفرَد بالعبادة مَنْ هو المتفرد بالخلق والرزق ؛ ولهذا قال : ﴿ **أإله مع الله** ﴾ ، أي : أإله مع اللّٰه يُعبد ؟! وقد تبين لكم ولكل ذي لب مما يعرفون به أيضًا - أنه الخالق الرازق ؟

---

(١٤) مسند البزار حديث (٢٢٤٣) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمي في المجمع (٨٧/٧) : « وفيه الحكم بن ظهير ، وهو متروك » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ت: «عباد اللّٰه».

[٢] - في ت : « جميع » .

[٣] - في ز ، خ : « يبينٌ تعالى أنه المتفرد » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في خ : « به » .

ومن المفسرين من يقول: معنى قوله: ﴿أإله مع الله﴾ [أي: أإله مع الله][١] فعل هذا ؟! وهو يرجع إلى معنى الأول، لأن تقدير الجواب أنهم يقولون: ليس ثَمّ أحد فعل هذا معه، بل هو المتفرد به. فيقال: فكيف تعبدون معه غيره، وهو المستقل المتفرد بالخلق والتدبير؟ كما قال: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق﴾ وقوله هاهنا: ﴿أمّن خلق السموات والأرض﴾، ﴿أمّن﴾ [أمّن][٢] في هذه الآيات تقديره: أمّن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر؛ لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك، وقد قال: ﴿آلله خيرًا أما يشركون﴾ ثم قال في آخر الآية: ﴿بل هم قوم يعدلون﴾، أي: يجعلون لله عدلًا و[٣]نظيرًا، وهكذا قال تعالى: ﴿أمّن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه﴾، أي: [أمن هو هكذا كمن ليس كذلك][٤]؟ ولهذا قال: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾، ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾، وقال: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ أي: أمن هو شهيد على أفعال الخلق، حركاتهم وسكناتهم، يعلم الغيب جليله وحقيره، كمن هو لا يعلم، ولا يسمع، ولا يبصر من هذه الأصنام التي عبدوها؟ ولهذا قال: ﴿وجعلوا لله شركاء قل سموهم﴾، وهكذا هذه الآيات الكريمات كلها.

﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

يقول: ﴿أمّن جعل الأرض قرارًا﴾ أي: قارة ساكنة ثابتة، لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا[٥] ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهادًا بساطًا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك، كما قال في الآية الأخرى: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا والسماء بناء﴾.

﴿وجعل خلالها أنهارًا﴾، أي: جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة تشقها في خلالها، وصرفها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك، وسيرها شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا، بحسب مصالح عباده في أقاليمهم وأقطارهم، حيث ذرأهم من[٦] أرجاء الأرض، سيّر إليهم[٧] أرزاقهم

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز.
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٣] - سقط من: ز، خ.
[٤] - في ز، خ: «ليس هو هكذا كمن ليس كذلك».
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - في ت: «في».
[٧] - في ت: «لهم».

بحسب ما يحتاجون إليه ، ﴿ **وجعل لها رواسي** ﴾ أي : جبالًا شامخة ترسي الأرض وتثبتها لئلا تميد بكم ، ﴿ **وجعل بين البحرين حاجزًا** ﴾ ، أي : جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزًا ، أي : مانعًا يمنعها من الاختلاط ، لئلا يفسد هذا بهذا ، وهذا بهذا ، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه ، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس ، والمقصود منها أن تكون عذبة زلالًا تسقي الحيوان والنبات والثمار منها ؛ والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب ، والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحًا أجاجًا ، لئلا يفسد الهواء بريحها ، كما قال تعالى : ﴿ **وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخًا وحجرًا محجورًا** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **أإله مع الله** ﴾ : فعل هذا [وبعد][1] ، هذا على القول [ ][2] الآخر ، وكلاهما متلازم صحيح . ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ ، أي[3] : في عبادتهم غيره .

﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

ينبه تعالى أنه هو[4] المدعوّ عند الشدائد ، المرجوّ عند النوازل ، كما قال : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون** ﴾ وهكذا قال هاهنا : ﴿ **أمّن يجيب المضطر إذا دعاه** ﴾ ، أي : من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه ، والذي لا يكشف ضر المضرورين سواه .

قال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا عفان ، حدثنا وُهَيب ، حدثنا خالد الحذّاء ، عن أبي تميمة الهُجَيمي ، عن رجل من بلهجيم ، قال : قلت : يا رسول الله ، إلام تدعو ؟ قال : « **أدعو إلى الله وحده ، الذي إن مَسّك ضر فدعوته كشف عنك ، والذي إن أضلَلْتَ بأرض قَفْرٍ فدعوته رَدّ عليك ، والذي إن أصابتك سَنة فدعوته أنبتَ لك** » . قال : قلت : أوصني ، قال : « **لا تسبنّ أحدًا ، ولا تَزْهَدَنَّ في المعروف ، ولو أن تلقى[5] أخاك وأنت منبسطٌ إليه وجهك ، ولو أن تُفرغَ من دَلوك في إناء المستقي ، واتّزر إلى نصف الساق ، فإن أبيت فإلى الكعبين . وإياك وإسبال الإزار ، فإن إسبال الإزار من المخيلة ، [وإن الله - تبارك وتعالى - لا يحب المخيلة][6]** » .

(١٥) المسند (٥/٦٤) (٢٠٦٩٣) . وانظر الحديث التالي .

[١] - في ت : « ويعبد » .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ت : « الآخر و » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : ز ، خ .
[٥] - في خ ، ز : « يلقاك » .
[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر(١٦) ، فذكر اسم الصحابي فقال : حدثنا عفان ، حدثنا حماد ابن سلمة ، حدثنا يونس - هو ابن عبيد - حدثنا عَبيدةُ الهُجَيمي[١] ، عن أبي تَمِيمَة الهُجَيمي ، عن جابر بن سُلَيم الهُجَيمي ، قال : أتيت رسول الله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وهو مُحتَبٍ بشملة ، وقد قع هدبها علىٰ قدميه ، فقلت : أيكم محمد - أو : رسول الله ؟ - فأومأ بيده إلىٰ نفسه ، فقلت : يا رسول الله ، أنا من أهل البادية ، وفيَّ جفاؤهم ، فأوصني . فقال : « **لا تحقرَنّ من المعروف شيئًا ، ولو أن تلقىٰ أخاك ووجهك مُنبَسطٌ ، ولو أن تفرغ من دلوك في إناء المستقي**[٢] ، **وإن امرؤ شَتَمك بما يعلم فيك فلا تشتمه بما تعلم فيه ، فإنه يكون لك أجره وعليه وِزْرُه ، وإياك وإسبال الإزار ، فإن إسبال الإزار من المَخِيلَة ، وإن اللّٰه لا يحب المخيلة ، ولا تَسُبَّنَّ أحدًا** » . قال : فما سببت بعد[٣] أحدًا ، ولا شاة ولا بعيرًا .

وقد روى أبوداود والنسائي لهذا الحديث طرقًا ، وعندهما[٤] طرف صالح منه(١٧) .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عليّ بن هاشم ، حدثنا عبدَة بن نوح ، عن عمر بن الحجاج ، عن عبيد اللّٰه بن أبي صالح قال : دخل عليّ طاوس يعودني[٥] ، فقلت له : ادع اللّٰه لي ، [ ][٦] يا أبا عبد الرحمن ، فقال[٧] : ادع لنفسك ؛ فإنه يجيب المضطر إذا دعاه .

وقال وهب بن منبه : قرأت في الكتاب الأول : إن اللّٰه يقول : « **بعزتي ، إنه من اعتصم بي فإن كادته السمٰوات ومن فيهن ، والأرض بمن فيها ؛ فإني أجعل له من بين ذلك مخرجًا ، ومن لم يعتصم بي ؛ فإني أخسف به من تحت قدميه الأرض ، فأجعله في الهواء ، فأكله إلىٰ نفسه** » .

---

(١٦) المسند (٥/٦٣) (٢٠٦٨٩) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس ، باب : الهدب (٤/٥٣/ رقم : ٤٠٧٥) مختصرًا . وفي باب : ما جاء في إسبال الإزار (٤/٥٥، ٥٦/ رقم : ٤٠٨٤) . وفي كتاب الأدب ، باب : كراهية أن يقول : عليك السلام (٤/٣٥٥/ رقم : ٥٢٠٩) مختصرًا . والترمذي في كتاب الإستئذان ، باب : ما جاء في كراهية أن يقول : عليك السلام مبتدئًا (٥/٧١، ٧٢/ رقم : ٢٧٢١، ٢٧٢٢) . وقال : وهذا حديث حسن صحيح . والنسائي في الكبرى في كتاب الزينة ، باب : الاختلاف على أبي إسحاق فيه (٥/٤٨٦، ٤٨٧/ رقم : ٩٦٩١/٩٦٩٩) . وفي كتاب عمل اليوم والليلة ، باب : كيف السلام (٦/٨٧، ٨٨/ رقم : ١٠١٤٩، ١٠١٥٢) . كلهم من حديث جابر بن سليم أبي جري .

(١٧) سنن أبي داود ، كتاب اللباس ،باب : ما جاء في إسبال الإزار حديث (٤٠٨٤) ، والترمذي في الاستئذان (٢٧٢١) والنسائي في السنن الكبرى حديث (١٠٤٩ - ١٠٥٢) .

---

[١] - بعده في خ ، ز : « عن أبيه » .

[٢] - في ز : « المستسقي » .

[٣] - في ت : « بعده » .

[٤] - في ت : « عندهم » .

[٥] - في خ : « يقودني » .

[٦] - ما بين المعكوفتين في ز : « قال » .

[٧] - سقط من : ز .

وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة رجل - حكىٰ عنه أبو بكر محمد بن داود الدِّيَنَوَري ، المعروف بالدقي الصوفي - قال هذا الرجل[١] : كنت أكاري علىٰ بغل لي من دمشق إلىٰ بلد الزبداني ، فركب معي ذات مرة رجل ، فمررنا علىٰ بعض الطريق ، علىٰ طريق غير مسلوكة ، فقال لي : خذ في هذه ، فإنها أقرب . فقلت : لا خبرة لي فيها ، فقال : بل هي أقرب . فسلكناها فانتهينا إلىٰ مكان وَعْر وواد عميق ، وفيه قتلىٰ كثير ، فقال لي : أمسك رأس البغل حتىٰ أنزل . فنزل وتشمر ، وجمع عليه ثيابه ، وسل سكينًا معه وقصدني ، ففررت من بين يديه وتبعني ، فناشدته اللّٰه ، وقلت : خذ البغل بما عليه . فقال : هو لي ، وإنما أريد قتلك . فخوفته اللّٰه والعقوبة فلم يقبل ، فاستسلمت بين يديه ، وقلت : إن رأيت أن تتركني حتىٰ أصلي ركعتين ؟ فقال : وعجل . فقمت أصلي فأُرْتِجَ عليّ القرآنُ فلم يَحضرني منه حرف واحد ، فبقيت واقفًا متحيرًا وهو يقول : هيه ! افرُغ . فأجرىٰ اللّٰه علىٰ لساني قوله تعالىٰ : ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء** ﴾ ، فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم[٢] الوادي ، وبيده حربة ، فرمىٰ بها الرجل فما أخطأت فؤاده ، فخر صريعًا ، فتعلقت بالفارس وقلت : باللّٰه ، من أنت ؟ فقال : أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . قال : فأخذت البغل والحمل ورجعت سالمًا .

وذكر[٣] في ترجمة فاطمة بنت الحسن أم أحمد العجلية(١٨) ، قالت : هزم الكفار يومًا المسلمين في غزاة ، فوقف جَوَاد جَيِّد بصاحبه ، وكان من ذوي اليسار ومن الصلحاء ، فقال للجواد : مالك ؟ ويلك ! إنما كنت أعدّك لمثل هذا اليوم . فقال له الجواد : وما لي لا أقصر وأنت تكل علوفتي إلىٰ السواس فيظلموني ولا يطعموني إلا القليل ؟ فقال : لكِ علي عهد اللّٰه أن[٤] لا أعلفك بعد هذا اليوم إلا في حِجْري . فجرىٰ الجواد عند ذلك ، ونجّىٰ صاحبه ، وكان لا يعلفه بعد ذلك إلا في حجره . واشتهر أمره بين الناس ، وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك ، وبلغ ملك الروم أمرُه ، فقال : ما تُضَام[٥] بلدة يكون هذا الرجل فيها . واحتال ليحصله في بلده ، فبعث إليه رجلا من المرتدين عنده ، فلما انتهىٰ إليه أظهر له أنه قد حَسُنت نيته في الإسلام وقومه ، حتىٰ استوثق ، ثم خرجا يومًا يمشيان علىٰ جنب الساحل ، وقد أوعد شخصًا آخر من جهة ملك الروم ليتساعدا علىٰ أسره ، فلما اكتنفاه ليأخذاه رَفَع طرفه إلىٰ السماء وقال : اللهم ، إنه إنما خَدَعني بك فاكفنيهما بما شئت ، قال : فخرج سبعان إليهما فأخذاهما ، ورجع الرجل سالمًا .

---

(١٨) تاريخ دمشق (٤٨٩/١٩ « المخطوط ») .

---

[١] - في ز ، خ : « بالرجل » .

[٢] - في ز ، خ : « ثم » .

[٣] - في ز ، خ : « وذكرت » .

[٤] - في ت : « أني » .

[٥] - في خ ، ز : « نظام » .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **ويجعلكم خلفاء الأرض** ﴾ ، أي : يُخلفُ قَرْنًا[١] لقرن قبلهم ، وخَلَفًا[٢] لسلف ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذُرِّيَّة قوم آخرين** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ، ورفع بعضكم فوق بعضٍ درجات** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة** ﴾ ، أي : قومًا يخلف بعضهم بعضًا كما قدمنا تقريره . وهكذا هذه الآية : ﴿ **ويجعلكم خلفاء الأرض** ﴾ أي : أمة بعد أمة ، وجيلًا بعد جيل ، وقومًا بعد قوم . ولو شاء لأوجدهم كلهم في وقت واحد ، ولم يجعل بعضهم من ذرية بعض ، بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين ، كما خلق آدم من تراب . ولو شاء أن يجعلهم [بعضَهم من ذرية بعض][٣] ، ولكن لا يميت أحدًا حتىٰ تكون وفاة الجميع في وقت واحد ، فكانت تضيق عليهم الأرض ، وتضيق عليهم معايشهم وأكسابهم ، ويتضرر بعضهم ببعض ، ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ، ثم يكثرهم غاية الكثرة ، ويذرؤهم في الأرض ، ويجعلهم قرونًا بعد قرون ، وأممًا بعد أمم ، حتىٰ ينقضي الأجل وتفرغ البشرية[٤] ، كما قدر ذلك تبارك وتعالىٰ ، وكما أحصاهم وعَدّهم عَدًّا ، ثم يقيم القيامة ، ويُوفي كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله** ﴾ ، أي : يقدر علىٰ ذلك ، أو : أإله مع اللّٰه يُعْبَد ، وقد علم أن اللّٰه هو المنفرد[٥] بفعل ذلك ﴿ **قليلًا ما يذكّرون** ﴾ أي ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم [إلىٰ الحق][٦] ويهديهم إلى الصراط المستقيم .

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

يقول : ﴿ **أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر** ﴾ أي : بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية ، كما قال : ﴿ **وعلامات وبالنجم هم يهتدون** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر** ﴾ الآية .

وقال تعالى : ﴿ **ومن يرسل الرياح بشرًا[٧] بين يدي رحمته** ﴾ ، أي : بين يدي السحاب الذي فيه مطر ، يغيث به عباده المجدبين الأزِلين القنطين ﴿ **أإله مع الله تعالى الله عما يشركون** ﴾ .

---

[١] - في ز : « قرن » .
[٢] - في ز : « خلف » .
[٣] - في خ ، ز : « من ذرية بعضهم بعضًا » .
[٤] - في ت : « البرية » .
[٥] - في ت : « المتفرد » .
[٦] - في ت : « للحق » .
[٧] - في ز : « نشرًا » .

أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

أي : هو الذي بقدرته وسلطانه يبدأ[١] الخلق ثم يعيده ، كما قال تعالىٰ في الآية الأخرىٰ : ﴿ إن بطش ربك لشديد * إنه هو يبدئ ويعيد ﴾ وقال تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ .

﴿ ومن يرزقكم من السماء والأرض ﴾ ، أي[٢] : بما ينزل من مطر السماء ، وينبت من بركات الأرض ، كما قال : ﴿ والسماء ذات الرجع * والأرض ذات الصدع ﴾ . وقال : ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ﴾ فهو تبارك وتعالىٰ ينزل من السماء ماء مباركًا فيسكنه في الأرض ، ثم يخرج به أنواع الزروع والثمار والأزاهير ، وغير ذلك من ألوان شتىٰ ، ﴿ كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ أإله مع الله ﴾ ، أي[٣] : فعل هذا ؟ وعلىٰ القول الآخر : [بعد هذا][٤] ؟ ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ علىٰ صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرىٰ ، ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ في ذلك ، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان ، كما قال : ﴿ ومن يدع مع الله إلهًا آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ .

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالىٰ آمرًا رسوله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - أن يقول معلمًا لجميع الخلق : إنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب . وقوله : ﴿ إلا الله ﴾ استثناء منقطع ، أي : لا يعلم أحد ذلك إلا اللّٰه عز وجل ، فإنه المنفرد بذلك وحده ، لا شريك له ؛ كما قال : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ الآية ، وقال : ﴿ إن اللّٰه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن اللّٰه عليم خبير ﴾ والآيات في هذا كثيرة .

وقوله تعالى : ﴿ وما يشعرون أيّان يبعثون ﴾ أي : وما يشعر الخلائق الساكنون في

---

[١] - في ز : « بداء » .
[٢] - سقط من : ز .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ت : « يعبد » .

السموات والأرض بوقت الساعة ؛ كما قال : ﴿ **ثقلت في السمٰوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة** ﴾ أي ثقل علمها على أهل السموات والأرض .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا عليّ[١] بن الجعد ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : من زعم أنه يعلم - يعني النبي صلىٰ الله عليه وسلم - ما يكون في غد ؛ فقد أعظم علىٰ الله الفرية ؛ لأن الله تعالىٰ يقول : ﴿ **لا يعلم مَنْ في السمٰوات والأرض الغيبَ إلا الله** ﴾ (١٩) .

وقال قتادة : إن الله إنما جعل هذه النجوم لثلاث خصلات : جعلها زينة للسماء ، وجعلها يهتدىٰ بها ، وجعلها رجومًا للشياطين ، فمن تعاطىٰ فيها غير ذلك فقد قال برأيه ، وأخطأ حظه ، وأضاع نصيبه ، وتكلف مالا علم له به . وإن ناسًا جَهَلَة بأمر الله ، قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة : من أَعْرَس بنجم كذا وكذا ، كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا ، كان كذا وكذا ، ومن ولد بنجم كذا وكذا ، كان كذا وكذا ، ولعمري ، ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود ، والقصير والطويل ، والحسن والدّميم ، وما علم هذا النجم ، وهذه الدابة ، وهذا الطير - بشيء من الغيب ! وقضىٰ الله : أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله ، وما يشعرون أيّان يبعثون .

رواه ابن أبي حاتم عنه بحروفه ، وهو كلام جليل متين صحيح .

وقوله : ﴿ **بل ادارك[٢] علمهم في الآخرة بل هم في شك منها** ﴾ أي : انتهىٰ علمهم وعجز عن معرفة وقتها .

وقرأ آخرون : (**بل أدرك علمهم**)(*) أي : تساوىٰ علمهم في ذلك ، كما في الصحيح لمسلم : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال لجبريل - وقد سأله عن وقت الساعة - : « **ما المسئول عنها بأعلم من السائل** » (٢٠) . أي : تساوىٰ في العجز عن درك ذلك علم المسئول والسائل .

قال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : ﴿ **بل أدارك(**) علمهم في الآخرة** ﴾ ، أي :

(١٩) هو عند مسلم في حديث طويل برقم (١١٧) كتاب الإيمان ، والترمذي في التفسير (٣٠٦٨) .
(٢٠) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان حديث (٨) .

[١] - سقط من : خ .
(*) وهي قراءة عبد الله بن كثير وأبي عمرو . وقرأ نافع ، وعاصم ، وابن عامر ، وحمزة ، والكسائي : « بل ادَّارك » . وروى أبو بكر عن عاصم : « بل ادَّرك » على وزن افتعل .
[٢] - في ز ، خ : « ادرك » .
(**) كذا في ز ، خ . والذي في تفسير الطبري والدر المنثور : أدرك .

غاب [علمهم في الآخرة][١] . وقال قتادة : ﴿ **بل ادارك[٢] علمهم في الآخرة** ﴾ ، يعني : بجهلهم ربهم ، يقول : لم ينفذ لهم إلي الآخرة علم . هذا قول .

وقال ابن جريج : عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : ﴿ **بل ادارك علمهم في الآخرة** ﴾ ، حين لم ينفع العلم . وبه قال عطاء الخراساني ، والسدّي : أن علمهم إنما يُدرك ويُكمل يوم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين** ﴾ .

وقال سفيان : عن[٣] عمرو بن عبيد ، عن الحسن : إنه كان يقرأ : (**بل أدرك علمهم[٤]**) قال : اضمحل علمهم في الدنيا حين عاينوا الآخرة .

وقوله : ﴿ **بل هم في شك منها** ﴾ ، عائد علىٰ الجنس ، والمراد : الكافرون ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وعرضوا علىٰ ربك صفًا لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألّن نجعل لكم موعدًا** ﴾ ، أي : الكافرون منكم . وهكذا قال هاهنا : ﴿ **بل هم في شك منها** ﴾ ، أي : شاكّون في وجودها ووقوعها ، ﴿ **بل هم منها عمون** ﴾ ، أي : في عماية وجهل كبير في أمرها وشأنها .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن منكري البعث من المشركين : إنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظامًا [ورفاتًا][٥] وترابًا ، ثم قال : ﴿ **لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل** ﴾ أي : ما زلنا نسمع بهذا نحن وآباؤنا ، ولا نرىٰ له حقيقة ولا وقوعًا .

وقولهم : ﴿ **إن هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ يعنون : ما هذا الوعد بإعادة الأبدان ﴿ **إلا أساطير الأولين** ﴾ ، أي : أخذه قوم عمن قبلهم ، مَنْ قبلهم يتلقاه بعضهم[٦] عن بعض ، وليس له حقيقة . قال اللّٰه تعالىٰ مجيبًا لهم عما ظنوه من الكفر وعدم المعاد : ﴿ **قل** ﴾ - يا

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ز : « أدرك » .
[٣] - في ز ، خ : « بن » .
[٤] - في ت : « علمه » .
[٥] - في ز ، خ : « رفاتا » .
[٦] - في م : « بعض » .

محمد - لهؤلاء : ﴿ **سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين** ﴾ ، أي : المكذبين بالرسل وما جاءوهم به من أمر المعاد وغيره ، كيف حلت بهم نِقَمُ اللّٰه وعذابه ونكاله ، ونجىٰ اللّٰه من بينهم رسلَه الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين ؛ فدل ذلك علىٰ صدق ما جاءت به الرسل وصحته .

ثم قال تعالىٰ مسليًا لنبيه - صلوات اللّٰه وسلامه عليه - ﴿ **ولا تحزن عليهم** ﴾ أي : المكذبين بما جئت به ، ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات ، ﴿ **ولا تكن في ضيق مما يمكرون** ﴾ ، أي : في كيدك وردّ ما جئت به ، فإن اللّٰه مؤيدك وناصرك ، ومظهرٌ دينَك علىٰ مَنْ خالفه وعانده في المشارق والمغارب .

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين ، في سؤالهم عن يوم القيامة ، واستبعادهم وقوع ذلك : ﴿ **ويقولون متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين** ﴾ قال اللّٰه مجيبًا لهم : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **عسىٰ أن يكونَ رَدِفَ لكم بعض الذي تستعجلون** ﴾ ، [قال ابن عباس : أن يكون قرب - أو : أن يقرب - لكم بعض الذي تستعجلون . وهكذا][1] قال مجاهد والضحاك ، وعطاء الخراساني وقتادة والسدى وهذا هو المراد ، كقوله[2] تعالىٰ : ﴿ **ويقولون متىٰ هو قل عسىٰ أن يكون قريبًا** ﴾ .وقال تعالى: ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب وإن جهنَّم لمحيطة بالكافرين** ﴾ .

وإنما دخلت « **اللام** » في قوله : ﴿ **ردف لكم** ﴾ ، لأنه ضُمن معنىٰ « **عَجِل لكم** » ، كما قال مجاهد في رواية عنه ، ﴿ **عسىٰ أن يكون ردف لكم** ﴾ : عجل لكم .

ثم قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وإن ربك لذو فضل علىٰ الناس** ﴾ أي[3] : في إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم ، وهم مع ذلك لا يشكرونه علىٰ ذلك إلا القليل منهم ، ﴿ **وإن ربك ليعلم ما تكنّ صدورهم وما يعلنون** ﴾ ، أي : يعلم السرائر والضمائر ، كما يعلم الظواهر ، ﴿ **سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به** ﴾ ﴿ **يعلم السر وأخفى** ﴾ ﴿ **ألا حين يستغشون**

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « وهذا » . [٢] - في ت : « بقوله » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .

ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ .

ثم أخبر تعالىٰ بأنه عالم غيب السموات والأرض ، وأنه عالم الغيب والشهادة - وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه[١] فقال : ﴿ **وما من غائبة في السماء والأرض** ﴾ ، قال ابن عباس : يعني وما من شيء ﴿ **في السماء والأرض إلا في كتاب مبين** ﴾ ، وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير** ﴾ .

إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كتابه العزيز ، وما اشتمل عليه من الهدىٰ والبينات والفرقان : إنه يقص علىٰ بني إسرائيل - وهم حملة التوراة والإنجيل - ﴿ **أكثر الذي هم فيه يختلفون** ﴾ ، كاختلافهم في عيسىٰ وتباينهم فيه ، فاليهود افتروا ، والنصارىٰ غلوا ، فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل :إنه عبد من عباد الله وأنبيائه ورسله الكرام - عليه الصلاة والسلام - كما قال تعالىٰ : ﴿ **ذلك عيسىٰ ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون** ﴾ وقوله : ﴿ **وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين** ﴾ ، أي : هدى لقلوب المؤمنين ، ورحمة لهم في العمليات .

ثم قال : ﴿ **إن ربك يقضي بينهم** ﴾ أي : يوم القيامة ﴿ **بحكمه وهو العزيز** ﴾ في انتقامه ، ﴿ **العليم** ﴾ بأفعال عباده وأقوالهم .

﴿ **فتوكل علىٰ الله** ﴾ أي : في أمورك ، وبَلّغ رسالة ربك ، ﴿ **إنك علىٰ الحق المبين** ﴾ ، أي : أنت علىٰ الحق المبين وإن خالفك مَنْ خالفك ممن كتبت عليه الشقاوة وحَقّت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كل آية ؛ ولهذا قال : ﴿ **إنك لا تسمع الموتىٰ** ﴾ ، أي : لا تسمعهم شيئًا ينفعهم ، فكذلك هؤلاء علىٰ قلوبهم غشاوة ، وفي آذانهم وَقْر الكفر ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولا تسمع الصّم الدعاء إذا ولّوْا مدبرين * وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون** ﴾ ، إنما يستجيب لك من هو سميع بصير ، السمع

[١] - في ز ، خ : « يشاهدوه » .

والبصر النافع في القلب والبصيرة ، الخاضع لله ، ولما جاء عنه على ألسنة الرسل عليهم السلام .

۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾

هذه الدابّة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس، وتَرْكِهم أوامرَ الله، وتبديلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابّة من الأرض - قيل[١] : من مكة ، وقيل : من غيرها - كما سيأتي تفصيله - فتُكلّم الناسَ على ذلك .

قال ابن عباس والحسن وقتادة - ورُوي عن علي رضي الله عنه : تكلمهم كلامًا ، أي : تخاطبهم مخاطبة .

وقال عطاء الخراساني : تكلمهم فتقول لهم : إنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون . ويروى هذا عن عليّ ، واختاره ابن جرير وفي هذا نظر لا يخفى ، والله أعلم .

وقال ابن عباس - في رواية - : تجرحهم ، وعنه رواية ، قال : كلًّا[٢] تفعل، يعني هذا وهذا . وهو قول حسن ولا منافاة ، والله أعلم . وقد ورد في ذكر الدابّة أحاديث وآثارٌ كثيرة ، فلنذكر ما تيسر منها ، بالله[٣] المستعان :

قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن فُرات ، عن أبي الطفيل ، عن حُذيفة بن أسيد الغفاري ، قال : أشرف علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال : **«لا تقوم الساعة حتى تَرَوا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، والدابّة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى ابن مريم ، والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمغرب ، وخسف بالمشرق ، وخسف بجزيرة العرب ، ونار تخرج من قعر عدن تسوق [ ][٤] - أو تحشر : الناس ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتَقيل معهم حيث قالوا»**(٢١) .

(٢١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/٦ ، ٧) (١٦١٨٨ ، ١٦١٩٠) ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة (١٨ / ٣٦) حديث (٢٩٠١/٣٩) . من طريق أبي خيثمة وإسحاق بن إبراهيم وابن أبي عمر المكي ، ثنا سفيان بن عيينة ، عن فرات به . وأبو داود في كتاب الملاحم ، باب : أمارات الساعة (٤ / ١١٤) حديث (٤٣١١) . من طريق مسدد وهناد ، ثنا أبو الأحوص ، ثنا فرات القزاز ، عن عامر بن واثلة أبي الطفيل به . والترمذي في الفتن حديث ٢١٨٣ . والنسائي في التفسير من السنن الكبرى . وابن ماجة في كتاب الفتن ، باب : أشراط الساعة (٢ / ١٣٤١) حديث (٤٠٤١) . من طريق أبي بكر بن أبي شيبة ، ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن فرات به . والطبراني (٣ / ١٨٩ - ١٩٢) . حديث (٣٠٢٨) إلى حديث (٣٠٣٤) .

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « كلّ » .
[٣] - في ت : « الله » .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « الناس » .

وهكذا رواه مسلم وأهل السنن ، من طرق ، عن فُرات القزاز ، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة ، عن حُذَيفة [به مرفوعًا][١] ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

ورواه مسلم(٢٢) أيضًا من حديث عبد العزيز بن رفيع ، عن أبي الطفيل ، عنه موقوفًا[٢] ، والله أعلم .

(طريق أخرىٰ) قال أبو داود الطيالسي ، عن طلحة بن عمرو ، وجرير بن حازم ؛ فأما طلحة فقال : أخبرني عبد الله بن عبيد الله بن عُمَير الليثي : أن أبا الطفيل حدثه ، عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبي سَريحَةَ ؛ وأما جرير فقال : عن عبد الله بن عُبيد ، عن رجلٍ من آل عبد الله بن مسعود - وحديث طلحة أتم وأحسن - قال : ذكر رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم الدابّة فقال : « **لها ثلاث خرجات من الدهر ، فتخرج خَرجة من أقصىٰ البادية ، ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تكمن زمانًا طويلًا ، ثم تخرج خَرْجة أخرىٰ دون تلك ، فيعلو ذكرها في أهل البادية ، ويدخل ذكرها القرية** » - يعني مكة - قال رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم : « **ثم بينما الناس في أعظم المساجد علىٰ الله حرمة وأكرمها : المسجد الحرام ، لم يرعهم إلا وهي ترغو[٣] بين الركن والمقام ، تنفض عن رأسها التراب . فارفضّ الناس عنها شتّىٰ ومعًا ، وبقيت[٤] عصابة من المؤمنين ، وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله ، فبدأت بهم ، فجلَت وجوههم حتىٰ جعلتها كأنها الكوكب الدريّ ، وولت في الأرض لا يدركها طالب ، ولا ينجو منها هارب ، حتىٰ إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة ، فتأتيه من خلفه فتقول : يا فلان ، الآن تصلي ؟ فيقبل عليها فَتَسِمُه في وجهه ، ثم تنطلق ، ويشترك الناس في الأموال ، ويصطحبون في الأمصار ، يعرف المؤمن مِنَ الكافر ، حتىٰ إنّ المؤمن ليقول : يا كافر ، اقضني حقي . وحتىٰ إنّ الكافر ليقول : يا مؤمن ، اقضني حقي** »(٢٣) .

ورواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفًا(٢٤) ، فالله أعلم .

ورواه من رواية حذيفة ابن اليمان مرفوعًا ، وأن ذلك في زمان عيسىٰ بن مريم ، وهو يطوف بالبيت ، ولكن إسناده لا يصح (٢٥) .

---

(٢٢) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، وأشراط الساعة حديث (٢٩٠١) .

(٢٣) مسند الطيالسي حديث (١٠٦٩) .

(٢٤) تفسير الطبري (١٠/٢٠) .

(٢٥) تفسير الطبري (١١/٢٠) .

---

[١] - في ت : « موقوفًا » .

[٢] - في ت : « مرفوعًا » .

[٣] - في ز ، خ : « تربوا » .

[٤] - في ز ، خ : « ولقيت » .

(حديث آخر) : قال مسلم بن الحجاج : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن بشر ، عن أبي حَيَّان ، عن أبي زُرْعَةَ ، عن عبد الله بن عمرو[١] قال : حفِظْتُ من[٢] رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، حديثًا لم أنسه بعد : سمعتُ رسول الله ، صلىٰ الله عليه وسلم ، يقول : « **إن أول الآيات خروجًا : طلوعُ الشمس من مغربها ، وخروجُ الدابّة علىٰ الناس ضُحى ، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها ، فالأخرىٰ علىٰ إثرها قريبًا** »(٢٦) .

(حديث آخر) : روىٰ مسلم في صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب - مولىٰ الحُرَقَة - عن أبيه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **بادروا بالأعمال ستًّا[٣] : طلوع الشمس من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة** »(٢٧) .

وله من حديث قتادة ، عن الحسن ، عن زياد بن رباح ، عن أبي هُرَيرة رضي الله عنه ، عن النبي - صلىٰ الله عليه وسلم - قال :« **بادروا بالأعمال سِتَّةً : الدُّخَان أو الدَّجّال ، ودابّة الأرض ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأمر العامة ، وخُوَيْصة[٤] أحدكم** »(٢٨) .

(حديث آخر) ، قال ابن ماجة : حدثنا حرملة بن يحيىٰ ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عَمْرُو ابن الحارث وابن لَهِيعة ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن سنان بن سعد ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **بادروا بالأعمال ستًّا : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان ، ودابّة الأرض ، والدجال ، وخُوَيْصة[٥] أحدكم ، وأمر العامة** » . تفرد به(٢٩) .

(حديث آخر) : قال أبو داود الطيالسي أيضًا(٣٠) : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن أوس[٦] بن خالد ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **تخرج دابة الأرض ، ومعها عصا موسىٰ وخاتم سليمان عليهما السلام ،**

(٢٦) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، وأشراط الساعة حديث (٢٩٤١) .
(٢٧) (٢٨) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث (٢٩٤٧) .
(٢٩) سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن (٤٠٥٦) ، وقال البوصيري في الزوائد (٢٥٦/٣) : « هذا إسناد حسن ، سنان بن سعد مختلف فيه وفي اسمه » .
(٣٠) مسند الطيالسي حديث (٢٩٥/٢) ، والمسند (٢٩٥/٢) من حديث عفان ويزيد ، و(٢٩١/٢) من حديث بهز .

[١] - في م : « عمر » .
[٢] - في خ ، ز : « عن » .
[٣] - في ت : « ستًّا » .
[٤] - في ز ، خ : « خويصية » .
[٥] - في ز ، خ : « خويصية » .
[٦] - في خ : « أويس » .

فتخطم أنف الكافر بالعصى، وتجلي[١] وجه المؤمن بالخاتم، حتى يجتمع[٢] الناس على الخوان، يعرف المؤمن من الكافر».

ورواه الإمام أحمد، عن بهز وعفان ويزيد بن هارون، ثلاثتهم عن حماد بن سلمة، به.

وقال: «**فتخطم أنف الكافر بالخاتم، وتجلو وجه المؤمن بالعصا، حتىٰ إنّ أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر**»(٣١).

ورواه ابن ماجة، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن يونس بن محمد[٣] المؤدب، عن حماد ابن سلمة، به.

(حديث آخر): قال ابن ماجة: حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو، حدثنا أبو تُمَيلة، حدثنا خالد بن عُبَيْد، حدثنا عبد الله بن بُرَيدة، عن أبيه؛ قال: ذهب بي رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم إلىٰ موضع بالبادية، قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال رسول الله، صلىٰ الله عليه وسلم: «**تخرج الدابة من هذا الموضع. فإذا فِتر(*) في شبر**» قال ابن بُرَيدة: فحججت بعد ذلك بسنين، فأرانا عصًا له، فإذا هو بعصاي هذه[٤]. كذا وكذا(٣٢).

وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن قتادة: إن ابن عباس قال: هي دابّة ذات زَغَب(**)، لها أربع قوائم، تخرج من بعض أودية تهامة (٣٣).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن[٥] رجاء، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، قال: قال عبد الله: تخرج الدابّة من صِدْع من الصفا كجَرْي الفرس ثلاثة أيام، لم يخرج ثلثها.

وقال محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، قال: سئل عبد الله بن عمرو عن الدابّة، فقال: الدابّة تخرج من تحت صخرة بجياد(***)، والله لو كنت معهم، أو لو شئت بعصاي الصخرة التي تخرج الدابة من تحتها. قيل: فتصنعُ ماذا يا عبد الله بن عمرو؟ قال: تستقبل

---

(٣١) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن حديث (٤٠٦٦).

(٣٢) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن (٤٠٦٧)، وقال البرصيري في الزوائد (٣/٢٥٩): «هذا إسناد ضعيف».

(٣٣) تفسير عبد الرزاق (٢/٧١).

---

[١] - في ز: «تجل».

[٢] - في ز: «يجمع».

[٣] - في ز: «محمد بن».

(*) الفِتْر: ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحهما.

[٤] - في ز: «هذا».

(**) الزغب: صغارُ الريش والشعر وليِّنه.

[٥] - سقط من: ز، خ.

(***) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا.

المشرق فتصرخ صرخة تنفُذُه ، [ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه][١] ، ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ، ثم تروح من مكة فتصبح[٢] بعُسْفَانَ . قيل : ثم ماذا ؟ قال : لا أعلم .

وعن عبد الله بن عمر أنه قال : تخرج الدابة ليلة جَمْعٍ(*) (٣٤) .

ورواه ابن أبي حاتم ، وفي إسناده ابن البيلمان .

وعن وهب بن منبه : أنه حكىٰ من كلام عُزَيْر - عليه السلام - أنه قال : « **وتخرج من تحت سدوم دابّة تكلم الناس ، كلٌّ يسمعها ، وتضع الحبالىٰ[٣] قبل التمام ، ويعود الماء العذب أجاجًا ، ويتعادىٰ الأخلاء ، وتُحرَقُ الحكمة ، ويُرفَعُ العلم ، وتكلم الأرض التي تليها . وفي ذلك الزمان يرجو الناس ما لا يبلغون ، ويتعنَّوْن[٤] فيما لا ينالون[٥] ، ويعملون فيما لا يأكلون** » . رواه ابن أبي حاتم ، عنه .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، حدثني معاوية بن صالح ، عن أبي مريم : أنه سمع أبا هريرة - رضي اللّه عنه - يقول : إن الدابّة فيها من كل لون ، ما بين قرنيها فرسخ للراكب .

وقال ابن عباس : هي مثل الحربة[٦] الضخمة .

وعن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - رضي اللّه عنه - أنه قال : إنها دابّة لها ريش وزغب وحافر ، وما لها ذنب ، ولها لحية ، وإنها لتخرج حُضْر(**)[٧] الفرس الجواد ثلاثًا وما [خرج ثلثاها][٨] .

رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جريج ، عن ابن الزبير ، أنه وصف الدابّة فقال : رأسها رأس ثور ، وعينها عين

---

(٣٤) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٥/١٨٠) من طريق عبد الملك بن المغيرة ، عن ابن البيلماني ، عن ابن عمر قال : « تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى فتحملهم بين عجزها وذنبها فلا يبقى منافق إلا خطمته ، قال : وتمسح المؤمن ، قال : فيصبحون وهم أشر من الدجال » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « فتضع » .
[٣] - في ز ، خ : « الحبال » .
[٥] - في ز ، خ : « يبالون » .
[٧] - في ز : « حُضر » .
[٨] - في ت : « خرج ثلثها » .

(*) جمع : المزدلفة .
[٤] - في ت : « يتعبون » .
[٦] - في خ ، ز : « الخربة » .
(**) الحُضْر : عَدْوٌ مع وثب .

خنزير ، وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيّل ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هرّ ، وذنبها ذنب كبش ، وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعًا ، تخرج معها عصا موسىٰ وخاتم سليمان ، فلا يبقىٰ مؤمن إلا نكتت في وجهه بعصا موسىٰ نكتة بيضاء ، فتفشو تلك النكتة حتىٰ يبيض لها وجهه ، ولا يبقىٰ كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان ، فتفشو تلك النكتة حتىٰ يسود لها وجهه ، حتىٰ إنّ الناس يتبايعون في الأسواق : بكم ذا يا مؤمن ؟ بكم ذا يا كافر ؟ وحتىٰ إن أهل البيت يجلسون علىٰ مائدتهم ، فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ، ثم تقول لهم الدابة : يا فلان ، أبشر ، أنت من أهل الجنة . ويا فلان ، أنت من أهل النار ؛ فذلك قول اللّه تعالىٰ : ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾ .

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن يوم القيامة ، وحشر الظالمين المكذبين بآيات اللّه ورسله إلىٰ بين يدي اللّه عز وجل ، ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا ، تقريعًا وتوبيخًا ، وتصغيرًا وتحقيرًا فقال : ﴿ **ويوم نحشر من كل أمة فوجًا** ﴾ ، أي : من كل قوم وقرن فوجًا ، أي : جماعة ، ﴿ **ممن يكذب بآياتنا** ﴾ ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فهم يوزعون** ﴾ ، قال ابن عباس - رضي اللّه عنهما - : يدفعون . وقال قتادة : وزعة ترد[١] أولهم على آخرهم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يساقون .

﴿ **حتىٰ إذا جاءوا** ﴾ ، أي : أوقفوا بين يدي اللّه - عز وجل - في مقام المساءلة ، ﴿ **قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علمًا أمّاذا كنتم تعملون**﴾ أي : ويسألون عن اعتقادهم ، وأعمالهم ، فلما لم يكونوا من أهل السعادة ، وكانوا كما قال اللّه تعالىٰ عنهم : ﴿ **فلا صدّق ولا صلىٰ * ولكن كذّب وتولىٰ** ﴾ ، فحينئذ قامت عليهم الحجة ، ولم يكن لهم عذر يعتذرون به ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون * ويل يومئذ للمكذبين** ﴾ ، وهكذا قال هاهنا : ﴿ **ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون** ﴾ ، أي :

---

[١] - في ز ، خ : « يرد » .

بهتوا فلم يكن لهم جواب ؛ لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم ، وقد ردوا إلىٰ عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفىٰ عليه خافية .

و[١] قال تعالىٰ منبهًا علىٰ قدرته التامة ، وسلطانه العظيم ، وشأنه الرفيع الذي تجب طاعته ، والانقياد لأوامره ، وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذي لا مَحيد عنه ، فقال : ﴿ **ألم يروا أنّا جعلنا الليل ليسكنوا فيه** ﴾ ، أي : فيه ظلام تسكن بسببه حركاتهم ، وتهدأ أنفاسهم ، ويستريحون من نَصَب التعب في نهارهم . ﴿ **والنهار مبصرًا** ﴾ أي : منيرًا مشرقًا ، فبسبب ذلك يتصرفون في المعايش والمكاسب ، والأسفار والتجارات ، وغير ذلك من شئونهم التي يحتاجون إليها ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون** ﴾ .

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع في الصور وهو كما جاء في الحديث: « **قرن ينفخ[٢] فيه** » . وفي حديث الصور[٣] أن إسرافيل هو الذي ينفخ فيه بأمر اللّٰه تعالىٰ ، فينفخ فيه أولًا نفخة الفزع ويطولها ، وذلك في آخر عمر الدنيا ، حين تقوم الساعة علىٰ شرار الناس من الأحياء ، فيفزع مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض ﴿ **إلا من شاء الله** ﴾ ، وهم الشهداء ، فإنهم أحياء[٤] عند ربهم يرزقون .

قال الإمام مسلم بن الحجاج : حدثنا عُبيد[٥] اللّٰه بن مُعاذ العنبري ، حدثنا أبي ، حدثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم : سمعت يعقوب بن عاصم بن عُروة بن مسعود الثقفي ، سمعت عبد اللّٰه بن عمرو - رضي اللّٰه عنه - وجاءه رجل فقال : ما هذا الحديث الذي تحدث أن الساعة تقوم إلىٰ كذا وكذا ؟ فقال : سبحان الله - أو : لا إله إلا الله - أو : كلمة

---

[١] - في ت : « ثم » .

[٢] - في ز : « تنفخ » .

[٣] - سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « عبد » .

نحوهما[١] - لقد هممت أن لا أحدث أحدًا شيئًا أبدًا ، إنما قلت : إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا يخرب البيت ، ويكون ويكون[٢] ؛ ثم قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين - [لا أدري أربعين][٣] يومًا ، أو أربعين شهرًا ، أو أربعين عامًا - فيبعث اللَّه عيسىٰ بن مريم كأنه عروة بن مسعود ، فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ، ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل اللَّه ريحًا باردة من قبل الشام ، فلا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتىٰ لو أن أحدهم دخل كبد جبل لدخَلَته عليه حتىٰ تقبضه** » . قال : سمعتها من رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، قال : « **فيبقىٰ شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دارٌ رزقهم ، حسن عيشهم[٤] ، ثم ينفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتا** . قال : « **وأول من يسمعه رجل يَلوط حوض إبله** » . قال : « **فيَصْعَقُ ويصعقُ الناس ، ثم يرسل الله - أو قال : ينزل اللَّه - مطرًا ، كأنه الطّل[٥] - أو قال : الظل[٦]** - نعمان الشاك - **فتنبت منه أجساد الناس ، ثم ينفخُ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال : يا أيها الناس ؛ هلموا إلىٰ ربكم ، وقفوهم إنهم مسئولون . ثم يقال : أخرجوا بعث النار . فيقال : مِنْ كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين[٧] ، قال : فذلك يوم يجعل الولدان شيبًا ، وذلك يومَ يكشف عن ساق** » (٣٥) .

فقوله[٨] : « **ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغىٰ ليتًا ورفع ليتًا** » . الليت : هو صفحة العنق ، أي : أمال عنقه ليستمعه من السماء جيدًا .

فهذه نفخة الفزع ، ثم بعد ذلك نفخة الصعق ، وهو الموت ، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين ، وهو النشور من القبور لجميع الخلائق ؛ ولهذا قال : ﴿ **وكل أتوه داخرين** ﴾ : قُرئَ بالمد ، وبغيره علىٰ الفعل(*) ، وكل بمعنى[٩] واحد - و﴿ **داخرين** ﴾ أي : صاغرين مطيعين ، لا يتخلف أحد عن أمره ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده** ﴾ ، وقال : ﴿ **ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون** ﴾ .

---

(٣٥) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث (٢٩٤٠) .

---

[١] - في ز ، خ : « نحوها » .
[٢] - سقط من : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - في ز ، خ : « عيشتهم » .
[٥] - في ز ، خ : « الظل » .
[٦] - في ز ، خ : « الطل » .
[٧] - في ز ، خ : « تسعون » .
[٨] - في ت : « فقوله » .
(*) قرأ حمزة وحفص عن عاصم : (أَتَوْه) . وقرأ الباقون : (آتوه) ممدودة مضمومة التاء .
[٩] - في ز : « بفعل » .

وفي حديث الصور : أنه في النفخة الثالثة يأمر اللَّه الأرواح ، فتوضع في ثقب في الصور ، ثم ينفخ إسرافيل فيه بعدما تنبت الأجساد في قبورها وأماكنها ، فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح ، تتوهج أرواح المؤمنين نورًا ، وأرواح الكافرين ظُلمة ، فيقول اللَّه -عز وجل- : « **وعزتي وجلالي لترجعنّ كل روح إلىٰ جسدها** » ، فتجيء الأرواح إلىٰ أجسادها ، فتدبّ فيها كما يَدبّ السّم في اللديغ ، ثم يقومون فينفضون التراب من قبورهم ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلىٰ نصب يوفضون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وترىٰ الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب** ﴾ ، أي : تراها كأنها ثابتة باقية علىٰ ما كانت عليه ، وهي تمرّ مرَّ السحاب ، أي : تزول عن أماكنها ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **يوم تمور السماء مورًا * وتسير الجبال سيرًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفًا * فيذرها قاعًا صفصفًا * لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا** ﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **ويوم نسير**[١] **الجبال وترى الأرض بارزة** ﴾ .

وقوله : ﴿ **صنع اللَّه الذي أتقن كل شيء** ﴾ ، أي : يفعل ذلك بقدرته العظيمة الذي قد أتقن كُلّ ما خلق ، وأودع فيه من الحكمة ما أودع ، ﴿ **إنه خبير بما تفعلون**[٢] ﴾ أي : هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر فيجازيهم عليه .

ثم بين تعالىٰ حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال : ﴿ **من جاء بالحسنة فله خير منها** ﴾ قال قتادة : بالإخلاص . وقال زين العابدين : هي لا إله إلا الله . وقد بين في المكان الآخر أن له عَشْر أمثالها .

﴿ **وهم من فزعٍ يومئذٍ آمنون** ﴾ ، كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **لا يحزنهم الفزع الأكبر** ﴾ . وقال : ﴿ **أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنًا يوم القيامة** ﴾ وقال : ﴿ **وهم في الغرفات آمنون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار** ﴾ أي : من لقي اللَّه مسيئًا لا حسنة له ، أو : قد رجحت سيئاته علىٰ حسناته ، كلٌّ بحسبه ؛ ولهذا قال : ﴿ **هل تجزون إلا ما كنتم**[٣] **تعملون** ﴾ .

وقال ابن مسعود وأبو هريرة وابن عباس - رضي اللَّه عنهم - وأنس بن مالك ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومجاهد ، وإبراهيم النخعي ، وأبو وائل ، وأبو صالح ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، والزهري ، والسدي ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، وابن زيد ، في

---

[١] - في ز : « تسير » وهي قراءة ابن عامر .

[٢] - في ز : « يفعلون » وهي قراءة ابن عامر . [٣] - في ز : « كانوا » .

قوله : ﴿ ومن جاء بالسيئة ﴾ ، يعني : بالشرك .

﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٩١) وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ (٩٢) وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٩٣) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا [عن][١] رسوله وآمرًا له أن يقول : ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء ﴾ ، كما قال ﴿ قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم ﴾ .

إضاف[٢] الربوبية إلىٰ البلدة علىٰ سبيل التشريف لها[٣] والاعتناء بها ، كما قال : ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ .

وقوله : ﴿ الذي حرمها ﴾ ، أي : الذي إنما صارت حرامًا قدرًا وشرعًا ، بتحريمه لها ، كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال : قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - يوم فتح مكة : « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلىٰ يوم القيامة ، لا يُعضَد شوكه ، ولا ينفر صيدهُ ، ولا يلتقط لقطته إلا لمن عرفها ، ولا يختلى خلاها ... »[٣٦] . الحديث بتمامه . وقد ثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من طرق جماعة تفيد القطع ، كما هو مبين في موضعه من « كتاب الأحكام » ، ولله الحمد .

وقوله : ﴿ وله كل شيء ﴾ ، من باب عطف العام علىٰ الخاص ، أي : هو رب هذه البلدة ، ورب كل شيء ومليكه ﴿ وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾ ، أي : الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له[٤] .

وقوله : ﴿ وأن أتلو القرآن ﴾ ، أي : علىٰ الناس أبلغهم إياه ، كقوله : ﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ﴾ وكقوله : ﴿ نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم

---

(٣٦) صحيح البخاري ، كتاب الحج (١٨٣٤) ، وصحيح مسلم ، كتاب الحج (١٣٥٣) ، وسنن أبي داود ، كتاب المناسك (٢٠١٨) ، وسنن الترمذي ، كتاب السير (١٥٩٠) ، وسنن النسائي ، كتاب مناسك الحج (٢٠٣/٥) ، والمسند (٢٥٩/١) .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٢] - في ت : « إضافة » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - سقط من : خ ، ز .

يؤمنون﴾ ، أي : أنا مبلغ ومنذر ، ﴿ **فمن اهتدىٰ فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين** ﴾ ، أي : لي سوية الرسل الذين أنذروا قومهم ، وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم ، وخَلَصُوا من عهدتهم ، وحساب أممهم علىٰ الله ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ وقال : ﴿**إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل**﴾ .

﴿ **وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها** ﴾ ، أي : للَّه الحمد الذي لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه ، والإعذار إليه ؛ ولهذا قال : ﴿ **سيريكم آياته فتعرفونها** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتىٰ يتبينّ لهم أنه الحق** ﴾ .

وقوله : ﴿**وما ربك بغافلٍ عما تعملون**[١]﴾ أي : بل هو شهيد علىٰ كل شيء .

قال ابن أبي حاتم : ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر : حدثنا أبو أمية بن يعلىٰ الثقفي ، حدثنا سعيد بن أبي سعيد ، سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **يا أيها الناس ، لا يَغترَّنَّ أحدكم بالله ، فإن اللَّه لو كان غافلًا شيئًا لأغفل البعوضة والخردلة والذرة** »(٣٧) .

[وقال أيضًا][٢] : حدثنا محمد بن يحيىٰ ، حدثنا نصر بن علي ، قال أبي : أخبرني [ ][٣] خالد بن قيس ، عن مطر ، عن عمر بن عبد العزيز قال : فلو كان اللَّه مغفِّلًا شيئًا لأغفل ما تَعفي الرياح من أثر قدمي ابن آدم .

وقد ذكر عن الإمام أحمد - رحمه الله - أنه كان ينشد هذين البيتين ، إمّا له أو لغيره :

إِذَا مَا خَلَوتَ الدَّهْرَ يَومًا فَلا تَقُل   خَلَوتُ ، وَلكن قُل : عَليَّ رَقيب
وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّـهَ يَغْفَـل سَاعَـة   وَلا أن مَا يَخْفىٰ عَلَيْه يَغيب

☆ ☆ ☆

(٣٧) ورواه الديلمي في مسند الفردوس حديث (٨١٦٧) من طريق أبي أمية بن يعلى به .

[١] - في ز : « يعملون » وهي إحدى الروايات عن ابن عامر .
[٢] - بياض في : خ .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن » .

تفسير سورة القصص

وهي مكية

قال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: حدثنا يحيىٰ بن آدم ، حدثنا وكيع ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن معد يكرب قال : أتينا عبد اللّٰه فسألناه أن يقرأ علينا ﴿ **طسم** ﴾ المائتين ، فقال : ما هي معي ، ولكن عليكم مَن أخذها من رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : خبّاب بن الأرت[١] . قال : فأتينا خبّاب بن الأرت[٢] ، فقرأها علينا رضي اللّٰه عنه(١) .

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ
وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ
أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ
فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة .

وقوله : ﴿ **تلك** ﴾ ، أي : هذه ﴿ **آيات الكتاب المبين** ﴾ ، أي : الواضح الجليّ الكاشف عن حقائق الأمور ، وعلم ما قد كان وما هو كائن .

وقوله : ﴿ **نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون** ﴾ كما قال تعالى : ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص** ﴾ أي : نذكر [الأمر كما][٣] كان عليه كأنك شاهد وكأنك

---

(١) المسند (٤١٩/١) ، ومعدي كرب هو الهمداني ، ويقال : العبدي . ترجمه البخاري في التاريخ الكبير (٤١/٨) ، وابن أبي حاتم (٣٩٨/٨) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلًا ، وذكره ابن حبان في الثقات (٥/ ٤٥٨) . وأبو إسحاق مدلس وقد عنعن .

---

[١] - في ز ، خ : « الأرث » . [٢] - في ز ، خ : « الأرث » .

[٣] - ما بين المعكوفين في ت : «لك الأمر على ما» .

حاضرة .

ثم قال : ﴿ **إن فرعون علا في الأرض** ﴾ ، أي : تكبّر وتجبّر وطغىٰ ، ﴿ **وجعل أهلها شيعًا** ﴾ ، أي : أصنافًا ، قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته .

وقوله : ﴿ **يستضعف طائفة منهم** ﴾ ، يعني : بني إسرائيل ، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهلِ زمانهم ، هذا ، وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد ، يستعملهم في أخس الأعمال ، ويَكُدُّهُم ليلًا ونهارًا في أشغاله وأشغال رعيته ، ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم ؛ إهانة لهم واحتقارًا ، وخوفًا من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من[١] أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته علىٰ يديه ، وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسونه من قول إبراهيم الخليل ، حين ورد الديار المصرية ، وجرىٰ له مع جبارها ما جرىٰ ، حين أخذ سارة ليتخذها جارية ، فصانها اللّٰه منه ، ومنعه منها بقدرته وسلطانه ، فبشر إبراهيم - عليه السلام - ولده أنه سيولد من صلبه وذريته من يكون هلاك مَلك مصر علىٰ يديه ، وكانت[٢] القبط تتَحدث بهذا عند فرعون ، فاحترز فرعون من ذلك ، وأمر بقتل ذكر[٣] بني إسرائيل ، ولن ينفع حذر من قدر ؛ لأن أجل اللّٰه إذا جاء لا يؤخر ، ولكل أجل كتاب ، ولهذا قال : ﴿ **ونريد أن نمنّ علىٰ الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** ﴾ ، وقد فعل تعالىٰ بهم ذلك ، كما قال : ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنىٰ علىٰ بني إسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون** ﴾ وقال : ﴿ **كذلك وأورثناها بني إسرائيل** ﴾ ، أراد فرعون بحوله وقوته أن ينجو من موسىٰ ، فما نفعه ذلك مع[٤] قَدَر الملك العظيم الذي لا يُخَالف أمره القدري ، بل نفذ حكمه وجرىٰ قلمه في القِدَم[٥] بأن يكون إهلاك فرعون علىٰ يديه ، بل يكون هذا الغلام الذي احترزت من وجوده ، وقتلتَ بسببه ألوفًا من الولدان إنما[٦] منشؤه ومرباه علىٰ فراشك ، وفي دارك ، وغذاؤه من طعامك ، وأنت تربيه وتدلله وتتفداه[٧] ، وحتفك وهلاكك وهلاك جنودك علىٰ يديه ، لتعلم أن رب السموات العُلا هو القاهر الغالب العظيم ، العزيز القويّ الشديد المحال ، الذي ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا

---

[١] - في ز ، خ : « منه » .

[٢] - في ت : « فكانت » .

[٣] - في ت : « ذكور » .

[٤] - في ز ، خ : « من » .

[٥] - في ز ، خ : « القدر » .

[٦] - في ز ، خ : « وإنما » .

[٧] - في ز ، خ : « تنفذه » .

تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾

ذكروا أن فرعون لما أكثر من قتل ذكور بني إسرائيل ، خافت القبط أن يُفْني بني إسرائيل ، فَيَلُون هم ما كانوا يلونه من الأعمال الشاقة ، فقالوا لفرعون : إنه يوشك - إن استمر هذا الحال - أن يموت شيوخهم وغلمانهم لا يعيشون ، ونساؤهم لا يمكن أن يَقُمْن بما يقوم به رجالهم من الأعمال ، فيخلص إلينا ذلك ؛ فأمر بقتل الولدان عامًا وتركهم عامًا ، فولد هارون - عليه السلام - في السنة التي يتركون فيها الولدان[١] ، وولد موسىٰ - عليه السلام - في السنة التي يقتلون فيها الولدان ، وكان لفرعون أناس موكلين[٢] بذلك ، وقوابل يَدُرْنَ[٣] علىٰ النساء ، فمن رأينها قد حملت أحصوا اسمها ، فإذا كان وقت[٤] ولادتها لا يَقْبَلُها إلا نساء القبط ، فإن ولدت المرأة جارية تركنها وذهبن ، وإن ولدت غلامًا دخل أولئك الذباحون ، بأيديهم الشفار المرهفة ، فقتلوه ومضوا قَبَّحَهُمُ الله . فلما حملت أم موسىٰ به - عليه السلام - لم يظهر عليها مخايل الحمل كغيرها ، ولم تفطن[٥] لها الدايات ، ولكن لما وضعته ذكرًا ضاقت به ذرعًا ، وخافت عليه خوفًا شديدًا وأحبته حبًّا زائدًا ، وكان موسىٰ - عليه السلام - لا يراه أحد إلا أحبه ، فالسعيد من أحبه طبعًا وشرعًا ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **وألقيت عليك محبة مني** ﴾ فلما ضاقت ذرعًا به أُلهِمَتْ في سِرِّها ، وأُلقِيَ في خَلَدِها ، ونُفِثَ في رُوعِها ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ **وأوحينا إلىٰ أم موسىٰ أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين** ﴾ . وذلك أنه كانت دارها علىٰ حافة النيل ، فاتخذت تابوتًا ، ومَهَدت فيه مهدًا ، وجعلت [ترضع ولدها][٦] ، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه جعلته في ذلك التابوت ، وسيرته في البحر ، وربطته[٧] بحبل عندها . فلما كان [في بعض الأيام][٨] دخل عليها [أحد ممن][٩] تخافه ، فذهبت فوضعته في ذلك التابوت ، وأرسلته

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « موكلون » .

[٣] - في ز : « يدورون » .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ز ، خ : « يفطن » .

[٦] - ما بين المعكوفين في ز ،خ :« ترجع ولدًا » .

[٧] - سقط من : ز ، خ .

[٨] - ما بين المعكوفتين في ت : « ذتن يوك ».

[٩] - ما بين المعكوفتين في ز : « من » .

في البحر وذهلت عن أن تربطه ، فذهب مع الماء واحتمله ، حتىٰ مر به علىٰ دار فرعون ، فالتقطه الجواري فاحتملنه ، وذهبن[١] به إلىٰ امرأة فرعون ، ولا يدرين ما فيه ، وخشين أن يَفْتَتِنَ عليها في فتحه دونها، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه ، فأوقع اللّٰه محبته في قلبها حين نظرت إليه ، وذلك لسعادتها وما أراد اللّٰه[٢] من كرامتها وشقاوة بعلها ؛ ولهذا قال : ﴿ **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًّا** ﴾ .

قال محمد بن إسحاق وغيره : « **اللام** » ههنا[٣] لام العاقبة ، لا لام التعليل ، لأنهم لم يريدوا بالتقاطه ذلك . ولا شك أن ظاهر اللفظ يقتضي ما قالوه ، ولكن إذا نظر إلىٰ معنىٰ السياق فإنه تبقىٰ اللام للتعليل ؛ لأن معناه أن الله - تعالىٰ - قيضهم لالتقاطه ليجعله لهم عدوًّا وحزنًا ، فيكون أبلغ [في إبطال][٤] حذرهم منه ؛ ولهذا قال : ﴿ **إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** ﴾ .

وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كتب كتابًا إلىٰ قوم من القدرية ، في تكذيبهم بكتاب اللّٰه وبأقداره النافذة في علمه السابق : وموسىٰ في علم اللّٰه السابق لفرعون عدو وحزن ، قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **ونري[٥] فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** ﴾ ، وقلتم أنتم : لو شاء فرعون أن يكون لموسىٰ وليًّا وناصرًا ، واللّٰه يقول : ﴿ **ليكون لهم عدوًّا وحزنًا** ﴾ .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **وقالت امرأة فرعون قُرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسىٰ أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا وهم لا يشعرون** ﴾ ، يعني أن فرعون لما رآه همَّ بقتله خوفًا من أن يكون من بني إسرائيل، فجعلت امرأته آسية بنت مزاحم تُحَاجّ[٦] عنه وتَذِبُّ دونه ، وتحببه إلىٰ فرعون ، فقالت : ﴿ **قرة عين لي ولك** ﴾ ، فقال : أمّا لكِ فنَعَم ، وأما لي فلا . فكان كذلك ؛ فهداها[٧] اللّٰه به ، وأهلكه اللّٰه علىٰ يديه . وقد تقدم في حديث الفتون في « **سورة طه** » هذه القصة بطولها من رواية ابن عباس مرفوعًا عند النسائي وغيره .

وقوله : ﴿ **عسىٰ أن ينفعنا** ﴾ ، وقد حصل لها ذلك ، وهداها اللّٰه به ، وأسكنها الجنة بسببه .

وقولها : ﴿ **أو نتخذه ولدًا** ﴾ ، أي : أرادت أن تتخذه ولدًا وتتبناه[٨] ، وذلك أنها[٩] لم

---

[١] - في ت : « فذهبن » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « ههنا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : « لنري » .
[٦] - في ز ، خ : « تحاجج » .
[٧] - في ت : « وهداها » .
[٨] - في خ ، ز : « وتثبت له » .
[٩] - في ز ، خ : « أنه » .

يكن لها ولد منه .

وقوله تعالىٰ : ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ ، أي : لا يدرون ما أراد اللَّه منه بالتقاطهم إياه ، من الحكمة العظيمة [البالغة ، والحجة القاطعة][١] .

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن فؤاد أم موسىٰ ، حين ذهب ولدها في البحر : إنه أصبح فارغًا ، أي : من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسىٰ ؛ قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، وأبو عبيدة ، والضحاك ، والحسن البصري ، وقتادة ، وغيرهم .

﴿ إن كادت لتبدي به ﴾ ، أي : إن كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لَتُظهر أنَّه ذهب لها ولد ، وتخبر بحالها ، لولا أن اللَّه ثبَّتها وصبَّرها ؛ قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **لولا أن ربطنا علىٰ قلبها لتكون من المؤمنين * وقالت لأخته قصّيه** ﴾ ، أي : أمرت ابنتها - وكانت كبيرة تعي ما يقال لها - فقالت لها : ﴿ **قصّيه** ﴾ ، أي : اتبعي أثره ، وخذي خبره ، وتَطَلَّبي شأنه من نواحي البلد . فخرجت لذلك ، ﴿ **فبَصُرتْ به عن جُنُب** ﴾ ، قال ابن عباس : عن جانب .

وقال مجاهد : ﴿ **فبصرت به عن جنب** ﴾ عن بعيد .

وقال قتادة :جعلت تنظر إليه وكأنها لا تريده .

وذلك أنه لما استقر موسىٰ - عليه السلام - بدار فرعون ، وأحبته امرأة الملك ، واستطلقته منه ، عرضوا عليه المراضع التي في دارهم ، فلم يقبل منها ثديًا ، وأبىٰ أن يقبل شيئًا من ذلك .

---

[١] - في خ ، ز : « والحجة البالغة » .

فخرجوا به إلىٰ سوق لعلهم يجدون امرأة تصلح لرضاعته ، فلما رأته بأيديهم عرفته ، ولم تظهر ذلك ولم يشعروا بها ، قال اللَّه تعالىٰ : ﴿ **وحرمنا عليه المراضع من قبل** ﴾ ، أي : تحريمًا قَدَريًّا ، وذلك لكرامة اللَّه له ، صانه عن أن يرتضع غير ثدي أمه ، ولأن الله - سبحانه - جعل ذلك سببًا إلىٰ رجوعه إلىٰ أمه ، لترضعه وهي آمنة ، بعد ما كانت خائفة . فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه ﴿ **قالت هل أدلكم علىٰ أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون** ﴾ .

قال ابن عباس : لما قالت ذلك أخذوها ، وشكُّوا في أمرها ، وقالوا لها : وما يدريك نصحهم له وشفقتهم عليه ؟ فقالت : نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظُئُورة[١] الملك ورجاء منفعته . فأرسلوها ، فلما قالت لهم ذلك وخَلَصت من أذاهم ، ذهبوا معها إلى منزلهم ، فدخلوا به علي أمه ، فأعطته ثديها فالتقمه ، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا .

وذهب البشير إلىٰ امرأة الملك ، فاستدعت أم موسىٰ ، وأحسنت إليها ، وأعطتها عطاءً جزيلًا ، وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة ، ولكن لكونه وافق ثديها . ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه ، فأبت عليها ، وقالت : إن لي بعلًا وأولادًا ، ولا أقدر علىٰ المقام عندك ، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت . فأجابتها امرأة فرعون إلىٰ ذلك ، وأجْرَتْ عليها النفقة والصلات[٢] والكساوي والإِحسان الجزيل. فرجعت أم موسىٰ بولدها راضية مرضية، قد أبدلها اللَّه من بعد خوفها أمنًا ، في عز وجاه ورزق دارٍّ؛ ولهذا جاء في الحديث : « **مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير ، كمثل أم موسىٰ ترضع ولدها وتأخذ أجرها** » . ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل : يوم وليلة ، أو[٣] نحوه ، واللَّه أعلم ، فسبحان من بيده الأمر ! ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، الذي يجعل لمن اتقاه بعد كل هم فرجًا ، وبعد كل ضيق مخرجًا ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **فرددناه إلىٰ أمه كي تقر عينها** ﴾ ، أي : به ، ﴿ **ولا تحزن** ﴾ ، أي : عليه ، ﴿ **ولتعلم أن وعد اللَّه حق** ﴾ ، أي : فيما وعدها من رده إليها ، وجعله من المرسلين ، فحينئذ تحققت برده إليها أنه كائن منه رسول من المرسلين ، فعاملته في تربيته ما ينبغي له طبعًا وشرعًا .

وقوله : ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ ، أي : حُكْمَ اللَّه في أفعاله وعواقبها المحمودة ، التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة ، فربما يقع الأمر كريهًا إلىٰ النفوس ، وعاقبته محمودة في نفس الأمر ، كما قال تعالىٰ : [﴿ **وعسىٰ أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم ، وعسىٰ أن تحبوا شيئًا وهو شر لكم** ﴾ ، وقال تعالى][٤] : ﴿**فعسىٰ أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا**﴾ .

---

[١] - في خ ، ز : « صهر » .

[٢] - في ز : « الصلاة » .

[٣] - في ز ، خ : « أي » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾
وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن
شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ
مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ
إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ
بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾

لما ذكر تعالىٰ مبدأ أمر موسىٰ - عليه السلام - ذكر أنه لما بلغ أشده واستوىٰ ، آتاه الله حكمًا وعلمًا . قال مجاهد : يعني النبوة : ﴿ **وكذلك نجزي المحسنين** ﴾ .

ثم ذكر تعالىٰ سبب وصوله إلىٰ ما كان تعالىٰ قَدّر له من النبوة والتكليم : قضية قتله ذلك القبطيّ ، الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية إلىٰ بلاد مدين ، فقال تعالىٰ : ﴿ **ودخل المدينة علىٰ حين غفلة من أهلها** ﴾ ، قال ابن جُرَيج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس : وذلك بين المغرب والعشاء .

وقال ابن المنكدر ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس : كان ذلك نصف النهار . وكذلك قال سعيد بن جبير ، وعكرمة ، والسدي ، وقتادة .

﴿ **فوجد فيها رجلين يقتتلان** ﴾ ، أي : يتضاربان ويتنازعان ، ﴿ **هذا من شيعته** ﴾ ، أي : من بني إسرائيل ، ﴿ **وهذا من عدوه** ﴾ ، أي : قبطي ؛ قاله ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، ومحمد بن إسحاق . فاستغاث الإسرائيلي موسىٰ[١] عليه السلام ، ووجد موسىٰ فرصة ، وهي[٢] غفلة الناس ، فعمد إلىٰ القبطي ﴿ **فوكزه موسىٰ فقضىٰ عليه** ﴾ .

[قال][٣] مجاهد : وكزه ، أي : طعنه بجُمِع[٤] كفِّه .

وقال قتادة : وكزه بعصا[٥] كانت معه .

﴿ **فقضىٰ عليه** ﴾ ، أي : كان فيها حتفه فمات ، ﴿ **قال**[٦] ﴾ موسىٰ : ﴿ **هذا من عمل**

[١] - في ت : « بموسى » .
[٢] - في ز ، خ : « وهو » .
[٣] - في ت : « وقال » .
[٤] - في خ ، ز : « بجميع » .
[٥] - في ز ، خ : « بعصاه » .
[٦] - في ز ، خ : « فقال » .

الشيطان ، إنه عدو مضل مبين * قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم * قال رب بما أنعمت عليّ ﴾ ، أي : بما جعلت لي من الجاه والعز[١] والمنعة ﴿ **فلن أكون ظهيرًا** ﴾ ، أي : معينًا : ﴿ **للمجرمين** ﴾ ، أي : الكافرين بك ، المخالفين لأمرك .

﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ (١٨) فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ (١٩) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن موسىٰ - عليه السلام - لما قتل ذلك القبطي : إنه أصبح ﴿ **في المدينة خائفًا** ﴾ ، أي : من مَعَرة ما فعل ﴿ **يترقب** ﴾ ، أي : يتلفت[٢] و[٣]يتوقع ما يكون من هذا الأمر ، فمر في بعض الطرق ، فإذا ذاك الذي استنصره بالأمس علىٰ ذلك القبطي يقاتل آخر ، فلما مر موسىٰ استصرخه علىٰ الآخر ، فقال له موسىٰ : ﴿ **إنك لغويّ مبين** ﴾ ، أي : ظاهر الغواية كثير الشر . ثم عزم علىٰ البطش بذلك القبطي ، فاعتقد الإسرائيلي لخوره وضعفه وذلته أن موسىٰ إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك ، فقال يدفع عن نفسه : ﴿ **يا موسىٰ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس** ﴾ ؟ وذلك لأنه لم يعلم به إلا هو وموسىٰ عليه السلام ، فلما سمعها ذلك القبطي لقفها من فمه ، ثم ذهب بها إلىٰ باب فرعون فألقاها عندهم[٤] ، فعلم بذلك ، فاشتد حنقه ، وعزم علىٰ قتل موسىٰ ، فطلبوه وبعثوا وراءه ليحضروه لذلك .

﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ (٢٠) ﴾

قال تعالىٰ : ﴿ **وجاء رجل** ﴾ ، وصفه بالرّجُولية ؛ لأنه خالف الطريق ، فسلك طريقًا أقرب من طريق الذين بُعثوا وراءه ، فسبق إلىٰ موسىٰ ، فقال له : يا موسىٰ ، ﴿ **إن الملأ يأتمرون بك** ﴾ ، أي : يتشاورون فيك ﴿ **ليقتلوك فاخرج** ﴾ ، أي : من البلد ، ﴿ **إني لك من الناصحين** ﴾ .

---

[١] - في ت : « العزة » .
[٢] - في ز ، خ : « يتقلب » .
[٣] - في ز ، خ : « أي » .
[٤] - في ت : « عنده » .

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ
مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ
وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ
قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾
فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ
﴿٢٤﴾﴾

لما أخبره ذلك الرجل بما تمالأ عليه فرعون ودولته في أمره ، خرج من مصر وحده ، ولم يألف ذلك قبله ، بل كان في رفاهية ونعمة ورياسة ، ﴿ **فخرج منها خائفا يترقب** ﴾ ، أي : يتلفت ، ﴿ **قال رب نجني من القوم الظالمين** ﴾ ، أي : من فرعون وملئه . فذكروا أن الله - سبحانه وتعالىٰ - بعث له ملكا علىٰ فرس ، فأرشده إلىٰ الطريق ، فالله أعلم .

﴿ **ولما توجه تلقاء مدين** ﴾ أي : أخذ طريقًا سالكًا مَهْيَعًا . فرح بذلك ، ﴿ **قال عسىٰ ربي أن يهديني سواء السبيل** ﴾ ، أي : إلىٰ الطريق الأقوم . ففعل الله به ذلك ، وهداه إلىٰ الطريق المستقيم في الدنيا والآخرة ، فجعله هاديًا مهديًا .

﴿ **ولما ورد ماء مدين** ﴾ أي : ولما وصل إلى مدين وورد ماءها ، وكان لها بئر ترده رعاء الشاء .

﴿ **وجد عليه أمة من الناس** ﴾ أي : جماعة ﴿ **يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان** ﴾ ، أي : تكفكفان غنمهما أن[١] ترد مع غنم أولئك الرعاء لئلا يُؤذَيا . فلما رآهما موسىٰ - عليه السلام - رق لهما ورحمهما ، ﴿ **قال ما خطبكما** ﴾ ، أي : ما خبركما لا تردان مع هؤلاء ؟ ﴿ **قالتا لا نسقي حتىٰ يُصْدِرَ الرِّعاء** ﴾ ، أي : لا يحصل لنا سقي إلا بعد فراغ هؤلاء ، ﴿ **وأبونا شيخ كبير** ﴾ ، أي : فهذا الحال الملجئ لنا إلىٰ ما ترىٰ . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فسقىٰ لهما** ﴾ .

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا عبد الله ، أنبأنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو[٢] ابن ميمون الأودي ، عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن موسىٰ - عليه السلام - لما ورد ماء مدين ، وجد عليه أمة من الناس يسقون ، قال : فلما فرغوا أعادوا الصخرة علىٰ البئر ،

---

[١] - في ز : « أي » .
[٢] - في خ ، ز : « عروة » .

ولا يطيق رفعها إلا عشرة رجال ، فإذا هو بامرأتين تذودان ، قال : ما خطبكما ؟ فحدثتاه[١] ، فأتى الحجر فرفعه ، ثم لم يستق إلا ذنوبًا واحدًا حتى رويت الغنم . إسناد صحيح (٢) .

وقوله : ﴿ ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلتَ[٢] إليَّ من خير فقير ﴾ ، قال ابن عباس : سار موسى من مصر إلى مدين ، ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر ، وكان حافيًا فما وصل [إلى][٣] مَدْيَنَ حتى سقطت نعل قدمه و[٤]جلس في الظل ، وهو صفوة اللّه من خلقه ، وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع ، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه ، وإنه لمحتاج إلى شق تمرة .

وقوله : ﴿إلى الظل﴾ قال ابن عباس وابن مسعود والسدى : جلس تحت شجرة .

وقال ابن جرير(٣) : حدثني الحسين بن عمرو العنقزي ، حدثنا أبي ، حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : حَثَثْتُ على جمل ليلتين ، حتى صَبَّحت مدين ، فسألت عن الشجرة التي أوى إليها موسى ، فإذا شجرة خضراء ترف، فأهوى إليها جملي - وكان جائعًا - فأخذها جملي فعالجها ساعة ، ثم لفظها، فدعوت اللّه لموسى - عليه السلام - ثم انصرفتُ . وفي رواية عن ابن مسعود أنه ذهب إلى الشجرة التي كلم اللّه منها موسى ، كما سيأتي ، واللّه أعلم .

وقال السدى : كانت من شجر السَّمُر .

و[٥]قال عطاء بن السائب : لما قال موسى : ﴿رب إني لما أنزلت إليَّ من خير فقير﴾ ؛ أَسْمَعَ المرأة .

فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١١/٥٣٠) .
(٣) تفسير الطبري (٢٠/٣٧) .

[١] - في ز ، خ : « فحدثاه » .
[٢] - في ز ، خ : « أنزل » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .
[٤] - في ز : « ولما » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .

تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

لما رجعت المرأتان سِراعًا بالغنم إلىٰ أبيهما، أنكر حالهما ومجيئهما سريعًا، فسألهما عن خبرهما، فقصتا عليه ما فعل موسىٰ عليه السلام، فبعث إحداهما إليه لتدعوه إلىٰ أبيها. قال الله تعالىٰ: ﴿ **فجاءته إحداهما تمشي علىٰ استحياء** ﴾، أي: مَشْيَ الحرائر؛ كما روي عن أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - أنه قال: كانت مستترة بكم درعها.

وقال ابن أبي حاتم: [حدثنا أبي][١]، حدثنا أبو نعيم، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: قال عمر - رضي الله عنه -: جاءت تمشي علىٰ استحياء، قائلة بثوبها على وجهها، ليست بسلفع خرّاجة ولاجة. هذا إسناد صحيح.

قال الجوهري: السلفع[٢] من الرجال: الجسور، ومن النساء: الجريئة السليطة، ومن النوق: الشديدة.

﴿ **قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا** ﴾، وهذا تأدب في العبارة[٣]، لم تطلبه طلبًا مطلقًا لئلا يوهم ريبة، بل قالت: ﴿ **إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا** ﴾، يعني: ليثيبك ويكافئك علىٰ سقيك لغنمنا. ﴿ **فلما جاءه وقصّ عليه[٤] القصص** ﴾، أي: ذكر له ما كان من أمره، وما جرىٰ له من السبب الذي خرج من أجله من بلده، ﴿ **قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين** ﴾. يقول: طب نفسًا وقرّ عينًا، فقد خرجتَ من مملكتهم فلا حُكم لهم في بلادنا؛ ولهذا قال: ﴿ **نجوت من القوم الظالمين** ﴾.

وقد اختلف المفسرون في هذا الرجل: من هو؟ علىٰ أقوال؛ أحدها: أنه شعيب النبيّ - عليه السلام - الذي أرسل إلىٰ أهل مدين. وهذا هو المشهور عند كثيرين، وقد قاله الحسن البصري وغير واحد، ورواه ابن أبي حاتم:

حدثنا أبي، حدثنا ابن عبد العزيز الأويسي[٥]، حدثنا مالك بن أنس: أنه بلغه أن شعيبًا هو الذي قصّ عليه موسىٰ القصص، قال: ﴿ **لا تخف نجوت من القوم الظالمين** ﴾.

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من: ز، خ. [٢] - سقط من: خ.
[٣] - في ز: «العيادة». [٤] - سقط من: ز، خ.
[٥] - في ز، خ: «الأودي». وهو تعريف. وما أثبتناه من تفسير ابن ابي حاتم. وهو الصواب. وانظر ترجمته في تهذيب الكمال [١٨/ ١٦٠].

وقد روىٰ الطبراني(٤) عن سلمة بن سعد العَنَزي ، أنه وفد علىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، فقال له : « **مرحبًا بقوم شعيب وأَخْتَانِ موسىٰ ، هُدِيت** » .

وقال آخرون : بل كان ابن أخي شعيب . وقيل : رجل مؤمن من قوم شعيب . وقال آخرون : كان شعيب قبل زمان موسىٰ - عليه السلام - بمدة طويلة ؛ لأنه قال لقومه[١] : ﴿ **وما قوم لوط منكم ببعيد** ﴾ . وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل - عليه السلام - بنص القرآن ، وقد علم أنه كان بين موسىٰ والخليل - عليهما السلام - مدة طويلة تزيد علىٰ أربعمائة سنة ، كما ذكره غير واحد . وما قيل : إن شعيبًا عاش مدة طويلة ، إنما هو - واللَّه أعلم - احتراز من هذا الإِشكال . ثم من المقوِّي لكونه ليس بشعيب أنه لو كان إياه لأوشك أن ينص علىٰ اسمه في القرآن هاهنا ، وما جاء في بعض الأَحاديث من التصريح بذكره في قصة موسىٰ ، لم يصح إسناده ، كما سنذكره قريبًا إن شاء الله . ثم من الموجود في كتب بني إسرائيل أن هذا الرجل اسمه : « **ثيرون[٢]** » ، واللَّه أعلم .

وقال أبو عبيدة بن عبد اللَّه بن مسعود : وأثرون هو ابن أخي شعيب عليه السلام .

وعن أبي حمزة[٣] ، عن ابن عباس : الذي استأجر موسىٰ يثري[٤] [صاحب مدين][٥] . رواه ابن جرير ، ثم قال : والصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر ، و لا خبر[٦] تجب به[٧] الحجة في ذلك .

وقوله : ﴿ **قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القويُّ الأمين** ﴾ ، أي : قالت إحدىٰ ابنتي هذا الرجل - قيل : هي التي ذهبت وراء موسىٰ عليه السلام - قالت لأبيها : ﴿ **يا أبت استأجره** ﴾ ، أي : لرعْية[٨] هذه الغنم .

قال عمر ، وابن عباس ، وشُريح القاضي ، وأبو مالك ، وقتادة ، ومحمد بن إسحاق ، وغير واحد : لما قالت : ﴿ **إن خير من استأجرت القويُّ الأمين** ﴾ قال لها أبوها : وما علمك بذلك ؟ قالت : إنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال ، وإنه لما جئت معه تقدمت أمامه ، فقال لي : كوني من ورائي ، فإذا اجتنبتُ الطريق فاحذفي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأتهدى إليه .

(٤) المعجم الكبير (٥٥/٧) من طريق حفص بن سلمة عن شيبان بن قيس عن سلمة بن سعد به ، وقال الهيثمي : « فيه من لم أعرفهم » .

[١] - في ز ، خ : « لقوم » .
[٢] - في ب : « ثبرون » .
[٣] - في خ ، ز : « سمرة » .
[٤] - في ز : « يثري » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - سقط من : خ ، ز .
[٧] - في ز ، خ : « فيه » .
[٨] - في ز : « رعية » .

قال سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : أفرس الناس ثلاثة : أبو بكر حين تفرس في عُمر ، وصاحب يوسف حين قال : ﴿ **أكرمي مثواه** ﴾ ، وصاحبة موسىٰ حين قالت : ﴿ **يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القويُّ الأمين** ﴾ .

قال : ﴿ **إني أريد أن أنكحك إحدىٰ ابنتيّ هاتين** ﴾ ، أي : طلب إليه هذا الرجل الشيخ الكبير أن يرعىٰ عنه ، ويزوجه إحدىٰ ابنتيه هاتين .

قال شعيب الجبائي : وهما صفورا وليا .

وقال محمد بن إسحاق : صفورا وشرقا ، ويقال : ليا .

وقد استدل أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية [علىٰ صحة][١] البيع فيما إذا قال : بعتك أحد[٢] هذين العبدين بمائة . فقال[٣] : اشتريت أنه يصح ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **علىٰ أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك** ﴾ ، أي : علىٰ أن ترعىٰ عليّ ثماني سنين ، فإن تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك ، وإلا ففي ثمان كفاية ، ﴿ **وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين** ﴾ أي : لا أشاقك ، ولا أؤاذيك[٤] ، ولا أماريك .

وقد استدلوا بهذه الآية الكريمة لمذهب الأوزاعي فيما إذا قال : بعتك هذا بعشرة نقدًا ، أو بعشرين نسيئة ، أنه يصح ، ويختار المشتري بأيهما أخذه صح ، وحمِلَ الحديث المروي في سنن أبي داود : « **من باع بيعتين في بيعة ، فله أوكسهما أو الربا** »(٥) . علىٰ هذا المذهب . وفي الاستدلال بهذه الآية وهذا الحديث علىٰ هذا المذهب - نظرٌ ، ليس هذا موضع بسطه لطوله ، والله أعلم .

ثم قد استدل أصحاب الإمام أحمد ومن تبعهم ، في صحة استئجار الأجير بالطعمة والكسوة بهذه الآية ، واستأنسوا في ذلك بما رواه أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة في كتابه السنن ، حيث قال : باب استئجار الأجير علىٰ طعام بطنه : حدثنا محمد بن المصفّىٰ الحمْصي ، حدثنا بقية بن الوليد ، عن مسلمة بن عليّ ، عن سعيد بن أبي أيوب ، عن الحارث بن يزيد ، عن عليّ ابن رَبَاح ، قال[٥] : سمعت عُتبة بن النُّدَّر[٦] يقول : كنا عند رسول الله صلىٰ الله عليه

(٥) سنن أبي داود برقم (٣٤٦١) .

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : « بصحة »
[٢] - في ز ، خ : « إحدى » .
[٣] - في ز ، خ : « قال » .
[٤] - في ت : « أؤذيك » .
[٥] - في ز ، خ : « يقول » .
[٦] - في ز ، خ : « المنذر » .

وسلم فقرأ ﴿ **طسم** ﴾ ، حتىٰ إذا بلغ قصة موسىٰ قال : « **إن موسىٰ آجر نفسه ثماني سنين – أو : عشر**[١] **سنين – علىٰ عفة فرجه وطعام بطنه** »(٦) .

وهذا الحديث من هذا الوجه ضعيف ؛ لأن مسلمة بن عليّ – وهو الخُشَني الدمشقي البلاطيّ – ضعيف الرواية عند الأئمة ، ولكن قد رُوي من وجه آخر ، وفيه نظر أيضًا .

فقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد اللَّه بن لَهيعة ، عن الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن عليّ بن رَبَاح اللخمي ، قال : سمعت عتبة بن النُّدَّر[٢] السلمي صاحب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يحدث أن رسول اللَّه – صلىٰ اللَّه عليه وسلم – قال : « **إن موسىٰ آجر نفسه بعفة فرجه ، وطعمة بطنه** »(٧) .

وقوله تعالىٰ إخبارًا عن موسىٰ –عليه السلام– : ﴿ **قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ واللَّه علىٰ ما نقول وكيل** ﴾ ، يقول : إن موسىٰ قال لصهره : الأمر علىٰ ما قلت من أنك استأجرتني علىٰ ثماني سنين ، فإن أتممت عشرًا فمن عندي ، فأنا متىٰ فعلت أقلهما برئت من العهد ، وخرجت من الشرط ، ولهذا قال : ﴿ **أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ** ﴾ ، أي : فلا حرج عليّ مع أن الكامل – وإن كان مباحًا – لكنه فاضل من جهة أخرىٰ ، بدليل من خارج ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه** ﴾ .

وقال رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، لحمزة بن عمرو الأسلمي – رضي اللَّه عنه – وكان كثير الصيام ، وسأله عن الصوم في السفر فقال : « **إن شئت فصم ، وإن شئت فأفطر** »(٨) . مع أن فعل الصيام راجح من دليل آخر . هذا ، وقد دل الدليل علىٰ أن موسىٰ – عليه السلام – إنما فعل أكمل الأجلين وأتمهما ، قال البخاري(٩) :

حدثنا محمد بن عبد الرحيم ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا مروان بن شُجاع ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبير [قالِ][٣] : سألني يهودي من أهل الحيرة : أي الأجلين قضىٰ موسىٰ ؟ فقلت : لا أدري حتىٰ أقدمَ علىٰ حَبْر العرب فأسأله . فقدمت فسألت ابن

---

(٦) سنن ابن ماجه برقم (٢٤٤٤) ، وضعفه البوصيري في الزوائد (٢/٢٦٠) لتدليس بقية بن الوليد .

(٧) ورواه البزار في مسنده برقم (١٤٩٥) « كشف الأستار » من طريق يحيى بن بكير عن ابن لهيعة بأطول منه ، وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٨) رواه أحمد في مسنده (٣/٤٩٣) ، والنسائي في السنن (٤/١٨٥) .

(٩) صحيح البخاري برقم (٢٦٨٤) .

---

[١] – في ز ، خ : « عشرة » .

[٢] – في ز ، خ : « المنذر » .

[٣] – ما بين المعكوفتين مكررة في ز ، خ .

عباس - رضي الله عنه - فقال : قضىٰ أكثرهما وأطيبهما ، إن رسول الله إذا قال فعل . هكذا رواه البخاري ، وهكذا رواه حكيم بن جبير وغيره ، عن سعيد بن جبير . ووقع في « **حديث الفُتُون** » ، من رواية القاسم بن أبي أيوب ، عن سعيد بن جبير : أن الذي سأله رجل من أهل النصرانية ، والأول أشبه ، والله أعلم . وقد رُوي من حديث ابن عباس مرفوعًا :

قال ابن جرير(١٠) : حدثنا أحمد بن محمد الطوسي ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثني إبراهيم بن يحيىٰ بن أبي يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **سألت جبريل : أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ ؟ قال : أكملهما وأتمهما** » . ورواه ابن أبي حاتم ، عن أبيه ، عن الحميدي ، عن سفيان - وهو ابن عيينة - حدثني إبراهيم بن يحيىٰ بن أبي يعقوب - وكان من أسناني أو أصغر مني - فذكره .

قلت : وإبراهيم هذا ليس بمعروف .

ورواه البزار(١١) عن أحمد بن أبان القرشي ، عن سفيان بن عيينة [ ][١]، عن إبراهيم بن أعين ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فذكره ، ثم قال : لا نعرفه مرفوعًا عن ابن عباس إلا من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم : قُرئ علىٰ يونس بن عبد الأعلىٰ ، أنبأنا ابن وهب ، أنبأنا عمرو بن الحارث ، عن يحيىٰ بن ميمون الحضرمي ، عن يوسف بن [سَرْح][٢] ، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم سئل : أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ ؟ قال : « **لا علم لي** » . [فسأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم جبريل ، فقال جبريل : لا علم لي][٣]. فسأل جبريل ملكًا فوقه فقال : لا علم لي . فسأل ذلك الملك ربه - عز وجل - عما سأله عنه جبريل عما سأله عنه محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - فقال الرب سبحانه وتعالىٰ : « **قضىٰ[٤] أبرهما وأبقاهما - أو قال :**

---

(١٠) تفسير الطبري (٢٠/٤٤) .

(١١) قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان (١/١٢٤) : « إبراهيم بن يحيى العدني عن الحكم بن أبان وعنه سفيان بن عيينة بخبر منكر والرجل نكرة ، وحديثه عن الحميدي ومتنه : سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - جبريل عليه السلام أي الأجلين قضى موسى ، انتهى . وهذا الرجل ذكره ابن حبان في الثقات . وقال الأزدي : لا يتابع في حديثه ، وأخرج الحاكم حديثه المذكور في المستدرك » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز : « عن إبراهيم » .

[٢] - في ز ، خ ، ت : « تيرح » . وهو تحريف وتشويه . والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم . وترجمته في الجرح والتعديل [٩/ ٢٢٣] ولكنه لم يصرح بتحديث يحيى بن ميمون عنه ، وقد صرح بذلك الدارقطني فقال في المؤتلف والمختلف [٣/ ١٢٢٥] : يوسف بن سرح ، مصري ، روى عنه يحيى بن ميمون الحضرمي .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

أزكاهما - »(١٢) .

وهذا مرسل: وقد جاء مرسلًا من وجه آخر، قال[١] سُنَيد: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: إن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سأل جبريل: « **أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ فقال: سوف أسأل إسرافيل. فسأله فقال: سوف أسأل الرب عز وجل. فسأله فقال: أبرهما وأوفاهما** »(١٣) .

(طريق أخرىٰ مرسلة أيضًا) قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبي، حدثنا أبو معشر، عن محمد بن كعب القرظي، قال: سُئل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ قال: « **أوفاهما وأتمهما** »(١٤) .

فهذه طرق متعاضدة، ثم قد روي مرفوعًا من رواية أبي ذر - رضي اللّٰه عنه -: قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أبو عبيد اللّٰه يحيىٰ بن محمد بن السكن، حدثنا إسحاق بن إدريس، حدثنا عَوْبَدْ بن أبي عمران الجوني[٢]، عن أبيه، عن عبد اللّٰه بن الصامت، عن أبي ذر: أن النبي - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - سُئل: أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ قال: « **أوفاهما وأبرهما** ». قال: « **وإن سُئلتَ[٣]: أيّ المرأتين تَزوَّجَ؟ فقل: الصغرىٰ منهما** ».

ثم قال البزار: لا نعلم يروى عن أبي ذر إلا بهذا الإسناد(١٥) .

وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث عوْبَدْ بن أبي عمران - وهو ضعيف - ثم قد روي أيضًا نحوه من حديث عتبة بن النُّدَّر[٤] بزيادة غريبة جدًّا، فقال أبو بكر البزار: حدثنا عمر بن الخطاب السجستاني، حدثنا يحيىٰ بن بكير، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا الحارث بن يزيد، عن عليّ بن رباح اللخمي قال: سمعت عتبة بن النُّدَّر[٥] يقول: إن رسول الله صلىٰ اللّٰه عليه وسلم سُئل: أيّ الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ قال: « **أبرهما وأوفاهما** ». ثم قال النبي، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم: « **إنّ موسىٰ - عليه السلام - لما أراد فراق شعيب - عليه السلام - أمر امرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به، فأعطاها ما ولدت غنمه في ذلك العام من قالِب لَون** ». قال: « **فما مرت شاة إلا ضرب [جنبها موسى][٦] بعصاه، فولدت**

(١٢) مسند البزار برقم (٢٢٤٥) « كشف الأستار ».

(١٣) (١٤) تفسير الطبري (٢٠/٤٤).

(١٥) مسند البزار برقم (٢٢٤٤) « كشف الأستار ».

[١] - في ز، خ: « وقال ».

[٢] - في ز، خ: « الحري ».

[٣] - في ز، خ: « سألت ».

[٤] - في ز، خ: « المنذر ».

[٥] - في ز، خ: « المنذر ».

[٦] - في ز: « موسى جنبها ».

قَوَالب ألوان(*)[١] **كلها ، وولدت ثنتين وثلاثًا كل شاة ليس فيها فَشُوش ولا ضَبُوب ولا كميشة**[٢] **تُفَوِّت الكف ، ولا ثَعُول**(**) » . وقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « **إذا افتتحتم الشام فإنكم ستجدون بقايا منها ، وهي السامرية** »(١٦) .

هكذا أورده البزار . وقد رواه ابن أبي حاتم بأبسط من هذا فقال :

حدثنا أبو زرعة ، حدثنا يحيىٰ بن عبد الله بن بكير ، حدثني عبد الله بن لهيعة (ح) وحدثنا أبو زرعة ، حدثنا صفوان ، حدثنا الوليد ، حدثنا عبد الله بن لهيعة ، عن الحارث بن يزيد الحضرمي ، عن عليّ بن رباح اللخمي، قال: سمعت عتبة بن النُّدَّر[٣] السلمي صاحب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يحدث أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « **إن موسىٰ - عليه السلام - آجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه . فلما وفَّى الأجل** » . قيل : يا رسول الله ؛ أي الأجلين ؟ - قال : « **أبرهما وأوفاهما ، فلما أراد فراق شعيب أمر امرأته أن تسأل أباها أن يعطيها من غنمه ما يعيشون به ، فأعطاها ما ولد**[٤] **من غنمه من قالب**[٥] **لون من ولد ذلك العام ، وكانت غنمه سوداء حسناء فانطلق موسىٰ - عليه السلام - إلىٰ عصاه فسملها**[٦] **من طرفها ، ثم وضعها في أدنىٰ الحوض ، ثم أوردها فسقاها ، ووقف موسىٰ بإزاء الحوض ، فلم تصدر**[٧] **منها شاة إلا ضرب جنبها شاة شاة قال : [فأتأمت وأثلثت]**[٨] **، ووضعت كلها قوالب ألوان ، إلا شاة أو شاتين ليس فيها فشوش**[٩] - قال يحيىٰ : **ولا ضبون**[١٠] . وقال صفوان : **ولا ضبُوب**[١١] . قال أبوزرعة : الصواب **ضَبُوب - ولا عَزُوز ولا ثَعُول ولا كميشة تُفَوِّت الكف** » .

قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « **فلو افتتحتم الشام وجدتم بقايا تلك الغنم وهي السامرية** » .

---

(١٦) مسند البزار برقم (٢٢٤٦) « كشف الأستار » .

(*) قال ابن الأثير : « تفسيره في الحديث : أنها جاءت على غير ألوان أُمّهاتها ؛ كأنَّ لونها قد انقلب » . النهاية [٤/ ٩٧] .

[١] - في ز : « ألوانًا » . [٢] - في خ : « كمشة » .

(**) الفشوش : هي التي ينفش لبنها من غير حَلْب : أي يجري ؛ وذلك لسعة الإحليل . والضبوب : ضيِّقة ثقب الإحليل . والكميشة : الصغيرة الضرع . والثعول : الشاة التي لها زيادة حلمة ، وهو عيب .

[٣] - في خ ، ز : « المنذر » .

[٤] - في ز ، خ : « ولدت » . [٥] - في خ ، ز : « قابلة » .

[٦] - في خ : « فسلمها » . [٧] - في ز ، خ : « يصدر » .

[٨] - في خ ، ز : « فأتمت واثنتيت » . [٩] - في خ ، ز : « قنوش » .

[١٠] - في خ ، ز : « ضيوب » . [١١] - في ز : « صبوب » .

وحدثنا أبو زُرعة ، حدثنا صفوان ، قال : سمعت الوليد قال : فسألت ابن لهيعة : ما الفشوش ؟ قال : التي تَفُشُّ بلبنها واسعة الشخب . قلت : [فما الضبوب ؟ قال : الطويلة الضرع تجره . قلت : فما العَزُوز ؟ قال : ضيقة الشخب . قلت][١] : فما الثعُول ؟ قال : التي ليس لها ضرع إلا[٢] كهيئة حلمتين . قلت : فما الكميشة ؟ قال[٣] : التي تفوّت الكف ، كميشة الضرع ، صغير لا يدركه الكف .

مدار هذا الحديث على عبد اللّٰه بن لهيعة المصري - وفي حفظه سوء - وأخشى أن يكون رفعه خطأ[٤] ، واللّٰه أعلم . وينبغي أن يُرْوَىٰ : ليس فيها فشوش ولا عزوز ، ولا ضبوب ولا ثَعول ولا كميشة[٥] لتذكر كل صفة ناقصة مع ما يقابلها من الصفات الناقصة . وقد روىٰ ابن جرير من كلام أنس بن مالك - موقوفًا عليه - ما يقارب بعضه بإسناد جيد فقال :

حدثنا محمد بن المثنىٰ ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثنا أبي ، عن قتادة ، حدثنا[٦] أنس بن مالك - رضي اللّٰه عنه - قال : لما دعا نبيُّ اللّٰه موسىٰ - عليه السلام - صاحبه إلى الأجل الذي كان بينهما ، قال له صاحبه : كل شاة ولدت على غير[٧] لونها ذلك[٨] ولدها لك . فعمد فرفع حبالًا على الماء ، فلما رأت الخيال فزعت فجالت جولة ، فولدن كلهن بلقا إلَّا شاة واحدة ، فذهب بأولادهن ذلك العام(١٧) .

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن

(١٧) تفسير الطبري (٢٠/٤٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز : « قلت » .
[٤] - في خ ، ز : « حقا » .
[٥] - في خ ، ز : « كمشة » .
[٦] - في ز ، خ : « عن » .
[٧] - سقط من : ز .
[٨] - في ت : « فذلك » .

﴿ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ (٣٢)

قد تقدم في تفسير الآية قبلها أن موسىٰ - عليه السلام - قضىٰ أتم الأجلين وأوفاهما وأبرهما وأكملهما وأنقاهما[١] ، وقد يستفاد هذا أيضًا من الآية الكريمة من قوله : ﴿ **فلما قضىٰ موسىٰ الأجل** ﴾ ، أي : الأكمل منهما[٢] والله أعلم .

قال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قضىٰ عشر سنين وبعدها عشرًا أخر . وهذا القول لم أره لغيره ، وقد حكاه عنه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والله أعلم .

وقوله : ﴿ **وسار بأهله** ﴾ ، قالوا : كان موسىٰ قد اشتاق إلىٰ بلاده وأهله ، فعزم علىٰ زيارتهم في خفية من فرعون وقومه ، فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره ، فسلك بهم في ليلة مطيرة مظلمة باردة ، فنزل منزلًا فجعل كلما أورى زنده لا يُضيء شيئًا ، فتعجب من ذلك ، فبينما هو كذلك [إذ][٣] : ﴿ **آنس من جانب الطور نارًا** ﴾ ، أي : رأىٰ نارًا تضيء له علىٰ بعد ، فـ ﴿ **قال لأهله امكثوا إني آنست نارًا** ﴾ أي : حتىٰ أذهب إليها ، ﴿ **لعلي آتيكم منها بخبر** ﴾ . وذلك لأنه كان قد أضل الطريق ، ﴿ **أو جذوة من النار** ﴾ ، أي : قطعة منها ، ﴿ **لعلكم تصطلون** ﴾ ، أي : تتدفئون بها من البرد . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فلما أتاها نودي من شاطئ الوادِ الأيمن** ﴾ أي : من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلىٰ موسىٰ الأمر** ﴾ ، فهذا مما يرشد إلىٰ أن موسىٰ قصد النار إلىٰ جهة القبلة ، والجبل الغربيّ عن يمينه ، والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لِحْف(*) الجبل مما يلي الوادي ، فوقف باهتًا في أمرها ، فناداه ربه : ﴿ **من شاطيء الوادي الأيمن[٤] في البقعة المباركة من الشجرة** ﴾ .

قال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ؛ قال : رأيت الشجرة التي نودي منها موسىٰ - عليه السلام - سمرة خضراء ترف . إسناد[٥] مقارب

وقال محمد بن إسحاق ، عن بعض من لا يُتَّهَمُ ، عن وهب بن منبه قال : شجرة من العُلّيق وبعض أهل الكتاب يقول : من العوسج

[وقال قتادة : هي من العوسج ، وعصاه من العوسج][٦] .

[١] - في ز ، خ : « أتقاهما » .

[٢] - في ز ، خ : « بينهما » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : ت .

(*) اللِّحف : أصل الجبل .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ت : « إسناده » .

[٦] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله تعالىٰ : ﴿ **أنْ يا موسىٰ إني أنا الله رب العالمين** ﴾ ، أي : الذي يخاطبك ويكلمك هو رب العالمين ، الفعال لما يشاء ، لا إله غيره ولا رب سواه ، تعالىٰ وتقدس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته ، وأقواله[١] وأفعاله سبحانه .

وقوله : ﴿ **وأن ألق عصاك** ﴾أي : التي في يدك . كما قرره علىٰ ذلك في قوله : ﴿ **وما تلك بيمينك يا موسىٰ قال هي عصاي أتوكأُ عليها وأَهُشُّ بها علىٰ غنمي ولي فيها مآرب أخرىٰ** ﴾ . والمعنىٰ : أما هذه عصاك التي تعرفها ؟ ﴿ **ألقها فألقاها فإذا هي حية تسعىٰ** ﴾ فعرف وتحقق أن الذي يخاطبه ويكلمه هو الذي يقول للشيء : كن ، فيكون . كما تقدم بيان ذلك في « **سورة طه** » وقال هاهنا : ﴿ **فلما رآها تهتز** ﴾ ، أي : تضطرب ﴿ **كأنها جان** ﴾ ، أي : في حركتها السريعة مع عظم خِلْقة[٢] قوائمها واتساع فمها واصطكاك أنيابها وأضراسها ، بحيث لا تمر بصخرة إلا ابتلعتها ، فتنحدر في فيها تقعقع[٣] كأنها حادرة في واد . فعند ذلك ﴿ **ولّىٰ مُدْبِرًا ولم يُعَقّب** ﴾ . أي : ولم [يلتفت][٤] ، لأن طبع البشرية ينفر من ذلك . فلما قال الله له : ﴿ **يا موسىٰ أقبل ولا تخف إنك من الآمنين** ﴾ ، رجع فوقف في مقامه الأول ، ثم قال الله له : ﴿ **اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء** ﴾ . أي : إذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فإنها تخرج تتلألأ ، كأنها قطعة قمر في لمعان البرق . ولهذا قال : ﴿ **من غير سوء** ﴾ ، أي : من غير برص[٥] .

وقوله : ﴿ **واضمم إليك جناحك من الرهب** ﴾ ، قال مجاهد : من الفزع . وقال قتادة : من الرعب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وابن جرير : مما[٦] حصل لك من خوفك من الحية .

والظاهر أن المراد أعم من هذا ، وهو أنه أمر - عليه السلام - إذا خاف من شيء أن يضم إليه جناحه من الرهب وهي يده ، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف ، وربما إذا استعمل أحد ذلك علىٰ سبيل الاقتداء فوضع يده علىٰ فؤاده ، فإنه يزول عنه ما يجد أو يَخف إن شاء الله ، وبه الثقة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا عليّ بن الحسين ، حدثنا الربيع بن ثعلب الشيخ الصالح ، أخبرنا أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم ، عن مجاهد ، قال : كان موسىٰ - عليه السلام - قد مُلِئَ قلبه رعبًا من فرعون ، فكان إذا رآه قال : اللهم إني أدرأ بك في نحره ، وأعوذ بك من

---

[١] - سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ت : « خلق » .

[٣] - في ت : « تتقعقع » .

[٤] - ما بين المعكوفين في ت : « يكن يلتفت » .

[٥] - في خ : « مرض » .

[٦] - في ز : « ما » .

شره ، ففرّغ اللّٰه ما كان في قلب موسىٰ - عليه السلام - وجعله في قلب فرعون ، فكان إذا رآه بال كما يبول الحمار .

وقوله : ﴿ **فذانك برهانان من ربك** ﴾ ، يعني : إلقاءه العصا وجعلها حية تسعىٰ ، وإدخاله يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء ، دليلان قاطعان واضحان علىٰ قدرة الفاعل المختار ، وصحة نبوة من جرىٰ هذا الخارق علىٰ يديه ؛ ولهذا قال : ﴿ **إلىٰ فرعون وملئه** ﴾ أي : وقومه من الرؤساء والكبراء والأتباع ﴿ **إنهم كانوا قومًا فاسقين** ﴾ أي : خارجين عن طاعة اللّٰه ، مخالفين لدين اللّٰه .

قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

لما أمره اللّٰه تعالىٰ بالذهاب إلىٰ فرعون ، الذي إنما خرج من ديار مصر فرارًا منه وخوفًا من سطوته ، ﴿ **قال رب إني قتلت منهم نفسًا** ﴾ ، يعني ذلك القبطي ﴿ **فأخاف أن يقتلون** ﴾ أي : إذا رأوني . ﴿ **وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا** ﴾ ، وذلك أن موسىٰ - عليه السلام - كان في لسانه لثغة ، بسبب ما كان تناول تلك الجمرة ، حين خُير بينها وبين التمرة أو الدرّة [فأخذ الجمرة][١] فوضعها علىٰ لسانه ، فحصل فيه[٢] شدة في التعبير ، ولهذا قال : ﴿ **واحلل عقدة من لساني . يفقهوا قولي . واجعل لي وزيرًا من أهلي . هارون أخي . اشدد به أزري . وأشركه في أمري** ﴾ أي : يؤنسني فيما أمرتني به من هذا المقام العظيم وهو القيام بأعباء النبوة والرسالة إلىٰ هذا الملك المتكبر الجبار العنيد ؛ ولهذا قال : ﴿ **وأخي هارون هو أفصح مني لسانًا فأرسله معي ردءًا** ﴾ أي[٣]: وزيرًا ومعينًا ومقويًا لأمري ، يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن اللّٰه عز وجل ، لأن خبر اثنين أنجع في النفوس من خبر واحد ؛ ولهذا قال : ﴿ **إني أخاف أن يكذبون** ﴾ .

وقال محمد بن إسحاق : ﴿ **ردءًا يصدقني** ﴾ أي : يبين[٤] لهم عني ما أكلمهم به فإنه يفهم مالا يفهمون .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في ز ، خ : « منه » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « يتبين » .

فلما سأل ذلك قال الله تعالىٰ : ﴿ **سنشد عضدك بأخيك** ﴾ ، أي[١] : سنقوي أمرك ونعز جانبك بأخيك الذي سألت له أن يكون نبيًّا معك ؛ كما قال في الآية الأخرىٰ : ﴿ **قد أوتيت سؤلك يا موسىٰ** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيًّا** ﴾ ولهذا قال بعض السلف : ليس أحد أعظم مِنَّة علىٰ أخيه من موسىٰ علىٰ هارون - عليهما السلام - فإنه شفع فيه حتىٰ جعله الله نبيًّا ورسولًا معه إلى فرعون وملئه [ولهذا][٢] قال في حق موسى : ﴿ **وكان عند الله وجيهًا** ﴾ وقوله تعالىٰ : ﴿ **ونجعل لكما سلطانًا** ﴾ ، أي : حجة قاهرة ﴿ **فلا يصلون إليكما بآياتنا** ﴾ أي : لا سبيل لهم إلىٰ الوصول إلىٰ أذاكم[٣] بسبب إبلاغكما آيات الله ، كما قال الله تعالىٰ : ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله وكفى بالله حسيبًا** ﴾ أي : وكفىٰ بالله ناصرًا ومعينًا ومؤيدًا . ولهذا أخبرهما أن العاقبة لهما ولمن اتبعهما في الدنيا والآخرة ، فقال : ﴿ **أنتما ومن اتبعكما الغالبون** ﴾ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إن الله قويّ عزيز** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار** ﴾ ووجه ابن جرير علىٰ أن المعنىٰ : ﴿ **ونجعل لكما سلطانًا فلا يصلون إليكما** ﴾ ، ثم يبتدئ فيقول : ﴿ **بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون** ﴾ ، تقديره : أنتما ومن اتّبعكما الغالبون بآياتنا(١٨) .

ولا شك أن هذا المعنىٰ صحيح ، وهو حاصل من التوجيه الأول ، فلا حاجة إلىٰ هذا ، والله أعلم .

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾

يخبر تعالىٰ عن مجيء موسىٰ وأخيه هارون إلىٰ فرعون وملئه وعرضه ما آتاهما الله من المعجزات الباهرة والدلالات القاهرة ، علىٰ صدقهما فيما أخبرا عن الله - عز وجل - من توحيده واتباع أوامره ، فلما عاين فرعون وملؤه ذلك وشاهدوه وتحققوه ، وأيقنوا أنه من الله ، عدلوا بكفرهم وبغيهم[٤] إلىٰ العناد والمباهتة ، وذلك لطغيانهم وتكبرهم عن اتباع الحق فقالوا :

(١٨) تفسير الطبري (٤٨/٢٠) .

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - في ت : « لهذا » .
[٣] - في ت : « أذاكما » .
[٤] - سقط من : ز ، خ .

﴿ **ما هذا إلا سحر مفترى** ﴾ أي : مفتعل مصنوع . أرادوا معارضته بالحيلة[١] والجاه فما صعد معهم ذلك وقوله : ﴿ **وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين** ﴾ ، يعنون عبادة اللّٰه وحده لا شريك له ، يقولون[٢] : ما رأينا أحدًا من آبائنا على هذا الدين ، ولم نر الناس إلا يشركون مع اللّٰه آلهة أخرى . فقال موسى - عليه السلام - مجيبًا لهم : ﴿ **ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده** ﴾ ، يعني : مني ومنكم ، وسيفصل بيني وبينكم ؛ ولهذا قال : ﴿ **ومن تكون له عاقبة الدار** ﴾ ، أي : النصرة والظفر والتأييد ﴿ **إنه لا يفلح الظالمون** ﴾ أي : المشركون باللّٰه .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

يخبر تعالى عن كفر فرعون وطغيانه وافترائه في دعوى الإلهية لنفسه القبيحة - لعنه اللّٰه - كما قال تعالى : ﴿ **فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قومًا فاسقين** ﴾ ، [وذلك][٣] لأنه دعاهم إلى الاعتراف له بالإلهية ، فأجابوه إلى ذلك بقلة عقولهم وسخافة أذهانهم ، ولهذا قال : ﴿ **يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ ، [وقال][٤] تعالى إخبارًا عنه : ﴿ **فحشر فنادى * فقال أنا ربكم الأعلى * فأخذه اللّٰه نكال الآخرة والأولى * إن في ذلك لعبرة لمن يخشى** ﴾ . يعني : أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مُصَرِّحًا لهم بذلك ، فأجابوه سامعين مطيعين ؛ ولهذا انتقم اللّٰه تعالى منه[٥] فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة ، وحتى إنه واجه موسى الكليم بذلك قال[٦] : ﴿ **لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحًا لعلي أطّلع إلى إله موسى** ﴾

---

[١] - في ز ، خ : « بالحلية » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ت : « ذلك » .
[٤] - في ت : « قال » .
[٥] - سقط من : ز ، خ .
[٦] - في ت : « فقال » .

أي : أمر وزيره هامان ومدبر رعيته ومشير دولته أن يوقد له[١] على الطين ، ليتخذ له آجرًا لبناء الصرح ، وهو القصر المنيف الرفيع - كما قال في الآية الأخرى : ﴿ **وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحًا لعلي أبلغ الأسباب * أسباب السموات فأطّلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصُدّ عن السبيل وما كيد فرعون إلا في[٢] تباب** ﴾ ، وذلك لأن فرعون بنى هذا الصرح الذي لم يُرَ في الدنيا بناء أعلى منه إنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما زعمه من دعوى إله غير فرعون ؛ ولهذا قال : ﴿ **وإني لأظنه من الكاذبين** ﴾ . أي : في قوله إنّ ثَمّ ربًا[٣] غيري ، لا أنه كذبه في أن الله أرسله ، لأنه لم يكن يعترف بوجود الصانع ، فإنه قال : ﴿ **وما رب العالمين** ﴾ وقال : ﴿ **لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين** ﴾ وقال : ﴿ **يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري** ﴾ وهذا قول ابن جرير وقوله : ﴿ **واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون** ﴾ ، أي : طغوا وتجبروا ، وأكثروا في الأرض الفساد ، واعتقدوا أنه لا معاد ولا قيامة ، ﴿ **فصب عليهم ربك سَوْطَ عذاب إن ربك لبالمرصاد** ﴾ ولهذا قال هاهنا : ﴿ **فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم** ﴾ ، أي : غرقناهم[٤] في البحر في صبيحة واحدة ، فلم يبق منهم أحد ، ﴿ **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار** ﴾ ، أي : لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم ، في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع ﴿ **ويوم القيامة لا ينصرون** ﴾ أي : فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولًا بذل الآخرة ، كما قال تعالى : ﴿ **أهلكناهم فلا ناصر لهم** ﴾ وقوله : ﴿ **وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة** ﴾ ، أي : وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على ألسنة المؤمنين من عباده المتبعين رسله ، وكما أنهم في الدنيا ملعونون على ألسنة[٥] الأنبياء وأتباعهم ، وكذلك ﴿ **يوم القيامة هم من المقبوحين** ﴾ ، قال قتادة : وهذه الآية الكريمة[٦] كقوله تعالى : ﴿ **وأُتبِعُوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود** ﴾ .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله موسى الكليم - عليه من ربه الصلاة والتسليم - من إنزال التوراة عليه بعد ما أهلك فرعون وملأه .

وقوله : ﴿ **من بعد ما أهلكنا القرون الأولى** ﴾ يعني : أنه بعد إنزال التوراة لم يعذب أمة بعامة ، بل أمر المؤمنين أن يقاتلوا أعداء الله من المشركين ، كما قال : ﴿ **وجاء فرعون ومن**

---

[١] - سقط من : ز ، خ .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « رب » .
[٤] - في ت : « أغرقناهم » .
[٥] - في ز ، خ : « لسان » .
[٦] - سقط من : ز ، خ .

قبله والمؤتفكات بالخاطئة * فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية ﴾ .

وقال ابن جرير(١٩) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا محمد وعبد الوهاب قالا : حدثنا عوف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري قال : ما أهلك الله قومًا بعذاب من السماء ولا من الأرض بعدما أنزلت التوراة على وجه الأرض ، غير القرية التي مسخوا قردة ، ألم تر أن الله يقول : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى** ﴾ .

ورواه ابن أبي حاتم من حديث عوف بن أبي جميلة[١] الأعرابي بنحوه . وهكذا رواه أبو بكر البزار في مسنده عن عمرو بن علي الفلاس ، عن يحيى القطان ، عن عوف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد موقوفًا (٢٠) .

ثم رواه عن نصر بن عليّ ، عن عبد الأعلى ، عن عوف ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد - رفعه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « **ما أهلك الله قومًا بعذاب من السماء ولا من الأرض إلا قبل موسى** » ، ثم قرأ : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى** ﴾(٢١) .

وقوله : ﴿ **بصائر للناس** ﴾ أي : من العمى والغيّ ، ﴿ **وهدًى** ﴾ إلى الحق ، ﴿ **ورحمة** ﴾ أي : إرشادًا[٢] إلى الأعمال الصالحة ، ﴿ **لعلهم يتذكرون** ﴾ أي : لعل الناس يتذكرون به ، ويهتدون بسببه .

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ
﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ
مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ
ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ
مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ

(١٩) تفسير الطبري (٢٠/٥٠) .

(٢٠) مسند البزار برقم (٢٢٤٧) « كشف الأستار » .

(٢١) مسند البزار برقم (٢٢٤٨) « كشف الأستار » ، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٨٨) : « رواه البزار موقوفًا ومرفوعًا ورجالهما رجال الصحيح » .

[١] - في خ ، ز : « حميد » .
[٢] - في ز ، خ : « إرشاد » .

أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالىٰ منبها علىٰ برهان نبوة محمد - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - حيث أخبر بالغيوب الماضية ، خبرًا كأن سامعه شاهد وراءٍ[١] لما تقدم ، وهو رجل أميٌّ لا يقرأ شيئًا من الكتب ، نشأ بين قوم لا يعرفون شيئًا من ذلك ، كما أنه لما أخبره عن مريم وما كان من أمرها ، قال تعالىٰ : ﴿ **وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون** ﴾ . أي : ما كنت حاضرًا لذلك ، ولكنّ اللّٰه أوحاه إليك . وهكذا لما أخبره[٢] عن نوح وقومه ، وما كان من[٣] إنجاء اللّٰه له وإغراق قومه .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين** ﴾ ، وقال في آخر السورة : ﴿ **ذلك من أنباء القرى نقصه عليك** ﴾ وقال بعد ذكر قصة يوسف : ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون** ﴾ وقال في سورة طه : ﴿ **كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا** ﴾ ، وقال هاهنا بعد ما أخبر عن قصة موسىٰ من أولها إلىٰ آخرها وكيف كان ابتداء إيحاء اللّٰه إليه وتكليمه له : ﴿ **وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلىٰ موسىٰ الأمر** ﴾ ، يعني : يا محمد ، ما كنت بجانب الجبل الغربيّ الذي كلم اللّٰه موسىٰ من الشجرة التي هي شرقية علىٰ شاطئ الوادي ﴿ **وما كنت من الشاهدين** ﴾ لذلك ، ولكن اللّٰه سبحانه وتعالىٰ أوحىٰ إليك ذلك ، ليجعله حجة وبرهانًا علىٰ قرون قد تطاول عهدها ، ونسوا حجج اللّٰه عليهم وما أوحاه إلىٰ الأنبياء المتقدمين .

وقوله : ﴿ **وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا** ﴾ أي : وما كنت مقيمًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا حين أخْبرتَ عن نبيها شعيب ، وما قال لقومه ، وما ردوا عليه ، ﴿ **ولكنا كنا مرسلين** ﴾ ، أي : ولكن نحن أوحينا إليك ذلك ، وأرسلناك للناس رسولا .

﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ . قال أبو عبد الرحمن النسائي في التفسير من سننه : أخبرنا علي بن حُجْر ، أخبرنا عيسىٰ - وهو ابن يونس - عن حمزة الزيات ، عن الأعمش ، عن عليّ بن مدرك ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة - رضي اللّٰه عنه - : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ ، قال : نودوا : يا أمة محمد ، أعطيتكم قبل أن تسألوني ، وأجبتكم قبل أن تدعوني .

---

[١] - في ز ، خ : « ورائي » .
[٢] - في ز ، خ : « أخبر » .
[٣] - في ز ، خ : « بين » .

وهكذا رواه ابن جرير(٢٢) ، وابن أبي حاتم ، من حديث جماعة ، عن حمزة - وهو ابن حبيب الزيات - عن الأعمش . ورواه ابن جرير من حديث وكيع ويحيىٰ بن عيسىٰ ، عن الأعمش ، عن عليّ بن مدرك ، عن أبي زرعة - وهو ابن عمرو بن جرير - أنه قال ذلك من كلامه ، والله أعلم .

وقال مقاتل بن حيان : ﴿**وما كنت بجانب الطور إذ نادينا**﴾ : أمتك في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك إذا بعثت .

وقال قتادة : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾ : موسىٰ . وهذا - والله أعلم - أشبه بقوله تعالىٰ : ﴿ **وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلىٰ موسىٰ الأمر** ﴾ .

ثم أخبر هاهنا بصيغة[١] أخرى أخص من ذلك وهو النداء كما قال تعالى : ﴿**وإذ نادى ربك موسى**﴾ وقال : ﴿**إذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى**﴾ وقال : ﴿ **وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولكن رحمة من ربك** ﴾ ، أي : ما كنت مشاهدًا لشيء من ذلك ، ولكن الله أوحاه إليك وأخبرك به ، رحمة منه لك وبالعباد بإرسالك إليهم ، ﴿ **لتنذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون** ﴾ ، أي : لعلهم يهتدون بما جئتهم به من الله عز وجل .

﴿ **ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين** ﴾ ، أي : وأرسلناك إليهم لتقيم عليهم الحجة ولتقطع عذرهم إذا[٢] جاءهم عذاب من الله بكفرهم ، فيحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول ولا نذير ؛ كما قال تعالىٰ بعد ذكره إنزال كتابه المبارك وهو القرآن : ﴿ **أنْ تقولوا[٣] إنما أنزل الكتاب علىٰ طائفتين من قبلنا وإنْ كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا[٤] لو أنّا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدىٰ منهم ، فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة** ﴾ ، وقال : ﴿**رسلًا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم علىٰ فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ والآيات في هذا[٥] كثيرة .

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ لَوۡلَآ أُوتِيَ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓۚ أَوَلَمۡ

(٢٢) تفسير الطبري (٢٠/٥١) والذي فيه من طريق سفيان ويحيى بن عيسى .

[١] - في خ ، ز : « بقصة » .
[٢] - في ز ، خ : « إذ » .
[٣] - في ز : « يقولوا » .
[٤] - في ز : « يقولوا » .
[٥] - في ت : « ذلك » .

يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ
﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ
مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم ، لاحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول -: إنهم لما جاءهم الحق من عنده علىٰ لسان محمد - صلوات اللَّه وسلامه عليه - قالوا علىٰ وجه التعنت والعناد والكفر والجهل والإلحاد : ﴿ **لولا أوتي مثل ما أوتي موسىٰ أو لم يكفرو بما أوتي موسىٰ من قبل** ﴾ يعنون - واللَّه أعلم - من الآيات الكثيرة مثل العصا ، واليد والطوفان ، والجراد ، والقمّل ، والضفادع ، والدم ، وتنقص الزروع والثمار، بما[١] يضيق علىٰ أعداء اللَّه، وكفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المنّ والسلوىٰ ، إلىٰ غير ذلك من الآيات الباهرة والحجج القاهرة ، التي أجراها اللَّه علىٰ يدي موسىٰ - عليه السلام - حجة وبراهين له علىٰ فرعون وملئه وبني إسرائيل ، ومع هذا كله لم ينجع في فرعون وملئه ، بل كفروا بموسىٰ وأخيه هارون ، كما قالوا لهما[٢] : ﴿ **أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فكذبوهما فكانوا من المهلكين** ﴾ ، ولهذا قال هاهنا : ﴿ **أو لم يكفروا بما أوتي موسىٰ من قبل** ﴾ ، أي : أو لم [يكفر البشر][٣] بما أوتى موسى من تلك الآيات العظيمة ﴿ **قالوا ساحران تظاهرا** ﴾ : أي تعاونا . ﴿ **وقالوا إنّا بكل كافرون** ﴾ ، أي : بكل منهما كافرون . ولشدة التلازم والتصاحب والمقارنة بين موسىٰ وهارون ، دل ذكر أحدهما علىٰ الآخر ، كما قال الشاعر :

فَمَا أدري إِذَا يَمَّمْتُ أَرْضًا أُرِيدُ الخيرَ أَيُّهُمَا يَلِيني

أي : فما أدري أيليني الخير أو الشر . قال مجاهد بن جبر[٤] : أمرت اليهود قريشًا أن يقولوا لمحمد ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ذلك ، فقال اللَّه : ﴿ **أو لم يكفروا بما أوتي موسىٰ من قبل قالوا ساحران تظاهرا** ﴾ ، قال : يعني موسىٰ وهارون صلىٰ اللَّه عليهما وسلم ﴿ **تظاهرا** ﴾ ، أي : تعاونا وتناصرا وصدّق كل منهما الآخر ، وبهذا[٥] قال سعيد بن جبير وأبو رزين في قوله :

---

[١] - في ت : « مما » .
[٢] - سقط من : ت .
[٣] - في ز : « يكفروا ببشر » .
[٤] - في ز ، خ : « جبير » .
[٥] - في ز ، خ : « هذا » .

﴿ ساحران ﴾ . يعنون : موسىٰ وهارون . وهذا قول جيد قَوي ، والله أعلم .

وقال مسلم بن يسار[١] ، عن ابن عباس ﴿ **قالوا ساحران تظاهرا** ﴾ ، يعني : موسىٰ ومحمدًا - صلوات الله وسلامه عليهما - وهذه[٢] رواية عن الحسن البصري .

[وقال الحسن][٣] وقتادة : يعني عيسىٰ ومحمد - صلى الله عليهما وسلم - وهذا فيه بعد ، لأن عيسىٰ لم يجر له ذكر هاهنا ، والله أعلم .

وأما من قرأ : (**سحران تظاهرا**)(*) ، فقال عليّ بن أبي طلحة والعوفي ، عن ابن عباس : يعنون التوراة والقرآن . وكذا قال عاصم الجَنَديّ ، والسّديّ ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، قال السدي : يعني صَدّق كل واحد منهما الآخر .

وقال عكرمة : يعنون التوراة والإنجيل ، وهو رواية عن أبي زرعة ، واختاره ابن جرير(٢٣) .

وقال الضحاك وقتادة : الإنجيل والقرآن . والله سبحانه أعلم بالصواب .

والظاهر علىٰ قراءة : (سحران) أنهم يعنون التوراة والقرآن ؛ لأنه قال بعده : ﴿ **قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدىٰ منهما أتبعه** ﴾ . وكثيرًا ما يقرن الله بين التوراة والقرآن ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿ **قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ نورًا وهدى للناس** ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك** ﴾ ، وقال في آخر السورة : ﴿ **ثم آتينا موسىٰ الكتاب تمامًا علىٰ الذي أحسن** ﴾ إلىٰ أن قال : ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون** ﴾ وقالت الجن : ﴿ **إنا سمعنا كتابًا أنزل من بعد موسى** ﴾ وقال ورقة بن نوفل : هذا الناموس الذي أنزل علىٰ موسىٰ . وقد علم بالضرورة لذوي الألباب أن الله لم ينزل كتابًا من السماء - فيما أنزل من الكتب المتعددة علىٰ أنبيائه - أكمل ولا أشمل ولا أفصح ولا أعظم ولا أشرف من الكتاب الذي أنزل علىٰ محمد - صلىٰ الله عليه وسلم - وهو القرآن ، وبعده في الشرف والعظمة الكتاب الذي أنزله علىٰ موسىٰ ابن عمران - عليه السلام - وهو التوراة التي قال الله تعالىٰ فيها : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء** ﴾والإنجيل إنما نزل متممًا للتوراة ومحلًا لبعض ما حرم علىٰ بني إسرائيل ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدىٰ منهما أتبعه إن كنتم صادقين** ﴾ ، أي : فيما تدافعون به الحق وتعارضون به من الباطل .

---

(٢٣) تفسير الطبري (٥٣/٢٠) .

---

[١] - في ز : « بشار » .

[٢] - في ز ، خ : « هذا » .

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

(*) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي . وقرأ عبد الله بن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر : « ساحران » بإثبات الألف .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **فإن لم يستجيبوا لك** ﴾ ، أي : فإن لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق ، ﴿ **فاعلم أنما يتبعون أهواءهم** ﴾ ، أي : بلا دليل ولا حجة ، ﴿ **ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله** ﴾ ، أي : بغير حجة مأخوذة من كتاب[١] الله ﴿ **إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ولقد وصلنا لهم القول** ﴾ قال مجاهد : فصلنا لهم القول . وقال السدى : بينا لهم القول .

وقال قتادة : يقول تعالىٰ : أخبَرَهم كيف صُنع بمن مضىٰ وكيف هو صانع ، ﴿ **لعلهم يتذكرون** ﴾ قال مجاهد وغيره : ﴿ **وصلنا لهم** ﴾ ، يعني : قريشًا . وهذا هو الظاهر . لكن قال حماد بن سلمة ، عن عمرو بن دينار ، عن يحيىٰ بن جعدة ، عن رفاعة - رفاعة هذا هو ابن قَرَظَة القُرَظِي ، وجعله ابن مندة : رفاعة بن سموال ، خال صفية بنت حييّ ، وهو الذي طلق تميمة بنت وهب التي تزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير بن باطا ، كذا ذكره ابن الأثير(٢٤) .

[قال : نزلت : ﴿ **ولقد وصلنا لهم القول** ﴾ في عشرة أنا أحدهم .رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم في حديثه][٢](٢٥) .

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾

يخبر تعالىٰ عن العلماء الألباء[٣] من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالقرآن ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به** ﴾ وقال : ﴿ **وإن من أهل الكتاب**

---

(٢٤) أسد الغابة لابن الأثير (٢٢٨/٢) .

(٢٥) تفسير الطبري (٥٦/٢٠) ، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٥٣/٥) من طريق حماد بن سلمة به .

---

[١] - في ز ، خ : « كتب » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٣] - في ت : « الأولياء » .

لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله ﴾ وقال : ﴿ **إن الذين أوتوا العلم**[١] **من قبله إذا يتلىٰ عليهم يخرون للأذقان سجدًا ويقولون سبحان ربنا إنْ كان وعد ربنا لمفعولاً** ﴾ وقال : ﴿ **ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارىٰ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ .

قال سعيد بن جبير : نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي ، فلما قدموا علىٰ النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم قرأ عليهم : ﴿ **يس والقرآن الحكيم** ﴾ ، حتىٰ ختمها ، فجعلوا يبكون وأسلموا ونزلت فيهم هذه الآية الأخرىٰ : ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلىٰ عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنّا كنا من قبله مسلمين** ﴾ ، يعني : من قبل هذا القرآن كنا مسلمين ، أي[٢] :موحدين مخلصين مستجيبين له .

قال اللّه : ﴿ **أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا** ﴾ ، أي : هؤلاء المتصفون بهذه الصفة الذين آمنوا بالكتاب الأول ثم بالثاني ، ولهذا قال : ﴿ **بما صبروا** ﴾ ، أي : علىٰ اتباع الحق ؛ فإن تجشم مثل هذا شديد علىٰ النفوس . وقد ورد في الصحيحين من حديث عامر الشعبي ، عن أبي بُرْدَة ، عن أبي موسىٰ الأشعري - رضي اللّه عنه - قال : قال رسول اللّه - صلىٰ اللّه عليه وسلم - : « **ثلاثة يُؤتَون أجرَهم مرّتَيْن : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي ، وعبد مملوك أدىٰ حق اللّه وحق مواليه ، ورَجُل [كانت]**[٣] **[له]**[٤] **أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فتزوجها** »(٢٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيىٰ بن إسحاق السَّيْلَحيني ، حدثنا ابن لَهيعة ، عن سليمان بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن أبي أمامة قال : إني لتَحْتَ راحلة رسول اللّه - صلىٰ اللّه عليه وسلم - يوم الفتح ، فقال قولاً حسنًا جميلاً وقال فيما قال : « **من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين ، وله ما لنا وعليه ما علينا ، [ومن أسلم من المشركين ، فله أجره وله ما لنا وعليه ما علينا]**[٥] » (٢٧) .

وقوله ﴿ **ويدرءون بالحسنة السيئة** ﴾ ، أي : لا يقابلون السيئ[٦] بمثله ، ولكن يعفون ويصفحون ؛ ﴿ **ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ أي : ومن الذي رزقهم من الحلال ينفقون[٧] علىٰ خَلْق

(٢٦) صحيح البخاري برقم (٩٧) ، وصحيح مسلم برقم (١٥٤) .
(٢٧) المسند (٢٥٩/٥) .

[١] - في ز ، خ : « الكتاب » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - في خ ، ز : « كان » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « على الشيء » .
[٧] - سقط من : خ ، ز .

اللَّه في النفقات الواجبة لأهلهم وأقاربهم والزكاة المفروضة والمستحبة من التطوعات وصدقات النفل والقربات .

وقوله : ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ﴾ ، أي : لا يخالطون أهله ولا يعاشرونهم[١] بل كما قال تعالىٰ : ﴿ وإذا مروا باللغو مروا كرامًا ﴾ .

﴿ وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ أي : إذا سَفه عليهم سَفيه ، وكلَّمهم بما لا يَليق بهم الجوابُ عنه ، أعرضوا عنه ولم يقابلوه بمثله من الكلام القبيح ولا يصدر عنهم إلا كلام طيب ؛ ولهذا قال عنهم : إنهم قالوا : ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ﴾ أي[٢] : لا نُريد طَريق الجاهلين ولا نحبّها .

قال محمد بن إسحاق في السيرة : ثم قدم على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة عشرون رجلًا ، أو قريب من ذلك ، من النصارىٰ ، حين بلغهم خبره من الحبشة ؛ فوجدوه في المسجد ، فجلسوا إليه وكلموه وساءلوه - و[٣]رجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة - فلما فرغوا من مساءلة رسول اللَّه عما أرادوا ، دعاهم إلىٰ اللَّه وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره . فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش ، فقالوا لهم : خيبكم اللَّه من ركب ! بعثكم مَنْ وراءكم مِنْ أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم[٤] بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتىٰ فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال ، ما نعلم ركبًا أحمق منكم - أو كما قالوا لهم - فقالوا : سلام عليكم ، لا نجاهلكم ، لنا ما نحن عليه ، ولكم ما أنتم عليه ، لم نَألُ أنفسنا خيرًا (٢٨) .

قال : ويقال : إن النفر النصارى من أهل نجران ، فالله أعلم ، أيّ ذلك كان . قال : ويقال - واللَّه أعلم - : إنّ فيهم نزلت هذه الآيات : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ لا نبتغي الجاهلين ﴾ .

قال : وقد سألت الزهري عن هذه الآيات فيمن أنزلن[٥] ؟ فقال[٦] : ما زلتُ أسمع من علمائنا أنهنّ أنزلنَ في النجاشي وأصحابه - رضي اللَّه عنهم - والآيات التي في سورة المائدة : ﴿ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا ﴾ إلىٰ قوله : ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾

(٢٨) السيرة النبوية لابن هشام (٣٩٢/١) .

[١] - في ز ، خ : « يحاشرونهم » .
[٢] - سقط من : ز ، خ .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز ، خ : « فتأتوهم » .
[٥] - في ز ، خ : « نزل » .
[٦] - في ت : « قال » .

[﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلىٰ الرسول ترىٰ أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾][١]

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾

يقول تعالىٰ لرسوله - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - : إنك يا محمد ﴿ **لا تهدي مَنْ أحببت** ﴾ أي : ليس إليك ذلك ، إنما عليك البلاغ ، واللّٰه يهدي من يشاء ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن اللّٰه يهدي من يشاء** ﴾ وقال : ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ .

وهذه الآية أخص من هذا كله فإنه قال : ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللّٰه يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ أي : هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغَوَاية ، وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عَمّ رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - وقد كان يَحُوطه وينصره ، ويقوم في صفه يحبه حبًا طَبَعِيًا لا شرعيًا ، فلما حضرته الوفاة وحان أجله ، دعاه رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - إلىٰ الإيمان والدخول في الإسلام فسبق القدر فيه ، واختُطف من يده ، فاستمر علىٰ ما كان عليه من الكفر ، ولله الحكمة[٢] التامة .

قال الزهري : حدثني سعيد بن المسيب ، عن أبيه - وهو المسيب بن حزْن المخزومي - رضي اللّٰه عنه - قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد اللّٰه بن أبي أمية بن المغيرة ، فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **يا عم ، قل : لا إله إلا اللّٰه ، كلمة أشهد لك بها عند اللّٰه** » . فقال أبو جهل ، وعبد اللّٰه بن أبي[٣] أمية : يا أبا طالب ، أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يعرضها عليه ، ويعودان له بتلك المقالة ، حتىٰ قال آخر ما قال : هو علىٰ ملة عبد المطلب . وأبىٰ أن يقول : لا إله إلا اللّٰه . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **أما لأستغفرن لك ما لم أنه عنك** » . فأنزل اللّٰه عز وجل : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربىٰ** ﴾ ، [وأنزل][٤] في أبي طالب : ﴿ **إنك لا تهدي من**

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٢] - في خ ، ز : « الحجة » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ت : « وأنزل اللّٰه » .

أحببت ، ولكن اللَّه يهدي من يشاء ﴾ .

أخرجاه(٢٩) من حديث الزهري. وهكذا رواه مسلم في صحيحه ، والترمذي من حديث يزيد بن كيسان ، عن أبي حازم ، عن أبي هُريرة رضي الله عنه ، قال : لما حَضَرَتْ وفاة أبي طالب؛ أتاه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم فقال : « **يا عمَّاه ، قل : لا إله إلا اللَّه ، أشهد لك بها يوم القيامة** » . فقال : لولا أن يُعَيِّرني[١] بها قريش ، يقولون : ما حمله عليه إلا جزع الموت ، لأقررتُ بها عينَك ، لا أقولها إلا لأُقرَّ بها عينك . فأنزل اللَّه : **﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللَّه يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾** . وقال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن كيسان(٣٠) .

ورواه الإمام أحمد ، عن يحيىٰ بن سعيد القطان ، عن يزيد بن كيسان ، حدثني أبو حازم ، عن أبي هريرة ... فذكره بنحوه(٣١) .

وهكذا قال ابن عباس ، وابن عمر ، ومجاهد ، والشعبي ، وقتادة : إنها نزلت في أبي طالب حين عَرَض عليه رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أن يقول : « **لا إله إلا اللَّه** » ، فأبىٰ عليه ذلك ، وقال : أيْ ابن أخي ، ملّة الأشياخ . وكان آخر ما قال : هو علىٰ ملة عبد المطلب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو سلمة ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا عبد اللَّه ابن عثمان بن خُثيْم ، عن سعيد بن أبي راشد ، قال : كان رسول قيصر جاء إليَّ قال : كتب معي قيصر إلىٰ رسول اللَّه ، صلىٰ اللَّه عليه وسلم ، كتابًا ، فأتيته فدفعت الكتاب ، فوضعه في حجره ثم قال : « **ممن الرجل ؟** » قلت : من تنوخ[٢] . قال : « **هل لك في دين أبيك إبراهيم الحنيفية ؟** » قلت : إني رسول قوم[٣] وعلىٰ دينهم حتىٰ أرجع إليهم . فضحك رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم ونظر إلىٰ أصحابه فقال[٤] : « **﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللَّه يهدي من يشاء ﴾** »(٣٢) .

وقوله : **﴿ وقالوا إنْ نتبع الهدىٰ معك نتخطف من أرضنا ﴾** ، [يقول تعالىٰ مخبرًا عن اعتذار بعض الكفار في عدم اتباع الهدىٰ حيث قالوا لرسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : **﴿ إنْ نتبع الهدىٰ معك نتخطف من أرضنا ﴾**][٥] أي : نخشىٰ إنِ اتبعنا[٦] ما جئت به من الهدىٰ ،

(٢٩) صحيح البخاري برقم (١٣٦٠) ، وصحيح مسلم برقم (٢٤) .

(٣٠) صحيح مسلم برقم (٢٥) ، وسنن الترمذي برقم (٣١٨٨) .

(٣١) المسند (٢/٤٣٤) .

(٣٢) رواه أحمد في المسند (٣/٤٤١) من طريق حماد بن سلمة بنحوه .

[١] - في ت : « تعيرني » .
[٢] - في خ ، ز : « تبرح » .
[٣] - في ز ، خ : « قومي » .
[٤] - في ت : « وقال » .
[٥] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٦] - في ز : « اتبعت » .

وخالفنا مَنْ حولنا من أحياء العرب المشركين، أن يقصدونا بالأذىٰ والمحاربة، ويتخطفونا أينما كنا، فقال اللّٰه تعالىٰ مجيبًا لهم: ﴿ **أو لم نمكن لهم حرمًا آمنًا** ﴾ يعني: هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل؛ لأن اللّٰه جعلهم في بلد أمين وحَرَم معظم آمن[١] منذ وُضع، فكيف يكون هذا الحرم آمنًا [لهم][٢] في حال كفرهم وشركهم، ولا يكون آمنًا لهم وقد أسلموا وتابعوا الحق؟!

وقوله: ﴿ **يُجبىٰ إليه ثمرات كل شيء** ﴾، [أي: من سائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره، وكذلك المتاجر والأمتعة][٣] ﴿ **رزقًا من لدنّا** ﴾، أي: من عندنا، ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ فلهذا قالوا ما قالوا.

وقد قال النسائي: أنبأنا الحسن بن محمد، حدثنا حجاج[٤]، عن ابن جُريج، أخبرني ابن أبي مُليكة، قال: قال عمرو بن شعيب، عن ابن عباس - ولم يسمعه منه -: إن الحارث بن عامر بن نوفل الذي قال: ﴿ **إن نتبع الهدىٰ معك نتخطف من أرضنا** ﴾(٣٣).

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةِۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

يقول تعالىٰ مُعَرِّضًا بأهل مكة في قوله: ﴿ **وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها** ﴾، أي: طغت وأشرت[٥] وكفرت نعمة اللّٰه، فيما أنعم به عليهم من الأرزاق، كما قال في الآية الأخرىٰ: ﴿ **وضرب اللّٰه مثلًا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم اللّٰه فأذاقها اللّٰه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون. ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون** ﴾ ولهذا قال: ﴿**فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلًا**﴾ أي: دثرت ديارهم، فلا ترى إلا مساكنهم.

وقوله: ﴿**وكنا نحن الوارثين**﴾ أي: رجعت خرابًا، ليس فيها أحد. وقد ذكر ابن أبي

---

(٣٣) النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٨٥).

---

[١] - في ز، خ: « أمين ».
[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٤] - في ت: « الحجاج ».
[٥] - في خ، ز: « وأصرت ».

حاتم ، عن ابن مسعود ، أنه سمع كعبًا يقول لعمر : إن سليمان - عليه السلام - قال للهامة - يعني : البومة - : ما لك لا تأكلين الزرع ؟ قالت : لأنه أخرج آدم بسببه من الجنة . قال : فما لك لا تشربين الماء ؟ قالت : لأن الله أغرق قوم نوح به . قال : فما لك لا تأوين إلا إلى الخراب ؟ قالت : لأنه ميراث الله - عز جل - ثم تلا : ﴿ **وكنا نحن الوارثين** ﴾ .

ثم قال الله مخبرًا عن عدله ، وأنه لا يهلك أحدًا ظالمًا له ، وإنما يهلك من أهلك بعد قيام الحجة عليهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **وما كان ربك مهلك القرىٰ حتىٰ يبعث في أمها** ﴾ وهي مكة ﴿ **رسولًا يتلو عليهم آياتنا** ﴾ ، فيه دلالة علىٰ أن النبي الأمي - وهو محمد صلىٰ الله عليه وسلم - المبعوثَ من أم القرىٰ - رسولٌ إلىٰ جميع القرىٰ من عرب وأعجام ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **لتنذر أم القرىٰ ومن حولها** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا** ﴾ وقال : ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ . وقال : ﴿ **ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده** ﴾ وتمام الدليل : ﴿ **وإنْ من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابًا شديدًا . كان ذلك في الكتاب مسطورًا** ﴾ فأخبر أنه سيهلك كل قرية قبل يوم القيامة ، وقد قال : ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولًا** ﴾ . فجعل تعالىٰ بعثة النبي الأمي شاملة لجميع القرىٰ ، لأنه مبعوث إلىٰ أمها وأصلها[١] التي ترجع إليها . وثبت في الصحيحين عنه - صلىٰ الله عليه وسلم - أنه قال : « **بعثت إلىٰ الأحمر والأسود** » . ولهذا ختم به الرسالة والنبوة ، فلا نبي بعده ولا رسول ، بل شرعه باق بقاء الليل والنهار إلىٰ يوم القيامة .

وقيل المراد بقوله : ﴿ **حتى يبعث في أمها** ﴾ أي : أصلها وعظيمتها كأمهات الرساتيق والأقاليم . حكاه الزمخشري وابن الجوزي وغيرهما ، وليس ببعيد .

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن حقارة الدنيا ، وما فيها من الزينة الدنيئة والزهرة الفانية بالنسبة إلىٰ ما أعده الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة من النعيم العظيم المقيم ؛ كما قال : ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾ وقال : ﴿ **وما عند الله خير للأبرار** ﴾ وقال : ﴿ **وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع** ﴾ وقال : ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى** ﴾ وقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يَغْمِس أحدكم إصبعه في اليم فلينظر ماذا يرجع إليه ؟** »(٣٤) .

---

(٣٤) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٨٥٨) من حديث المستورد بن شداد رضي الله عنه .

[١] - في ز ، خ : « وأهلها » .

﴿ أفلا تعقلون[١] ﴾ أي : أفلا يعقل من يقدم الدنيا على الآخرة .

وقوله : ﴿ أفمن وعدناه وعدًا حسنًا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ .

يقول : أفمن هو مؤمن مصدق بما وعده اللَّه علىٰ صالح أعماله من الثواب الذي هو صائر إليه لا محالة ، كمن هو كافر مكذب بلقاء اللَّه ووعده ووعيده ، فهو ممتع في الحياة الدنيا أيامًا قلائل ، ﴿ ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ ، قال مجاهد ، وقتادة : من المعذبين .

ثم قد قيل : إنها نزلت في رسول اللَّه - صلىٰ اللَّه عليه وسلم - وفي أبي جهل . وقيل : في حمزة ، وعليّ ، وأبي جهل ، وكلاهما عن مجاهد . والظاهر أنها عامة ، وهذا كقوله تعالىٰ إخبارًا عن ذلك المؤمن حين أشرف علىٰ صاحبه ، وهو في الدرجات وذاك في الدركات : ﴿ ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ﴾ وقال تعالى: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ .

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا[٢] عما يوبخ به الكفار المشركين يوم القيامة ، حيث يناديهم فيقول : ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ يعني : أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا ، من الأصنام والأنداد ، هل ينصرونكم أو ينتصرون ؟ وهذا علىٰ سبيل التقريع والتهديد ؛ كما قال : ﴿ ولقد جئتمونا فرادىٰ كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرىٰ معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ﴾ .

---

[١] - في ز ، خ : « يعقلون » . [٢] - سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ **قال الذين حَقَّ عليهم القول** ﴾ ، يعني : من الشياطين والـمَرَدَة[١] والدعاة إلىٰ الكفر ﴿ **ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون** ﴾ فشهدوا عليهم أنهم أغووهم فاتبعوهم[٢] ، ثم تبرءوا من عبادتهم ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **واتخذوا من دون اللَّه آلهة ليكونوا لهم عزًّا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدًّا** ﴾ وقال : ﴿ **ومن أضل ممن يدعو من دون اللَّه من لا يستجيب له إلىٰ يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حُشِر الناسُ كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين** ﴾ ، وقال الخليل لقومه : ﴿ **إنما اتخذتم من دون اللَّه أوثانًا مَودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ وقال اللَّه : ﴿ **إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتَّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم اللَّه أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار** ﴾ ؛ ولهذا قال : ﴿ **وقيل ادعوا شركاءكم** ﴾ ليخلصوكم مما أنتم فيه كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا ﴿ **فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب** ﴾ أي : [وتيقنوا][٣] أنهم صائرون إلىٰ النار لا محالة .

وقوله : ﴿ **لو أنهم كانوا يهتدون** ﴾ أي : فودوا[٤] حين عاينوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا . وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقًا * ورأىٰ المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفًا** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ويوم يناديهم فيقول[٥] ماذا أجبتم المرسلين** ﴾ ، النداء الأول عن سؤال التوحيد ، وهذا فيه إثبات النبوات : ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم ؟ كيف كان حالكم معهم ؟ وهذا كما يُسأل العبد في قبره : من ربك ؟ ومن نبيك ؟ وما دينك ؟ فأما المؤمن : فيشهد أنه لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبد اللَّه ، ورسوله . وأما الكافر فيقول : هاه ... هاه ... لا أدري ؛ ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت ؛ لأن من كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمىٰ وأضل سبيلًا ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ **فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون** ﴾ .

وقال مجاهد : فعميت عليهم الحجج فهم لا يتساءلون بالأنساب .

وقوله : ﴿ **فأما من تاب وآمن وعمل صالحًا** ﴾ ، أي : في الدنيا ، ﴿ **فعسىٰ أن يكون من**

---

[١] - في ت : « المردة » .

[٢] - في خ، ز : « فيما يتبعوهم » .

[٣] - في ت : « تيقنوا » .

[٤] - في ز ، خ : « فردوا » .

[٥] - سقط من : ز .

المفلحين ﴾ ، أي : يوم القيامة . « وعسىٰ » من الله موجبة ، فإن هذا واقع بفضل الله ومَنِّهِ لا محالة .

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ أنه المنفرد بالخلق والاختيار ، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب فقال : ﴿ وربك يخلق ما يشاء [ويختار ﴾ ، أي : ما يشاء][١]، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ، ومرجعها إليه .

وقوله : ﴿ ما كان لهم الخيرة ﴾ ، نفيٌ علىٰ أصح القولين ، كقوله تعالىٰ : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ وقد اختار ابن جرير أن (ما) هاهنا بمعنىٰ « الذي » ، تقديره : ويختار الذي لهم فيه خيرة . وقد احتج بهذا المسلك[٢] طائفة المعتزلة علىٰ وجوب مراعاة الأصلح . والصحيح أنها نافية ، كما نقله ابن أبي حاتم ، عن ابن عباس وغيره أيضًا ، فإن المقام في بيان انفراده تعالىٰ بالخلق والتقدير والاختيار ، وأنه لا نظير له في ذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ سبحان الله وتعالىٰ عما يشركون ﴾ ، أي : من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئًا .

ثم قال : ﴿ وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴾ أي : يعلم [مكتمة][٣] الضمائر وما تنطوي عليه السرائر ، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق ، ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ .

وقوله : ﴿ وهو الله لا إله إلا هو ﴾ ، أي : هو المنفرد بالإلهية ، فلا معبود سواه ، كما لارب يخلق ويختار سواه ﴿ له الحمد في الأولىٰ والآخرة ﴾ ، أي : في جميع ما يفعله هو المحمود عليه ، لعدله وحكمته ﴿ وله الحكم ﴾ ، أي : الذي لا معقب له ، لقهره وغلبته وحكمته ورحمته ، ﴿ وإليه ترجعون ﴾ ، أي : جميعكم يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله ، من خير وشر ، ولا يخفىٰ عليه منهم خافية في سائر الأعمال .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز ، خ.
[٢] - في خ : « الملك » .
[٣] - في ت : « ما تكنه » .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٣)﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ عبادِهِ بما سخر لهم من الليل والنهار ، اللذين لا قِوَام لهم بدونهما ، وبين أنه لو جعل الليل دائمًا عليهم سرمدًا إلىٰ يوم القيامة ، لأضرّ ذلك بهم ، ولسئمته[١] النفوس وانحصرت منه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **مَنْ إله غير الله يأتيكم بضياء** ﴾ ، أي : تبصرون به وتستأنسون بسببه ، ﴿ **أفلا تسمعون** ﴾ ؟.

ثم أخبر أنه لو جعل النهار سرمدًا [دائمًا مستمرًا][٢] إلىٰ يوم القيامة لأضر ذلك بهم ، ولتعبت الأبدان وكلّت من كثرة الحركات والأشغال ؛ ولهذا قال : ﴿ **مَنْ إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه** ﴾ أي : تستريحون من حركاتكم وأشغالكم ، ﴿ **أفلا تبصرون ومن رحمته** ﴾ ، أي : بكم ﴿ **جعل لكم الليل والنهار** ﴾ ، أي : خلق هذا وهذا ، ﴿ **لتسكنوا فيه** ﴾ أي : في الليل ، ﴿ **ولتبتغوا من فضله** ﴾ ، أي : في النهار بالأسفار والترحال ، والحركات والأشغال ، وهذا من باب اللف والنشر .

وقوله : ﴿ **ولعلكم تشكرون** ﴾ ، أي : تشكرون الله بأنواع العبادات في الليل والنهار ، ومن فاته شيء بالليل[٣] استدركه بالنهار ، أو بالنهار استدركه بالليل ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا** ﴾ والآيات في هذا[٤] كثيرة .

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٤) وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ (٧٥)﴾

---

[١] - في خ ، ز : « ولساء منه » .

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من : م .

[٣] - في ز ، خ : « من الليل » .

[٤] - في ت : « ذلك » .

وهذا أيضًا نداء على سبيل التقريع والتوبيخ لمن عبد مع الله إلهًا آخر يناديهم الرب - تبارك وتعالى - على رءوس الأشهاد فيقول : ﴿ **أين شركائي الذين كنتم تزعمون** ﴾ . أي : في الدار الدنيا .

﴿ **ونزعنا من كل أمة شهيدًا** ﴾ قال مجاهد : يعني رسولًا ﴿ **فقلنا هاتوا برهانكم** ﴾ أي : على صحة ما ادعيتموه من أن لله شركاء ، ﴿ **فعلموا أن الحق لله** ﴾ أي : لا إله غيره ، أي : فلم ينطقوا ولم[١] يحيروا جوابًا ، ﴿ **وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ . أي : ذهبوا فلم ينفعوهم[٢] .

۞ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

قال الأعمش : عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ؛ قال : ﴿ **إن قارون كان من قوم موسى** ﴾ ، [ ][٣]: كان ابن عمه . وهكذا قال إبراهيم النخعي ، وعبد الله ابن الحارث بن نوفل ، وسماك بن حرب ، وقتادة ومالك بن دينار ، وابن جريج ، وغيرهم : إنه كان ابن عم[٤] موسى عليه السلام .

قال ابن جريج : هو قارون بن [يصهر بن قاهث][٥] ، وموسى بن عمران بن قاهث .

وزعم محمد بن إسحاق بن يسار : أن قارون كان عم موسى عليه السلام .

قال ابن جرير : وأكثر أهل العلم على أنه كان ابن عمه ، والله أعلم .

وقال قتادة بن دعامة : كنا نُحدّث أنه كان ابن عم موسى ، وكان يسمى المنوّر لحسن صوته بالتوراة ، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري ، فأهلكه البغي لكثرة ماله .

---

[١] - في ز ، خ : « ولا » . [٢] - في ز ، خ : « ينفعهم » .
[٣] - ما بين المعكوفين في ت : « قال » . [٤] - في ز : « عمه » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ ، ز : « يعمر بن فاهت » ، و في ز : « يعهر بن قاهت » .

وقال شهر بن حوشب: زاد في ثيابه شبرًا طولًا ترفعًا على قومه.

وقوله: ﴿ **وآتيناه من الكنوز** ﴾، أي: الأموال ﴿ **ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة** ﴾، أي: لَيثقُل حملُها الفئام من الناس لكثرتها[١].

قال الأعمش: عن خيثمة: كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود، كل مفتاح مثل الإِصبع، كل مفتاح على خزانة على حدته، فإذا ركب حملت على ستين بغلًا[٢] أغر محجلًا[٣]، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

وقوله: ﴿ **إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين** ﴾ أي: وعظه فيما هو فيه صالحو[٤] قومه، فقالوا على سبيل النصح والإِرشاد: لا تفرح بما أنت فيه، يعنون لا تبطر بما أنت فيه من الأموال ﴿ **إن الله لا يحب الفرحين** ﴾.

قال ابن عباس: يعني المرحين، وقال مجاهد يعني[٥]: الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم.

وقوله: ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾، أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها[٦] الثواب في الدار الآخرة، ﴿ **ولا تنس نصيبك من الدنيا** ﴾، أي: مما[٧] أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقًا ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزَوْرك [عليك حقًا][٨] فآت كل ذي حق حقه.

﴿ **وأحسن كما أحسن الله إليك** ﴾، أي: أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك، ﴿ **ولا تبغ الفساد في الأرض** ﴾، أي: لاتكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في[٩] الأرض، وتسيء إلى خلق الله ﴿ **إن الله لا يحب المفسدين** ﴾.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ

---

[١] - في ت: « لكثرتهم ».
[٢] - في ز: « بغل ».
[٣] - في ز، خ: « محجل ».
[٤] - في ت: « صالح ».
[٥] - سقط من: ز، خ.
[٦] - سقط من: ز، خ.
[٧] - في ز، خ: « ما ».
[٨] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.
[٩] - سقط من: خ، ز.

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ ٧٨﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن جواب قارون لقومه، حين نصحوه وأرشدوه إلىٰ الخير، **﴿ قال إنما أوتيته علىٰ علم عندي ﴾** أي: أنا لا أفتقر إلىٰ ما تقولون، فإن اللّٰه تعالىٰ إنما أعطاني هذا المال لعلمه بأني أستحقه، ولمحبته لي، فتقديره[١]: إنما أعطيته لعلم اللّٰه فيّ أنّي أهل له، [وهذا][٢] كقوله تعالىٰ: **﴿ فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته علىٰ علم ﴾**، [أي: علىٰ علم من اللّٰه بي][٣]، وكقوله تعالىٰ: **﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾** أي: هذا أستحقه.

وقد رُوي عن بعضهم أنه أراد: **﴿ إنما أوتيته علىٰ علم عندي ﴾**، أي: إنه كان يعاني علم الكيمياء. وهذا القول ضعيف، لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل، لأن قلب الأعيان لا يقدر أحد عليها إلا اللّٰه عز وجل، قال اللّٰه: **﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون اللّٰه لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له ﴾**.

وفي الصحيح عن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه قال: « **يقول اللّٰه تعالىٰ ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة** »(٣٥). وهذا ورد في المصورين[٤] الذين يشبهون بخلق اللّٰه في مجرد الصورة الظاهرة أو الشكل، فكيف بمن يدعي أنه يحيل ماهية هذه الذات إلىٰ ماهية ذات أخرىٰ، هذا زور ومحال، وجهل وضلال. وإنما يقدرون علىٰ الصبغ في الصورة الظاهرة، وهو كذب وزغل وتمويه، وترويج أنه صحيح في نفس الأمر، وليس كذلك قطعًا لا محالة، ولم يثبت بطريق شرعي أنه صح مع أحد من الناس من هذه الطريقة التي يتعاناها هؤلاء الجهلة الفسقة الأفاكون، فأما ما يجريه اللّٰه - تعالىٰ - من خرق العوائد علىٰ يدي بعض الأولياء من قلب بعض الأعيان ذهبًا أو فضة أو نحو ذلك، فهذا أمر لا ينكره مسلم، ولا يرده مؤمن، ولكن هذا ليس من قبيل الصناعات، وإنما هذا عن مشيئة رب الأرض والسماوات، واختياره وفعله، كما روي عن حَيوة بن شُريح المصري - رحمه اللّٰه - أنه سأله سائل، فلم يكن عنده ما يعطيه ورأىٰ ضرورته، فأخذ حصاة من الأرض فأجالها في كفه، ثم ألقاها إلىٰ ذلك السائل فإذا هي ذهب أحمر. والأحاديث والآثار كثيرة جدًّا يطول ذكرها.

وقال بعضهم: إن قارون كان يعلم الاسم الأعظم، فدعا اللّٰه به[٥] فتموّل بسببه. والصحيح

---

(٣٥) صحيح البخاري برقم (٥٩٥٣)، وصحيح مسلم برقم (٢١١١).

---

[١] - في ز، خ: « فتقدير ».
[٢] - في ت: « هذا ».
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.
[٤] - في خ، ز: « المتصورين ».
[٥] - سقط من: خ، ز.

المعنىٰ الأول ؛ ولهذا قال اللَّه - تعالىٰ - رادًّا عليه فيما ادعاه من اعتناء اللَّه به فيما أعطاه من المال : ﴿ **أولم يعلم أن اللَّه قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعًا** ﴾ ، أي : قد كان من هو أكثر منه مالًا وما كان ذلك عن محبة منا له ، وقد أهلكهم اللَّه مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم ؛ ولهذا قال : ﴿ **ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون** ﴾ ، أي : لكثرة ذنوبهم .

قال قتادة : ﴿**علىٰ علم عندي**﴾ على خيرٍ عندي : وقال السديُّ : على علم أني أهل لذلك .

وقد أجاد في تفسير هذه الآية الإمام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، فإنه قال في قوله : ﴿ **قال إنما أوتيته علىٰ علم عندي** ﴾ قال : لولا رضا اللَّه عني ، ومعرفته بفضلي ، ما أعطاني هذا المال ، وقرأ : ﴿ **أولم يعلم أن اللَّه قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعًا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون** ﴾ .

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قارون : إنه خرج ذات يوم علىٰ قومه في زينة عظيمة ، وتجمل باهر ، من مراكب وملابس عليه وعلىٰ خدمه وحشمه ، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلىٰ زخرفها وزينتها ، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي ، ﴿ **قالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم** ﴾ ، أي : ذو حظ وافر من الدنيا . فلما سمع مقالتهم أهل العلم النافع قالوا لهم : ﴿ **ويلكم ثواب اللَّه خير لمن آمن وعمل صالحاً** ﴾ ، أي : جزاء اللَّه لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خير مما ترون .

[كما في الحديث الصحيح : « **يقول اللَّه تعالىٰ : أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر علىٰ قلب بشر . واقرءوا إن شئتم : ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾** »][١](٣٦) .

(٣٦) صحيح مسلم برقم (٢٨٢٤) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

وقوله : ﴿ ولا[١] يلقاها إلا الصابرون ﴾ ، قال السدي : وما يلقىٰ الجنة إلا الصابرون . كأنه جعل ذلك من تمام كلام الذين أوتوا العلم ، قال ابن جرير : وما يلقىٰ هذه الكلمة إلا الصابرون عن محبة الدنيا ، الراغبون[٢] في الدار الآخرة . وكأنه جعل ذلك مقطوعًا[٣] من كلام أولئك ، وجعله من كلام اللّٰه - عز وجل - وإخباره[٤] بذلك .

فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

لما ذكر - تعالىٰ - اختيال قارون في زينته ، وفخره علىٰ قومه ، وبغيه عليهم - عقب ذلك بأنه خسف به وبداره الأرض ، كما ثبت في الصحيح - عند البخاري من حديث الزهري ، عن سالم ، أن أباه حدثه ، أن رسول اللّٰه ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، قال : « **بينا رجل يجر إزاره إذ خُسف به ، فهو يتجلجل في الأرض إلىٰ يوم القيامة** » .

ثم رواه من حديث جرير بن زيد ، عن سالم ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، نحوه (٣٧) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المغيرة القاصّ ، حدثنا الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **بينا رجل فيمن كان قبلكم ، خرج في بردين أخضرين يختال فيهما ، أمر اللّٰه الأرض فأخذته ، فإنه ليتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة** » . تفرد به أحمد وإسناده حسن (٣٨) .

وقال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي : حدثنا أبو خيثمة ، حدثنا [مُعَلَّىٰ][٥] بن منصور ، أخبرني محمد بن مسلم ، سمعت زيادًا النميري يحدث عن أنس بن مالك - رضي اللّٰه عنه - قال :

(٣٧) صحيح البخاري برقم (٥٧٩٠) .
(٣٨) المسند (٣/٤٠) .

[١] - في ز ، خ : « ما » .
[٢] - في ز ، خ : « الراغبين » .
[٣] - في ز ، خ : « معطوفًا » .
[٤] - في ز ، خ : « اختاره » .
[٥] - في خ ، ز : « أبو معلى » . وفي ت : « أبو يعلى » . والأولى تحريف . والثانية كنية معلى . وقد أثبتنا الموجود في مسند أبي يعلى .

قال رسول اللّه ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **بينا رجل فيمن كان قبلكم خرج في بردين فاختال فيهما ، فأمر اللّه الأرض فأخذته ، فهو يتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة** »(٣٩) .

وقد ذكر محمد بن المنذر -شَكَّر- في كتاب « **العجائب الغريبة**[١] » بسنده عن نوفل بن مساحق قال : رأيت شابًا في مسجد نجران ، فجعلت أنظر إليه وأتعجب من طوله وتمامه وجماله ، فقال : ما لك تنظر إليّ ؟ فقلت : أعجب من جمالك وكمالك . فقال : إن اللّه ليعجب مني . قال : فما زال ينقص وينقص حتىٰ صار بطول الشبر فأخذه بعض قرابته في كمه وذهب .

وقد ذُكر أن هلاك قارون كان عن دعوة نبي اللّه موسىٰ -عليه السلام- واختلف في سببه : فعن ابن عباس والسدي : أن قارون أعطىٰ امرأة بغيًا مالًا علىٰ أن تبهت موسىٰ بحضرة الملإ من بني إسرائيل ، وهو قائم فيهم يتلو عليهم كتاب اللّه ، فتقول : يا موسىٰ ، إنك فعلت بي كذا وكذا ، فلما قالت في الملإ ذلك لموسىٰ - عليه السلام - أرْعَدَ من الفَرَق ، وأقبل عليها ، وصلىٰ ركعتين ثم قال : أنشدك باللّه الذي فرق البحر ، وأنجاكم من فرعون ، وفعل كذا وكذا ، لما أخبرتني بالذي حملكِ علىٰ ما قلتِ ؟ فقالت : أما إذ نَشَدتني فإنّ قارون أعطاني كذا وكذا ، علىٰ أن أقول لك ، وأنا أستغفر اللّه وأتوب إليه . فعند ذلك خرّ موسىٰ لله - عز وجل - ساجدًا ، وسأل اللّه في قارون . فأوحىٰ اللّه إليه أني قد أمرت الأرض أن تطيعك فيه فأمر موسىٰ الأرض أن تبتلعه وداره فكان ذلك .

وقيل : إن قارون لما خرج علىٰ قومه في زينته تلك ، وهو راكب علىٰ البغال الشّهب ، وعليه وعلىٰ خدمه الثياب الأرجوان الصّبغة[٢] ، فمر في جَحفَله ذلك علىٰ مجلس نبي اللّه موسىٰ - عليه السلام - وهو يذكرهم بأيام اللّه ، فلما رأىٰ الناس قارون انصرفت وجوه الناس حوله ، ينظرون إلىٰ ما هو فيه ، فدعاه موسىٰ - عليه السلام - وقال : ما حملك علىٰ ما صنعت ؟ فقال : يا موسىٰ ، أما لئن كنت فُضِّلت عليّ بالنبوة ، فلقد فضلت عليك بالدنيا ، ولئن شئت لنخرجن ، فلتدعونّ عليّ وأدعو عليك . فخرج وخرج قارون في قومه فقال موسىٰ : تدعو أو أدعو أنا ؟ قال : بل أنا أدعو . فدعا قارون فلم يجب له ، ثم قال موسىٰ : أدعو ؟ قال : نعم . فقال موسىٰ : اللهم ، مر الأرض أن تطيعني اليوم . فأوحىٰ اللّه إليه أني قد فعلت ، فقال موسىٰ : يا أرض ، خذيهم . فأخذتهم إلىٰ أقدامهم . ثم قال : خذيهم . فأخذتهم إلىٰ ركبهم ، ثم إلىٰ مناكبهم . ثم قال : أقبلي بكنوزهم وأموالهم . قال : فأقبلت بها حتىٰ نظروا إليها . ثم أشار موسىٰ بيده فقال : اذهبوا بني لاوي فاستوت بهم الأرض .

---

(٣٩) مسند أبي يعلى (٢٧٩/٧) ، وقال الهيثمي في المجمع (١٢٦/٥) : « فيه زياد بن عبد الله النميري وهو ضعيف ، وقد وثقه ابن حبان وقال : يخطىء » .

---

[١] -في ز : « العربية » . [٢] - في خ : « الصنعة » .

وعن ابن عباس أنه قال: خُسِفَ بهم إلى الأرض السابعة. وقال قتادة: ذكر لنا أنه يخسف بهم كل يوم قامة. فهم[١] يتجلجلون فيها إلىٰ يوم القيامة وقد ذُكر هاهنا إسرائيليات أضربنا عنها صفحًا.

وقوله: ﴿ **فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين** ﴾، أي: ما أغنىٰ عنه ماله وما جَمَعه، ولا خدمه وحشمه. ولا دفعوا عنه نقمة الله وعذابه ونكاله [به][٢]، [ولا كان هو في نفسه منتصرًا لنفسه، فلا ناصر له من نفسه ولا من غيره.

وقوله تعالىٰ: ﴿ **وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس** ﴾، أي: الذين لما رأوه في زينته ﴿ **قالوا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون. إنه لذو حظ عظيم** ﴾، فلما خسف][٣] به أصبحوا يقولون: ﴿ **ويكأنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر** ﴾ أي: ليس المال بدالّ علىٰ رضا الله عن صاحبه؛ فإن الله يعطي ويمنع، ويضيق ويوسع، [ويخفض ويرفع][٤]، وله الحكمة التامة والحجة البالغة. وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود: « **إنّ الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم أرزاقكم، وإن الله يعطي المال من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب** »(٤٠).

﴿ **لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا** ﴾، أي: لولا لُطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا كما خسف به، لأنّا وَددْنا أنّا[٥] نكون مثله.

﴿ **ويكأنه لا يفلح الكافرون** ﴾، يعنون أنه كان كافرًا، ولا يفلح الكافرون عند الله، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وقد اختلف النحاة في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ **ويكأنّ** ﴾ فقال بعضهم: معناها: « **ويلك[٦] اعلم أن** » ولكن خُفّفت فقيل: « **ويك** » ودل فتح « **أن** » علىٰ حذف « **اعلم** ». وهذا القول ضَعفه ابن جرير(٤١)، والظاهر أنّه قوي، ولا يشكل علىٰ ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة « **ويكأن** ». والكتابة أمر وضعي[٧] اصطلاحي، والمرجع إلىٰ اللفظ العربي، والله أعلم.

---

(٤٠) المسند (١/٣٨٧).

(٤١) تفسير الطبري (٢٠/٧٧).

---

[١] - سقط من: خ، ز.

[٢] - ما بين المعكوفتين سقط من: ت.

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من: خ، ز.

[٥] - في ت: « أن ».

[٦] - في ز، خ: « ويك ».

[٧] - في ز، خ: « وضع ».

وقيل : معناها : ويكأن ، أي : ألم تر أن ؛ قاله قتادة . وقيل : معناها : « **وي كأن** » ، ففصلها وجعل حرف « **وي**[١] » للتعجب أو للتنبيه ، و « **كأن** » : بمعنىٰ : أظنّ وأحسب . قال ابن جرير : وأقوىٰ الأقوال في هذا قول قتادة : إنها بمعنىٰ : « **ألم تر أن** » ، واستشهد بقول الشاعر

سَـأَلَـتَـانـي الـطَّـلاق أنْ رَأَتَـانـي قَلّ مالي ، قَدْ[٢] جِئْتُمَاني بنُكر[٣]
وَيْكَأنْ مَنْ يَكُن له نَشَب يُحـ ـبَبْ ، ومن يَفْتَقِرْ يَعِشْ عَيشَ ضُرّ

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

يخبر تعالىٰ أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول جعلها لعباده المؤمنين المتواضعين ، الذين لا يريدون علوًّا في الأرض ، أي : ترفعًا علىٰ خلق اللّه وتعاظمًا عليهم وتجبرًا بهم ، ولا فسادًا فيهم . كما قال عكرمة : العلو : التجبر .

وقال سعيد بن جبير : العلو : البغي .

وقال سفيان بن سعيد الثوري : عن منصور ، عن مسلم البطين : العلو في الأرض : التكبر بغير حق . والفساد : أخذ المال بغير حق .

وقال ابن جُريج : ﴿ **لا يريدون علوًّا في الأرض** ﴾ . تعظمًا وتجبرًا ﴿ **ولا فسادًا** ﴾ : عملًا[٤] بالمعاصي .

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبي، عن أشعث[٥] السمان عن أبي سلام الأعرج ، عن عليٍّ ، قال : إنّ الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك صاحبه ، فيدخل في قوله : ﴿ **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة للمتقين** ﴾ .

وهذا محمول علىٰ ما إذا أراد الفخر علىٰ غيره ، [فإنّ ذلك مذموم كما ثبت في الصحيح ، عن النبي ، صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **أنه أوحي إليّ أن تَوَاضعُوا ، حتىٰ لا يفخر أحد علىٰ**

---

[١] - في ز ، خ : « أي » .
[٢] - في خ ، ز : « أن » .
[٣] - في ز ، خ : « بيكر » .
[٤] - في ز ، خ : « عمل » .
[٥] - في ز ، خ : « أشعب » .

أحد ، ولا يبغي أحد على أحد »(٤٢)][١] ، وأما إذا أحب ذلك لمجرد التجمل فهذا لا بأس به ، فقد ثبت أن رجلًا ، قال : يا رسول الله ، إني أحب أن يكون ردائي حسنًا ونعلي [حسنة][٢] أفمن الكبر ذلك ؟ فقال : « **لا ، إن الله جميل يحب الجمال** » .

وقوله : ﴿ **من جاء بالحسنة** ﴾ ، أي : يوم القيامة ﴿ **فله خير منها** ﴾ ، أي : ثواب الله خير من حسنة العبد ، فكيف والله يضاعفه أضعافًا كثيرة ! فهذا مقام الفضل .

ثم قال : ﴿ **ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون** ﴾ ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ **ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون** ﴾ وهذا مقام الفصل العدل .

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى آمرًا رسوله - صلوات الله وسلامه عليه - ببلاغ الرسالة وتلاوة القرآن على الناس ، ومخبرًا له بأنه سيرده إلى معاد وهو يوم القيامة ، فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة ، ولهذا قال : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد** ﴾ أي : افترض عليك أداءه إلى الناس ﴿ **لرادك إلى معاد** ﴾ ، أي : إلى يوم القيامة فيسألك عن ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين** ﴾ وقال : ﴿ **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم** ﴾ ، وقال : ﴿ **وجيء بالنبيين والشهداء** ﴾ .

وقال السدي : عن أبي صالح ، عن ابن عباس : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد** ﴾ يقول : لرادك إلى الجنة ، ثم سائلك عن القرآن . قال السدي : وقال أبو سعيد مثلها .

---

(٤٢) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ت : « حسنًا » .

وقال الحكم بن أبان : عن عكرمة ، عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما - : ﴿ **لرادك إلىٰ معاد** ﴾ قال : إلىٰ يوم القيامة . ورواه مالك ، عن الزهري .

وقال الثورى عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿**لرادك إلى معاد**﴾ : إلى الموت ، ولهذا طرق عن ابن عباس- رضي الله عنهما- وفي بعضها : لرادك إلى معدنك من الجنة .

وقال مجاهد : يحييك يوم القيامة . وكذا روي عن عكرمة ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، وأبي قَزَعَة ، وأبي مالك ، وأبي صالح. وقال الحسن البصري : إي واللّه ، إن له لمعادًا يبعثه[١] اللّه يوم القيامة ثم يدخله الجنة .

وقد روي عن ابن عباس غير ذلك ، كما قال البخاري في التفسير من صحيحه :

حدثنا محمد بن مقاتل ، أنبأنا[٢] يعلىٰ ، حدثنا سفيان العُصفُري ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **لرادك إلىٰ معاد** ﴾ ، قال : إلىٰ مكة .

وهكذا رواه النسائي(٤٣) في تفسير سننه ، وابن جرير من حديث يعلىٰ - وهو ابن عبيد الطنافسي - به . وهكذا روىٰ العَوفي ، عن ابن عباس : ﴿ **لرادك إلىٰ معاد** ﴾ ، أي : لرادك إلىٰ مكة كما أخرجك منها . وقال محمد بن إسحاق عن مجاهد في قوله : ﴿**لرادك إلى معاد**﴾ : إلى مولدك بمكة .

قال ابن أبي حاتم : وقد روي عن ابن عباس ، ويحيىٰ بن الجزار ، وسعيد بن جبير ، وعطية ، والضحاك ، نحو ذلك .

[وحدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر ، قال : قال سفيان : وسمعناه من مقاتل منذ سبعين سنة عن الضحاك][٣] ، قال : لما خرج النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم من مكة فبلغ الجُحفة اشتاق إلىٰ مكة فأنزل اللّه عليه : ﴿ **إنّ الذي فرض عليك القرآن لرادك إلىٰ معاد** ﴾ إلىٰ مكة .

وهذا من كلام الضحاك يقتضي أن هذه الآية مدنية وإن كان مجموع السورة مكيًا ، والله أعلم .

وقد قال عبد الرزاق : حدثنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ **لرادك إلىٰ معاد** ﴾ ، قال : هذه مما كان [ابن عباس][٤] يكتمها ، وقد روىٰ ابن أبي حاتم بسنده عن نعيم القارئ[٥] أنه

(٤٣) النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٨٦) ، وتفسير الطبري (٢٠/٨٠) .

[١] - في ز ، خ : « ابتعثه » .
[٢] - في ز ، خ : « أبا » .
[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .
[٥] - في ز ، خ : « القاهري » .

قال في قوله : ﴿ لرادك إلىٰ معاد ﴾ قال : إلىٰ بيت المقدس .

وهذا - والله أعلم - يرجع إلىٰ قول من فسر ذلك بيوم القيامة ؛ لأن بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر ، والله الموفق للصواب .

ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسر ذلك تارة برجوعه إلىٰ مكة ، وهو الفتح الذي هو[١] عند ابن عباس أمارة علىٰ اقتراب أجله - صلىٰ الله عليه وسلم - كما فسره ابن عباس بسورة : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا ﴾ : أنه أجَلُ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نُعي إليه ، وكان ذلك بحضرة عمر بن الخطاب ووافقه عمر علىٰ ذلك ، وقال : لا أعلم منها غير الذي تعلم . ولهذا فسر ابن عباس تارة أخرىٰ قوله : ﴿ لرادك إلىٰ معاد ﴾ بالموت ، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت ، وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره علىٰ أداء رسالة الله ، وإبلاغها إلىٰ الثقلين الجن والإنس ، ولأنه أكمل خلق الله ، وأفصح خلق الله ، وأشرف خلق الله علىٰ الإطلاق .

وقوله : ﴿ قل ربي أعلم من جاء بالهدىٰ ومن هو في ضلال مبين ﴾ أي : قل لمن خالفك وكذبك[٢] يا محمد من قومك من المشركين ومن تبعهم علىٰ كفرهم - قل : ربي أعلم بالمهتدي منكم ومني ، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار ، ولمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة .

ثم قال تعالىٰ مذكرًا لنبيه نعمته العظيمة عليه وعلىٰ العباد إذ أرسله إليهم : ﴿ وما كنت ترجو أن يلقىٰ إليك الكتاب ﴾ أي : ما كنت تظن قبل إنزال الوحي إليك أن الوحي ينزل عليك ، ﴿ ولكن رحمة من ربك ﴾ ، أي : إنما نزل عليك الوحي من الله من رحمته بك وبالعباد بسببك ، فإذ[٣] منحك هذه النعمة العظيمة ﴿ فلا تكونن ظهيرًا ﴾ ، أي : معينًا ﴿ للكافرين ﴾ ، ولكن فارقهم ونابذهم وخالفهم .

﴿ ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ﴾ أي : لا تتأثر لمخالفتهم لك وصدهم الناس عن طريقك ، و[٤]لا تلوي علىٰ ذلك ولا تباله ؛ فإن الله مُعلٍ[٥] كلمتك ، ومؤيد[٦] دينك ، ومظهر ما أرسلت به علىٰ سائر الأديان ، ولهذا قال : ﴿ وادع إلىٰ ربك ﴾ ، أي : إلىٰ عبادة ربك وحده لا شريك له ، ﴿ ولا تكونن من المشركين ﴾ .

وقوله : ﴿ولا تدعُ مع الله إلهًا آخر لا إله إلّا هو﴾ أي : لا تليق العبادة إلا له ، ولا تنبغي

---

[١] - سقط من : ز ، خ .

[٢] - في ز ، خ : « كذلك » .

[٣] - في ت : « فإذا » .

[٤] - سقط من : ز ، خ .

[٥] - في ز ، خ : « معك » .

[٦] - في ز ، خ : « مؤيدك » .

الإلهية إلا لعظمته .

وقوله : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت ؛ كما قال تعالىٰ : ﴿ **كل من عليها فان * ويبقىٰ وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ فعبر بالوجه عن الذات ، وهكذا قوله هاهنا : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ أي : إلا إياه وقد ثبت في الصحيح ، من طريق أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **أصدق كلمة قالها الشاعر[١] كلمة لبيد :**

ألا كُــلُّ شــيءٍ مـا خـلا اللَّهُ باطِــلُ(٤٤)

قال مجاهد والثوري في قوله : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ أي : إلا ما أريد به وجهه وحكاه البخاري في صحيحه كالمقرِّر له .

قال ابن جرير : ويستشهد من قال ذلك بقول الشاعر .

أستغفرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبّ العبَاد ، إلَيه الوَجْهُ والعَمَلُ

وهذا القول لا ينافي القول الأول ، فإن هذا إخبار عن كل الأعمال بأنها باطلة إلا ما أريد بها وجه اللَّه - عز وجل - من الأعمال الصالحة المطابقة للشريعة . والقول الأول مقتضاه أن كل الذوات فانية وهالكة وزائلة إلا ذاته - تعالىٰ - فإنه الأول و[٢]الآخر الذي هو قبل كل شيء وبعد كل شيء .

قال أبو بكر عبد اللَّه بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب « **التفكر والاعتبار** » : حدثنا أحمد ابن محمد بن أبي بكر ، حدثنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا عمرو بن سليم الباهلي ، حدثنا أبو الوليد ، قال : كان ابن عمر إذا أراد أن يتعاهد قلبه ، يأتي الخربة فيقف علىٰ بابها ، فينادي بصوت حزين فيقول : أين أهلُكِ ؟ ثم يرجع إلىٰ نفسه فيقول : ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ .

وقوله : ﴿ **له الحكم** ﴾ ، أي : الملك والتصرف ولا معقب لحكمه ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ . أي : يوم معادكم فيجزيكم بأعمالكم إنْ خيرًا فخير ، وإنْ شرًا فشر .

☆ ☆ ☆

---

(٤٤) صحيح البخاري برقم (٣٨٤١) ، وصحيح مسلم برقم (٢٢٥٦) .

---

[١] - في ز : « شاعر » . [٢] - سقط من : ز .

تفسير سورة العنكبوت

وهي مكية

﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٤﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول «**سورة البقرة**».

وقوله: ﴿**أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾ استفهام إنكار ومعناه أن الله - سبحانه وتعالىٰ - لابد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان كما جاء في الحديث الصحيح(١) : «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلىٰ الرجل علىٰ حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في البلاء**». وهذه الآية كقوله: ﴿**أم حسبتم أن تُتركوا ولمَّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين**﴾ ومثلها في «سورة براءة». وقال في البقرة: ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتىٰ يقول الرسول والذين آمنوا معه متىٰ نصر الله ألا إن نصر الله قريب**﴾؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿**ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين**﴾، أي: الذين صدقوا في دعواهم الإيمان ممن[١] هو كاذب في قوله ودعواه. والله - سبحانه وتعالىٰ - يعلم ما كان وما يكون [وما لم][٢] يكن لو كان كيف كان يكون. وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة ولهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل: ﴿**إلا لنعلم**[٣]﴾ إلا لنرىٰ؛ وذلك أن الرؤية إنما تتعلق بالموجود، والعلم أعم من الرؤية، فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود.

---

(١) المسند (١٧٢/١)، والترمذي حديث (٢٣٩٨) من طريق مصعب، عن أبيه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

---

[١] - في خ، ز: «فيمن». [٢] - في خ، ز: «ولو لم».

[٣] - في ز: «ليعلم».

وقوله : ﴿ **أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون** ﴾ ، أي : لا يحسبن الذين لم يدخلوا في الإيمان أنهم يتخلصون من هذه الفتنة والامتحان ، فإن من ورائهم من العقوبة والنكال ما هو أغلظ من هذا وأطَمّ ، ولهذا قال : ﴿ **أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا** ﴾ أي : يفوتونا ﴿ **ساء ما يحكمون** ﴾ أي : بئس ما يظنون !

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ **من كان يرجو لقاء الله** ﴾ أي : في الدار الآخرة ، وعمل الصالحات رجاء ما عند الله من الثواب الجزيل ، فإن الله سيحقق له رجاءه ، ويوفيه عمله كاملا موفورًا ، فإن ذلك كائن لا محالة لأنه سميع الدعاء ، بصير بكل الكائنات ؛ ولهذا قال : ﴿ **من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم** ﴾ .

وقوله : ﴿ **ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه** ﴾ كقوله : ﴿ **من عمل صالحًا فلنفسه** ﴾ : أي : من عمل صالحًا فإنما يعود نفع عمله علىٰ نفسه . فإن الله غني عن أفعال العباد ولو كانوا كلهم علىٰ أتقىٰ قلب رجل منهم ، ما زاد ذلك في ملكه شيئًا ؛ ولهذا قال :﴿ **ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين** ﴾ .

قال الحسن البصري : إن الرجل ليجاهد وما ضرب يومًا من الدهر بسيف .

ثم أخبر أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم من [إحسانه وبره] بهم يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء ، وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ، فيقبل القليل من الحسنات ، ويثيب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف ، ويجزي علىٰ السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون** ﴾ .

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾

يقول تعالىٰ آمرًا عباده بالإحسان إلىٰ الوالدين بعد الحث علىٰ التمسك بتوحيده ، فإن الوالدين هما سببُ وجود الإنسان ، ولهما عليه[١] غاية الإحسان ، [فالوالد][٢] بالإنفاق والوالدة بالإشفاق ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وقضىٰ ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولًا كريمًا واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا** ﴾ ومع هذه الوصية بالرأفة والرحمة والإحسان إليهما ، في مقابلة إحسانهما المتقدم ، قال : ﴿ **وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما** ﴾ ، أي : وإن حَرَصَا عليك أن تتابعهما في دينهما إذا كانا مشركين ، فإياك وإياهما ، لا تطعهما في ذلك ، فإن مرجعكم إليَّ يوم القيامة فأجزيك بإحسانك إليهما وصبرك علىٰ دينك ، وأحشرك مع الصالحين لا في زمرة والديك وإن كنت أقرب الناس إليهما في الدنيا فإن المرء إنما يحشر يوم القيامة مع من أحب ، أي : حبا دينيًا ؛ ولهذا قال : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين** ﴾ .

وقال الترمذي(٢) عند تفسيره هذه الآية : حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنىٰ ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن سماك بن حرب [قال][٣] : سمعت مُصعب بن سعد يحدث عن أبيه سعد ، قال : نزلت فيَّ أربع آيات . فذكر قصة وقالت أم سعد : أليس قد أمرك الله بالبر ؟ والله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتىٰ أموت أو تكفر ، قال : فكانوا[٤] إذا أرادوا أن يطعموها شَجَرُوا فاها(*) ؛ فأنزل الله : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حسنًا وإن جاهداك** ﴾ الآية .

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم. وأبو داود والنسائي أيضا ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾

---

(٢) سنن الترمذي حديث (٣٠٧٩) ، والمسند (١٨١/١) ، وصحيح مسلم حديث (١٧٤٨) ، وسنن أبي داود حديث (٢٧٤٠) .

(*) - أي : فتحوا فمها .

---

[١] - في ز ، خ : « إليه » .

[٢] - في خ : « قالوا الوالد » .

[٣] - سقط من : خ ، ز .

[٤] - في ز : « وكانوا » .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن صفات قوم من المكذبين[١] الذين يدعون الإيمان بألسنتهم، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم، بأنهم إذا جاءتهم فتنة ومحنة في الدنيا اعتقدوا أن هذا من نقمة اللّٰه - تعالىٰ - بهم، فارتدوا عن الإسلام؛ ولهذا قال: ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا باللّٰه فإذا أوذي في اللّٰه جعل فتنة الناس كعذاب اللّٰه** ﴾.

قال ابن عباس: يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أوذي في اللّٰه. وكذا قال غيره من علماء السلف. وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿ **ومن الناس من يعبد اللّٰه علىٰ حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب علىٰ وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين** ﴾.

ثم قال: ﴿ **ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم** ﴾ أي: ولئن[٢] جاء نصر قريب من ربك - يا محمد - وفتح ومغانم، ليقولن هؤلاء لكم: إنا كنا معكم، أي إخوانكم في الدين، كما قال تعالىٰ: ﴿ **الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من اللّٰه قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين** ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿ **فعسىٰ اللّٰه أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا علىٰ ما أسروا في أنفسهم نادمين** ﴾ وقال تعالىٰ مخبرًا عنهم هاهنا: ﴿ **ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم** ﴾ ثم قال تعالىٰ: ﴿ **أو ليس اللّٰه بأعلم بما في صدور العالمين** ﴾، أي: أو ليس اللّٰه بأعلم بما في قلوبهم، وما تُكنه ضمائرهم وإن أظهروا لكم الموافقة؟

وقوله: ﴿ **وليعلمن اللّٰه الذين آمنوا وليعلمن المنافقين** ﴾، أي: وليختبرن اللّٰه الناس بالضراء والسراء، ليتميز هؤلاء من هؤلاء، ومن يطيع اللّٰه في الضراء والسراء، ومن إنما يطيعه في حظ نفسه، كما قال تعالىٰ: ﴿ **ولنبلونكم حتىٰ نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم** ﴾، وقال تعالىٰ بعد وقعة أحد التي كان فيها [ما كان][٣]: ﴿ **ما كان اللّٰه ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه حتىٰ يميز الخبيث من الطيب** ﴾ الآية.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن كفار قريش: إنهم قالوا لمن آمن منهم واتبع الهدىٰ: ارجعوا عن دينكم إلىٰ ديننا واتبعوا سبيلنا، ﴿ **ولنحمل خطاياكم** ﴾، أي: وآثامكم - إن كانت لكم آثام

---

[١] - سقط من: خ، ز.

[٢] - في ت: «لئن».

[٣] - ما بين المعكوفتين سقط من ز، خ.

في ذلك - علينا وفي رقابنا ، كما يقول القائل : « افعل هذا وخطيئتك في رقبتي » . قال الله تكذيبًا لهم : ﴿ وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون ﴾ ، أي : فيما قالوه : إنهم يحملون[١] عن أولئك خطاياهم فإنه لا يحمل أحد وزر أحد ﴿ وإن تدع مثقلة إلىٰ حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربىٰ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم ﴾ إخبار عن الدعاة إلىٰ الكفر والضلالة أنهم يوم القيامة يحملون أوزار أنفسهم ، [وأوزارًا أخرىٰ][٢] بسبب من[٣] أضلوا من الناس من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيئًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون ﴾ .

وفي الصحيح(٣) : « من دعا إلىٰ هدىٰ ، كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلىٰ يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلىٰ ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه إلىٰ يوم القيامة من غير أن ينقص من آثامهم شيئًا » .

وفي الصحيح(٤) : « ما قتلت نفس ظلمًا إلا كان علىٰ ابن آدم الأول كِفْلٌ (*) من دمها ، لأنه أول من سَنّ القتل » .

وقوله : ﴿ وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ أي : يكذبون ويختلقون ، من البهتان .

وقد ذكر ابن أبي حاتم هاهنا حديثًا فقال : حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة ، حدثنا [عثمان أبو حفص بن أبي العاتكة][٤] حدثني سليمان بن حبيب المحاربي ، عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : إن[٥] رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - بلغ ما أرسل به ثم قال : إياكم والظلم فإن الله يعزم يوم القيامة فيقول : وعزتي لا يجوزني اليوم ظلم ! ثم

---

(٣) تقدم تخريج الحديث عند الآية : ٢ من سورة المائدة .

(٤) تقدم تخريج الحديث عند الآية : ٣٠ من سورة المائدة .

(*) - الكفل : الحظ ، والنصيب .

(**) - التباعة : الحقوق في المال .

---

[١] - في ز : « يحملوا » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز، خ : « أوزار أخر » . [٣] - في ز، خ : « ما » .

[٤] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : [عثمان بن حفص بن أبي العالية] وجاء في تفسير ابن أبي حاتم : عثمان ابن حفص بن أبي العاتكة . وكلاهما تحريف .

[٥] - في خ ، ز : « قال » .

ينادي مناد فيقول : أين فلان بن فلان ؟ فيأتي يتبعه من الحسنات أمثال الجبال . فيشخص(***) الناس إليها أبصارهم حتىٰ يقوم بين يدي اللّه الرحمن - عز جل - ثم يأمر المنادي فينادي : مَنْ كانت له تِباعة - أو : ظُلامة - عند فلان بن فلان ، فهلمّ . فيقبلون حتىٰ يجتمعوا قيامًا بين يدي الرحمن . فيقول الرحمن : اقضوا عن عبدي . فيقولون : كيف نقضي عنه ؟ فيقول لهم : خذوا لهم من حسناته . فلا[١] يزالون يأخذون منها حتىٰ لا يبقىٰ له حسنة وقد بقى من أصحاب الظلامات . فيقول اقضوا عن عبدي . فيقولون : لم يبق[٢] له حسنة . فيقول : خذوا[٣] من سيئاتهم فاحملوها عليه . ثم نَزَع النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم بهذه الآية الكريمة : ﴿ **وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون** ﴾ .

وهذا الحديث له شاهد في الصحيح من غير هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم(٥) : حدثني[٤] أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا أبو بشر الحذاء عن أبي حمزة البيساني[٥] ، عن معاذ بن جبل - رضي اللّه عنه - قال : قال لي رسول اللّه - صلىٰ اللّه عليه وسلم - : « **يا معاذ ، إن المؤمن يسأل يوم القيام عن جميع سعيه ، حتىٰ عن كحل عينيه وعن فتات الطينة بإصبعيه ، فلا ألفينّك[٦] تأتي يوم القيامة وأحد أسعد بما آتاك اللّه منك** » .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

هذه تسلية من اللّه تعالىٰ لعبده ورسوله محمد - صلوات اللّه وسلامه عليه - يخبره عن نوح - عليه السلام - : أنه مكث في قومه هذه المدة يدعوهم إلىٰ اللّه ليلًا ونهارًا ، [سرًا وإجهارًا][٧] ، ومع هذا ما زادهم ذلك إلا فرارًا عن الحق ، وإعراضًا عنه وتكذيبًا له ، ما آمن معه منهم إلا قليل ، ولهذا قال : ﴿ **فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا فأخذهم الطوفان**

(***) شخص إليه ببصره : فتح عينيه ولم يطرف بهما ، متأملًا أو منزعجًا .

(٥) ورواه أبو نعيم في الحلية (٣١/١٠) من طريق إسحاق بن أبي حسان ، عن أحمد بن أبي الحواري به .

[١] - في ز ، خ: « ولا » .
[٢] - في ز ، خ : « تبق » .
[٣] - سقط من : ز ، خ .
[٤] - في ز : « حدثنا »
[٥] - في ت : الثمالي .
[٦] - في ز ، خ : « فلألفينك » .
[٧] - ما بين المعكوفتين في ت : « وسرًا وجهارًا » .

وهم ظالمون ﴾ ، أي : بعد هذه المدة الطويلة ما نجع فيهم البلاغ والإنذار ، فأنت - يا محمد - لا تأسف علىٰ من كفر بك من قومك ، ولا تحزن عليهم ، فإن اللّٰه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، وبيده الأمر وإليه ترجع الأمور ، ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم ﴾ واعلم أن اللّٰه سيظهرك وينصرك ويؤيدك ويذل عدوك ويكبتهم ويجعلهم أسفل السافلين قال حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن ماهك ، عن ابن عباس قال : بعث نوح وهو لأربعين سنة ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا ، وعاش بعد الطوفان ستين عامًا ، حتىٰ كثر الناس وفشوا .

وقال قتادة : يقال : إن عمره كله ألف سنة إلا خمسين عامًا لبث فيهم قبل أن يدعوهم ثلاثمائة سنة ، ، ودعاهم ثلاثمائة ولبث بعد الطوفان ثلاثمائة وخمسين سنة .

وهذا قول غريب ، وظاهر السياق من الآية أنه مكث في قومه يدعوهم إلى اللّٰه ألف سنة إلا خمسين عامًا .

وقال عون بن أبي شداد : إن اللّٰه أرسل نوحًا إلىٰ قومه وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة ، فدعاهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ، ، ثم عاش بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة .

وهذا أيضًا غريب رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير ، وقول ابن عباس أقرب واللّٰه أعلم .

وقال الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن مجاهد قال : قال لي ابن عمر : كم لبث نوح في قومه ؟ قال: قلت : ألف سنة إلا خمسين عامًا . قال : فإن الناس لم يزالوا في نقصان من أعمارهم وأحلامهم وأخلاقهم إلىٰ يومك هذا .

وقوله: ﴿ فأنجيناه وأصحاب السفينة ﴾ أي : الذين آمنوا بنوح - عليه السلام - وقد تقدم ذكر ذلك مفصلًا في « سورة هود » وتقدم تفسيره بما أغنى عن إعادته .

وقوله : ﴿ وجعلناها آية للعالمين ﴾ ، أي : وجعلنا تلك السفينة باقية إما عينها كما قال قتادة : إنها بقيت إلىٰ أول الإسلام علىٰ جبل الجودي ، أو نوعها جعله للناس تذكرة لنعمه علىٰ الخلق كيف نجاهم زمن[١] الطوفان كما قال تعالىٰ : ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون . وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون . إلا رحمة منا ومتاعًا إلىٰ حين ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية ﴾ وقال هاهنا : ﴿ فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين ﴾ وهذا من باب التدريج من الشخص إلىٰ الجنس ، كقوله تعالىٰ : ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين ﴾ ، أي : وجعلنا نوعها ، فإن

---

[١] - في ت : « من » .

التي يرمىٰ بها ليست هي التي زينة للسماء . وقال تعالىٰ : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين** ﴾ ولهذا نظائر كثيرة .

وقال ابن جرير : لو قيل إن الضمير في قوله : ﴿ **وجعلناها** ﴾ عائد إلىٰ العقوبة ، لكان وجها والله أعلم .

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء : أنه دعا قومه إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له ، والإخلاص له في التقوىٰ ، وطلب الرزق منه وحده لا شريك له وتوحيده في الشكر فإنه المشكور علىٰ النعم لا مُسْدي لها غيره ، فقال لقومه : ﴿ **اعبدوا الله واتقوه** ﴾ أي : أخلصوا له في[١] العبادة والخوف ﴿ **ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ أي : إذا فعلتم ذلك حصل لكم الخير في الدنيا والآخرة واندفع عنكم الشر في الدنيا والآخرة .

ثم أخبرهم أن الأصنام التي يعبدونها والأوثان ، لا تضر ولا تنفع وإنما اختلقتم أنتم لها أسماء ، سميتموها آلهة وإنما هي مخلوقة مثلكم . هكذا روى العوفي عن ابن عباس . وبه قال مجاهد ، والسدي .

وروىٰ الوالبي عن ابن عباس : وتصنعون إفكًا ، أي : تنحتونها أصنامًا . وبه قال مجاهد - في رواية - وعكرمة ، والحسن ، وقتادة وغيرهم ، واختاره ابن جرير رحمه الله .

وهي لا تملك لهم رزقًا﴿ **فابتغوا عند الله الرزق** ﴾ وهذا أبلغ في الحصر كقوله : ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ ﴿ **رب ابن لي عندك بيتًا في الجنة** ﴾ ، ولهذا قال : ﴿ **فابتغوا** ﴾ ، أي : فاطلبوا ﴿ **عند الله الرزق** ﴾ ، أي : لا تعبدوا[٢] غيره ، فإن غيره لا يملك شيئًا ، ﴿ **واعبدوه واشكروا له** ﴾ أي : كلوا من رزقه واعبدوه وحده ، واشكروا له علىٰ ما أنعم به عليكم ﴿ **إليه ترجعون** ﴾ ، أي : يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله .

---

[١] - سقط من ت . [٢] - في ت : « عند » .

وقوله : ﴿ **وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم** ﴾ ، أي : فبلغكم ما حل بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل ، ﴿ **وما على الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ ، يعني إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره اللَّه - تعالىٰ - به من الرسالة ، واللَّه يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فاحرصوا لأنفسكم أن[١] تكونوا من السعداء .

وقال قتادة(٦) في قوله : ﴿ **وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم** ﴾ ، قال : يُعزي نبيه صلىٰ اللَّه عليه وسلم . وهذا من قتادة يقتضي أنه قد انقطع الكلام الأول ، واعترض بهذا إلىٰ قوله : ﴿ **فما كان جواب قومه** ﴾ .

وهكذا نص علىٰ ذلك ابن جرير أيضًا والظاهر من السياق أن كل هذا من كلام إبراهيم الخليل - عليه السلام - [ ][٢] يحتج عليهم لإثبات المعاد لقوله بعد هذا كله : ﴿ **فما كان جواب قومه** ﴾ ، واللَّه أعلم .

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ
(١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ
الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ
وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢١) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا
لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٣)

يقول تعالىٰ مخبرًا عن الخليل - عليه السلام -: إنه أرشدهم إلىٰ إثبات المعاد الذي ينكرونه ، بما يشاهدونه في أنفسهم من خلق اللَّه إياهم ، بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا ، ثم وجدوا وصاروا أناسًا سامعين مبصرين . فالذي بدأ هذا قادر علىٰ إعادته ، فإنه سهل عليه ، يسير لديه .

ثم أرشدهم إلىٰ الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق اللَّه الأشياء : السموات وما فيها من الكواكب النيرة الثوابت[٣] ، والسيارات ، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال ،

(٦) تفسير الطبري (٢٠/٨٩) .

[١] - سقط من : خ .
[٢] - ما بين المعكوفتين في ز،خ : « لقوله » .
[٣] - في ز ، خ: « والثوابت » .

وأودية وبراريّ وقفار ، وأشجار ، وأنهار ، وثمار ، وبحار . كل ذلك دال علىٰ حدوثها في أنفسها ، وعلىٰ وجود صانعها الفاعل المختار ، الذي يقول للشيء : كن ، فيكون ، ولهذا قال : ﴿ **أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك علىٰ الله يسير** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه** ﴾ ثم قال تعالىٰ : ﴿ **قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة** ﴾ ، أي : يوم القيامة ، ﴿ **إن الله علىٰ كل شيء قدير** ﴾ . وهذا المقام شبيه بقوله تعالىٰ : ﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتىٰ يتبين لهم أنه الحق** ﴾ ، وكقوله تعالىٰ : ﴿ **أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون** ﴾ .

وقوله : ﴿ **يعذب من يشاء ويرحم من يشاء** ﴾ ، أي : هو الحاكم المتصرف ، الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فله الخلق والأمر ، مهما فعل فَعَدل ؛ لأنه المالك الذي لا يظلم مثقال ذرة ، كما جاء في الحديث الذي رواه أهل السنن(٧) : « **إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه ، لعذبهم وهو غير ظالم لهم** » . ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون** ﴾ ، أي : ترجعون يوم القيامة .

وقوله : ﴿ **وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء** ﴾ ، أي : لا يعجزه أحد من أهل سماواته وأرضه ، بل هو القاهر فوق عباده ، وكل شيء خائف منه ، فقير إليه ، وهو الغني عما سواه .

﴿ **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه** ﴾ ، أي : جحدوها وكفروا بالمعاد ، ﴿ **أولئك يئسوا من رحمتي** ﴾ ، أي : لا نصيب لهم فيها ، ﴿ **وأولئك لهم عذاب أليم** ﴾ ، أي : موجع في الدنيا والآخرة .

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ
﴿٢٥﴾

(٧) رواه أبو داود في السنن حديث (٤٦٩٩) ، وابن ماجة في السنن حديث (٧٧) من حديث أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما .

يقول تعالىٰ مخبرًا عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ، ودفعهم الحق بالباطل : إنه ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة علىٰ الهدىٰ والبيان ﴿ **إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه** ﴾ ، وذلك لأنهم قام عليهم البرهان ، وتوجهت عليهم الحجة ، فعدلوا إلىٰ استعمال جاههم وقوة ملكهم ، ﴿ **فقالوا ابنوا له بنيانًا فألقوه في الجحيم * وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأسفلين** ﴾ ، وذلك أنهم حَشَدُوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة ، وحَوّطوا حولها ، ثم أضرموا فيها النار فارتفع لها لهب إلىٰ عَنَان السماء . ولم توجد[١] نار قط أعظم منها، ثم عمدوا إلىٰ إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفَّة المنجنيق ، ثم قذفوا به فيها ، فجعلها اللّٰه عليه بردًا وسلامًا ، وخرج منها سالمًا بعد ما مكث فيها أيامًا ولهذا وأمثاله جعله اللّٰه للناس إمامًا . فإنه بذل نفسه للرحمن ، وجَسَده للنيران ، وسخا بولده للقربان ، وجعل ماله للضيفان ، ولهذا اجتمع علىٰ محبته جميع أهل الأديان .

وقوله : ﴿ **فأنجاه اللّٰه من النار** ﴾ ، أي : سَلَّمه منها ، بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا ، ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال إنما اتخذتم من دون اللّٰه أوثانًا مودة بينكم في الحياة الدنيا** ﴾ ، يقول لقومه مقرّعًا لهم وموبخًا علىٰ سوء صنيعهم ، في عبادتهم الأوثان : إنما اتخذتم هذه لتجتمعوا علىٰ عبادتها في الدنيا ، صداقة وألفة منكم ، [بعضكم لبعض][٢] في الحياة الدنيا . وهذا علىٰ قراءة من نصب ﴿ **مودة بينكم** ﴾(*) ، علىٰ أنه مفعول له ، وأما علىٰ قراءة الرفع فمعناه[٣] : إنما اتخاذكم هذا يُحَصِّل لكم المودة في الدنيا فقط ، ﴿ **ثم يوم القيامة** ﴾ ينعكس هذا الحال ، فتبقىٰ هذه الصداقة والمودة بَغْضَة وشنآنا ، فـ ﴿ **يكفر بعضكم ببعض** ﴾ [أي : تتجاحدون ماكان بينكم][٤] ، ﴿ **ويلعن بعضكم بعضًا** ﴾ ، أي : يلعن الأتباع المتبوعين ، والمتبوعون[٥] الأتباع ، ﴿ **كلما دخلت أمة لعنت أختها** ﴾ ، وقال تعالىٰ : ﴿ **الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضًا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين** ﴾ ، أي : ومصيركم ومرجعكم بعد عرصات القيامة إلىٰ النار ، وما لكم من ناصر ينصركم ، ولا منقذ ينقذكم من عذاب اللّٰه . وهذا حال الكافرين ، فأما المؤمنون فبخلاف ذلك .

قال ابن أبي حاتم(٨) : حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، حدثنا أبو عاصم الثقفي الربيع ابن إسماعيل[٦] عن[٧] عمرو بن سعيد بن جعدة بن هبيرة المخزومي، عن أبيه ، عن جده ، عن

(*) انظر القراءات في هذه الآية في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص٤٩٨ - ٤٩٩)

(٨) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط حديث (٤٨٠٣) من طريق محمد بن إسماعيل الأحمسي به ، وقال : « لا يروىٰ عن أم هانىء إلا بهذا الإسناد ، تفرد به أبو عاصم » . وقال الهيثمي في المجمع (٣٥٥/١٠) : =

---

[١] - في ت : « توقد » .

[٢] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ: «لبعضكم بعضًا» . [٣] - في ز ، خ: « معناه » .

[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٥] - في ز ، خ: « المتبوعين » .

[٦] - في ز، خ : « سليمان » . [٧] - في ز : خ : ابن . وهو تحريف .

أم هانئ - أخت علي بن أبي طالب - قالت: قال لي النبي صلىٰ الله عليه وسلم « **أخبرك أن الله - تعالىٰ - يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد ، فمن يدري أين الطرفان**[١] **؟ فقالت : الله ورسوله أعلم . ثم ينادي مناد من تحت العرش : يا أهل التوحيد ، فيشرئبون** - قال أبو عاصم : يرفعون رءوسهم - **ثم ينادي : يا أهل التوحيد . ثم ينادي الثالثة : يا أهل التوحيد ، إن الله قد عفا عنكم . قال : فيقوم الناس قد تعلق بعضهم ببعض في ظلامات الدنيا - يعني : المظالم - ثم ينادي : يا أهل التوحيد ، ليعف**[٢] **بعضكم عن بعض وعلىٰ الله الثواب** ».

﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٢٦) وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٢٧) ﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن إبراهيم : إنه آمن له لوط ، يقال : إنه ابن أخي إبراهيم ، يقولون هو : لوط بن هاران بن آزر يعني : ولم يؤمن به من قومه سواه ، وسارة امرأة الخليل . لكن يقال : كيف الجمع بين هذه الآية ، وبين الحديث الوارد في الصحيح (٩) : « **أن إبراهيم حين مرّ علىٰ ذلك الجبار ، فسأل إبراهيم عن سارة : ما هي منه ؟ فقال : أختي . ثم جاء إليها فقال لها : إني قد قلت له : إنك أختي فلا تكذبيني ، فإنه ليس علىٰ وجه الأرض مؤمن غيرك وغيري ، فأنت أختي في الدين** » . وكأن المراد من هذا - والله أعلم -أنه ليس علىٰ وجه الأرض زوجان علىٰ الإسلام غيري وغيرك ، فإن لوطًا - عليه السلام - آمن به من قومه ، وهاجر معه إلىٰ بلاد الشام ، ثم أرسل في حياة الخليل إلىٰ أهل « **سَدُوم** » وإقليمها ، وكان من أمرهم[٣] ما تقدم وما سيأتي .

وقوله : ﴿ **وقال إني مهاجر إلىٰ ربي** ﴾ ، يحتمل عود الضمير في قوله ﴿ **وقال** ﴾ علىٰ لوط ، لأنه أقرب المذكورين ، ويحتمل عوده إلىٰ إبراهيم - قال ابن عباس والضحاك : هو المكنى عنه بقوله: ﴿ **فآمن له لوط** ﴾ أي: من قومه ثم أخبر عنه بأنه اختار المهاجرة من بين أظهرهم ، ابتغاء إظهار الدين والتمكن من ذلك ، ولهذا قال : ﴿ **إنه هو العزيز** ﴾ أي : له العزة ولرسوله وللمؤمنين به ، ﴿ **الحكيم** ﴾ في أقواله وأفعاله وأحكامه القدرية والشرعية .

وقال قتادة : هاجرا جميعًا من « **كوثى** » وهي من سواد الكوفة إلىٰ الشام . قال : وذُكر لنا

= «فيه أبو عاصم - الربيع بن إسماعيل - منكر الحديث ، قاله أبو حاتم » .

[١] - في ز ، خ : « الطرفين » . [٢] - في ز ، خ: « يعفوا » .

[٣] - في ز ، خ: « إبراهيم » .

أن نبي الله - صلىٰ الله عليه وسلم - قال : « **إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز أهل الأرض إلىٰ مُهاجر إبراهيم ، ويبقىٰ في الأرض شرار أهلها حتىٰ تلفظهم أرضهم وتَقْذرهم روح الله ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت معهم إذا باتوا[١] ، وتقيل معهم إذا قالوا ، وتأكل ما سقط منهم** .

وقد أسند الإمام أحمد(١٠) هذا الحديث فرواه مطولًا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، فقال[٢] :

حدثنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب قال : لما جاءتنا بيعة يزيد بن معاوية ، قدمت الشام فأخبرت بمقام يقومه نوف البكالي ، فجئته إذ جاء رجل ، فانتبذ الناس ، وعليه خميصة وإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص . فلما رآه نوف أمسك عن الحديث ، فقال عبد الله : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **إنها ستكون هجرة بعد هجرة ، فينحاز الناس إلىٰ مُهَاجر إبراهيم ، لا يبقىٰ في الأرض إلا شرار أهلها ، فتلفظهم أرضوهم ، تقْذرَهم نفس الرحمن ، تحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت[٣] معهم إذا باتوا[٤] ، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل منهم من تخلف** » . قال : وسمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « **سيخرج أناس من أمتي من قبل المشرق ، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم - كلما خرج منهم قرن قطع ، كلما خرج منهم قرن قطع ، حتى عدها زيادة[٥] على عشرين مرة -كلما - خرج منهم قرن قطع[٦] حتىٰ يخرج الدجال في بقيتهم** » .

ورواه أحمد(١١) عن أبي داود ، وعبد الصمد كلاهما ، عن هشام الدستوائي[٧] عن قتادة به .

وقد رواه أبو داود في سننه(١٢) ، فقال في كتاب الجهاد : باب ما جاء في سكنى الشام . حدثنا عبيد الله بن عمر ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني [أبي][٨] ، عن قتادة ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الله بن عمرو قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول :

(٩) صحيح مسلم حديث (٢٣٧١) .

(١٠) المسند (٢/٢٠٩) .

(١١) المسند (٢/٢٠٩) .

(١٢) سنن أبي داود حديث (٢٤٨٢) .

[١] - في ز،خ : « ناموا » .

[٢] - في ت : « قال » .

[٣] - في ت : « فتبيت » .

[٤] - في ز،خ : « ناموا » .

[٥] - في ز ، خ: « زياد » .

[٦] - سقط من : ت .

[٧] - في ز ، خ: « بن سوائي » .

[٨] - سقط من : خ ، ز . وثبتناه من سنن أبي داود

« ستكون هجرة بعد هجرة ، فخيار[١] أهل الأرض ألزمهم مُهاجر إبراهيم ، ويبقىٰ في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضهم وتَقْذرهم نفس الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير » .

وقال الإمام أحمد أيضًا(١٣) : حدثنا يزيد ، أخبرنا أبو جَنَاب يحيىٰ بن أبي حَيَّة ، عن شهر ابن حوشب قال : سمعتُ عبد اللّٰه بن عُمر قال[٢] : لقد رأيتنا وما صاحب الدينار والدرهم بأحق من أخيه المسلم ، ثم[٣] لقد رأيتُنا بأخرة الآن والدينار والدرهم أحب إلىٰ أحدنا من أخيه المسلم ، ولقد سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « **لئن أنتم اتبعتم أذناب البقر ، وتبايعتم بالعينة ، وتركتم الجهاد في سبيل اللّٰه ؛ ليلزمنكم اللّٰه مذلة في أعناقكم [ثم لا تنزع][٤] منكم حتىٰ ترجعوا إلىٰ ما كنتم عليه ، وتتوبوا إلىٰ اللّٰه عز وجل** » . وسمعت رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - يقول : « **لتكونن هجرة بعد هجرة إلىٰ مهاجر أبيكم إبراهيم ، حتىٰ لا يبقىٰ في الأرضين إلا شرار أهلها وتلفظهم أرضوهم وتقذرهم روح الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تقيل حيث يقيلون[٥] ، وتبيت حيث يبيتون وما سقط منهم فلها[٦]** ». ولقد سمعت رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - يقول : « **يخرج من أمتي قوم يسيئون الأعمال ، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم** - قال يزيد : لا أعلمه إلا قال : **يحقر أحدكم علمه مع علمهم ، يقتلون أهل الإسلام ، فإذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ، فطوبىٰ لمن قتلهم وطوبىٰ لمن قتلوه . كلما[٧] طلع منهم قرن قَطَعه اللّٰه . فردد ذلك رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - عشرين مرة ، أو أكثر ، وأنا أسمع** .

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو الحُسين بن الفضل ، أخبرنا عبد اللّٰه بن جعفر ، حدثنا يعقوب بن سفيان ، حدثنا أبو النضر إسحاق بن يزيد ، وهشام بن عمار الدمشقيان قالا : حدثنا يحيىٰ بن حمزة ، حدثنا الأوزاعي ، عن نافع - وقال أبو النضر ، عمن حدثه ، عن نافع - عن عبد اللّٰه بن عمر : أن رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - قال : « **سيهاجر أهل الأرض هجرة بعد هجرة ، إلىٰ مهاجر إبراهيم ، حتىٰ لا يبقىٰ إلا شرار أهلها ، تلفظهم الأرضون وتقذرهم روح الرحمن ؛ وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، لها ما سقط منهم** » .

غريب من حديث نافع . والظاهر أن الأوزاعي قد رواه عن شيخ له من الضعفاء ، واللّٰه

(١٣) المسند (٢/٨٤) ، وقال الهيثمي في المجمع (٥/٢٥١) : « فيه أبو جناب الكلبي وهو ضعيف » . وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/٣٨٠) : « سنده لا بأس به » .

[١] - في ز ، خ: « يختار » .
[٢] - في ت : « يقول » .
[٣] - سقط من : ز .
[٤] - ما بين المعكوفتين في ز : « لا ترجع » .
[٥] - في خ ، ز : « قالوا » .
[٦] - في خ ، ز : « مثلها » .
[٧] - في ز : « وكلما » .

أعلم . وروايته من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص أقرب إلىٰ الحفظ .

وقوله : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب** ﴾ ، كقوله تعالىٰ : ﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون اللَّه وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيًّا** ﴾ . أي : إنه لما فارق قومه أقرّ اللَّه عينه بوجود ولد صالح نبي [وولد له وَلَد صالح نبي][١] في حياة جده . وكذلك قال اللَّه : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة** ﴾ ، أي : زيادة ، كما قال : ﴿ **فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب** ﴾ . أي : ويولد لهذا الولد ولد في حياتكما ، تقر به أعينكما . وكون يعقوب ولدًا لإسحاق نص عليه القرآن ، وثبتت به السنة النبوية ، قال اللَّه : ﴿ **أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلٰهك وإلٰه آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلٰهًا واحدًا ونحن له مسلمون** ﴾ .

وفي الصحيحين(١٤) : « **إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم** » .

فأما ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ **ووهبنا له إسحاق ويعقوب** ﴾ قال : هما ولد إبراهيم . فمعناه أن ولد الولد بمنزلة الولد ، فإن هذا أمر لا يكاد يخفىٰ علىٰ من هو دون ابن عباس .

وقوله : ﴿ **وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب** ﴾ ، هذه خلعة سنية عظيمة ، مع اتخاذ اللَّه إياه خليلًا وجعله للناس إمامًا ، أن جعل في ذريته النبوة والكتاب ، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم - عليه السلام - إلا وهو من سلالته ، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، حتىٰ كان آخرهم عيسىٰ ابن مريم فقام في ملئهم مبشرًا بالنبي العربي القرشي الهاشمي ، خاتم الرسل علىٰ الإطلاق ، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة . الذي اصطفاه اللَّه من صميم العرب العَرْباء ، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليهم السلام . ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

وقوله : ﴿ **وآتيناه أجره في الدنيا ، وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ ، أي : جمع اللَّه له بين سعادة الدنيا الموصولة بسعادة الآخرة ، فكان له في الدنيا الرزق الواسع الهني ، والمنزل الرحب ، والمورد العذب ، والزوجة الحسنة الصالحة ، والثناء الجميل ، والذكر الحسن ، فكل أحد يحبه ويتولاه ، كما قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم ، مع القيام بطاعة اللَّه من جميع الوجوه كما قال تعالىٰ : ﴿ **وإبراهيم الذي وفىٰ** ﴾ ، أي : قام بجميع ما أمر به وكمل طاعة ربه ؛ ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ ، كما قال

(١٤) صحيح البخاري حديث (٤٦٨٨) من حديث ابن عمر ، ولم أجده عند مسلم .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

تعالىٰ : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يك من المشركين * شاكرًا لأنعمه اجتباه وهداه إلىٰ صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ .

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن نبيه لوط - عليه السلام - أنه أنكر علىٰ قومه سوء صنيعهم ، وما كانوا يفعلونه من قبيح الأعمال ، في إتيانهم الذكران من العالمين ، ولم يسبقهم إلىٰ هذه الفعلة أحد من بني آدم قبلهم ، وكانوا مع هذا يكفرون باللّٰه ويكذبون رسوله ويخالفون ويقطعون السبيل أي : يقفون في طريق الناس يقتلونهم ويأخذون أموالهم ، ﴿ وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ أي : يفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في مجالسهم التي يجتمعون فيها ، لا ينكر بعضهم علىٰ بعض شيئًا من ذلك ، فَمِنْ قائل : كانوا يأتون بعضهم بعضًا في الملأ . قاله مجاهد . ومن قائل : كانوا يتضارطون ويتضاحكون . قالته عائشة - رضي اللّٰه عنها - والقاسم . ومن قائل : كانوا يناطحون بين الكباش ، ويناقرون بين الديوك ، وكل ذلك كان يصدر عنهم ، وكانوا شرًّا من ذلك .

وقال الإمام أحمد[١٥] : حدثنا حماد بن أسامة ، أخبرني حاتم بن أبي صغيرة ، حدثنا سماك بن حرب ، عن أبي صالح - مولىٰ أم هانئ - عن أم هانئ ، قالت : سألت رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - عن قوله عز وجل : ﴿ وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ قال : « **يحذفون أهل الطريق ، ويسخرون منهم ، وذلك المنكر الذي كانوا يأتونه** » .

ورواه الترمذي ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة ، عن[١] أبي يونس القُشَيري - حاتم بن أبي صَغيرة - به . ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث حاتم بن أبي صغيرة ، عن سماك .

(١٥) المسند (٣٤١/٦) ، وسنن الترمذي حديث (٣١٩٠) .

[١] - سقط من : ز، خ .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة ، حدثنا محمد بن كثير ، عن عمرو بن قيس ، عن الحكم ، عن مجاهد : ﴿ **وتأتون في ناديكم المنكر** ﴾ ، قال : الصفير ، ولعب الحمام ، والجُلاهق(*) والسؤال في المجلس وحل أزرار القباء .

وقوله : ﴿ **فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين** ﴾ وهذا من كفرهم واستهزائهم وعنادهم ، ولهذا استنصر عليهم نبيُّ الله فقال : ﴿ **رب ، انصرني على القوم المفسدين** ﴾ .

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

لما استنصر لوط - عليه السلام - الله عليهم بعث[١] الله لنصرته ملائكة فمروا على[٢] إبراهيم - عليه السلام - في هيئة أضياف فجاءهم بما ينبغي للضيف ، فلما رأى أنه لا همّة لهم إلى الطعام نكرهم وأوجس منهم خيفة ، فشرعوا يؤانسونه ويبشرونه بوجود ولد صالح من امرأته سارة - وكانت حاضرة - فتعجبت من ذلك ، كما تقدم بيانه في سورة « **هود** » و« **الحجر** » . فلما جاءت إبراهيم البشرى[٣] ، وأخبروه بأنهم أرسلوا لهلاك قوم لوط ، أخذ يدافع لعلهم يُنظرون ، لعل الله أن يهديهم . ولما قالوا : إنا مهلكو أهل هذه القرية ﴿ **قال إن فيها لوطًا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين** ﴾ ، أي : من الهالكين ؛ لأنها كانت تُمالئهم على كفرهم وبغيهم ودبرهم ثم ساروا من عنده فدخلوا على لوط في صورة شباب حسان ، فلما رآهم كذلك ﴿ **سيء بهم وضاق بهم ذرعًا** ﴾ أي : اهتم بأمرهم ، إن هو أضافهم خاف عليهم من قومه ، وإن لم يضيفهم[٤] خشي عليهم منهم ، ولم

(*) قال في القاموس : الجُلاهِقُ - كعُلابط - البندق الذي يرمى به .

[١] - في خ : « بعثه » .
[٢] - في ز ، خ: « مع » .
[٣] - في ت : « بالبشرى » .
[٤] - في ت : « يضفهم » .

يعلم بأمرهم في الساعة الراهنة . ﴿ **قالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين * إنا منزلون علىٰ أهل هذه القرية رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون** ﴾ ، وذلك أن جبريل - عليه السلام - اقتلع قراهم[١] من قرار الأرض، ثم رفعها إلىٰ عَنان السماء ثم قلبها عليهم . وأرسل الله عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ، وجعل مكانها بحيرة خبيثة منتنة ، وجعلهم عبرة إلىٰ يوم التناد ، وهم من أشد الناس عذابًا يوم المعاد ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد تركنا منها آية بينة** ﴾ ، أي : واضحة ، ﴿ **لقوم يعقلون** ﴾، كما قال : ﴿ **وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون** ﴾ .

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾

يخبر تعالىٰ عن عبده ورسوله شعيب - عليه السلام - : أنه أنذر قومه أهل مدين ، فأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ، وأن يخافوا بأس الله ونقمته وسطوته يوم القيامة ، فقال : ﴿ **يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر** ﴾ .

قال ابن جرير: قال بعضهم: معناه : واخشوا اليوم الآخر. وهذا كقوله تعالىٰ : ﴿ **لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾ ثم نهاهم عن العيث[٢] في الأرض بالفساد ، وهو السعي فيها والبغي علىٰ أهلها وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ، ويقطعون الطريق علىٰ الناس ، هذا مع كفرهم بالله ورسوله ، فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم ، وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها ، وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها ، إنه كان عذاب يوم عظيم . وقد تقدمت قصتهم مبسوطة في « **سورة الأعراف** » و« **هود** » و« **الشعراء** » .

وقوله : ﴿ **فأصبحوا في دارهم جاثمين** ﴾ قال قتادة : ميتين . وقال غيره : قد ألقي بعضهم على بعض .

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟

---

[١] - في خ : « قرارهم » . [٢] - في خ : « العبث » .

سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

يخبر تعالىٰ عن هؤلاء الأمم المكذبة للرسل كيف أبادهم وتنوع في عذابهم ، فأخذهم بالانتقام منهم ، فعاد قوم هود ، وكانوا يسكنون الأحقاف وهي قريبة من حضرموت بلاد اليمن ، وثمود قوم صالح وكانوا يسكنون الحجر قريبًا من وادي القرىٰ ، وكانت العرب تعرف مساكنهما جيدًا ، وتمر عليها كثيرًا . وقارون صاحب الأموال الجزيلة ومفاتيح الكنوز الثقيلة . وفرعون ملك مصر في زمان موسىٰ ووزيره هامان القبطيان الكافران باللَّه ورسوله ، ﴿ **فكلًّا أخذنا بذنبه** ﴾ ، أي : كانت عقوبته بما يناسبه ، ﴿ **فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا** ﴾ ، وهم عاد ، وذلك أنهم قالوا : من أشد منا قوة ؟!! فجاءتهم ريح صرصر باردة شديدة البرد ، عاتية شديدة الهبوب جدًّا ، تحمل عليهم حصباء الأرض فتقلبها عليهم ، وتقتلعهم من الأرض فترفع الرجل منهم إلىٰ عَنَان السماء ثم تنكسه علىٰ أم رأسه فتشدخه فيبقىٰ بدنًا بلا رأس كأنهم أعجاز نخل منقعر . ﴿ **ومنهم من أخذته الصيحة** ﴾ ، وهم ثمود ، قامت عليهم الحجة وظهرت لهم الدلالة ، من تلك الناقة التي انفلقت عنها الصخرة ، مثل ما سألوا سواء بسواء ومع هذا ما آمنوا بل استمروا علىٰ طغيانهم وكفرهم ، وتهددوا نبيَّ اللَّه صالحًا ومن آمن معه ، وتوعَّدوهم بأن يخرجوهم ويرجموهم ، فجاءتهم صيحة أخمدت الأصوات منهم والحركات . ﴿ **ومنهم من خسفنا به الأرض** ﴾ ، وهو قارون الذي طغىٰ وبغىٰ وعتا وعصىٰ الرب الأعلىٰ ، ومشىٰ في الأرض مرحًا وفرح ومرح وتاه بنفسه ، واعتقد أنه أفضل من غيره ، واختال في مشيته فخسف اللَّه به وبداره الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلىٰ يوم القيامة . ﴿ **ومنهم من أغرقنا** ﴾ ، وهم فرعون ووزيره هامان ، وجنوده عن آخرهم ، أغرقوا في صبيحة واحدة ، فلم ينج منهم مخبر ، ﴿ **وما كان اللَّه ليظلمهم** ﴾ ، أي : فيما فعل بهم ، ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ ، أي: إنما [فعل] ذلك بهم جزاءً وفاقًا بما كسبت أيديهم .

وهذا الذي ذكرناه ظاهر سياق الآية ، وهو من باب اللف والنشر وهو أنه ذكر الأمم المكذبة ، ثم قال : ﴿ **فكلًّا أخذنا بذنبه** ﴾ ، أي : من هؤلاء المذكورين ، وإنما نبهتُ علىٰ هذا لأنه قد روي أن ابن جُريج[١] قال : قال ابن عباس في قوله : ﴿ **فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا** ﴾ ، قال : قوم لوط . ﴿ **ومنهم من أغرقنا** ﴾ قال : قوم نوح . وهذا منقطع عن ابن عباس ؛ فإن ابن جريج لم يدركه . ثم قد ذكر اللَّه في هذه السورة إهلاك قوم نوح بالطوفان ، وقوم لوط

---

[١] - في خ ، ز : « جرير » .

بإنزال الرجز من السماء ، وطال السياقُ والفصل بين ذلك وبين هذا السياق .

وقال قتادة : ﴿ **فمنهم من أرسلنا عليه حاصبًا** ﴾ ، قال[١] : قوم لوط ، ﴿ **ومنهم من أخذته الصيحة** ﴾ : قوم شعيب . وهذا بعيد أيضًا لما تقدم ، والله أعلم .

مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

هذا مثل ضربه الله تعالىٰ للمشركين في اتخاذهم آلهةً من[٢] دون الله ، يرجون نصرهم ورزقهم ، ويتمسكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه[٣] ، فليس في أيدي هؤلاء من آلهتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت فإنه لا يجدي عنه شيئًا ، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء . وهذا بخلاف [المسلم المؤمن] قلبه لله ، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع فإنه مستمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها ، لقوتها وثباتها .

ثم قال تعالىٰ متوعدًا لمن عبد غيره وأشرك به : إنه تعالىٰ يعلم ما هم عليه من الأعمال ، ويعلم وما يشركون به من الأنداد ، وسيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ ، أي : وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه .

قال الإمام أحمد(١٦) : حدثنا إسحاق بن عيسىٰ ، حدثني ابن لهيعة ، عن أبي قَبيل ، عن عمرو بن العاص - رضي الله عنه - قال : عَقَلْتُ عن رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - ألف مثل .

وهذه منقبة عظيمة لعمرو بن العاص - رضي الله عنه - حيث يقول تعالىٰ : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ .

---

(١٦) المسند (٤/٢٠٣) ، وقال الهيثمي في المجمع (٨/٢٦٤) : « إسناده حسن » .

---

[١] - سقط من : ز، خ .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ز ، خ : « ووهائه » .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عليُّ بن الحسين ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنا أبي ، حدثنا ابن سنان ، عن عمرو بن مُرة ، قال : ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنني، لأني سمعت الله تعالىٰ يقول : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ .

خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا[١] عن قدرته العظيمة : إنه خلق السموات والأرض بالحق ، يعني : لا علىٰ وجه العبث واللعب ﴿ **لتجزىٰ كل نفس بما تسعىٰ** ﴾ .﴿ **ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾ .

وقوله : ﴿ **إن في ذلك لآية للمؤمنين** ﴾ . أي : لدلالة[٢] واضحة على أنه تعالى المتفرد بالخلق والتدبير والإلهية .

ثم قال تعالىٰ آمرًا رسوله والمؤمنين بتلاوة القرآن ، وهو قراءته وإبلاغه للناس ، ﴿ **وأقم الصلاة إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر** ﴾ ، يعني : أن الصلاة تشتمل علىٰ شيئين : علىٰ ترك الفواحش والمنكرات ، أي : إن مواظبتها تحمل علىٰ ترك ذلك ، وقد جاء في الحديث[٣] من رواية عِمْران ، وابن عباس ، مرفوعًا : « **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم تزده من الله إلا بعدًا** »(١٧) .

[ذكر الآثار الواردة في ذلك]

قال ابن أبي حاتم(١٨) : حدثنا محمد بن هارون المخرمي الفلاس ، حدثنا عبد الرحمن بن نافع أبو زياد ، حدثنا عمر بن أبي عثمان ، حدثنا الحسن ، عن عمران بن حُصين ، قال : سُئل

(١٧) أما حديث عمران بن حصين ، فقد أخرجه ابن أبي حاتم - كما سيأتي - من طريق عمر بن أبي عثمان عن الحسن عن عمران به ، والحسن لم يسمع من عمران بن حصين . وأما حديث ابن عباس ، فقد رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥٤/١١) من طريق ليث ، عن طاوس ، عن ابن عباس به .

(١٨) وهذا الحديث فيه علتان ذكرهما الشيخ ناصر الدين الألباني في الضعيفة وهما :

١ - الانقطاع بين الحسن - وهو البصري - وعمران بن حصين ، فإنهم اختلفوا في سماعه منه فإنه ثبت ، فعِلته عنعنة الحسن فإنه مدلس معروف بذلك .

[١] - سقط من : خ ، ز . [٢] - في ت : « له دلالة » .

[٣] - في ز ، خ: « حديث » .

النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم عن قول اللّه : ﴿ **إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر** ﴾ ، قال : « **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له** » .

وحدثنا عليُّ بن الحسين(١٩) ، حدثنا يحيىٰ بن أبي طلحة اليربوعي ، حدثنا أبو معاوية ، عن ليث ، عن طاوس ، عن ابن عباس قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « **من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد بها من اللّه إلا بعدًا** » . ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية .

وقال ابن جرير(٢٠) : [حدثنا القاسم][١] ، حدثنا الحسين ، حدثنا خالد بن عبد اللّه ، عن العلاء بن المسيب ، عمن ذكره ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر** ﴾ ، قال : فمن لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه[٢] عن المنكر ، لم يزدد بصلاته من اللّه إلا بعدًا » . فهذا موقوف .

قال ابن جرير(٢١) : وحدثنا القاسم ، حدثنا الحسين ، حدثنا عليُّ بن هاشم بن البريد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود ، عن النبي صلىٰ اللّه عليه وسلم أنه قال : « **لا صلاة لمن لم يطع الصلاة . وطاعة الصلاة أن تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر** » . قال : وقال سفيان : ﴿ **قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك** ﴾؟ قال : فقال سفيان : إي و اللّه ، تأمره وتنهاه .

وقال ابن أبي حاتم(٢٢) : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد ، عن جويبر ، عن الضحاك ، عن عبد اللّه ، قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم - وقال أبو خالد مَرَّةً : عن عبد اللّه - : « **لا صلاة لمن لم يطع الصلاة ، وطاعة الصلاة تنهاه عن الفحشاء والمنكر** » .

والموقوف أصح كما رواه الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قيل لعبد اللّه : إن فلانًا ليطيل الصلاة ؟ قال : إنّ الصلاة لا تنفع إلا من أطاعها(٢٣) .

---

٢ - جهالة عمر بن أبي عثمان ، ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٢٣/١/٣) وقال : « سمع طاوسًا ، روى عنه يحيى بن سعيد » .

(١٩) المعجم الكبير (٥٤/١١) وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء : « إسناده لين » .

(٢٠) تفسير الطبري (٩٩/٢٠) .

(٢١) تفسير الطبري (٩٩/٢٠) وفيه جويبر وهو متروك .

(٢٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٦٥/٦) مرفوعًا ، وقال : « أخرج عبد بن حميد وابن جرير ، وابن مردويه بسند ضعيف » فذكر الرواية التى قبلها .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز .

[٢] - في ز : « تنهاه » .

وقال ابن جرير(٢٤) : [قال عليّ، حدثنا إسماعيل بن مسلم][١] ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **من صلىٰ صلاة لم تنهه عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد بها من الله إلا بعدًا** » . والأصح في هذا كله الموقوفات عن ابن مسعود ، وابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والأعمش ، وغيرهم ، والله أعلم .

وقال الحافظ أبو بكر البزار (٢٥) : حدثنا يوسف بن موسىٰ ، حدثنا جَرير - يعني ابن عبد الحميد - عن الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : أراه عن جابر - شك الأعمش - قال : قال رجل للنبي صلىٰ الله عليه وسلم : إن فلانًا يصلي فإذا أصبح سرق ، قال : « **سينهاه ما يقول** » .

وحدثناه(٢٦) محمد بن موسىٰ الحَرَشي[٢] ، حدثنا زياد بن عبد الله ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر ، عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بنحوه - ولم يشك - ثم قال : وهذا الحديث قد رواه غير واحد عن الأعمش ، واختلفوا في إسناده ، فرواه غير واحد عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هُريرة أو غيره ، وقال قيس : عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر ، قال جرير وزياد : عن عبد الله ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن جابر .

وقال الإمام أحمد(٢٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش قال [أبو صالح أخبرنا][٣] عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فقال[٤] : إنّ فلانًا يصلي بالليل[٥] فإذا أصبح سرق فقال : « **إنه سينهاه ما يقول** » . وتشتمل الصلاة أيضًا علىٰ ذكر الله تعالىٰ ، وهو المطلوب الأكبر ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ ، أي : أعظم من الأول ، ﴿ **والله يعلم ما تصنعون** ﴾ أي : يعلم جميع أقوالكم وأعمالكم .

وقال أبو العالية في قوله : ﴿ **إنّ الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر** ﴾ قال : إن الصلاة فيها

---

(٢٣) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٨/١٣) من طريق زائدة ، عن عاصم ، عن شقيق ، عن ابن مسعود قال : « **لا تنفع الصلاة إلا من أطاعها ثم قرأ عبد الله : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَا وَالْمُنكَر ...﴾ الآية** » .

(٢٤) تفسير الطبري (٩٩/٢٠) وهو من مراسيل الحسن .

(٢٥) مسند البزار حديث (٧٢١) « كشف الأستار » . وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٨/٢) : « رجاله ثقات» .

(٢٦) « كشف الأستار حديث (٧٢٢) » .

(٢٧) المسند (٤٤٧/٢) ، ورواه البزار في مسنده كما في « كشف الأستار » حديث (٧٢٠) من طريق الأعمش به ، وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٨/٢) : « رجاله رجال الصحيح » .

---

[١] - ما بين المعكوفتين في ز ، خ : ثنا علي بن إسماعيل بن مسلم ، وهو تحريف . والمثبت من تفسير ابن جرير .

[٢] - في ز ، خ : أرى أبا صالح ، والمثبت من المسند . [٣] - في خ ، ز : « الجرشي » .

[٤] - في ز : « قال » . [٥] - في ز : « في الليل » .

ثلاث خلال[١] ، فكلّ[٢] صلاة لا يكون فيها شيء من هذه[٣] الخلال فليست بصلاة : الإخلاص، والخشية، وذكر الله . فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر ، وذكر الله القرآن يأمره وينهاه .

وقال ابن عون الأنصاري : إذا كنت في صلاة فأنت في معروف ، وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر ، والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر .

وقال حماد بن أبي سليمان : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ يعني : ما دمت فيها .

وقال عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ ، يقول : ولذكر الله لعباده إذا [ذكروه][٤] أكبر من ذكرهم إياه ، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس. [وبه قال مجاهد وغيره.

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن داود بن أبي هند ، عن رجل ، عن ابن عباس][٥] : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ ، قال : ذكر الله عند طعامك وعند منامك . قلت : فإن صاحبًا لي في المنزل يقول غير الذي تقول ؟ قال : وأي شيء يقول ؟ قلت : قال : يقول الله : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ ، فلذكر الله إيانا أكبر من ذكرنا إياه . قال : صدق .

قال : وحدثنا أبي ، حدثنا النفيلي ، حدثنا إسماعيل ، عن خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ ، قال : لها وجهان ، قال : ذكر الله عِنْدَ مَا حرَّمه ، قال : وذكر الله إياكم أعظم من ذكركم إياه .

وقال ابن جرير (٢٨) : حدثني يعقوب بن إبراهيم ، حدثنا هشيم ، أخبرنا عطاء بن السائب ، عن عبد الله بن ربيعة قال : قال لي ابن عباس : هل تدري ما قوله تعالىٰ : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ ؟ قال[٦] : قلت : نعم . قال : فما هو ؟ قلت : التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة ، وقراءة القرآن ، ونحو ذلك . قال : لقد قلت قولًا عجبًا ، وما هو كذلك ، ولكنه إنما يقول : ذكر الله إياكم عِنْدَ مَا أَمَر به أو نهىٰ عنه - إذا ذكرتموه - أكبر من ذكركم إياه ، وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس . وروي أيضًا عن ابن مسعود ، وأبي الدرداء ، وسلمان الفارسي ، وغيرهم ، واختاره ابن جرير .

(٢٨) تفسير الطبري (٢٠/٩٩) .

[١] - في ت : « خصال » .
[٢] - في ز ، خ: « فعل » .
[٣] - في ز ، خ: « هذا » .
[٤] - ما بين المعكوفتين سقط من ز ، خ .
[٥] - ما بين المعكوفتين في خ، ز : « في قوله » .
[٦] - سقط من : ز، خ .

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾

قال قتادة وغير واحد : هذه الآية منسوخة بآية السيف ، ولم يبق معهم مجادلة ، وإنما هو الإسلام أو الجزية أو السيف .

وقال آخرون : بل هي باقية أو محكمة لمن أراد الاستبصار[١] منهم في الدين ، فيجادل بالتي هي أحسن ، ليكون أنجع[٢] فيه كما قال تعالىٰ : ﴿ **ادع إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ ، وقال تعالىٰ لموسىٰ وهارون حين بعثهما إلىٰ فرعون : ﴿ **فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشىٰ** ﴾ وهذا القول اختاره ابن جرير(٢٩) وحكاه عن ابن زيد .

وقوله : ﴿ **إلا الذين ظلموا منهم** ﴾ ، أي : حادوا عن وجه الحق ، وعَمُوا عن واضح المحجة ، وعاندوا وكابروا ، فحينئذ ينتقل عن[٣] الجدال إلىٰ الجلاد ، ويقاتلون بما يردعهم ويمنعهم ، قال الله تعالىٰ : ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قويّ عزيز** ﴾ قال جابر: أمرنا من خالف كتاب الله أن نضربه بالسيف .

قال مجاهد : ﴿ **إلا الذين ظلموا منهم** ﴾ ، يعني أهل الحرب ، ومن امتنع منهم من[٤] أداء الجزية .

وقوله : ﴿ **وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم** ﴾ ، يعني : إذا أخبروا بما لا يعلم صدقه ولا كذبه ، فهذا لا نُقدم علىٰ تكذيبه؛ لأنه قد يكون حقًّا ولا علىٰ تصديقه فلعله أن يكون باطلًا ، ولكن نؤمن به إيمانًا مجملًا معلقًا على شرط ، وهو أن يكون منزلًا لا مبدلًا ولا[٥] مؤولًا .

قال البخاري رحمه الله(٣٠) : حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عثمان بن عُمر، ثنا[٦] عليُّ بن

(٢٩) تفسير الطبري (٢/٢١) .

(٣٠) صحيح البخاري حديث (٤٤٨٥ ، ٧٣٦٢) .

[١] - في ز ، خ: « الاستنصار » .

[٢] - في خ ، ز : « الجمع » .

[٣] - في ت : « من » .

[٤] - في ت : « عن » .

[٥] - سقط من : ز ، خ.

[٦] - في ت : « أخبرنا » .

المبارك ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : كان أهل الكتاب[١] يقرءون التوراة بالعبرانية ، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون** » . وهذا الحديث تفرد به البخاري .

وقال الإمام أحمد (٣١) : حدثنا عثمان بن عُمر[٢] ، أخبرنا يونس ، عن الزهري ، أخبرني ابن أبي نملة أن أبا نملة الأنصاري أخبره أنه بينما هو جالس عند رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم - جاءه رجل من اليهود ، فقال : يا محمد ، هل تتكلم هذه الجنازة ؟ قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **الله[٣] أعلم** » . قال اليهودي : أنا أشهد أنها تتكلم . فقال رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم - : « **إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ، وقولوا: آمنا بالله ورسله وكتبه ، فإن كان حقًا لم تكذبوهم ، وإن كان باطلًا لم تصدقوهم** » .

قلت : وأبو نملة هذا هو : عمارة . وقيل : عَمّار . وقيل : عمرو بن معاذ بن زُرارة الأنصاري ، رضي الله عنه .

ثم ليعلم أن أكثر ما يُحدّثون به غالبه كذب وبهتان ، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل ، وما أقلَّ الصدقَ فيه ! ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحًا !

قال ابن جرير(٣٢) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا أبو[٤] عاصم ، حدثنا سفيان ، عن سليمان بن عامر ، عن عمارة[٥] بن عمير ، عن حريث بن ظهير ، عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، إما أن [تكذبوا بحق أو تصدقوا][٦] بباطل ، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلا وفي قلبه[٧] تالية[٨] تدعوه إلى دينه كتالية[٩] المال .

---

(٣١) المسند (٤/١٣٦) .

(٣٢) تفسير الطبري (٢١/٤) .

---

[١] - في خ ، ز : « التوراة » .

[٢] - في خ ، ز : « عمرو » . وهو تحريف .

[٣] - سقط من : خ .

[٤] - سقط من : خ ، ز .

[٥] - في ت : « عمار » .

[٦] - في ز : « يكذبوا الحق أو يصدقوا » .

[٧] - سقط من : خ .

[٨] - في ز ، خ: « مالية » . والمثبت من تفسير الطبري . وجاء في النهاية (١/١٩٦) تليت له تلية من حقه وتُلاوة ، أي بقيت له بقية .

[٩] - في ز ، خ: « كمالية » .

وقال البخاري (٣٣) : حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا إبراهيم بن سعد ، أخبرنا ابن شهاب ، عن عُبيد[١] الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل إليكم على رسوله - صلى الله عليه وسلم - أحدثُ ، تقرءونه محضًا لم يُشَب ، وقد حدّثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا : هو من عند الله ؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا؟ ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم؟ لا والله ما رأينا منهم رجلًا يسألكم عن الذي أنزل عليكم .

وقال البخاري (٣٤) : وقال أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، أخبرني حُميد[٢] بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطًا من قريش بالمدينة - وذكر كعب الأحبار - فقال : إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدّثون عن أهل الكتاب ، وإنْ كنا مع ذلك لنبلو[٣] عليه الكذب .

قلت : معناه أنه يقع منه الكذب لغة من غير قصد ؛ لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن ، وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة ، لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الأمة العظيمة ، ومع ذلك وقرب العهد وضعت أحاديث كثيرة في هذه الأمة ، لا يعلمها إلا الله عز وجل ومن منحه الله علمًا بذلك ، كل بحسبه ، ولله الحمد والمنة .

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

قال ابن جرير : يقول الله تعالى : كما أنزلنا الكتب على من قبلك - يا محمد - من الرسل ، كذلك أنزلنا إليك هذا الكتاب . وهذا الذي قاله حسن ومناسبة وارتباط جيد .

وقوله : ﴿ **فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به** ﴾ ، أي : الذين أخذوه فتلَوه[٤] حق تلاوته

(٣٣) صحيح البخاري حديث (٧٣٦٣) .

(٣٤) صحيح البخاري حديث (٧٣٦١) .

[١] - في خ ، ز : « عبد » .

[٢] - في خ ، ز : « عبيد » .

[٣] - في ز ، خ: « لنتلوا » .

[٤] - في خ ، ز : « يتلوه » .

من أحبارهم العلماء الأزكياء كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي، وأشباههما.

وقوله: ﴿ **ومن هؤلاء من يؤمن به** ﴾. يعني: العرب من قريش وغيرهم، ﴿ **وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون** ﴾، أي: ما يكذب بها ويجحد حقها إلا من يستر الحقّ بالباطل، ويغطي ضوء الشمس بالوصائل، وهيهات!

ثم قال تعالىٰ: ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك** ﴾، أي: قد لبثت في قومك - يا محمد - [من][1] قبل أن تأتي بهذا القرآن عُمرًا لا تقرأ كتابًا ولا تحسن الكتابة، بل كل أحد من قومك وغيرهم يعرف أنك رجل أميّ لا تقرأ ولا تكتب. وهكذا صفته في الكتب المتقدمة كما قال تعالىٰ: ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر** ﴾ الآية. وهكذا كان صلىٰ الله عليه وسلم - إلىٰ يوم القيامة - لا يحسن الكتابة ولا يخط سطرًا ولا حرفًا بيده بل كان له كُتّاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلىٰ الأقاليم. ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه، أنه - عليه السلام - كتب يوم الحديبية: « **هذا ما قاضىٰ عليه محمد بن عبد الله** » فإنما حمله علىٰ ذلك رواية في صحيح البخاري: « **ثم أخذ فكتب** ». وهذه محمولة علىٰ الرواية الأخرىٰ: « **ثم أمر فكتب** » ولهذا اشتد النكير من فقهاء المغرب والمشرق علىٰ من قال بقول الباجي، وتبرءوا منه، وأنشدوا في ذلك أقوالًا وخطبوا به في محافلهم وإنما أراد الرجل - أعنى الباجى، فيما يظهر عنه - أنه كتب ذلك على وجه المعجزة، لا أنه كان يحسن الكتابة، كما قال - عليه الصلاة والسلام - إخبارًا عن الدجال(٣٥): « **مكتوب بين عينيه كافر** ». وفي رواية: « **ك ف ر، يقرؤه**[2] **كل مؤمن** ».

وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت - عليه السلام - حتىٰ تعلم الكتابة، فضعيف لا أصل له؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ **وما كنت تتلو** ﴾ أي: تقرأ ﴿ **من قبله من كتاب** ﴾ لتأكيد النفي ﴿ **ولا تخطه بيمينك** ﴾، تأكيد أيضًا و[3]خرج مخرج الغالب، كقوله تعالىٰ: ﴿ **ولا طائر يطير بجناحيه** ﴾ وقوله: ﴿ **إذًا لارتاب المبطلون** ﴾، أي: لو كنت تخطها[4] لارتاب بعض الجهلة من الناس فيقول: إنما تعلم هذا من كُتب قبله مأثورة عن الأنبياء، مع أنهم قالوا ذلك مع علمهم بأنه أميّ لا يحسن الكتابة: ﴿ **وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملىٰ عليه بكرة وأصيلًا** ﴾، قال الله تعالىٰ: ﴿ **قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورًا رحيمًا** ﴾، وقال هاهنا: ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** ﴾، أي:

(٣٥) رواه البخاري في صحيحه حديث (٧١٣١) من حديث أنس رضي الله عنه.

[١] - في ت: ومن.
[٢] - في ت: « يقرؤها ».
[٣] - في ز، خ: «أو».
[٤] - في ت: « تحسنها ».

القرآن آيات بينة واضحة في الدلالة على الحق أمرًا ونهيًا وخبرًا ، يحفظه العلماء ، يَسَّره الله عليهم حفظًا وتلاوة وتفسيرًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾ ، وقال رسول الله - صلىٰ الله عليه وسلم(٣٦) - : « **ما من نبي إلا وقد أعطي ما آمن علىٰ**[١] **مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا** » .

وفي حديث عياض بن حمار - في صحيح مسلم (٣٧) - : « **يقول الله تعالىٰ : إني مبتليك ومبتل بك ، ومنزل عليك كتابًا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائمًا يقظان** » . أي : لو غسل الماء المحل المكتوب فيه لما احتيج إلى ذلك المحل كما جاء في الحديث الآخر(٣٨) : « **لو كان القرآن في إهاب لما**[٢] **أحرقته النار** » لأنه محفوظ في الصدور ، ميسر علىٰ الألسنة ، مهيمن علىٰ القلوب ، معجز لفظًا ومعنى . ولهذا جاء في الكتب المتقدمة ، في صفة هذه الأمة : « **أناجيلهم في صدورهم** » .

واختار ابن جرير(٣٩) أن المعنىٰ في قوله تعالىٰ : ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ ، بل العلم بأنك[٣] ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتابًا ولا تخطه بيمينك آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب . ونقله عن قتادة وابن جريج ، وحكي الأول عن الحسن فقط . قلت : وهو الذي رواه العوفي عن عبد الله بن عباس ، وقاله الضحاك ، وهو الأظهر ، والله أعلم .

وقوله: ﴿ **وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون** ﴾ ، أي : ما يكذب بها ويبخس حقها ويردها إلا الظالمون ، أي : المعتدون المكابرون ، الذين يعلمون الحق ويحيدون عنه ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **إنّ الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولوجاءتهم كل آية حتىٰ يروا العذاب الأليم** ﴾ .

وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ

(٣٦) رواه البخاري في صحيحه حديث (٧٢٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وسيأتي إن شاء الله .
(٣٧) صحيح مسلم حديث (٢٨٦٥) .
(٣٨) رواه أحمد في مسنده (١٥١/٤) من حديث عقبة بن عامر ، وتقدم الكلام عليه في فضائل القرآن .
(٣٩) تفسير الطبري (٥/٢١) .

[١] - في ز ،خ : « عليه » . [٢] - في ت : « ما » .
[٣] - في خ : « يماثل » .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن المشركين في تعنتهم وطلبهم آيات - يعنون - ترشدهم إلىٰ أن محمدًا رسول الله كما جاء صالح بناقته .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **قل** ﴾ يا محمد: ﴿ **إنما الآيات عند الله** ﴾ ، أي : إنما أمر ذلك إلىٰ الله ، فإنه لو علم أنكم تهتدون لأجابكم إلىٰ سؤالكم ، لأن ذلك سهل عليه يسير لديه ، ولكنه يعلم منكم أنما قصدكم التعنت والامتحان فلا يجيبكم إلىٰ ذلك ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها** ﴾ .

وقوله : ﴿ **وإنما أنا نذير مبين** ﴾ ، أي : إنما بعثت نذيرًا لكم بيِّنَ النِّذَارة فَعَليَّ أني[١] أبلغكم رسالة الله ، و﴿ **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا** ﴾ وقال تعالى : ﴿**ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء**﴾ .

ثم قال تعالىٰ مبينًا كثرة جهلهم ، وسخافة عقلهم ، حيث طلبوا آيات تدلهم علىٰ صدق محمد فيما جاءهم - وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، الذي هو أعظم من كل معجزة ، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته ، بل عن معارضة عشر سور من مثله ، بل عن معارضة سورة منه - فقال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلىٰ عليهم** ﴾ ، أي : أو لم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ، ونبأ ما بعدهم ، وحكم ما بينهم ، وأنت رجل أميٌّ لا تقرأ ولا تكتب ، ولا[٢] تخالط أحدًا من أهل الكتاب ، فجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولىٰ ، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه ، وبالحق الواضح البيِّن الجليّ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل** ﴾ .

وقال تعالى : ﴿**وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولىٰ**﴾ .

وقال الإمام أحمد(٤٠) : حدثنا حجاج ، حدثنا ليث ، حدثني سعيد بن أبي سعيد ، عن

(٤٠) المسند (٣٤١/٢) ، وصحيح البخاري حديث (٤٩٨١) ، وصحيح مسلم حديث (١٥٢) .

[١] - في ت : « أن » . [٢] - في ت : « ولم » .

أبيه ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي [من الآيات][١] ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة** » . أخرجاه من حديث الليث .

وقال الله تعالى : ﴿ **إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** ﴾ ،أي : إن في هذا القرآن ﴿ **لرحمة** ﴾ ، أي : بيانًا[٢] للحق ، وإزاحة للباطل ، و﴿ **ذكرى** ﴾ بما فيه حلول النقمات ونزول العقاب بالمكذبين والعاصين ، ﴿ **لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ **قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدًا** ﴾ أي : هو أعلم بما تفيضون فيه من التكذيب ، ويعلم ما أقول لكم من إخباري عنه ، بأنه أرسلني ، فلو كنت كاذبًا عليه لانتقم مني ، كما قال تعالى : ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين** ﴾ ، وإنما أنا صادق عليه فيما أخبرتكم به ؛ ولهذا أيدني بالمعجزات الواضحات ، والدلائل القاطعات .

﴿ **يعلم ما في السموات والأرض** ﴾ لا تخفى عليه خافية ﴿ **والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون** ﴾ ، أي : يوم معادهم سيجزيهم على ما فعلوا ، ويقابلهم على ما صنعوا ، من تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل ، كذبوا برسل الله مع قيام الأدلة على صدقهم ، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل ، سيجازيهم على ذلك ، إنه حكيم عليم .

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى مخبرًا عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم ، وبأس الله أن يحل عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ **وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم** ﴾ ، وقال هاهنا : ﴿ **ويستعجلونك بالعذاب ، ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب** ﴾ ، أي : لولا ما حتّم الله من تأخير العذاب إلى يوم القيامة لجاءهم العذاب قريبًا سريعًا كما استعجلوه .

---

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : خ ، ز . [٢] - في ز ، خ: « بيان » .

ثم قال: ﴿ وليأتينهم بغتة ﴾. أي: فجأة ﴿ وهم لا يشعرون * يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ أي: يستعجلون العذاب[١]، وهو واقع بهم لا محالة.

قال شعبة: عن سماك، عن عكرمة قال في قوله: ﴿وإن جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ قال: البحر.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا عمر بن إسماعيل بن مجالد، حدثنا أبي، عن مجالد، عن الشعبي: أنه سمع ابن عباس يقول: ﴿ وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾، وجهنم هو هذا البحر الأخضر، تنتثر الكواكب فيه، وتُكور فيه الشمس والقمر، ثم يستوقد فيكون هو جهنم.

وقال الإمام أحمد(٤١): حدثنا أبو عاصم؛ حدثنا عبد الله بن أمية، حدثني محمد بن حُيي[٢]، حدثنا صفوان بن يعلى، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « البحر هو جهنم » قالوا ليعلى؟ فقال: ألا ترون أن الله يقول: ﴿ نارًا أحاط بهم سرادقها ﴾، قال: لا، والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبدًا حتى أعرض على الله، ولا يصيبني منها قطرة حتى أعرض على الله - عز وجل - هذا تفسير غريب وحديث غريب جدًّا، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿ يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾، كقوله تعالى: ﴿ لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش ﴾ وقال: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ وقال: ﴿ لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفّون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ﴾ فالنار تغشاهم من[٣] سائر جهاتهم، وهذا أبلغ في العذاب الحسي.

وقوله: ﴿ ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون ﴾، تهديد وتقريع وتوبيخ، وهذا عذاب معنوي على النفوس، كقوله: ﴿ يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر * إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾، وقال: ﴿ يوم يُدعون إلى نار جهنم دعًّا * هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾، ﴿ ذوقوا فتنتكم هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾.

يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ

(٤١) المسند (٤/٢٣٣)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٨٦): « رجاله ثقات ».

[١] - في ت: « بالعذاب ».
[٢] - في خ، ز: « جني ». [٣] - في ت: « عن ».

ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

هذا أمر من الله لعباده المؤمنين بالهجرة من البلد الذي لا يقدرون فيه على إقامة الدين ، إلى أرض الله الواسعة ، حيث يمكن إقامة الدين ، بأن يوحدوا الله ويعبدوه كما أمرهم ، ولهذا قال : ﴿ **يا عبادي [الذين آمنوا][١] إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون** ﴾ .

قال الإمام أحمد(٤٢) : حدثنا يزيد بن عبد ربه ، حدثنا بقية بن الوليد ، حدثني جُبير بن عمرو القرشي ، حدثني أبو سعد الأنصاري ، عن أبي يحيى مولى الزبير بن العوام ، عن الزبير العوام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **البلاد بلاد الله والعباد عباد الله ، فحيثما أصبت خيرًا فأقم** » . ولهذا لما ضاق على المستضعفين بمكة مقامهم بها ، خرجوا مهاجرين إلى أرض الحبشة ليأمنوا على دينهم هناك ، فوجدوا هناك خير المنزلين ، أصحمة النجاشي ملك الحبشة - رحمه الله - آواهم وأيدهم بنصره، وجعلهم سيُومًا[٢] (*) ببلاده ، ثم بعد ذلك هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الباقون إلى المدينة النبوية يثرب المطهرة .

ثم قال : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ، ثم إلينا ترجعون** ﴾ ، أي : أينما كنتم يدرككم الموت ، فكونوا في طاعة الله وحيث أمركم الله ، فهو خير لكم ، فإن الموت لابد منه ، ولا محيد عنه ، ثم إلى الله المرجع ، فمن كان مطيعًا له جازاه أفضل الجزاء ، [ووفاه تمام][٣] الثواب ؛ ولهذا قال : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفًا تجري من تحتها الأنهار** ﴾ ، أي : لنسكننهم[٤] منازل عالية في الجنة تجري من تحتها الأنهار على اختلاف أصنافها ، من ماء وخمر ، وعسل ولبن ، يصرفونها ويجرونها حيث شاءوا . ﴿ **خالدين فيها** ﴾ ، أي : ماكثين فيها أبدًا لا يبغون عنها حولًا ﴿ **نعم أجر العاملين** ﴾ نعمت هذه الغرف أجرًا على أعمال المؤمنين ﴿ **الذين صبروا** ﴾ أي : على دينهم وهاجروا إلى الله ، ونابذوا

(٤٢) المسند (١٦٦/١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٧٢/٤) : « فيه جماعة لم أعرفهم » .

(*) - أي : آمنين ، وهي كلمة حبشية ، وتُروى بفتح السين . وقيل : سيوم : جمع سائم ، أي تسومون في بلدي كالغنم السائمة لا يعارضكم أحد (النهاية ٤٣٤/٢، ٤٣٥) .

[١] - ما بين المعكوفتين سقط من : ز .
[٢] - في خ : « سهوما » .
[٣] - ما بين المعكوفتين في ت : « ووافاه أتم » .
[٤] - في ز ، خ: « لنسكننكم » .

الأعداء ، وفارقوا الأهل والأقرباء ، ابتغاء وجه اللّٰه ، ورجاء ما عنده وتصديق موعوده .

قال ابن أبي حاتم رحمه اللّٰه(٤٣) : حدثني أبي ، حدثنا صفوان المؤذن ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا معاوية بن سلام ، عن أخيه زيد بن سلام ، عن جده أبي سلام الأسود ، حدثني أبو معانق[١] الأشعري : أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم حدثه[٢] « **أن في الجنة غرفًا يرىٰ ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، أعدها اللّٰه لمن أطعم الطعام ، وأطاب الكلام ، وأباح الصيام ، وأقام الصلاة والناس نيام** » .

﴿ **وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم ثم أخبرهم تعالىٰ أن الرزق لا يختص ببقعة ، بل رزقه تعالىٰ عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا ، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار ، ولهذا قال : ﴿ **وكأين من دابة لا تحمل رزقها** ﴾ ، أي : لا تطيق جمعه وتحصيله ، ولا تؤخر شيئًا لغد ﴿ **اللّٰه يرزقها وإياكم** ﴾ أي : اللّٰه يُقيض لها رزقها علىٰ ضعفها ، وييسره عليها ، فيبعث إلىٰ كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتىٰ الذر في قرار الأرض ، والطير في الهواء والحيتان في الماء . قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا علىٰ اللّٰه رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين** ﴾ .

وقال ابن أبي حاتم(٤٤) : حدثنا محمد بن عبد الرحمن[٣] الهروي ، حدثنا يزيد - يعني ابن هارون - حدثنا الجراح بن[٤] منهال الجزري - هو أبو العطوف - عن الزهري ، عن رجل ، عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول اللّٰه - صلىٰ اللّٰه عليه وسلم - حتىٰ دخل بعض حيطان المدينة ، فجعل يلتقط من التمر ويأكل ، فقال لي : « **يا ابن عمر ، مالك لا تأكل ؟** » قال : قلت : لا أشتهيه يا رسول اللّٰه . قال : « **لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعامًا ولم أجده ، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك قيصر وكسرىٰ ، فكيف[٥] بك يا ابن عمر ، إذا بقيتَ في قوم يَخْبَئون رزق سنتهم بضعف[٦] اليقين ؟** » قال : فواللّٰه ما برحنا ولا رِمْنا حتىٰ نزلت : ﴿ **وكأين من دابة لا تحمل رزقها اللّٰه يرزقها وإياكم وهو السميع**

(٤٣) ورواه الإمام أحمد في مسنده (٣٤٣/٥) من طريق أبي معانق ، عن أبي مالك به ، وسيأتي عند الآية : ٢٠ من سورة الزمر .

(٤٤) ورواه البغوي في تفسيره (٢٥٣/٦) من طريق إسماعيل بن زرارة ، عن الجراح بن المنهال به - وقال الشوكاني في فتح القدير (٢١٣/٤) : « وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لمخالفته لما كان عليه النبي - صلى

[١] - في ت : « معاوية » .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في ابن أبي حاتم : عبد الرزاق .
[٤] - في ز : « عن » .
[٥] - في ز : « وكيف » .
[٦] - في ز : « لضعف » .

العليم ﴾ . فقال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **إن اللّٰه لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ، فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد اللّٰه ، ألا وإني لا أكنز دينارًا ولا درهمًا ولا أخبأ رزقًا لغد**[١] » .

هذا حديث غريب ، وأبو العطوف الجزري ضعيف .

وقد ذكروا أن الغراب إذا فَقَس عن فراخه البيض ، خرجوا وهم بيض ، فإذا رآهم أبواهم كذلك ، نفر عنهم أيامًا حتىٰ يسود الريش، فيظل الفرخ فاتحًا فاه [يتفقد][٢] أبويه فيقيض اللّٰه[٣] له طيرًا صغارًا كالبِرْغَش(*) فيغشاه[٤] فيتقوت منه تلك الأيام حتىٰ يسود ريشه والأبوان يتفقدانه كل وقت ، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه[٥] ، فإذا رأوه قد اسود ريشه عطفا عليه بالحضانة والزق ، ولهذا قال الشاعر :

يا رازق النَّعَّاب(**) في عشه وجابر العظم الكسير المهيض

وقد قال الشافعي في جملة كلام له في الأوامر ، كقول النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **سافروا تصحوا وترزقوا** » .

قال البيهقي(٤٥) : أخبرناه إملاء أبو الحسن[٦] علي [بن محمد][٧] بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد ، أخبرنا محمد بن غالب ، حدثني محمد بن سنان ، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن رَدّاد[٨] - شيخ من أهل المدينة - حدثنا عبد اللّٰه بن دينار ، عن ابن عمر قال : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : « **سافروا تصحوا وتغنموا** » . قال : ورويناه عن ابن عباس .

وقال الإمام أحمد(٤٦) ، حدثنا قتيبة : حدثنا ابن لَهيعة ، عن دَرّاج ، عن عبد الرحمن بن

اللّٰه عليه وسلم - فقد كان يعطي نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة ، وفي إسناده أبو العطوف الجزري وهو ضعيف » .ا.هـ مستفادًا من حاشية تفسير البغوي .

(*) البرغش : البعوض اللساع .

(**) - النعاب : فَرْخ الغراب .

(٤٥) السنن الكبرى (١٠٢/٧) ، ورواه ابن عدي في الكامل (١٩٠/٦) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن رواد به ، وقال : « لا أعلم يرويه غير الرواد هذا ، عامة ما يرويه غير محفوظ » وقال ابن أبي حاتم في العلل (٣٠٦/٢) : « سألت أبي عن هذا الحديث فقال : هذا حديث منكر » .

(٤٦) المسند (٣٨٠/٢) وفيه ابن لهيعة ودراج ضعيفان .

---

[١] - في خ ، ز : « لأحد » .
[٢] - في خ ، ز : « وقال » .
[٣] - سقط من : خ .
[٤] - في ز،خ : « فتغشاه » .
[٥] - سقط من : ز، خ .
[٦] - في ز : « الحسين » .
[٧] - في ز،خ : « ابن أحمد » . والمثبت من البيهقي .
[٨] - في ز ، خ : « وارد » .

حُجيرة[١] ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « **سافروا تربحوا وصوموا تصحوا ، واغزوا تغنموا** » .

وقد ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعًا ، وعن معاذ بن جبل موقوفًا[٢] (٤٧) . وفي لفظ : « **سافروا مع ذوي الجدود والميسرة** »(٤٨) .

وقوله تعالى: ﴿**وهو السميع العليم**﴾ أي: السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم .

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)

يقول تعالىٰ مقررًا أنه لا إله إلا هو . لأن المشركين - الذين يعبدون معه غيره - معترفون أنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر ، وتسخير الليل والنهار وأنه الخالق الرازق لعباده ، ومقدر آجالهم واختلافها واختلاف أرزاقهم ففاوت بينهم ، فمنهم الغني والفقير ، وهو العليم بما يصلح كلًّا منهم ، ومن يستحق الغنىٰ ممن يستحق الفقر ، فذكر أنه المستبد بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها ، فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره ؟ ولم يتوكل علىٰ غيره ؟فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته ، وكثيرًا ما يقرر[٣] تعالىٰ مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية . وقد كان المشركون يعترفون بذلك ، كما كانوا يقولون في تلبيتهم : « **لبيك لا شريك لك ، إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك** » .

---

(٤٧) أما حديث ابن عباس ، فرواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠٢/٧) ، من طريق بسطام بن حبيب ، عن القاسم ، عن أبي حازم ، عن ابن عباس مرفوعًا ، ورواه ابن عدي في الكامل (٥٧/٧) من طريق نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، مرفوعًا . وقال : « هذه الأحاديث كلها عن الضحاك غير محفوظة » . ولم أجده عن معاذ موقوفًا ، وسيأتي مرفوعًا ، وجاء من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا . ورواه ابن عدي في الكامل (٤٥٤/٣) عن سوار بن مصعب ، عن عطية ، عن أبي سعيد ، مرفوعًا وقال : « سوار هذا عامة ما يرويه غير محفوظ » .

(٤٨) رواه الديلمي في مسند الفردوس حديث (٣٣٨٧) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وذكره السيوطي في الجامع ورمز له بالضعف وأعله المناوى بإسماعيل بن زياد .

---

[١] - في ز ، خ: « حجير » . [٢] - في خ : « مرفوعًا » .

[٣] - في ز ، خ: « يقدر » .

﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

يقول تعالىٰ مخبرًا عن حقارة الدنيا وزوالها وانقضائها ، وأنها لا دوام لها ، وغاية ما فيها لهو ولعب : ﴿ **وإن الدار الآخرة لهي الحيوان** ﴾ أي : الحياة الدائمة الحق الذي لا زوال لها ولا انقضاء ، بل هي مستمرة أبد الآباد .

وقوله : ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ أي : لآثروا ما يبقى على ما يفنى .

ثم أخبر تعالىٰ عن المشركين أنهم عند الاضطرار يدعونه وحده لا شريك له ، فهلا يكون هذا منهم دائمًا ، ﴿ **فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين** ﴾ ، كقوله : ﴿ **وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم**[١] **إلىٰ البر أعرضتم** ﴾ وقال هاهنا : ﴿ **فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون** ﴾ .

وقد ذكر محمد بن إسحاق ، عن عكرمة بن أبي جهل : أنه لما فتح رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مكة ذهب فارًّا منها ، فلما ركب في البحر ليذهب إلىٰ الحبشة اضطربت بهم السفينة ، فقال أهلها : يا قوم ؛ أخلصوا لربكم الدعاء ، فإنه لا يُنجِّي هاهنا إلا هو . فقال عكرمة : والله إن كان لا ينجي في البحر غيره ، فإنه لا ينجي أيضًا غيره في البر ، اللهم ؛ لك علي عهد لئن خرجتُ لأذهبن فلأضعنّ يدي في يد محمد فلأجدنه رءوفًا رحيمًا . وكان كذلك .

وقوله : ﴿ **ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا** ﴾ ، هذه « اللام » يسميها كثير من أهل العربية والتفسير وعلماء الأصول « **لام العاقبة** » ، لأنهم لا يقصدون[٢] ذلك ، ولا شك أنها كذلك بالنسبة إليهم ، وأما بالنسبة إلىٰ تقدير الله عليهم ذلك[٣] وتقييضه إياهم لذلك[٤] فهي « **لام التعليل** » . وقد قدمنا [تقرير ذلك][٥] في قوله تعالىٰ : ﴿ **ليكون لهم عدوًّا وحزنا** ﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ

---

[١] - في ز ، خ: « أنجاكم » .
[٢] - في خ ، ز : « يعدون » .
[٣] - سقط من : ز ، خ.
[٤] - في ت : « ذلك » .
[٥] - ما بين المعكوفتين في ت : « تقريرًا لذلك » .

وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

يقول تعالىٰ ممتنًا علىٰ قريش فيما أحلهم من حرمه[١] ، الذي جعله للناس سواء العاكف فيه والبادي ومن دخله كان آمنًا ، فهم في أمن عظيم ، والأعراب حوله ينهب بعضهم بعضًا ، ويقتل بعضهم بعضًا ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **لإيلاف قريش . إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون** ﴾ ، أي : أفكان شكرهم علىٰ هذه النعمة العظيمة أن أشركوا به ، وعبدوا معه الأصنام والأنداد ، و﴿ **بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ ، وكفروا بنبي الله وعبده ورسوله ، فكان اللائق بهم[٢] إخلاص العبادة لله ، وأن لا يشركوا به ، وتصديق الرسول وتعظيمه وتوقيره ، فكذبوه وقاتلوه وأخرجوه من بين أظهرهم ؛ ولهذا سلبهم الله ما كان أنعم به عليهم ، وقتل من قتل منهم ببدر ، وصارت الدولة(*) لله ولرسوله وللمؤمنين[٣] ، ففتح الله علىٰ رسوله مكة ، وأرغم آنافهم[٤] وأذل رقابهم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبًا أو كذب بالحق لما جاءه** ﴾ ، أي: لا أحد أشدّ عقوبة ممن كذب علىٰ الله فقال : إن الله أوحىٰ إليه ولم يوح إليه شيء . ومن قال : سأنزل مثل ما أنزل الله . وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه ، فالأول مفتر ، والثاني مكذب ، ولهذا قال : ﴿ **أليس في جهنم مثوى للكافرين** ﴾؟ .

ثم قال : ﴿ **والذين جاهدوا فينا** ﴾ ، يعني الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - وأصحابه وأتباعه إلىٰ يوم الدين ، ﴿ **لنهدينهم سبلنا** ﴾ ، أي : لنُبَصرنّهم سبلنا أي : طرقنا[٥] في الدنيا والآخرة .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري ، حدثنا عباس الهمداني أبو أحمد - من أهل عكا - في قول الله : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين** ﴾ ، قال : الذين يعملون بما يعلمون يهديهم لما لا[٦] يعلمون . قال أحمد بن أبي

(*) - الدولة : الغلبة .

[١] - في خ ، ز : « حريمه » .
[٢] - في ز ، خ: « لهم » .
[٣] - سقط من : ز، خ .
[٤] - في ز ، خ: « آنافيهم » .
[٥] - في خ ، ز : « طريقنا » .
[٦] - سقط من : خ .

الحواري : فحدثت به أبا سليمان الداراني فأعجبه ، وقال : ليس[١] ينبغي لمن ألهم شيئًا من الخير أن يعمل به[٢] حتىٰ يسمعه في الأثر ، فإذا سمعه في الأثر عمل به ، وحمد اللَّه حين وافق ما[٣] في نفسه .

وقوله : ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ . قال ابن أبي حاتم :

حدثنا أبي ، حدثنا عيسىٰ بن جعفر قاضي الري ، حدثنا أبو جعفر الرازي ، عن المغيرة ، عن الشعبي قال : قال عيسىٰ ابن مريم عليه السلام : إنما الإحسان أن تحسن إلىٰ من أساء إليك[٤] ، و[٥]ليس الإحسان أن تحسن إلىٰ من أحسن إليك . واللَّه أعلم .

☆ ☆ ☆

انتهى بحمد الله وحسن توفيقه المجلد العاشر

ويليه إن شاء الله تعالى المجلد الحادي عشر وأوله تفسير سورة الروم

---

[١] - سقط من : خ ، ز .
[٢] - سقط من : خ ، ز .
[٣] - في خ ، ز : « فيما » .
[٤] - في خ : « عليك » .
[٥] - سقط من : ز .

الفهرست

تفسير سورة الحج ٥
أذان سيدنا إبراهيم بالحج ٤١
دفاع الله عن المؤمنين ٧٣
تفسير سورة المؤمنون ١٠٣
بيان كيفية خلق الإنسان ١١٢
تفسير سورة النور ١٥٩
ما جاء في اللعان ١٧١
قصة الإفك ١٧٩
الأمر بالاستئذان ٢٠٤
أمر المؤمنين بغض أبصارهم ٢١٢
أمر المؤمنات بغض أبصارهن ٢١٦
الأمر بنكاح الأيامى المؤمنات ٢٢٦
تفسير قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض﴾ ٢٣٤
الأمر ببناء المساجد ٢٤١
تفسير سورة الفرقان ٢٨٣
صفات عباد الرحمن ٣١٩
تفسير سورة الشعراء ٣٣٧
قصة سيدنا موسى مع فرعون ٣٣٩
قصة سيدنا إبراهيم مع قومه ٣٥٠
قصة سيدنا نوح مع قومه ٣٥٦
قصة سيدنا هود مع قومه ٣٥٨
قصة سيدنا لوط مع قومه ٣٦٤
قصة سيدنا شعيب مع قومه ٣٣٦
تفسير سورة النمل ٣٩١
قصة سيدنا موسى مع فرعون ٣٩٢
قصة سيدنا داود وسليمان ٣٩٥
قصة سيدنا صالح مع قومه ٤١٤
قصة الدابة التي تخرج من الأرض ٤٣٠
النفخ في الصور ٤٣٦

تفسير سورة القصص ٤٤١
نبأ سيدنا موسى مع فرعون ٤٤٣
قصة قارون ٤٨١
تفسير سورة العنكبوت ٤٩٣
نبأ سيدنا نوح مع قومه ٤٩٨
نبأ سيدنا إبراهيم مع قومه ٥٠٠
الفهرست ٥٣١